

التفسير البسيط

أبي الحسن علي بن محمد بن محمد الوائلي

ت (٤٦٨ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسين علي بن أحمد بن محمد اللخاري

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء السابع عشر

من أول سورة الشعراء إلى سورة العنكبوت

تحقيق

الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد الحُصين

دقيقه ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

تركيب بن سميح بن زلال العتيبي

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن طاهر بن عبد العزيز السعدي

٢ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدى، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد
الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨هـ - ٢٥٠٠م.
٥٢٢ ص؛ ١٦، ٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٠-٢٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٧-٤٠-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١٧)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ١٤٦٨هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطاتم.
- العتيبي، تركي بن سهو. (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٣، ٢٢٧ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع
العبيكان
Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٦٥٤ + فاكس: ٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٠٩٥ +

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطاتم بن عبدالعزيز آل سعود. ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما
في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير

سورة الشعراء^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) قال مقاتل ٤٨ أ : «سورة الشعراء مكية ، غير آيتين فإنها مدنيتان ؛ أحدهما : قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾ [الشعراء : ١٩٧] ، والأخرى قوله تعالى : ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء : ٢٢٤] . وبعض أهل التفسير يقول : «إن من قوله تعالى : ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾ إلى آخرها ، وهن أربع آيات مدنيات ، والله أعلم بما أنزل .» قال ابن قتيبة : «سورة الشعراء مكية كلها إلا خمس آيات من آخرها» . غريب القرآن ٣١٦ ، فإن كان المراد بالخمس من : ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾ فإن هذا لا يستقيم ؛ لأنهن أربع آيات من [٢٢٤-٢٢٧] .

قال الثعلبي ١٠٦/٨ ب : «سورة الشعراء مكية إلا قوله : ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ إلى آخر السورة فإنها مدنية ، وتبعه الماوردي ١٦٣/٤ ، ولم يذكر الواحد في الوسيط ٣/٣٥٠ ، ولا الوجيز ٧٨٦/٢ خلافاً في مكية السورة كلها من دون استثناء . وحكاها ابن عطية ١١/٨٥ ، قول جمهور الناس . وأخرج ابن الضريس ، وابن مردويه عن ابن عباس ، قال : أنزلت سورة الشعراء بمكة . وأخرج ابن مردويه ، مثله عن عبدالله بن الزبير . الدر المنثور ٦/٢٨٨ .

قال القاسمي ٤/١٣ : «قال الداني : روي بسند صحيح أنها نزلت في شاعرين تهاجيا في الجاهلية ، مع كل واحد منهما جماعة . فالسورة على هذا كلها مكية» . وقد ذكر الواحد في الوسيط ٣/٣٥٠ حديث أبي بن كعب في فضل هذه السورة ، وكذا الطبرسي ٧/٣٨٦ ؛ وهو حديث موضوع ، تخريج الزيلعي للكشاف ٢/٤٨٣ ، والفتح السهاوي ٢/٨٩٠ ، وقد سبق الحديث عنه في أول سورة الفرقان .

وعدد آياتها مائتان وسبع وعشرون آية . تفسير الطوسي ٨/٣ ، ومساعد النظر ٢/٣٢٥ ، وتفسير الوسيط ٣/٣٥٠ ، قال ابن كثير ٦/١٣٥ : «ووقع في تفسير مالك المروي عنه ، تسميتها : سورة الجامعة» . قال ابن عاشور ١٩/٩٨ : «اشتهرت عند السلف بسورة الشعراء ؛ لأنها تفردت من بين سور القرآن بذكر كلمة الشعراء ، ثم قال في تسميتها بالجامعة ، ولم يظهر وصفها بهذا الوصف ، ولعلها أول سورة جمعت ذكر أصحاب الشرائع المعلومة إلى الرسالة المحمدية» .

١. ﴿طَسَمَ﴾ . قال الوالي عن ابن عباس : ﴿طَسَمَ﴾ قسم ، وهو من أسماء الله عز وجل^(١) .

وقال عكرمة عنه : عجزت العلماء عن علم تفسيرها^(٢) .

وقال مجاهد : ﴿طَسَمَ﴾ اسم السورة^(٣) .

وقال قتادة : هو اسم من أسماء القرآن^(٤) .

وقال محمد بن كعب : أقسم الله سبحانه بطوله وسنائه وملكه^(٥) .

(١) أخرجه ابن جرير ٥٨ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٤٧ / ٨ ، كلاهما من طريق علي بن أبي طلحة ، وذكره

عنه الثعلبي ٨ / ١٠٧ ، قال البغوي ٦ / ١٠٥ : روى علي بن أبي طلحة الوالي عن ابن عباس .

(٢) تفسير الثعلبي ٨ / ١٠٧ ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٤٦٩ ، ولم ينسبه .

(٣) تفسير الثعلبي ٨ / ١٠٧ ، ولم أجده في تفسير مجاهد .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢ / ٧٣ ، وعنه ابن جرير ٥٨ / ١٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٤٧ / ٨ ، من طريق

آخر عنه ، وفيه زيادة : «اسم من أسماء القرآن ، أقسم به ربك» . وبهذه الزيادة ذكره الثعلبي ٨ / ١٠٧ ، عن قتادة وأبي روق .

(٥) تفسير الثعلبي ٨ / ١٠٧ ، وتفسير البغوي ٦ / ١٠٥ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٢٧٤٧ / ٨ ، عن

محمد بن كعب : «الطاء من الطول ، والسين من القدوس ، والميم من الرحمن» . وفي تنوير المقباس ٣٠٦ :

«يقول : الطاء طوله وقدرته ، والسين سناؤه ، والميم ملكه . ويقال : قسم أقسم به» . وأخرج ابن أبي

حاتم ٨ / ٢٧٤٧ ، عن الحسن البصري ، قال : «فواتح افتتح الله بها كتابه أو القرآن» . وقد ذكر الماوردي

٤ / ١٦٤ ، عمن لم يسمه من أهل الخواطر آراء غريبة في بيان معاني هذه الأحرف ، ونحو ذلك ذكر الرازي

٢٤ / ١١٨ ، وقد أطال في ذكرها البرسوي ، في تفسيره ٦ / ٢٥٨ ، قال أبو حيان ٧ / ٥ : «وتكلموا على

هذه الحروف بما يشبه اللغز ، والأحاجي فتركت نقله إذ لا دليل على شيء مما قالوه» . وهذا موقف حسن ،

والأقرب أن هذه الحروف ابتدئ بها للدلالة على الإعجاز والحددي ، وأن هذا القرآن مكون من هذه

الحروف التي تنطقونها وتكلمون بها ، فهي لا تدل على معنى في أصل وضعها . انظر : تفسير ابن كثير

١ / ١٥٦ ، ١٦٢ .

واختلف القُرَّاء في إخفاء النون وتبيينه من : سم^(١) . والوجه التبيين ؛ لأن حروف الهجاء في تقدير الانفصال والانقطاع مما بعدها ، وإذا كان كذلك وجب التبيين ؛ لأنها إنما تخفى إذا اتصلت بحرف من حروف الفم ، فإذا لم تتصل بها لم يكن شيء يوجب إخفاءها^(٢) .

ووجه إخفاءها أن همزة الوصل قد وصلت ، ولم تقطع مع هذه الحروف ، وهمزة الوصل إنما تذهب في الدَّرَج ، فكما سقطت همزة الوصل في : ﴿الْمَ﴾ ، وهي لا تسقط إلا مع الدَّرَج ، كذلك لا تُبين النون ويقدَّر فيها الاتصال بها قبلها ولا يقدَّر فيها الانفصال^(٣) .

٢. وقوله : ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ تفسيره قد تقدَّم في قوله : ﴿الْمَ﴾^(٤) .
 ذَلِكَ الْكِتَابُ [البقرة : ١ ، ٢]^(٤) ، وقوله : ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ في ابتداء سورة يوسف .

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر : (طسم) بفتح الطاء ، وإدغام النون ، ولم يظهر النون في (طسم) غير حمزة من السبعة ، وشاركه في ذلك أبو جعفر . انظر : السبعة في القراءات ٤٧٠ ، والحجة للقراء السبعة ٣٥٥ / ٥ ، وابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ١٣٠ ، والأزهري في معاني القراءات ٢ / ٢٢٣ ، ثم قال : «وإدغام النون في الميم حسن ، لقرب مخرجيهما ، ومن اختار التبيين حسن» ، والنشر في القراءات العشر : ١٩ / ٢ .

(٢) في (أ) و(ب) : (إخفاء هذا) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٣٥٦ / ٥ بنصه .

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية من سورة البقرة : «قال أبو الهيثم : ذا ، اسم كلٍ مشار إليه يراه المتكلم والمخاطب ، كقولك : ذا الرجل ، وذا الفرس ، فإذا بعد المشار إليه زادوا كافاً ، فقالوا : ذاك الرجل ، وهذه الكاف ليست في موضع نصب ولا خفض ولا رفع ، وإنما أشبهت كاف أخاك وعصاك فتوهم السامع أنها في موضع خفض ، فلما دخل فيها هذا اللبس زادوا : لا ماً ، فقالوا : ذلك أخوك» .

٣. قوله : ﴿لَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسَكَ﴾ . قال أبو عبيدة : مهلك نفسك^(١) ، وقال المبرد : البائع : المهلك ، يقال : بزع زيد نفسه إذا أهلكها ، وبخعه الحب إذا أهلكه وأذابه^(٢) .

وأنشد أبو عبيدة :

ألا أيهذا البائعُ الوجدُ نفسهُ لشيءٍ نحتهُ عن يديه المقاديرُ^(٣)

ومضى الكلام في تفسير البائع في نظير هذه الآية : ﴿لَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ عَائِرِهِمْ﴾ [الكهف: ٦٠] .

قال المفسرون : لما كذبت قريش رسول الله ﷺ شق ذلك عليه ، واشتد حتى أثر فيه ، وكان يشتد حرصه على إيمانهم فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية^(٤) ، وهي كالإنكار عليه شدة حرصه ؛ وذلك أنه كان يعلم أن الله - عز وجل - إن لم يهدم لم يهتدوا ، فما يغني عنه^(٥) حرصه على إيمانهم ، واشتداد تكذيبهم عليه^(٦) .

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٣ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٧٥ .

(٢) قال الزمخشري ٣/ ٢٩٠ : «البخع : أن يبلغ بالذبح البخاع ، وهو : عرق مستبطن الفقار ، وذلك أقصى حد الذابح» ، وذكره الرازي ٢٤/ ١١٨ ، ولم ينسبه .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٣ ، ونسبه إلى ذي الرمة ، وهو في ديوانه ٣٦١ ، وفيه : عن يدك ، وفيه : البائع : القاتل ، ونحته : عدلته وصرفته والوجد : الحزن . وأنشده المبرد في المقتضب ٤/ ٢٥٩ ، وابن جرير ١٩/ ٥٨ ، والأزهري في تهذيب اللغة ١/ ١٦٨ ، ولم ينسبوه ، وذكره الماوردي ٤/ ١٦٤ منسوباً إلى ذي الرمة بلفظ : (بشيء نحته) .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٧ أ .

(٥) هكذا في النسخ جميعها : (عنه) ، وفي الوسيط ٣/ ٣٥٠ : (عنهم) ، وهي أولى .

(٦) تفسير مقاتل ٤٨ أ بمعناه وتفسير السمرقندي ٢/ ٤٧٠ .

قال ابن عباس في قوله : ﴿بَخِعْ نَفْسَكَ﴾ : قاتل نفسك ^(١) .
 قوله تعالى : ﴿أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ . قال أبو إسحاق : موضع (أن) نصب
 مفعول له ، المعنى : لعلك ^(٢) قاتل نفسك لتركهم الإيمان ^(٣) .

ثم أعلم - عز وجل - أنه لو أراد أن ينزل ما يضطرهم إلى الطاعة لقدر على
 ذلك إلا أنه - عز وجل - تعبدهم بما يستوجبون به الثواب مع الإيمان ، ولو نزل
 على كل من عَنَدَ الحق عذابٌ لخضع مضطراً ، وآمن إيمان من لا يجد مذهباً
 عن الإيمان ^(٤) ، وهو قوله :

٤ . ﴿إِنْ شَأْنُ نَزْلِ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ . قال ابن جريج :
 ولو شاء لأراهم أمراً من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية ^(٥) ،
 وقال قتادة : لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوي أحد منهم
 عنقه إلى معصية الله ^(٦) .

(١) أخرجه ابن جرير ٥٨ / ١٩ ، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٧٣ / ٢ ، وعنه ابن جرير
 ٥٨ / ١٩ ، وهو في تفسير مقاتل ٤٨ أ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٤٨ / ٨ ، عن مجاهد ، ثم قال :
 «وروي عن الحسن ، وعكرمة ، وقاتدة ، وعطية ، والضحاك مثل ذلك» ، وذكره الثعلبي ١٠٧ / ٨ ،
 ولم ينسبه . وذكر الماوردي ١٦٤ / ٤ ، عن عطاء وابن زيد : «خرج نفسك» ، وذكره الطوسي ٤ / ٨ ،
 عن ابن زيد ، بلفظ : (خرج نفسك من جسدك) .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) : (أهلك) .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٨٢ / ٤ ، ونحوه في معاني القرآن للفرّاء ٢٧٥ / ٢ ، وعنه ابن جرير ٥٩ / ١٩ ،
 واختار النحاس قول أبي إسحاق في إعراب القرآن ١٧٤ / ٣ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٨٢ / ٤ ، باختصار .

(٥) أخرجه ابن جرير ٥٩ / ١٩ ، وذكره الثعلبي ١٠٧ / ٨ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٧٣ / ٢ ، وعنه ابن جرير ٥٩ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٥٠ / ٨ ، وأخرج ابن جرير
 ٥٩ / ١٩ عن ابن عباس : «ملقين أعناقهم» . ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ
 فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : ٩٩] ، وقوله تعالى :
 ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود : ١١٨] . قال ابن كثير ١٣٥ / ٦ : «نفذ قدره ، ومضت

قال أبو إسحاق : قوله : ﴿فَطَلَّتْ﴾ معناه : فتظلل ، والجزاء يقع فيه لفظ الماضي بمعنى المستقبل ، تقول : إن أتيتني أكرمتك ، معناه : أكرمك^(١) . وهذا الذي ذكره^(٢) مختصر مما بسطه الفراء ، وهو أنه قال : لك ﴿إِنْ﴾ تعطف على مجزوم الجزاء بفعل ؛ لأن الجزاء يصلح في موضع يفعل فعل^(٣) ، ألا ترى أنك تقول : إن زرتني زُرتك ، وإن تزرتني أزرك ، والمعنى واحد ، ولذلك صلح ﴿فَطَلَّتْ﴾ مردودة على يفعل ، وأنشد :

إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً^(٤)

بمعنى : يطيروا .

وذكر الثعلبي ٨/ ١٠٧ ، بإسناده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، قولاً غريباً في المراد بهذه الآية ، قال : نزلت هذه الآية فينا ، وفي بني أمية ، قال : سيكون لنا عليهم الدولة فتدل لنا أعناقهم بعد صعوبة ، وهوان بعد عزة . وقد تبع الثعلبي في سياق هذه الرواية من دون تعليق عليها عدد من المفسرين ، كالزخشري ٣/ ٢٩١ ، والطبرسي ٧/ ٢٨٩ ، والقرطبي ١٣/ ٩٠ ، وقال بعد سياقها : «فالله أعلم» ، وأبو حيان ٧/ ٧ ، ولم يتعقبها . وقد أحسن الواحدي في إعراضه عن ذكر هذه الرواية في تفاسيره الثلاثة ، وإن كان الأول أن يرد هذه الرواية ، وينقضها ، ومن أعرض عن ذكرها ابن كثير ، والسيوطي ، والشوكاني ، وغيرهم ، ولم أر من تعقب هذه الرواية غير ابن عاشور ١٩/ ٩٧ ، حيث قال : «ومن بدع التفاسير وريكيها ما نسبته الثعلبي إلى ابن عباس ، أنه قال : نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية فتدل لنا أعناقهم بعد صعوبة ، ويلحقهم هوان بعد عزة . وهذا من تحريف كلم القرآن عن مواضعه ، ونحاشي ابن عباس - رضي الله عنه - أن يقوله ، وهو الذي دعا له رسول الله ﷺ بأن يعلمه التأويل ، والقرآن أجل من أن يتعرض لهذه السفاسف» .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٢ .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) تكرار ؛ وهو : (في معنى المستقبل) ، تقول : إن أتيتني أكرمتك ، معناه : أكرمك .

(٣) في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٦ : (فعل يفعل) .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٦ ، ولفظ البيت عنده :

إِنْ يَسْمَعُوا سُبَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً مَنِّي وَمَا يَسْمَعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

وأنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٧ ، وابن جني في المحتسب ١/ ٢٠٦ ، ولم ينسبها ، ونسبه في حاشية المحتسب إلى قنبر بن أم صاحب ، واسمه : ضمرة ، أحد بني عبدالله بن غطفان .

قال أبو علي في ما أصلح على أبي إسحاق : اعلم أن الجزاء يكون على ثلاثة أضرب : يكون بالفعل وبالفاء ويإذا ، فإذا كان بالفعل جاز أن يقع الماضي موضع المستقبل في الجزاء ، كما جاز أن يقع موقعه في الشرط ؛ لأن الحرف يقلب المعنى إلى الاستقبال كما تفعل ذلك لم ، في النفي ، ولا ، في قولك : والله لا فعلت ، فتقول على هذا : إن أتيتني أتيتك ، تريد إن تأتني آتاك ، فتوقع الماضي موقع المستقبل في الجزاء ، كما أوقعته في الشرط ، وإن كان ذلك في الشرط أبين ؛ لأن الحرف يخلص عمله في الفعل [الذي يلحق بشرط^(١)] ، ولا يخلص عمله في الجزاء ، ألا ترى أن الجزاء لا يخلو من أن يكون معمولاً للحرف ، والفعل أو [للفعل^(٢)] للفعْل^(٣) دون الحرف وليس في القسمة أن يكون معمولاً لأن ، فينجزم كما انجزم به الشرط^(٤) ، ولم نعلم أحداً ذهب إلى ذلك إلا أن الجزاء قد جاز فيه من هذا ما جاز في الشرط من حيث صار كالجملة الواحدة ، فأما ما بعد الفاء فمتقطع عن : إن ، وعن أن يكون لها عمل^(٥) ، ألا ترى أن الفاء إنما تجتلب في جواب الشرط إذا كانت الجملة الموقعة في موضع الجزاء من مبتدأ وخبر ، والمبتدأ أو الخبر لا يتعلق بأن لأنها من عوامل الأفعال ، وما أخلص لها من دون الأسماء ، فإذا كان كذلك لم تدخل عليها ولم تتعلق بها فاجتلبت الفاء وإذا لُتوصل بها إلى كون الجملة التي من المبتدأ والخبر في موضع الجزاء كما يُتوصل بالذي إلى وصف المعارف بالجمْل وبـ (ذو) ، التي بمعنى صاحب إلى^(٦) [الوصف بالأجناس]^(٧) ومن ثم كانت هذه الآي^(٨) محمولة عند

(١) في كتاب أبي علي : (الذي هو الشرط) . بدل : (الذي يلحق بشرط) .

(٢) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .

(٣) في نسخة (ب) : (والفعل) .

(٤) في كتاب أبي علي : «فينجزم بها كما انجزم بها الشرط» .

(٥) في كتاب أبي علي زيادة : (فيه) .

(٦) في كتاب أبي علي زيادة ، وهي : (وصف الجوهر ، وبأن الموصولة بالفعل إلى مختص بالمصدر الآتي أو بالماضي) .

(٧) ما بين المعقوفين غير موجود في كتاب أبي علي .

(٨) في كتاب أبي علي : الجملة . (بدل : الآي) .

سيبويه على إرادة المبتدأ ، وهو قوله : ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ﴾ [الجن : ١٣] ، وقوله : ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا﴾ [البقرة : ١٢٦] ، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْقُصِ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة : ٩٥] ، وكان موضع الفاء مع ما بعدها من الجملة جزءاً بدلالة قوله : ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف : ١٨٦] بالجزم^(١) ، ولهذا أيضاً حمل :

إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ^(٢)

ونحوه على التقديم^(٣) ، فإذا كان حكم الفاء في الجزء ما ذكرنا وكانت إذا بمنزلتها في قوله : ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَآ قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم : ٣٦] ، وقوله : ﴿وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة : ٥٨] بأن أن عمل إن منقطع عما بعد الفاء من هذه الأفعال لخروج الفعل الذي بعدها [أن يكون جزاء]^(٤) ووقوعه في موضع خبر المبتدأ يوضح ما ذكرنا أنك لو جئت بمثال المستقبل بعد الفاء لم يجزمه ، لا تقول : إن تأتني فأكرمك كما تقول : إن تأتني أكرمك ، وفي امتناع هذا دلالة على أن الفعل بعد الفاء منقطع عن عامل الجزم ، فإذا انقطع عنه لم يجز أن يقع الماضي موقع المستقبل على حد ما كان يقع قبل أن تقطع الفاء وتحجز عمل الجازم ، وإذا كان كذلك ثبت أنه على خلاف ما ذهب إليه أبو إسحاق ، وتبيّنت الخلل في قول أبي إسحاق : معنى ﴿فَطَلَّتْ﴾ فتظل ؛ لأن الجزاء يقع فيه

(١) بالجزم قراءة حمزة والكسائي ، السبعة في القراءات ٢٩٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٢١٦ ، والنشر في القراءات العشر : ٢/ ٢٧٣ .

(٢) أنشده كاملاً سيبويه في الكتاب ٦٧/ ٣ ، ونسبه إلى جرير بن عبدالله البجلي ، وصدره :

يا أقرعُ بن حابس يا أقرعُ

ثم قال سيبويه : أي إنك تُصْرَعُ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ . وفي الحاشية : كان جرير البجلي تنافر هو وخالد بن أوطاة الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي المجاشعي ، وكان عالم العرب في زمانه فقال جرير هذا عند المنافرة . وأنشده المبرد في المقتضب ٢/ ٧٢ ، ولم ينسبه ، وفي الحاشية : استشهد به سيبويه على التقديم والتأخير ، والتقدير عنده : إنك تُصْرَعُ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ .

(٣) وقد استشهد به المبرد على ذلك ، وذكر غيره . المقتضب ٢/ ٧٢ .

(٤) ما بين المعقوفين غير موجود في كتاب أبي علي .

لفظ الماضي موقع المستقبل^(١)، وأن الماضي لم يقع موقع المستقبل هنا من حيث ذكره، ولكن كما يقع في غير هذا الماضي بمعنى الاستقبال^(٢).

وقال أبو علي^(٣) في هذا الإصلاح، حيث جعل الفاء من ﴿فَطَلَّتْ﴾ جواباً للشرط. والفاء في ﴿فَطَلَّتْ﴾ ليست جواباً للشرط، بل هي للعطف على جواب الشرط؛ لأن جواب الشرط قد تقدّم في قوله: ﴿نَزَّلَ﴾ ثم عطف عليه بالماضي، وعاد الكلام إلى ما قاله الزّجاج والفرّاء.

وقوله: ﴿أَعْنَقُهُمْ﴾ كثير من المفسرين يجعلون الأعناق هاهنا جمع العنق التي هي العضو^(٤). وعلى هذا قال: ﴿خَضِعِينَ﴾، ولم يقل: خاضعة، كما قال: ﴿فَطَلَّتْ﴾ لأجل رؤوس الآي، وجاز ذلك؛ لأن المؤنث إذا أضيف إلى المذكر وكان بعضاً منه جاز تذكره؛ وذلك أن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، فترك الخبر عن الأعناق وأخبر عن أربابها. وهذا قول الأخفش، والفرّاء، والزّجاج، والمبرد، وجميع النحويين، قالوا: يجوز أن يُترك المضاف ويُخبر عن المضاف إليه، فيكون كالخبر عن المضاف^(٥).

(١) يوجد هنا تكرار في نسخة (أ)، قدره سطر ونصف.

(٢) الجزء الثاني من كتاب الإغفال ٢١٨ ب، ٢١٩ أ ب، مع شيء يسير من الاختلاف.

(٣) لعل الصواب: وقول أبي علي؛ لأن هذا نقد للكلام أبي علي.

(٤) تفسير ابن جرير ٥٩/١٩، وقد أخرجه عن مجاهد، وقتادة.

(٥) المقتضب ١٩٩/٤، وفيه: «وأما ما عليه جماعة أهل النحو، وأكثر أهل التفسير، في ما أعلم، فإنه أضاف الأعناق إليهم، يريد: الرقاب، ثم جعل الخبر عنهم؛ لأن خضوعهم بخضوع الأعناق»، ومعاني القرآن للفرّاء ٢٧٧/٢، ومعاني القرآن للأخفش ٦٤٤/٢، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٣/٢، ومعاني القرآن للزّجاج ٨٢/٤، قال السمرقندي ٤٧٠/٢: «لأن الكلام انصرف إلى المعنى فكأنه قال: هم لها خاضعون. وليس فيها: لأجل رؤوس الآي»، وقد ذكره الثعلبي ١٠٧/٨ ب. قال البغوي ١٠٦/٦: وقيل: إنها قال: ﴿خَضِعِينَ﴾ على وفاق رؤوس الآي، ليكون على نسق واحد. ولم ينسبه.

وأنشدوا :

مشينَ كما اهتزَّت رماحُ تسفَّهَتْ
أعاليها مرَّ الرِّيحِ النَّواسِمِ^(١)
كأنه قال : تسفيها الرياح^(٢) ، وترك من الرياح النواسم .

وقول آخر :

لما رأى متنَّ السماءِ انقَدَّتِ^(٣)

وقول الأعشى :

كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ من الدِّمِ^(٤)

وذكر هذا القول ابن عطية ٩٠ / ١١ ، فقال : الإضافة إلى من يعقل أفادت حكمه لمن لا يعقل ، كما تفيد الإضافة إلى المؤنث تأنيث علامة المذكر .

(١) البيت لذي الرمة في ديوانه ٢٦٦ ، بلفظ : رويداً بدل : (مشين) ، وأنشده سيويه في الكتاب ٥٢ / ١ ، ونسبه إلى ذي الرمة ، وفي الحاشية : جعل النساء في اهتزازهن حين يمشين بمنزلة الرماح تستخفها الريح فتزعزعها ، وأنشده المبرد في المقتضب ١٩٧ / ٤ ، والزَّجَّاج في معاني القرآن ٨٣ / ٤ ، ولم ينسبها . ولم أجد هذا البيت عند الفرَّاء ، ولا الأخفش ، ولم أجده عند ابن جرير ، ولا الثعلبي .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٨٣ / ٤ ، وفيه : (تسفَّهتها الرياح) .

(٣) أنشده الأخفش في معاني القرآن ٦٤٤ / ٢ ، ولم ينسبه . وفي الحاشية : لم تغد المراجع شيئاً في القول والقاتل . ولم أجده عند الفرَّاء . ونسبه ابن جرير ٦٠ / ١٩ ، إلى العجاج ، وفيه : أبعدت ، بدل : (انقَدَّت) . وفي الحاشية : لم أجد البيت في ديوان العجاج ، والمتن الظاهر . والشاهد في هذا الرجز أنه أنث الفعل : أبعدت ، بالتاء ، مع أن الضمير فيه راجع إلى المتن ، وهو مذكر ، لكن لما أضيف المتن إلى السماء وهي مؤنثة ، فكأن الشاعر أعاد الضمير على السماء وتناسى المتن ، فأنت لذلك . وأنشده الثعلبي ١٠٧ / ٨ ، منسوباً إلى العجاج . والبيت في ديوان العجاج ٢١٩ بلفظ :

إذا رأى متنَّ السَّماءِ انقَدَّتْ وحَيَّ الإلهِ والبلادِ رُجَّتْ

(٤) أنشده كاملاً ونسبه إلى الأعشى : سيويه في الكتاب ٥٢ / ١ ، وأنشده المبرد في المقتضب ١٩٧ / ٤ ، ولم ينسبه ، وكذا الأخفش في معاني القرآن ٦٤٤ / ٢ ، وصدره :

وتشرقُ بالقول الذي قد أذعتهُ

ولم أجده عند الفرَّاء . وأنشده ابن جرير ٦٠ / ١٩ ، والثعلبي ١٠٧ / ٨ ، ونسبها إلى الأعشى ، وهو =

وقال جرير :

رَأْتُ مَرَّ السَّنِينَ أَخَذَنَ مِنِّي^(١)

وأنشد أبو عبيدة :

إِذَا بَعْضُ السَّنِينَ تَعَرَّقَتْنَا كَفَى الْإِيْتَامَ فَقَدْ أَبِي الْيَتِيمِ^(٢)
تركوا المضاف وأخبروا عن المضاف إليه .

قال الفرّاء : جعل الفعل أولاً للأعناق ، ثم جعل خاضعين للرجال^(٣) .

وقال الأخفش : تجعل الخضوع مردوداً على المضمره التي أضاف الأعناق إليها^(٤) .

= في ديوانه ١٨٣ من قصيدة له في هجاء عمير بن عبدالله بن المنذر . وفي حاشية ابن جرير : صدر القنّاء : أعلاها . والشاهد من البيت أنه أنث الفعل : شرق ، بالتاء ، مع أن فاعله وهو : صدر ، مذكر ولكنه لما أضيف إلى القنّاء وهي مؤنثة فكأنه جعل الفعل للقنّاء لا لصدرها .
(١) ديوان جرير ٣٤١ من قصيدة يهجو فيها الفرزدق ، والبيت بتمامه :
رَأْتُ مَرَّ السَّنِينَ أَخَذَنَ مِنِّي كما أَخَذَ السَّرَّاءُ مِنَ الْهَلَالِ
والسرار : آخر الشهر .

وذكر صدره المبرّد في المقتضب ٢٠٠ / ٤ ، ولم ينسبه ، وذكره كاملاً أبو عبيدة في مجاز القرآن ٨٣ / ٢ ، وابن جرير ١٩ / ٦٢ ، والثعلبي ١٠٧ / ٨ ب ، والطوسي ٦ / ٨ ، ونسبوه إلى جرير ، وأنشده الزّجاج في معاني القرآن ٨٢ / ٤ ، ولم ينسبه . قال أبو عبيدة : «رجع إلى السنين ، وترك : مرّ» .
(٢) أنشده سيبويه في الكتاب ٥٢ / ١ ، ونسبه إلى جرير ، وهو في ديوانه ١٢ من قصيدة له في مدح هشام بن عبد الملك . وفي حاشية الكتاب : السنة : الجذب ، وتعرقتنا : ذهبت بأموالنا كما يتعرق الأكل العظم فيذهب ما عليه من اللحم . وأنشده المبرّد في المقتضب ١٩٨ / ٤ ، ولم ينسبه ، وفي حاشيته استشهد به سيبويه على اكتساب المضاف التأنيث من المضاف إليه ، ولم أجده في مجاز القرآن ، ولا في تفسير الثعلبي .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٧٧ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٤٤ بمعناه .

وقال الزَّجَّاج : لَمَّا لم يكن الخضوع إلا بخضوع الأعناق جاز أن يخبر عن المضاف إليه^(١) .

وذهب مجاهد في تفسير الأعناق إلى أنها الرؤساء والكبراء^(٢) ، فصار معنى الآية : فظلت رؤساء القوم لها خاضعين^(٣) .

ومن الناس من يفسر الأعناق بالجماعات ، وهو قول^(٤) كثير من المفسرين ، يقال : جاء القوم عُنُقًا عُنُقًا إذا جاءوا فِرَقًا ، كل جماعة منهم عنق^(٥) ، ومنه قول الشاعر :

أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتًا^(٦)

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٨٢ / ٤ ، قال ابن جرير ٦٢ / ١٩ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك : أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال ، وأن يكون معنى الكلام : فظلت أعناقهم ذليلة ، للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء ، وأن يكون قوله : ﴿ خَضِعِينَ ﴾ مذكراً ؛ لأنه خبر عن الهاء والميم في الأعناق» .

(٢) ذكره عنه الفراء في معاني القرآن ٢٧٧ / ٢ ، والثعلبي في تفسيره ٨ / ١٠٨ ، ولم أجده في تفسير مجاهد ، وذكره ابن جرير ٥٩ / ١٩ ، ولم ينسبه ، وأخرج بسنده عن مجاهد : «فظلوا خاضعة أعناقهم لها من الذلة» .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٧٧ / ٢ ، واختار هذا القول هود الهواري في تفسيره ٣ / ٢٢١ .

(٤) (قول) في نسخة (ج) .

(٥) تهذيب اللغة (عنق) ١ / ٢٥٢ ، وذكره الفراء في معاني القرآن ٢٧٧ / ٢ ، والأخفش ٢ / ٦٤٥ ، والثعلبي ٨ / ١٠٨ ، وصدره بقوله : «وقيل : أراد بالأعناق الجماعات والطوائف من الناس» . أخرج الطستى عن ابن عباس ، أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ ، قال : العنق الجماعة من الناس الدر المنثور ٦ / ٢٨٩ ، وغريب القرآن في شعر العرب ٢١١ .

(٦) قال أبو عبيدة : أنشدني أبو عمرو بن العلاء :

أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَا أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا

يريد : علي بن أبي طالب رضي الله عنه . مجاز القرآن ١ / ٣٠٥ ، وأنشده الأزهري في تهذيب اللغة (عنق) ١ / ٢٥٢ ، ولم ينسبه ، وكذا في اللسان ١٠ / ٢٧٣ ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٠٨ ، وابن عطية ١١ / ٨٩ ، وأبو حيان ٧ / ٦ ، ولم ينسبه .

أراد أنهم مالوا إليك جميعاً .

ويقال : هم عُتق واحد عليه ؛ أي جماعة^(١) .

وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي : العُتق : الجمع الكثير من الناس^(٢) .

قال المبرّد : وهذا قول أبي زيد في هذه الآية قال : أعناقهم : جماعتهم^(٣) .

وقال النضر : العنق : جماعة من الناس^(٤) .

وقال الأخطل :

وإذا المئونَ تُؤوكلتُ أعناقُها فاحملْ هُناكَ على فتىٍّ حَمالٍ^(٥)

قال ابن الأعرابي : أعناقها : جماعتها^(٦) .

وقال غيره : ساداتها^(٧) . والقولان في تفسير الأعناق أنها الجماعات

والرؤساء ، حكاهما الفرّاء والزّجاج وذكرهما^(٨) .

(١) تهذيب اللغة (عتق) ٢٥٢/١ .

(٢) تهذيب اللغة (عتق) ٢٥٣/١ بنصه .

(٣) المقتضب ١٩٩/٤ ، ونسبه إلى أبي زيد الأنصاري .

(٤) تهذيب اللغة (عتق) ٢٥٤/١ .

(٥) يمدح الأخطل في هذا البيت عكرمة الفياض ، كاتب بشر بن مروان الذي كان قد أدى عنه حالة حملها ليحقن دماء بني قومه ، يقول : إذا ما قتل مئاة القتلى ، ولم تؤد دياتهم فعليك بعكرمة ، انقل إليه حاجتك يتكفل بها . شرح ديوان الأخطل ٢٥٠ ، وأنشده الأزهري (عتق) ٢٥٤/١ ، منسوباً إلى الأخطل ، وكذا في اللسان ٢٧٣/١٠ .

(٦) تهذيب اللغة (عتق) ٢٥٤/١ .

(٧) تهذيب اللغة (عتق) ٢٥٤/١ ، ولم يسمّه .

(٨) معاني القرآن للفرّاء ٢٧٧/٢ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٨٣/٤ .

٥. قوله تعالى : ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ ؛ أي وعظ وتذكير من الله ،
يعني : القرآن ^(١) ﴿مُحَدَّثٍ﴾ في الوحي والتنزيل ^(٢) .

قال الكلبي : كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول ^(٣) .
وذكرنا هذا في أوائل سورة الأنبياء ^(٤) .

٦. وقوله : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ . قال صاحب النظم : قوله : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ بعد
قوله : ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ جعل إعراضهم تكذيباً ؛ لأن من أعرض
عن شيء ترك قبوله ، [وإذا ترك قبوله] ^(٥) فقد دل على تكذيبه به ، وهذا
من باب الإيحاء .

وقوله : ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وعيد لهم ^(٦) . قال ابن عباس :
سوف يأتيهم عاقبة ما كذبوا واستهزؤا به ^(٧) .

قال الكلبي : فوقع بهم العذاب يوم بدر ^(٨) ، يعني أن هذا الوعيد الذي
أوعدوا به في هذه الآية لحقهم يوم بدر .

(١) تفسير الثعلبي ١٠٨/٨ أنصه . أخرج ابن أبي حاتم ٢٧٥٠/٨ عن قتادة : ما يأتيهم من شيء من
كتاب الله .

(٢) تفسير الثعلبي ١٠٨/٨ .

(٣) الوسيط ٣/٣٥١ ، منسوباً إلى الكلبي ، وكذلك البغوي ١٠٦/٦ ، وهو في تنوير المقباس : ٣٠٦ ،
بمعناه .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ .

(٥) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .

(٦) تفسير الثعلبي ١٠٨/٨ .

(٧) ذكره القرطبي ٩٠/١٣ ، ولم ينسبه .

(٨) تنوير المقباس ٣٠٦ ، بلفظ : من العذاب . من دون تحديد .

قال أبو إسحاق : المعنى : فسيعلمون نبأ ذلك في القيامة ، قال : وجائز أن يعجل لهم بعض ذلك في الدنيا نحو ما نالهم يوم بدر^(١) ، وقال صاحب النظم : جعل تكذيبهم استهزاءً ، فدل ذلك على أن كل من كذب بحق فكأنه^(٢) قد استهزأ به ، ومن أعرض عنه ولم يقبله فقد كذبه . قال : وأنباؤه ظهوره على الأديان كلها ، وإيمان الناس به كافة ، قال : ويقال : أمر له نبأ ؛ أي عاقبته محمودة . هذا كلامه .

وتحقيق المعنى : فسيأتيهم أخبار ما كذبوا واستهزؤوا به من اجتماع الناس عليه بالإيمان ، على ما ذكره صاحب النظم . وعلى ما ذكر المفسرون : أخبار عاقبة تكذيبهم بما كذبوا به واستهزأهم ؛ وهي : العذاب والنقمة^(٣) .

ثم ذكر ما يدلهم على قدرته ، فقال :

٧. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْآرْضِ﴾ يعني هؤلاء المكذبين^(٤) ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها .

﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ . قال ابن عباس : من كل صنف من أصناف الفواكه وغير ذلك حسن طيب^(٥) .

وقال الكلبي : من كل ضرب حسن في المنظر^(٦) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٨٣/٤ .

(٢) في نسخة (ب) : (فقد استهزأ به) .

(٣) تفسير ابن جرير ٦٢/١٩ بمعناه .

(٤) في تنوير المقيباس ٣٠٦ : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ كفار مكة .

(٥) تفسير مقاتل ٤٨ أ بمعناه . وأخرج عبدالرزاق في تفسيره ٧٣/٢ عن قتادة : ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ قال : حسن . وقال به ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٤٩٥ ، وغريب القرآن ٣١٦ .

(٦) في تنوير المقيباس ٣٠٦ : ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ من كل لون ﴿كَرِيمٍ﴾ حسن في المنظر .

وقال مجاهد : من نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام^(١) ، وهذا كقوله : ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج : ٥ ، ق : ٧] . قال الفراء : هو كما يقال للنخلة : كريمة إذا طاب حملها ، أو كثر ، وكما يقال للشاة والناقة : كريمة إذا غُزِرَتَا^(٢) .

وقال الزَّجَّاج : معنى ﴿زَوْجٍ﴾ نوع ، ومعنى ﴿كَرِيمٍ﴾ محمود في ما يحتاج إليه ، والمعنى : من كل زوج نافع لا يقدر على إنباته وإنشائه إلا رب العالمين^(٤) .

٨ . وقوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ : يعني ما ذكر من الإنبات في الأرض ﴿لَايَةً﴾ لدلالة تدل على أن الله تعالى قادر لا يعجزه شيء . روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس في قوله : ﴿لَايَةً﴾ قال : علامة ، كالعلامة تكون بين الرجل وأهله ، يقول : هذا خاتمي^(٥) ، يعني كما يُستدل بالخاتم على ما أعلم به عليه ، كذلك بالإنبات من الأرض يُستدل على النشر والإحياء .

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [قال الفراء : ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾]^(٦) في علم الله . يقول : قد سبق في علمي أن أكثرهم لا يؤمنون^(٧) ، وقال أبو إسحاق :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٥٠ / ٨ ، وتفسير مجاهد ٤٥٩ / ٢ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٧٨ / ٢ ، وفيه : «إذا طاب حملها أو أكثر» .

(٣) (ومعنى) في نسخة (أ) و(ب) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٨٣ / ٤ ، قال الماوردي ١٦٥ / ٤ : ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ ؛ أي نوع معه قرينه من أبيض وأحمر ، وحلو وحامض .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٥١ / ٨ .

(٦) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .

(٧) معاني القرآن للفراء ٢٧٨ / ٢ ، وفيه : يقول : «لهم في القرآن وتنزيله آية ، ولكن أكثرهم في علم الله لن يؤمنوا» .

أي قد علم الله - عز وجل - أن أكثرهم لا يؤمن أبداً ، وهذا إعلام من الله تعالى أن أكثرهم لا يؤمن^(١) .

٩ . ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ . قال ابن عباس : المنتقم^(٢) من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه^(٣) .

وقال ابن جريج : عزيز بالانتقام من أعدائه ، رحيم بإنجاء المؤمنين بما يهلك به أعداءه^(٤) .

وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى ينتقم من أعداء النبي ﷺ بإهلاكهم وتعذيبهم وينجي المؤمنين^(٥) .

١٠ . قوله : ﴿وَإِذْ نَادَى﴾ . قال الزَّجَّاج : موضع ﴿إِذْ﴾ نصب على معنى :
واتل هذه القصة في ما تلو ؛ ودليل ذلك قوله عطفًا على هذه القصة :
﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الشعراء : ٦٩]^(٦) .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٨٤ ، وذهب مقاتل إلى أن الضمير يرجع إلى كفار مكة ، فقال ٤٨ أ : يعني

أكثر أهل مكة ، وذهب الهواري في تفسيره ٣ / ٢٢٢ إلى العموم ، فقال : يعني من مضى من الأمم .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) : (المسمى) .

(٣) الوسيط ٣ / ٣٥١ غير منسوب . وفي تنوير المقباس ٦ / ٣٠ : ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بالنقمة منهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين .

(٤) أخرجه ابن جريج ١٩ / ٦٣ ، وأوله : كل شيء في الشعراء ، من قوله : عزيز رحيم ، فهو ما أهلك من مضى من الأمم .

(٥) جعل مقاتل الرحمة راجعة إلى الكفار ، فقال ٤٨ أ : ﴿الرَّحِيمُ﴾ حين لا يعجل عليهم بالعقوبة .

(٦) معاني القرآن ٤ / ٨٤ ، قال مقاتل ٤٨ أ : يقول : وإذ أمر ربك يا محمد موسى .

ومعنى النداء : الدعاء ب : يا فلان ، فنادى الله موسى حين رأى الشجرة والنار^(١) ، بأن قال له : يا ﴿مُوسَىٰ أَنْ أَنتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) . قال ابن عباس : يريد : المشركين^(٣) .

قال أهل المعاني : يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية ، وظلموا بني إسرائيل بسومهم سوء العذاب^(٤) .

قال ابن عباس : ثم أخبر عنهم فقال :

١١ . ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَنْقُوتُ﴾^(٥) ، قال الفراء : لو قرئ : ﴿لَا يَنْقُوتُ﴾ بالتاء^(٦) كان صواباً ؛ لأن موسى أمر بأن يقول لهم : ﴿لَا يَنْقُوتُ﴾ فكانت التاء تجوز لخطاب موسى إليهم ، وجازت الياء ؛ لأن التنزيل قبل الخطاب ، وهو بمنزلة قول الله تعالى : ﴿قُلْ لِلَّهِ كُفْرُكُمْ سَتُعْلَبُونَ﴾ [آل عمران : ١٢] بالتاء والياء^(٧) .

(١) ذكره البغوي ١٠٧/٦ ، ولم ينسبه . أخرج ابن أبي حاتم ٢٧٥١/٨ عن السدي : ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ قال : حين نودي من جانب الطور الأيمن .

(٢) الذي يظهر من صنيع الواحدي أنه يثبت النداء في الآية على ظاهره ، وهذا يدل على إثبات صفة الكلام لله عز وجل .

(٣) تفسير مقاتل ٤٨/أ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٥١/٨ بلفظ : (الكافرين) .

(٤) تفسير الثعلبي ١٠٨/٨ ، وذكره في الوسيط ٣/٣٥١ ، ولم ينسبه إلى أحد ، وذكره البغوي ١٠٧/٦ غير منسوب .

(٥) ذكره بنصه في الوسيط ٣/٣٥١ ، ولم ينسبه . وفي تنوير المقباس ٣٠٦ : ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بدل من القوم . نسب هذه القراءة ابن جني إلى عبد الله بن مسلم بن يسار ، وحماد بن سلمة . المحتسب في شواذ القراءات ١٢٧/٢ ، ونسبها الثعلبي إلى عبيد بن عمير . تفسير الثعلبي ١٠٨/أ .

(٧) معاني القرآن للقراء ٢/٢٧٨ بنصه . قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (ستغلبون) بالتاء ، وقرأ حمزة والكسائي : (سيغلبون) . انظر : السبعة في القراءات ٢٠٢ ، والمبسوط في القراءات العشر ١٤٠ ، والنشر في القراءات العشر ٢/٢٣٨ .

وقال أبو حاتم : قوله : ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾ وقف^(١) ؛ لأن المعنى تام ، وما بعده استئناف^(٢) .

ومعنى : ﴿ أَلَا يَنْقُوتُ ﴾ ألا يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته^(٣) .

١٢ . قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونُ ﴾ . قال الكلبي : ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونُ ﴾ بالرسالة^(٤) .

١٣ . قوله : ﴿ وَيَضِيقُ صُدْرِي ﴾ ؛ أي بتكذيبهم إياي^(٥) ، ﴿ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ ؛ أي لا ينبعث بالكلام ، يعني : للعلة التي كانت بلسانه^(٦) .

(١) (وقف) في نسخة (ج) .

(٢) وقف تام عند أبي حاتم . القطع والانتناف للنحاس ٢ / ٤٩٠ ، وعده الداني من الوقف الكافي . المكتفى ٤٢١ ، يعرف بالوقف التام والكافي عند أول موضع ذكر فيه الوقف .

(٣) قال مقاتل ٤٨ أ : ألا يعبدون الله عز وجل .

(٤) ذكره في الوسيط ٣ / ٣٥١ ، ولم ينسبه ، وهو في تنوير المقباس ٣٠٧ .

(٥) تنوير المقباس ٣٠٧ ، ونسبه الماوردي ٤ / ١٦٦ ، إلى الكلبي ، وذكر قولاً آخر ، هو : ﴿ وَيَضِيقُ صُدْرِي ﴾ بالضعف عن إبلاغ الرسالة .

(٦) تفسير ابن جرير ١٩ / ٦٤ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٠٨ ، وهذه العلة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ [طه : ٢٧ ، ٢٨] . وأما ما ورد من أن السبب في ذلك هو وضع نبي الله موسى عليه السلام - الجمرة في فمه بدلاً من التمرة ، فإن هذا الخبر لا يعتد به ؛ لأنه من الأخبار الإسرائيلية ، وقد ذكره ابن جرير في تاريخه ١ / ٣٩٠ ، وجزم به ابن عطية ١١ / ٩٤ ، وهو مخالف للواقع ؛ إذ كيف يقدر على حمل الجمرة بيده ويرفعها إلى فيه ، ومع ذلك لا تحرق يده ولا تؤذيه ، ويكفي لإثبات أن نبي الله موسى عليه السلام لا يعقل أخذه للجمرة من دون الحاجة إلى رفعها إليه ، والله أعلم . وذكر السمرقندي ٢ / ٤٧٠ أن العلة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ لمهابته ، وهو قول غريب ، ونسبه الماوردي ٤ / ١٦٦ ، إلى الكلبي .

[قال الفرّاء : ﴿وَيَضِيقُ﴾ مرفوعة ؛ لأنها مردودة على ﴿أَخَافُ﴾ ، ولو نُصبت بالرد على ﴿يُكْذِبُونَ﴾ كانت صواباً ، والوجه الرفع ؛ لأنه أخبر أن صدره يضيق ، وذكر العلة التي كانت بلسانه^(١) فتلك مما لا تخاف ؛ لأنها قد كانت^(٢) .

قوله : ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ اجعله رسولا لك معي بأن يُرسل إليه جبريل بالوحي^(٣) .

قال الكلبي : لكي يكون معي معيناً لي^(٤) .

قال الفرّاء : ولم يذكر معونة ولا مؤازرة ؛ لأن المعنى معلوم ، كما تقول : لو أتاني مكروه لأرسلت إليك . ومعناه : لتعينني وتغيثني ، وإذا كان المعنى معلوماً طرح للإيجاز^(٥) .

١٤ . قوله : ﴿وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ﴾ . قال مجاهد وقتادة والمفسرون وابن عباس : يريد قتل منهم قتيلاً^(٦) ، يعني الرجل الذي وكزه فقتل عليه^(٨) ،

(١) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٧٨ بنصه ، ونحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/٨٤ ، وذكر نحوه النحاس عن الكسائي إعراب القرآن ٣/١٧٥ .

(٣) قال مقاتل ٤٨٨ : يقول : فأرسل معي هارون ، كقوله في النساء : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ .

(٤) تنوير المقياس ٣٠٧ .

(٥) (المعنى) في نسخة (أ) و(ب) .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٧٨ ، ونحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/٨٤ .

(٧) تنوير المقياس ٣٠٧ ، وتفسير مجاهد ٢/٤٥٩ ، وأخرجه عن قتادة عبدالرزاق في تفسيره ٢/٧٣ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/٦٤ ، وابن أبي حاتم ٨/٢٧٥٢ عن مجاهد ، وقتادة . وتفسير السمرقندي ٢/٤٧١ ، وتفسير الثعلبي ٨/١٠٨ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٤/٨٥ .

والتقدير : ولهم عليّ دعوى ذنب فأخاف أن يقتلوني به ؛ أي بقتلي إياه^(١) .

١٥ . قال الله سبحانه : ﴿كَلَّا﴾ ؛ أي لن يقتلوك ، وهو ردع وزجر عن الإقامة على هذا الظن^(٢) ، كأنه قال : ارتدع عن هذا الظن وثق بالله^(٣) .

قال ابن عباس : [يريد لا يقدرّون على قتلك ، وقال الكلبي : يعني لا أسلطهم على ذلك^(٤) .

قوله : ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ . قال ابن عباس : [يريد نفسه^(٥) ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ . قال : يريد أسمع^(٦) وأرى ، كما قال في : [طه : ٤٦] ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ .

وقال أهل المعاني : قوله : ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ مجاز من وجهين ؛ أحدهما : الجمع ، والآخر : مستمع ؛ موضع ؛ سامع ؛ لأن الاستماع طلب السمع بالإصغاء ، والله

(١) تفسير ابن جرير ١٩ / ٦٤ ، وجعل مقاتل ٨٤ ، (عليّ) بمعنى عندي ، فقال : ﴿وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾ ؛ أي عندي ذنب . وذهب إليه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٥٧٨ ، وغريب القرآن ٣١٦ ، وظاهر الآية أن الذنب قد صدر من نبي الله موسى عليه السلام ، ويدل عليه قوله تعالى في سورة [القصص : ١٥ ، ١٦] في سياق قصة قتل القبطي : ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وعليه فقول الرازي ١٢٣ / ٢٤ : «لنقاتل أن يقول : قول موسى عليه السلام : ﴿وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾ هل يدل على صدور الذنب منه ؟ جوابه : لا ، والمراد : لهم عليّ دعوى ذنب في زعمهم» هذا القول مخالف لظاهر الآية ، ولا دليل عليه .

(٢) ذكره ابن الجوزي ٦ / ١١٨ بنصه ، ولم ينسبه . ونحوه القرطبي ١٣ / ٩٢ ، ولم ينسبه .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٨٥ .

(٤) تنوير المقياس : ٣٠٧ ، وذكره ابن الجوزي ٦ / ١١٨ ، ولم ينسبه .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٦) بنصه في الوسيط ٣ / ٣٥١ منسوباً إلى ابن عباس رضي الله عنها .

(٧) تنوير المقياس ٣٠٧ .

- عز وجل - سامع مما يغني عن الاستماع ، والمعنى يسمع ما يقولانه وما يجيبونكما به^(١) ، وأراد بهذا تقوية قلبهما^(٢) .

وقوله : ﴿مَعَكُمْ﴾ وفي سورة طه ﴿مَعَكُمْ﴾ ؛ لأنه أجراهما في هذه السورة مجرى الجماعة^(٣) ، ومضت لهذا نظائر .

١٦ . قوله : ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ : مذهب أبي عبيدة ، والأخفش ، والمبرد ، وجميع النحويين أن الرسول هاهنا بمعنى الرسالة^(٤) ، وأنشدوا قول كثير :
لقد كذبَ الواشونَ ما بُحِثَ عندهم
بسرٍّ ولا أرسلتهم برسول^(٥)

قالوا : يعني برسالة^(٦) .

-
- (١) (به) في نسخة (أ) و(ب) .
(٢) تفسير الثعلبي ١٠٨/٨ ب بمعناه . وذكر هذا الرازي ١٢٤/٢٤ .
(٣) ذكره البغوي ١٠٨/٦ ، ولم ينسبه . وقد تكلم على مخاطبة المثني بلفظ الجمع سيبويه في الكتاب ٦٢١/٣ ، واستدل بهذه الآية .
(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٤/٢ ، قال في مجازه : إنا رسالة رب العالمين . وتفسير ابن جرير ٦٤/١٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ٨٥/٤ ، وتفسير الثعلبي ١٠٨/٨ ب .
(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٤/٢ منسوباً إلى كثير عزة ، وعنه ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٦ ، وذكره ابن جرير ٦٥/١٩ ، والزجاج ٨٥/٤ ، والطوسي ١١/٨ ، ولم ينسبه ، وذكره الثعلبي ١٠٨/٨ ب منسوباً إلى كثير ، ولفظه عند الزجاج : (ما فُتِ عندهم بسوء) .
وعنه ذكره الأزهري (رسل) ٣٩١/١٢ ، وهو في اللسان ٢٨٣/١١ ، والبيت في ديوان كثير ١٧٨ ، بلفظ :

لقد كذبَ الواشونَ ما بُحِثَ عندهم بليلى ولا أرسلتهم ...
(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٤/٢ ، وتفسير الثعلبي ١٠٨/٨ ب .

وقول عباس بن مرداس :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِي خُفَافاً رَسُولاً بَيْتُ أَهْلِكَ مَتَّهَاهَا^(١)
أَرَادَ رِسَالَةً ، وَلِذَلِكَ أَنْتَ^(٢) .

وعلى هذا تقدير الآية : إنا ذو رسالة رب العالمين فحذف المضاف .

وفيه قول آخر ، وهو : أن الرسول هاهنا في معنى جمع^(٣) ، كقول الهذلي^(٤) :

لِ الْكُنْيِ إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرِّسْوِ لِ أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبْرِ^(٥)

(١) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٨٤ ، والثعلبي ٨/ ١٠٨ ب ، ونسبه إلى عباس بن مرداس ، وهو كذلك في لسان العرب (رسل) ١١/ ٢٨٣ ، قال أبو عبيدة : ألا ترى أنه أنشأه . وأنشده ابن جرير ١٩/ ٦٥ ، والطوسي ٨/ ١١ ، ولم ينسبه . مع اختلاف بينهم في صدر البيت . الخفوف : سرعة السير من المنزل . تهذيب اللغة (خفف) ٧/ ٩ .

(٢) تفسير ابن جرير ١٩/ ٦٥ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨ ب .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٨ ب . وذهب إلى هذا ابن قتيبة ، في تأويل مشكل القرآن ٢٨٤ ، وقال : العرب تقول : فلان كثير الدرهم والدينار ، يريدون : الدراهم والدينار ، وفي غريب القرآن ٣١٦ ، قال : الرسول بمعنى الجميع كما يكون الضيف ، قال : ﴿ هَتُوْلَاءَ صَيْفِي ﴾ [الحجر : ٦٨] ، وكذلك الطفل ، قال : ﴿ ثُمَّ تَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [الحج : ٥] .

(٤) راجع ترجمته في الشعر والشعراء ٢/ ٦٥٣ ، والأغاني ٦/ ٥٦ ، والخزانة ١/ ٢٧٤ .

(٥) أنشده الفراء ٢/ ١٨٠ ، ولم ينسبه ، وعنه ابن الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٣٥ ، من دون نسبة ، وأنشده كذلك ابن جني في الخصائص ٣/ ٢٧٤ ، وذكره الطوسي ٨/ ١١ ، ونسبه للهذلي ، وهو في اللسان (رسل) ١١/ ٢٨٣ ، منسوباً إلى أبي ذؤيب ، وذكره الزمخشري ٣/ ٢٩٥ ، ولم ينسبه . ونسبه ابن عطية : ١١/ ٩٦ ، إلى الهذلي . انظر : ديوان الهذليين ١/ ١٤٦ . وقال شارح أشعار الهذليين ١/ ١١٣ : أكني : أبلغ عني ألوكي ، والألوك : الرسالة وذكره القرطبي ١٣/ ٩٣ منسوباً إلى الهذلي . قال ابن عاشور ١٩/ ١٠٩ بعد ذكره البيت : فهل من ربية في أن ضمير الرسول في البيت مراد به المرسلون .

ومثلها العدو والصيد^(١). قال الله تعالى : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ [الشعراء: ٧٧] ، وقال : ﴿وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] ، وقد مرَّ^(٢) .

وذكر أبو علي القولين جميعاً بعبارة وجيزة ، فقال : الرسول يستعمل على ضربين ؛ أحدهما : [بمعنى المرسل ، والآخر بمعنى : الرسالة ، فقوله : ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بمعنى : الرسالة ،]^(٣) وهو من باب حذف المضاف ؛ لأن المعنى : إِنَّا ذُو رسالة رب العالمين ، قال : ويجوز أن يكون الواحد وضع موضع الثنية ، كما وضع موضع الجمع في قوله : ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠] ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ﴾ [النساء: ٩٢] ونحو ذلك^(٤) .

١٧ . قوله تعالى : ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ : معناه : بأن ، فحذف الجار ، ومعنى الإرسال ها هنا : الإطلاق والتخلية ، كما تقول : أرسلت الصيد من يدي ؛ أي أطلقته بعد التخلية ، وإنما أمر بأن يُخلى عنهم برفع منعه لهم . قال مقاتل : أرسلهم معنا إلى أرض فلسطين ، ولا تستعبدهم^(٥) .

١٨ . قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ : في الكلام محذوف تقديره : فأتياه وأبلغا الرسالة ، فقال : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾^(٦) [قال مقاتل : عرف

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٥ .

(٢) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال الفرّاء : وإنما وحّد الرفيق وهو حقه الجمع ؛ لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب به العرب إلى الواحد وإلى الجمع ، ولا يجوز أن تقول : حسن أولئك رجلاً .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٤) واقتصر على هذا القول في الوسيط ٣/ ٣٥١ ، قال الهوّاري ٣/ ٢٢٣ : وهي كلمة من كلام العرب ، يقول الرجل للرجل : من كان رسولك إلى فلان ؟ فيقول : فلان ، وفلان ، وفلان .

(٥) تفسير مقاتل ٤٨ ب .

(٦) تفسير ابن جرير ١٩/ ٦٦ .

فرعون موسى ؛ لأنه رباه في بيته ، فلما أتاها قال له : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾^(١) يعني : صبيًّا^(٢) ، وقال ابن عباس : صغيراً^(٣) .

والوليد : هو المولود ، وموسى وُلِدَ فيهم ثم كان في ما بينهم حتى صار رجلاً ، وهو قوله تعالى : ﴿وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنَّينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد ثماني عشرة سنة^(٤) ، وقال مقاتل : ثلاثين سنة^(٥) ، وقال الكلبي : أربعين سنة^(٦) .

١٩ . وقوله : ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : يعني قتل القبطي الذي قتله موسى^(٧) .

﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ فيه قولان ؛ أحدهما : وأنت من الكافرين بإهلك ، وكنت معنا على ديننا هذا الذي تعيب ، وهذا قول الحسن والسدي^(٨) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٢) تفسير مقاتل ٤٨ ب بنصه . قال الزمخشري ٢٩٦/٣ : الوليد : الصبي لقرب عهده من الولادة .

(٣) تنوير المقياس : ٣٠٧ ، وتفسير الماوردي ١٦٦/٤ ، ولم ينسبه .

(٤) الوسيط ٣٥١/٣ منسوباً له .

(٥) تفسير مقاتل ٤٨ ب ، ٥١ ، واقتصر عليه السمرقندي ٤٧١/٢ ، والثعلبي ١٠٨/٨ ب ، ولم ينسبه .

واقتصر عليه في الوجيز ٧٨٨/٢ ، ولم ينسبه ، وكذلك البغوي في تفسيره ١٠٩/٦ .

(٦) في تنوير المقياس : ٣٠٧ : ثلاثين سنة . قال الهواري ٢٢٣/٣ : ﴿وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنَّينَ﴾ ؛ أي لم تدع هذه النبوة التي تدعيها اليوم .

(٧) تنوير المقياس : ٣٠٧ ، وتفسير مقاتل ٤٨ ب . وأخرجه ابن جرير ٦٦/١٩ عن مجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٥٤/٨ عن مجاهد وقتادة . وتفسير الثعلبي ١٠٨/٨ ب . وذكره في الوسيط ٣٥٢/٣ غير منسوب .

(٨) أخرجه ابن جرير ٦٦/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٥٤/٨ عن السدي ، وذكره عنه الثعلبي ١٠٨/٨ ب ، والماوردي ١٦٧/٤ ، وهو في الوسيط ٣٥٢/٣ منسوباً إلى الحسن والسدي ، وذكره البغوي ١٠٩/٦ ، وابن الجوزي ١١٩/٦ .

والثاني : وأنت من الكافرين للنعم التي ذكرها ، يعني : من التربية والإحسان إليه ، يقول : ربناك وأحسنًا إليك وأقمت فينا سنين ثم كافأتنا بأن قتلت منا نفساً ، وكفرت بنعمتنا .

وهذا قول ابن زيد ومقاتل وعطاء^(١) والعوفي عن ابن عباس ، قال : إن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية^(٢) . واختاره الفرّاء ، فقال^(٣) : وأنت الآن من الكافرين لنعمتي ؛ أي لتربيتي إياك^(٤) .

قال أهل المعاني : هذا الجواب من فرعون لموسى استصغار لحال الداعي إلى الله بطراً وتكبراً ، وتوجيه أمره إلى غير جهته .

٢٠ . ﴿ قَالَ ﴾ موسى : ﴿ فَعَلْنَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ ؛ أي فعلت تلك الفعللة وأنا إذ ذاك من الضالين ؛ أي من الجاهلين ، قاله مجاهد ومقاتل و قتادة والسدي^(٥) .

(١) تفسير مقاتل ٤٨ ب ، وتنوير المقباس ٣٠٧ ، وأخرجه ابن جرير ٦٦ / ١٩ عن ابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٥٤ / ٨ عن سعيد بن جبیر ، ومحمد بن إسحاق ، وزيد بن أسلم . واقتصر على هذا القول ابن كثير ١٣٧ / ٦ .

(٢) تفسير الثعلبي ١١٠٩ / ٨ عن العوفي ، عن ابن عباس . وأخرجه ابن جرير ٦٦ / ١٩ بلفظ : يقول : « كافرًا للنعمة ، إن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر » .

(٣) (فقال) في نسخة (أ) و(ب) .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢٧٨ / ٢ ، وذكره الهوّاري ٢٢٤ / ٣ ، واقتصر عليه ابن قتية في غريب القرآن ٣١٦ وهو اختيار ابن جرير ٦٦ / ١٩ ، واستظهره الشنقيطي ٣٧٠ / ٦ ، وذكر السمرقندي ٤٧٢ / ٢ ، وجهاً آخر ، فقال : ويقال : وأنت من الجاحدين للقتل ، يعني : لم تقر بالقتل .

(٥) تنوير المقباس : ٣٠٧ ، وتفسير مجاهد ٤٥٩ / ٢ ، وتفسير مقاتل ٤٨ ب . وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٧٣ / ٢ عن قتادة ، وأخرجه ابن جرير ٦٧ / ١٩ عن مجاهد و قتادة والضحاك ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٥٥ / ٨ ، عن مجاهد و قتادة ، ثم قال : وروي عن ابن عباس ، وسعيد بن جبیر ، والثوري مثل ذلك .

قال الفرّاء : وكذا هو في حرف ابن مسعود : وأنا من الجاهلين^(١) ، قال :
والضالين والجاهلين يكونان بمعنى واحد ؛ لأنك تقول : جهلت الطريق
وضللت^(٢) ، وهذا يحتمل تأولين ؛ أحدهما : كنت جاهلاً لم يأتيني عن الله شيء ،
وهذا قول أكثر المفسرين^(٣) .

والثاني : كنت من الجاهلين أنها تبلغ القتل ، وهذا قول قتادة ، قال : جهل
نبي الله ولم يتعمد^(٤) . والأول معنى قول ابن عباس في رواية عطاء : ﴿ وَأَنَا مِنَ
الضَّالِّينَ ﴾ عن نبوة ربي^(٥) .

٢١ . قوله : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ ؛ أي ذهبت^(٦) من بينكم حذراً على
نفسي .

(١) أخرجه ابن جرير ٦٧ / ١٩ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٢٧٥٥ / ٨ عن قتادة قال : « وفي بعض القراءات : فعلتها إذا وأنا من الجاهلين » .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٧٩ بنصه .

(٣) تفسير ابن جرير ٦٧ / ١٩ ، وهو في تفسير الثعلبي ٨ / ١٠٩ أ بنصه . واقتصر عليه في الوسيط ٣ / ٣٥٢ ، والوجيز ٢ / ٧٨٨ ، وصدره ابن الجوزي ٦ / ١١٩ بقوله : وقال بعض المفسرين
قال الشنقيطي ٦ / ٣٧١ : ﴿ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ ؛ أي قيل أن يوحى الله إلي ، ويعثني رسولا ، وهذا هو
التحقيق إن شاء الله في معنى الآية .

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢ / ٧٣ ، وابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٥٥ ، قال الهواري ٣ / ٢٢٤ : من الجاهلين ؛ أي
لم أعمد قتله . ونحوه عند النحاس في إعراب القرآن ٣ / ١٧٦ ، قال الثعلبي ٨ / ١٠٩ أ : ونظيره
قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْكَدِيمِ ﴾ [يوسف : ٩٥] ، وقوله : ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾
[يوسف : ٨] . واختار ابن قتيبة أن يكون المعنى : من الناسين . تأويل مشكل القرآن ٤٥٧ ، ونسب
هذا القول في غريب القرآن ٣١٦ إلى أبي عبيدة ، ولم أجده في كتابه مجاز القرآن .

(٥) تفسير السمرقندي ٢ / ٤٧٢ ، غير منسوب ، واستدل عليه بقوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ .

(٦) في تنوير المقباس : ٣٠٧ : « فهربت » .

قال مقاتل : ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ﴾ إلى مدين^(١) لما خفتكم أن تقتلوني بمن قتلته^(٢) .
 ﴿فَوَهَبَ لِي رِجْلِي حُكْمًا﴾ يعني : نبوة ، قاله ابن عباس والسدي^(٣) ، وقال مقاتل :
 يعني العلم والفهم^(٤) ، وقال ابن زيد : عقلاً ، وقال الفرّاء : التوراة^(٥) ، وهو
 بعيد ؛ لأن التوراة أوتي^(٦) بعد غرق فرعون .

٢٢ . قوله : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ . قال ابن السكيت :
 استعبده وعبّده ؛ أي أخذه عبداً ، وأنشد قول رؤية :
 يَرْضُونَ بِالتَّعْبِيدِ وَالتَّامِّي^(٧)

قال : ويقال : عَبَّدْتُ فلاناً ؛ أي اتخذته عبداً ، مثل : عَبَّدْتَهُ سواء . وتأمّيت
 فلانة : اتخذتها أمة^(٨) . وينشد على هذا^(٩) التعبد بمعنى التعبيد قول الشاعر :
 تَعَبَّدَنِي نَمْرُ بْنُ سَعْدٍ . . . البيت^(١٠)

(١) (مدين) . غير واضحة في نسخة (ج) .

(٢) تفسير مقاتل ٤٨ ب .

(٣) أخرجه ابن جرير ٦٧ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٥٥ / ٨ عن السدي ، واقتصر عليه الهوارى ٢٢٤ / ٣ ،
 وفي تنوير المقياس : ٣٠٧ : «فهماً وعلماً ونبوة» . ونسبه السمرقندي ٤٧٢ / ٢ إلى الكلبي . وذكره في
 الوسيط ٣ / ٣٥٢ ، غير منسوب ، وكذا البغوي ٦ / ١١٠ ، وابن عطية ١١ / ٩٨ ، ونسبه ابن الجوزي
 ١٢٠ / ٦ إلى ابن السائب .

(٤) تفسير مقاتل ٤٨ ب . واستظهره الشنقيطي ٦ / ٣٧٤ .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٧٩ ، وبه قال الزّجاج في معاني القرآن ٤ / ٨٦ .

(٦) هكذا في النسخ الثلاث ، والأصوب : (أوتيتها) .

(٧) ذكره الأزهري (عبد) ٢ / ٢٣٣ من إنشاد ابن السكيت منسوباً إلى رؤية . وفي الحاشية : قبله : ما لناس
 إلا كإتمام الشم . انظر : مجموع أشعار العرب ٣ / ١٤٣ ، وهو في اللسان (عبد) ٣ / ٢٧١ منسوباً إلى
 رؤية .

(٨) تهذيب اللغة (عبد) ٢ / ٢٣٣ .

(٩) (هذا) في نسخة (أ) و(ب) .

(١٠) لم أجده في تهذيب اللغة ، وقد أنشدته كاملاً في اللسان (عبد) ٣ / ٢٧٤ .

تَعَبَّدَنِي نَمْرُ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ أَرَى وَنَمْرُ بْنُ سَعْدٍ لِي مَطِيعٌ وَمَهْطِعٌ

ويقال أيضاً : أَعْبَدْتَ الرجل بمعنى : عَبَدْتَهُ^(١) ، قال الشاعر :

عَلَامٌ يُعْبِدُنِي قَوْمِي وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهِمْ أَبَاعِرُ مَا شَاءُوا وَعُبدَانُ^(٢)

قال مجاهد في قوله : ﴿عَبَدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ : قهرتهم واستعملتهم^(٣) .

وقال قتادة في هذه الآية : يقول موسى لفرعون : أَتُمنُّ عليَّ أن اتخذت بني إسرائيل عبيداً^(٤) .

وقال السدِّي : تُمنُّ عليَّ أن ربيتني فيك وليداً^(٥) ، وأنت قد استعبدت بني إسرائيل فأرسلهم معي ولا تعذبهم .

وقال الكلبي : يقول : تُمنُّ بها عليَّ ، وتستعبد بني إسرائيل^(٦) .

(١) ذكره الأزهري ٢/ ٢٣٣ ، ولم ينسبه .

(٢) أنشده الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٧٩ ، وعنه الثعلبي ٨/ ١٠٩ ب ، وأنشده ابن جرير ١٩/ ٦٨ ، والزجاج ٤/ ٨٧ ، والأزهري ٢/ ٢٣٣ ، والطوسي ٨/ ١٢ ، والزخشي ٣/ ٢٩٧ ، ولم ينسبوه ، وأنشده في اللسان ٣/ ٢٧٥ ، ونسبه للفرزدق ، وأنشده أبو القاسم عبدالرحمن الزَّجَّاجي ، ولم ينسبه ، واستشهد به على أنه يقال : عبدت الرجل ، وأعبدته ، إذا استعبدته ، وأنزلته منزلة العبيد . اشتقاق أسماء الله ٣٩ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٦٨ ، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٦ ، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٠ .

(٤) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٧٤ ، وعنه ابن جرير ١٩/ ٦٩ ، وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٥ من طريق آخر . واقتصر عليه ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٦ ، ولم ينسبه . وصحَّح هذا القول ابن عطية ١١/ ١٠١ ، فقال : قول موسى - عليه السلام - تقرير بغير ألف ، وهو صحيح ، كما قال قتادة .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٦٨ .

(٦) تنوير المقياس ٣٠٧ بمعناه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٤٧٢ منسوباً إلى الكلبي .

وقال مقاتل : قال موسى : تَمَنَّ عَلَيَّ إِحْسَانَكَ إِلَيَّ خَاصَّةً فِي مَا ^(١) زَعَمْتَ ، وتركت ^(٢) إِسَاءَتِكَ أَنْ عَبَدْتَ يَعْنِي : اسْتَعْبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٣) . هذا ما ذكره المفسرون في هذه الآية ، وهو لا يفتح غُلْقاً ولا يَحِلُّ مُشْكَلاً .

وجملة القول في هذه الآية أن أهل التأويل مختلفون فيها على قولين ؛ أحدهما : إن موسى أنكر أن يكون ثُمَّ ^(٤) لفرعون عليه نعمة ^(٥) .

قال صاحب النظم : لا يحتمل قوله : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ إلا أن يكون مستفهماً به ، بمعنى : أَوَ تِلْكَ ، على الإنكار بلفظ الاستفهام ^(٦) ، ولا يحتمل أن يكون خبراً ؛ لأن تعبيد فرعون بني إسرائيل كيف يجعله موسى مِنَّةً منه على نفسه ؟ فالمعنى : ما ذهبنا إليه ، وقد تستفهم العرب بلا ألف ، ثم ذكر ^(٧) أبياتاً فيها ^(٨) :

أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكِرَامَ ^(٩)

- (١) (في ما) من تفسير مقاتل ٤٨ ب .
- (٢) في تفسير مقاتل ٤٨ ب : (وتنسى) .
- (٣) تفسير مقاتل ٤٨ ب .
- (٤) (ثم) في نسخة (أ) و(ب) .
- (٥) قال الثعلبي ٨ / ١٠٩ أ : «اختلف العلماء في تأويلها ، ففسره بعضهم على الإقرار ، وبعضهم على الإنكار» .
- (٦) ذكر هذا القول أبو علي كتاب الشعر ١ / ٥٦ ، ولم ينسبه .
- (٧) في نسخة (ب) : (وقد ذكرنا أبياتاً) .
- (٨) في نسخة (ج) : (منها) .
- (٩) أنشده الأزهري (نبل) ١٥ / ٣٥٩ عن أبي عبيد أنه قال : وحدثني محمد بن إسحاق بن عيسى عن القاسم بن معن : أن رجلاً من العرب توفي فورثه أخوه ، فعيرته رجل بأنه فرح بموت أخيه لما ورثه ، فقال :

أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكِرَامَ وَأَنْ أُورَثَ ذَوْدًا شِصَائِصًا نَبَلًا

قال : والنبل في هذا الموضع : الصغار الأجسام . وفي اللسان (نبل) ١١ / ٦٤١ : «يقول : أأفرح بصغار الإبل ، وقد رزئت بكبار الكرام ؟ قال ابن بري : الشعر لحضرمي بني عامر» .

قال : أراد : أأفرح ؛ لأنه ينكر ذلك ولا يقبله ، ومنها :

بسبع رمينَ الجمرَ . . (١)

وهذا الذي ذكره هو قول الأخفش ، قال : هذا استفهام كأنه قال : أو تلك نعمة تمنها ؟ ثم فسر فقال : ﴿ أَنْ عَبَدْتَ بَنَى إِسْرَئِيلَ ﴾ ، فجعله بدلاً من النعمة (٢) . قال أبو العباس : وهذا غلط لا يجوز أن يُلقى الاستفهام ، وهو يُطلب فيكون الاستفهام كالخبر ، وقد استقبح ومعه (أم) ، وهي دليل على الاستفهام ، واستقبحوا قول امرئ القيس :

تروحُ من الحيِّ أم تبتكرُ (٣)

- (١) أنشده منسوباً إلى ابن أبي ربيعة سيبويه ٣/ ١٧٥ . وفي الحاشية : الشاهد فيه : حذف ألف الاستفهام ضرورة لدلالة أم عليها . وأنشده كذلك المبرد في المقتضب ٣/ ٢٩٤ ، والبيت بتمامه عندهما :
لعمرك ما أدري وإن كنتُ دارياً
بسبع رمينَ الجمرَ أم بثمانٍ
عند سيبويه والمبرد بالنون : رمين . ورواية البيت في الديوان ٣٩٩ .
فوالله ما أدري وإنِّي لحاسبٌ
بسبع رمينَ الجمرَ أم بثمانٍ
ورميت أولى ؛ لأنه يصور ذهوله عند رؤية عائشة بنت طلحة ، وقد رآها في الحج .
(٢) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٦ .
(٣) ديوان امرئ القيس ٢٢ ، وعجزه :

وماذا عليك بأن تنتظر

وذكره ابن جرير ١٩/ ٦٩ كاملاً ، ولم ينسبه ، وذكر صدره فقط الأزهري ٢/ ٢٣٢ منسوباً إلى امرئ القيس . وفي حاشية ابن جرير : تروح : أتروح ، وتبتكر : تخرج مبكراً ، يقول : أتروح إلى أهلك آخر النهار أم تخرج إليهم بكرة ، وما الذي يعجلك عن الانتظار وهو خير لك ؟ والبيت شاهد على أنه حذف همزة الاستفهام ، اكتفاء بدلالة أم عليه ، وبعضهم يستقبح الحذف في هذا الموضع .

بمعنى : أتروح ، فحذف الاستفهام واكتفى^(١) بـ (أم) ، فذهب الأكثرون إلى أن الأول خبر ، والثاني استفهام ، فأما وليس معه (أم) فلم يقله إنسان . انتهى كلامه^(٢) .

ولتحقيق الإنكار وجه غير تقدير الاستفهام . قال محمد بن إسحاق بن يسار في هذه الآية : أقبل موسى على فرعون ينكر عليه ما ذكر من يده عنده ، فقال : ﴿وَلَيْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ؛ أي اتخذتهم عبيداً تنزع أبناءهم من أيديهم فتسترق من شئت ، وتقتل من شئت ؛ أي إنما صيرني إليك^(٣) وإلى بيتك ذلك^(٤) .

واختار الزَّجَّاج والأزهري هذا القول وشرحاه . قال الزَّجَّاج : المفسرون أخرجوا هذا على جهة الإنكار أن تكون تلك نعمة ، كأنه قال : وأيُّ نعمة لك عليّ في أن عبدت بني إسرائيل ، واللفظ لفظ خبر ، قال : ويخرج المعنى على ما قالوا أن لفظه لفظ الخبر ، وفيه تبيكيت للمخاطب ، على معنى أنك لو كنت لا تقتل^(٥) أبناء بني إسرائيل لكنت أمني مستغنية عن قذفي في اليم فكأنك تمنن عليّ بما كان بلاؤك سبباً له . انتهى كلامه^(٦) .

(١) ساقطة من (ب) .

(٢) ذكره ابن جرير ٦٩/١٩ بنصه ، وصدره بقوله : وكان بعض أهل العربية ينكر هذا ولم يسمه . وذكر نحوه النحاس في إعراب القرآن ٣/١٧٦ ، ولم ينسبه ، وقد صرح فيه بالرد على الأخفش . وذكره بنصه الأزهري ٢/٢٣٢ منسوباً إلى أبي العباس .

(٣) (إليك) في نسخة (أ) و(ب) .

(٤) تاريخ ابن جرير ١/٤٠٦ بسنده عن محمد بن إسحاق . وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٨/٢٧٥٦ . وقد وقع في المطبوع : «وإني إنما صيرني إليك لأبين لك ذلك» ، وهو مخالف للمخطوط ٢٠٩ ب ، ولما في تاريخ ابن جرير .

(٥) (لا تقتل) من (ج) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/٨٦ .

وزاد الأزهري بياناً لهذا القول ، فقال : إن فرعون لما قال لموسى : ﴿ أَلَمْ نَرْبِكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ فاعتد عليه بأن ربّاه وليداً منذ وُلِدَ إلى أن كبر ، وكان من جواب موسى له : تلك نعمة تعتد بها عليّ لأنك عبدت بني إسرائيل ، ولو لم تعبدهم لكفّلني أهلي ، ولم يلقوني في اليم ، فإنما صارت نعمة لما أقدمت عليه مما حظره الله عليك . انتهى كلامه^(١) .

ونظير هذا من الكلام أن يَمُنَّ إنسانٌ على غيره تربيته ، فيقول له المخاطب : هذه النعمة حصلت لك عليّ بأن قتلت أبوي ، ولو لم تقتلها لربياني ، فيكون في ذكر سبب تربيته إيّاه دفعاً لما ذكر من النعمة عليه^(٢) ، كذلك لما ذكر موسى تعبيده بني إسرائيل كان في ذلك إبانةً لسبب حاجة موسى إلى تربية فرعون ، ودفعاً لما ذكر من النعمة عليه . وإلى هذا القول أشار^(٣) المبرّد ، فقال : التربية كانت بالسبب الذي ذكره الله من التعبيد ، فقال موسى : تربيتك إِيَّاي كانت لأجل التملك والقهر لقومي ، فقلوله : ﴿ تِلْكَ ﴾ ابتداء ، و : ﴿ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ﴾ خبره ، و : ﴿ أَنْ عَبَدْتَ ﴾ بدل من النعمة ، مُبَيِّنٌ لها ، وتقديره : تعبيدك بني إسرائيل .

هذا الذي ذكرنا وجه قول من قال بالإنكار .

القول الثاني : إن موسى أقر بنعمة التربية ، وهو قول الفراء^(٤) ، ومذهب أبي العباس^(٥) ، ووجهه أن فرعون لما قال لموسى : ﴿ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ؛ أي لنعمة تربيتي لك ، أجاب موسى ، فقال : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ ﴾ الآية ؛ يقول : هي لعمري نعمة إذ ربّيتني ولم تستعبدني كاستعبادك بني إسرائيل ، فـ ﴿ أَنْ ﴾ تدل على

(١) تهذيب اللغة (عبد) ٢ / ٢٣٢ .

(٢) (عليه) . في نسخة (أ) و (ب) ، وفي نسخة (أ) (زيادة) وإلى هذا القول (والكلام مستقيم من دونها) .

(٣) في نسخة (ب) : (ذهب أشار) .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٧٩ .

(٥) تهذيب اللغة (عبد) ٢ / ٢٣٢ .

ذلك . ومثله في الكلام : أن تضرب أحد عبيدك وتترك الآخر ، فيقول المتروك : هذه نعمة عليّ أن ضربت فلاناً وترككني ، ثم تحذف : وترككني . والمعنى قائم معروف . هذا كله كلام الفراء ، قال : وقد تكون ﴿ أَنْ ﴾ رفعاً ونصباً ، أمّا الرفع فعلى قولك : وتلك نعمة تمنها عليّ تعبيدك بني إسرائيل . والنصب : تمنّها عليّ لتعبيدك بني إسرائيل . انتهى كلامه ^(١) .

ووجه هذا القول يصح في النظم بتقدير محذوف ، كأنه قال : وتلك التي ^(٢) تذكر نعمة لك تمنها عليّ لأن عبدت بني إسرائيل . هذا وجه الإقرار بنعمة التربية . ومذهب المفسرين : الإنكار ، وما حكينا من أقوالهم يدل على الإنكار .

٢٣ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ . قال محمد بن إسحاق : يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه ؛ أي ما إلهك هذا ؟ ^(٣) فأجابه موسى بما هو دليل على الله - عز وجل - بما خلق مما يُعجز المخلوقين عن أن يأتوا بمثله ^(٤) .

٢٤ . ف ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ . قال ابن الأنباري : يقال : كيف استجاز موسى حين سأل فرعون أن يجيبه بأن يقول : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ وهذا ليس بجواب لسؤاله ؛ لأن من قيل له : ما زيد ؟ لم يكن جوابه : زيد يملك خمسين ديناراً ؛ لأن (ما) سبيلها أن تستفهم بها عن الأسماء من الأجناس والأنساب ، فإذا قال القائل : ما هذا ؟ أجيب بأحد جوابين ؛ إمّا أن يُقال له : هاشمي ،

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٩ .

(٢) التي . في نسخة (أ) و(ب) .

(٣) تاريخ ابن جرير ١/ ٤٠٦ بسنده عن محمد بن إسحاق . وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٦ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٧ بنصه .

(٥) (ابن) في نسخة (ب) .

قرشي ، إذا علم المخاطب أنه يعرف جنس الذي يستفهم عنه ، وإمّا أن يُجاب بالجنس ، فيقال : إنسان ، بهيمة ، حائط ، فجواب موسى لم يقع على حسب سؤال فرعون .

والجواب أن فرعون أحال في سؤاله ، فسأل عن جنس من لا جنس له فاستجهله موسى ، فأضرب عن سؤاله فلم يجبه عنه ، بل أخبره من قدرة الله وعظيم ملكه وسلطانه بما يردعه عن جهله في ما كان سأل عنه . والدليل على أن موسى لم يجب عن سؤاله أنه لما سمعه منه أقبل على جلسائه ، فقال : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ؛ إذ لم يجبني عن سؤالي ! فلم يلتفت موسى إلى ذلك من قوله ، وأشاع تعظيم مُلْك ربه ، فقال : ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ الآية .

والجواب الثاني أن موسى علم أن قصده في السؤال معرفة من سأل عنه فأجاب بما يعلم من صفاته ؛ لأن الذي يجب على المسؤول أن يُخبر بما يعلم ، فكأن موسى أجاب عن معنى السؤال بما يعرف ، ولم يلتفت إلى ظاهره .

وقيل : إن موسى عَلِم أن فرعون يعلم أن الله رَبُّهُ ؛ وإن أظهر غير ما يعلم ، فلما قال له : ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لم يقع في نفسه أنه يسأل عن ربه ليُحدده ، بل قدّر أنه يسأله عن مُلْك ربه ؛ فكأن التقدير : وما مُلْك رب العالمين ؟ فقال : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ الآية . وغير ممتنع في اللغة أن يُجاب السائل في قوله ^(١) ما مُلْك ربك ؟ بأن يقال : ربُّك ملك العراق وخراسان ، ومالك أكثر الأرض . انتهى كلامه ^(٢) .

(١) (في قوله) من نسخة (أ) .

(٢) قال ابن كثير ١٣٨ / ٦ : «ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط ، فإنه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل عن الماهية ، بل كان جاحداً له بالكلية في ما يظهر» .

قال الكلبي : ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أنه خلق ذلك ^(١) .

وقال أهل المعاني : ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أن ما تعاینونه كما تعاینونه ^(٢) ، یعنی : إن كنتم تثبتون المشاهدات والمعقولات ؛ لأن من أثبت المعقول لا يكاد يخفى عليه الخالق إذا شاهد المخلوق .

٢٥ . قوله : ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ . قال أبو إسحاق : لما قال موسى : رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿تَحَيَّرَ فرعون ولم يردَّ جواباً ينقض به هذا القول ، فـ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ^(٣) . قال ابن عباس : يريد ألا تستمعون مقالة موسى ^(٤) . فزاد موسى في البيان ، فقال ^(٥) :

٢٦ . ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ . قال الفرّاء : إنما لم يجبه الملاء ؛ لأن موسى كان المراد بالجواب ، فقال : الذي أدعوكم إلى عبادته ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ^(٦) . قال محمد بن إسحاق : الذي خلق آباءكم الأولين ، وخلقكم من آبائكم ^(٧) . فلم يجبه فرعون أيضاً بما ينقض قوله ، وقال :

(١) تنوير المقباس : ٣٠٧ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٠٩ ب منسوباً إلى الكلبي . وذكره في الوسيط ٣ / ٣٥٢ ، ولم ينسبه .

(٢) تفسير ابن جرير ١٩ / ٦٩ ، وهو بنصه في تفسير الثعلبي ٨ / ١٠٩ ب .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٨٧ ، وذكره في الوسيط ٣ / ٣٥٢ ، ولم ينسبه .

(٤) الوسيط ٣ / ٣٥٢ منسوباً إلى ابن عباس ، وذكره ابن جرير ١٩ / ٦٩ ، ولم ينسبه .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٨٧ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٧٩ .

(٧) تاريخ ابن جرير ١ / ٤٠٦ بسنده عن محمد بن إسحاق . وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٥٦ .

٢٧. ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾^(١) . قال محمد بن إسحاق : أي ما هذا بكلام صحيح إذ يزعم أن له إلهاً غيري^(٢) .

وقال أهل المعاني : كلتا المقالتين من فرعون مقالة العاجز عن الاعتراض على الحجة^(٣) ، قوله : ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ، وقوله : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ﴾ الآية ، فلم يشتغل موسى بالجواب عما نسبته إليه من الجنون ، ولكن اشتغل بتأكيد الحجة ، فأتبع ما سبق من الدليل دليلاً آخر زيادة في الإبانة ، فقال^(٤) :

٢٨. ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ . قال مقاتل : إن كنتم تعقلون توحيد الله^(٥) .

وقال أهل المعاني : إن كنتم ذوي عقول لم يخف عليكم ما أقول^(٦) ، كقوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء : ٢٤] .

قال أبو إسحاق : فلم يجبه في هذه الأشياء بنقيض لحجته^(٧) ، وإنما قال :

٢٩. ﴿لَيْنِ اتَّخَذَتِ الْهَآ غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ ؛ أي [لأسجنئك ، و]^(٨) لأحبسَنَّك مع من حبسته في السجن^(٩) .

(١) الوسيط ٣/ ٣٥٢ .

(٢) تاريخ ابن جرير ١/ ٤٠٦ بسنده عن محمد بن إسحاق . وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٥٦ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٨ بمعناه .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١٠٩ ب بمعناه .

(٥) تفسير مقاتل ٤٩ أ .

(٦) الوسيط ٣/ ٣٥٢ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٨ ، وهو في الوسيط ٣/ ٣٥٢ غير منسوب .

(٨) ما بين المعوفين في نسخة (ج) .

(٩) تفسير ابن جرير ١٩/ ٧٠ ، قال الزحشر ٣/ ٣٠٠ : «فإن قلت : ألم يكن لأسجنئك أخصر من :

﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ ومؤدياً مؤداه ؟ قلت : أمّا أخصر فنعم ، وأمّا مؤد مؤداه فلا ؛ لأن معناه : =

قال الكلبي^(١) : وكان سجنه أشد من القتل^(٢) .

فقال موسى حين توعده بالسجن :

٣٠ . ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ يعني : أتسجنني ولو جئت بك بشيء مبين^(٣) .

قال محمد بن إسحاق : أي بأمر تعرف فيه صدقي وكذبك ، وحقي وباطلك^(٤) .

وهذه الآيات من هنا [٣١ ، ٣٢] مفسرة في سورة الأعراف إلى قوله :

لأجعلنك واحداً مما عرفت حالهم في سجنوني «هكذا في الكشف مما عرفت . فاللام» ، في (المسجونين) للعهد . تفسير أبي السعود ٦ / ٢٤٠ ، ومع تجبر فرعون وطغيانه فإنه دُهل عن تهديد نبي الله موسى - عليه السلام - بالقتل ؛ وذلك تحقيقاً لوعد الله له بالألا يقدر على ذلك ، فمنعوا حتى من تخويفه به ، ﴿وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ ١١١ ﴿قَالَ كَلَّا﴾ .

(١) (الكلبي) في نسخة (أ) و(ب) .

(٢) تنوير المقياس : ٣٠٧ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٠٩ ب ، وفيهما زيادة (وكان إذا سجن أحداً طرحه في مكان وحده فرداً ، لا يسمع فيه شيئاً ، ولا ينظر فيه شيئاً ، يهوله به) ، وهو كذلك عند البغوي ٦ / ١١١ منسوباً إلى الكلبي . ونسبه السمرقندي ٢ / ٤٧٢ إلى ابن عباس .

(٣) تفسير الثعلبي ٨ / ١٠٩ ب بمعناه .

(٤) تاريخ ابن جرير ١ / ٤٠٦ بسنده عن محمد بن إسحاق . وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٥٧ ، والآية دليل ظاهر على عد المعجزات من أدلة النبوة ، لكن ليست هي الدليل الوحيد ، بدليل قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود : ٥٣] فلم يذكر لهم نبي الله هود - عليه السلام - معجزة وإنما ، تحداهم بقوله : ﴿إِن نَقُولُ إِلَّا نَعْرَضُكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمَّا أَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيٌّ وَمَا أَشْكُرُونَ﴾ ١١١ ﴿مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُو فِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظَرُونَ﴾ [هود : ٥٤ ، ٥٥] . وانظر : شرح العقيدة الواسطية ١٥٠ ، تخريج : الألباني .

وقد أساء الزمخشري ٣ / ٣٠٠ في تعليقه على قوله تعالى : ﴿فَأَتَتْ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ بتعريضه تفضيل فرعون على أهل السنة بسبب قولهم : إن المعجزات دليل صحيح على النبوة ، لكن الدليل غير محصور في المعجزات ، وقد أجاد ابن المنير - رحمه الله تعالى - في الرد عليه . الانتصاف بحاشية الكشف ٣ / ٣٠٠ .

٣٨. ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِيلِيقَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ . قال مقاتل : يعني ليعاد^(١) يوم معلوم ، وهو يوم عيدهم ، وهو يوم الزينة^(٢) .

٣٩. ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ يعني : لأهل مصر^(٣) . ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ إلى السحرة . وقيل : لتنظروا ما يفعل الفريقان ، ولمن تكون الغلبة^(٤) .

٤٠. ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾ على أمرهم ﴿إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ لموسى ولأخيه . قاله مقاتل^(٥) : وإنما قالوا : ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾ ؛ لأن السحرة لم يكونوا متبوعين ، وإنما كانوا سحرة حشروا إليهم من مدائن صعيد مصر ، فقالوا : إن غلبوا موسى اتبعناهم^(٦) .

وما بعد هذا [٤١-٤٣] مُفسَّر إلى قوله :

٤٤. ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ ؛ أي بقوته التي يمتنع بها من لحاق الضيم^(٧) .

-
- (١) في نسخة (ج) : (لليقات) .
 (٢) تفسير مقاتل ٤٩أ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٠٩ ب . قال تعالى : ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه : ٥٩] .
 (٣) تفسير السمرقندي ٢ / ٤٧٣ .
 (٤) تفسير الثعلبي ٨ / ١١٠ أ بنصه . أخرج ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٦٢ عن السدي : حشر الناس ينظرون .
 (٥) تفسير مقاتل ٤٩ ب .
 (٦) أخرج ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٦٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما : فلما اجتمعوا في صعيد ، قال الناس بعضهم لبعض : انطلقوا فلنحضر هذا الأمر ، ونتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ، يعني بذلك موسى وهارون عليهما السلام استهزاءً بهما . قال ابن كثير ٦ / ١٤٠ : ولم يقولوا نتبع الحق سواء كان من السحرة ، أو من موسى ، بل الرعية على دين ملكهم .
 (٧) ذكره الطبرسي ٧ / ٣٩٦ بنصه ، ولم ينسبه . قال البيضاوي ٢ / ١٥٥ : أقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم ، أو لإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر . يقال : ما ضُمت أحداً ، ولا ضُمت ؛ أي ما نقصت ، والمضيم : المظلوم . تهذيب اللغة (ضام) ١٢ / ٩٢ .

قال مقاتل : يعني : بعظمة فرعون ، كقوله لشعيب : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِّينَ ﴾ [هود: ٩١] يعني : بعظيم^(١) ، وهذا قَسَمٌ غير مبرور^(٢) .

وبالباقي [٤٥-٤٩] مُفسَّر إلى قوله :

٥٠ . ﴿ لَا ضَيْرَ ﴾ ؛ أي لا ضرر علينا في ما ينالنا في الدنيا مع أملنا للمغفرة ، قاله الزَّجَّاج^(٣) .

وقال مقاتل : ﴿ لَا ضَيْرَ ﴾ هل هو إلا أن يقتلنا^(٤) ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ راجعون في الآخرة^(٥) .

٥١ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا ﴾ مُفسَّر في سورة الشعراء^(٦) .

﴿ إِن كُنَّا ﴾ ؛ أي لأن كُنَّا^(٧) . ﴿ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال الفراء : أول مؤمني أهل زماننا^(٨) .

(١) تفسير مقاتل ٤٩ بنصه .

(٢) ذكره الطبرسي ٢٩٦/٧ بنصه ، ولم ينسبه . وفي الباء قول آخر ، هو : أنهم قالوا ذلك على جهة التعظيم لفرعون ، والتبرك باسمه ، فالباء في ﴿ بَعِزَّةَ فِرْعَوْنَ ﴾ كالباء في ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . ذكر هذا القول ابن عطية ١١٠٧/١١ ، واستحسنه ابن عاشور ١٢٧/١٩ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٩٠/٤ ، قال ابن قتيبة : «هي من : ضاره بضوره ، ويضيره ، بمعنى : ضره» . غريب القرآن ٣١٧ .

(٤) في تفسير مقاتل ٤٩ أ : «ما عشت أن تصنع ، هل هو إلا بقتلنا» .

(٥) تفسير مقاتل ٤٩ أ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٦٧/٨ عن سعيد بن جبير .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٥١] .

(٧) تفسير ابن جرير ٧٤/١٩ ، قال الزَّجَّاج ٩٠/٤ : بفتح (أَنْ) ؛ أي لأن كُنَّا أول المؤمنين .

(٨) في نسخة (ب) : (دهرهم) ، ولا أحسبه عرف الرواية ، وهذا مكرر مما بعده .

(٩) معاني القرآن للفراء ٢٨٠/٢ ، واقتصر عليه الثعلبي ١١٠/٨ ، ولم ينسبه ، وكذا البغوي ١١٣/٦ .

وقال مقاتل : أول المصدقين بتوحيد الله من أهل مصر ^(١) .

وقال الزَّجَّاج : زعم الفرَّاء أنهم كانوا أول مؤمني أهل دهرهم ^(٢) ! ولا أحسبه عرف الرواية في التفسير ؛ لأنه جاء في التفسير أن الذين كانوا مع موسى ستمائة ألف ، وإنما المعنى : أن كُنَّا أول من آمن في هذه الحال عند ظهور آية موسى ^(٣) .

وقال غيره : ﴿ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بآيات موسى ممن كان يعمل بالسحر ^(٤) .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ مفسَّر في سورة طه ^(٥) .

﴿ إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴾ يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرض مصر ^(٦) .

٥٣ . ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ خَاشِعِينَ ﴾ يحشرون الناس لطلب موسى وهارون ^(٧) ؛ أي أرسل من جمع له الجيش ^(٨) .

٥٤ . [قوله : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴾] . قال مقاتل : ثم قال فرعون : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴾ يعني : بني إسرائيل .

(١) تفسير مقاتل ٤٩ أ .

(٢) قال الفرَّاء ٢ / ٢٨٠ : أول مؤمني أهل زماننا .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٩٠ ، وقول الفرَّاء أَوَّلُ ، موافق لظاهر الآية ، واعتراض الزَّجَّاج ليس بقوي ؛ لأنها روايات موقوفة ليست مرفوعة ، فالأقرب أنها من أخبار بني إسرائيل ، والله أعلم .

(٤) أخرج ابن جرير ١٩ / ٧٤ ، وابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٦ ، عن ابن زيد ، في قوله : ﴿ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال : كانوا كذلك يومئذ أول من آمن بآياته حين رأوها .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ [٧٧] .

(٦) تفسير ابن جرير ١٩ / ٧٤ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١١٠ .

(٧) تفسير مقاتل ٤٩ أ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٩٠ بنصه .

وقال أبو إسحاق: ^(١) [معناه: فجمع جمعه، فقال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾
والشرذمة في كلام العرب: القليل ^(٢).

وقال المبرّد: الشرذمة: القطعة من الناس غير الكثير، وجمعها: الشراذم ^(٣).
ويقال للحلفاء إذا قتلوا ^(٤): بنوا فلان شرذمة بني فلان. قال مقاتل في قوله:
(شرذمة) عصابة ^(٥).

وقوله: ﴿قَلِيلُونَ﴾. قال الفرّاء: يقال: عصابة قليلة، وقليلون، وكثيرون،
جائز عربي؛ وإنما جاز لأن القلة تلزم جميعهم في المعنى فظهرت أسماؤهم، ومثله:
أنتم حي واحد، وحي واحدون. قال الكميت:

فَرَدَّ قِوَاصِي الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ فَقَدْ رَجَعُوا كَحَيٍّ وَاحِدِنَا ^(٦)

ومعنى واحدون: واحد، ونحو هذا قال الزّجاج ^(٧). وكان الشرذمة الذين
قللهم فرعون ستمائة ألف في قول مجاهد، ومقاتل، وابن الهاد، وابن مسعود ^(٨).

- (١) ما بين المعقوفين في نسخة (ج).
- (٢) معاني القرآن للزّجاج ٩٠/٤ وتفسير ابن جرير ٧٤/١٩.
- (٣) تهذيب اللغة (شرذم) ٤٥٠/١١ بلفظ: «الجماعة القليلة»، واستدل بالآية، ولم ينسبه. وذكر قول المبرّد ونسبه: الشوكاني ٩٨/٤.
- (٤) في نسخة (ج): (قاموا).
- (٥) تفسير مقاتل ٤٩، وقال ابن قتيبة: طائفة. غريب القرآن ٣١٧.
- (٦) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٨٠. وأنشده ابن جرير ٧٥/١٩، وفيه: صاروا، (بدل) (رجعوا)، وذكره الزّجاج ٩١/٤ مقتصرًا على عجزه، وقد نسبوه جميعًا إلى الكميت. والبيت من نونية الكميت، شرح: أبي ريشاش الياامي، تحقيق الأستاذ الشيخ حمد الجاسر، وقد طبعت القصيدة مع شرحها بالتحقيق المذكور مع كتاب شرح هاشميات الكميت ٢٥٥. قال الياامي: يعني بذلك ائتلاف ربعة ومضر، واجتماعهم، وقال الجاسر ٢٤١: لعل المقصود به: قصي بن كلاب.
- (٧) معاني القرآن للزّجاج ٩١/٤.
- (٨) تفسير مقاتل ٤٩، وأخرجه ابن جرير ٧٦/١٩، عن أبي عبيدة، وابن مسعود، وعبدالله بن شداد بن الهاد، وقيس بن عباد، وابن جريج. قال الشوكاني ١٠٠/٤ بعد سياقه الخلاف =

قال مجاهد : ولا يُحصى عدد أصحاب فرعون^(١) .

٥٥ . وقوله : ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ﴾ . قال أبو إسحاق : يقال : غاظني فلان ، وأغاظني ، [والأول أفصح^(٢)]

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : غاظني فلان وأغاظني^(٣) [وغيظني بمعنى واحد^(٤)] . والغيظ : الغضب ، ومنه قوله : ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك : ٨] . والتغيظ والاعتياظ واقعان منه ، قال الله تعالى : ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ [الفرقان : ١٢] . وقد مرَّ ، والمغاظة بين اثنين .

قال مقاتل : ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ﴾ بقتلهم أبكارنا ثم هربهم منا^(٥) .

وقال آخرون : أي مما أخذوه من العواري التي استعاروها من الحلي ، وخروجهم من أرضنا على مخالفة لنا^(٦) .

= في عددهم : «أقول : هذه الروايات المضطربة قد روي عن كثير من السلف ما يبائلها في الاضطراب ، والاختلاف ، ولا يصح منها شيء عن النبي ﷺ» .

(١) تفسير مجاهد ٢/ ٤٦١ ، وابن جرير ١٩/ ٧٦ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٢ بلفظ : يقال : «قد غاظني فلان» ، ومن قال : أغاظني فقد لحن .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٤) تهذيب اللغة (غاز) ٨/ ١٧٤ .

(٥) تفسير مقاتل ٤٩أ ، وقد ذكر قبل ذلك أن جبريل - عليه السلام - أمر أن يجمع كل أهل أربعة أبيات من بني إسرائيل في بيت ، ويعلم على تلك الأبواب بدم ، فإن الله - عز وجل - يبعث الملائكة إلى أهل مصر ؛ من لم يروا على بابه دماً دخلوا بيته فقتلوا أبكارهم ، من أنفسهم وأنعامهم ، فيشغلهم دفنهم إذا أصبحوا عن طلب موسى فذلك اتهمهم لهم بقتل أبكارهم . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ٧٦ عن ابن جريج . وكل هذا من أخبار بني إسرائيل مما لا دليل عليه . ومعنى الآية ظاهر فإن سبب الإغابة الحقيقي مفارقتهم لدينهم ، وإيمانهم بنبي الله موسى عليه السلام ، والله أعلم .

(٦) تفسير ابن جرير ١٩/ ٧٦ ، وذكره في الوسيط ٣/ ٣٥٤ ، ولم ينسبه ، وهو كالقول السابق .

٥٦. وقوله: ﴿وَأَنَا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾: وقُري: ﴿حَذِرُونَ﴾^(١). قال الفراء: وكأن: الحاذر الذي يحذر الآن، وكأن: الحذر المخلوق حذراً لا تلقاه إلا حذراً^(٢).

وقال الزجاج: الحاذر: المستعد، والحذر: المتيقظ^(٣).

وقال أبو عبيدة: رجل حذر وحذر^(٤) وحاذر.

قال ابن أحر:

هل أنسأَن يوماً إلى غيره
إني حوالِيَّ وإنِّي حَذِرٌ^(٥)
قال: حوالِيَّ: ذو حيلة^(٦).

وأنشد أيضاً للعباس بن مرداس:

وإني حاذِرٌ أنمي سلاحي
إلى أوصالٍ ذِيَالٍ منيع^(٧)

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (حذرون) بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف. انظر السبعة في القراءات ٤٧١، والحجة للقراء السبعة ٣٥٨/٥، والنشر في القراءات العشر ٢/٣٣٥.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/٩٢.

(٤) في نسخة (ب): (حذر) مرة واحدة.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٦/٢، ونسب البيت إلى ابن أحر. وضبطت: إني في الموضعين بالفتح. وذكره ابن جرير ٧٧/١٩، من قول ابن أحر وذكره أبو علي، نقلاً عن أبي عبيدة، مقدماً العجز على الصدر، ولفظه:

إنِّي حوالِيَّ وإنِّي حَذِرٌ
هل ينسأَن يومي إلى غيره

ونسبه إلى ابن أحر. انظر: الحجة للقراء السبعة ٣٥٨/٥، وفي الحاشية: ليس في شعر ابن أحر المطبوع. وفي اللسان (حول) ١٨٦/١١: ويقال: رجل حوالِيَّ للجيد الرأي ذي الحيلة، قال ابن أحر. ويقال: للمرار بن منقذ العدوي:

أو تنسأَن يومي إلى غيره
إنِّي حوالِيَّ وإنِّي حَذِرٌ

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٦/٢.

(٧) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٨٦/٢ منسوباً إلى عباس بن مرداس، وفيه: «الذبال: الفرس الطويل =

قال أبو علي : يقال : حَذِرَ يَحْذِرُ حَذَرًا ، واسم الفاعل : حَذِر . فأَمَّا حاذر فإنه يراد به أنه يفعل الحذر في ما يَسْتَقْبِل ، وكذلك قوله : وإني حاذر ، كأنه يريد : متحذر عند اللقاء ^(١) .

وقال شمر : الحاذر : المٌؤدِّي الشاكُّ في السلاح ^(٢) ، وكذا جاء في التفسير .
 روى أبو إسحاق عن الأسود في قوله : ﴿حَذِرُونَ﴾ قال : مُؤدُون مقوون ^(٣) ؛ أي ذووا أداة وقوة ، ويروى عنه : مؤدون مستعدون ، وقال الضحاك : شاكون في السلاح ^(٤) .

وقال مقاتل : مُؤدُون علينا السلاح ^(٥) .

- =
 الذنب . وذكره أبو علي نقلاً عن أبي عبيدة . الحجة للقراء السبعة ٣٥٩ / ٥ ، وأنشده في اللسان (ذيل)
 ٢٦٠ / ١١ عن ابن بري .
 (١) الحجة للقراء السبعة ٣٥٩ / ٥ .
 (٢) تهذيب اللغة (حذر) ٤ / ٤٦٢ ، الشُّكَّة : ما يلبسه الرجل من السلاح ، وقد خفف فقيل : شاكي السلاح ، وشاكُّ السلاح . تهذيب اللغة (شك) ٩ / ٤٢٥ .
 (٣) أخرجه عنه عبد الرزاق ٢ / ٧٦ ، وأخرجه ابن جرير ١٩ / ٧٧ بسنده عن أبي إسحاق ، قال : سمعت الأسود بن يزيد يقرأ : ﴿وَلِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ قال : مقوون مؤدون ، وأخرجه أيضاً ابن جرير ١٩ / ٧٨ ، عن ابن عباس .
 (٤) أخرج ابن جرير ١٩ / ٧٧ عن الضحاك أنه كان يقرأ : ﴿وَلِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ يقول : مؤدون . وفي تفسير السمرقندي ٢ / ٤٧٤ : «مؤدون شاكون في السلاح» ، ولم ينسبه .
 (٥) تفسير مقاتل ٤٩ أ بلفظ : «علينا بالسلاح» . وفي تفسير مجاهد ٢ / ٤٦١ : «وادون مستعدون» . وفي الحاشية : كذا في المخطوطة واضحاً ، غير أننا لم نتمكن من معرفة معنى هذه الكلمة الملائم هاهنا ، ولعله : مادون في السلاح ، كما في الدر المنثور ، أو مؤدون ؛ أي كاملو أداة الحرب ، شاكو السلاح ، مستعدون للحرب ، ويمكن أن يكون : آدون من أدا السبع للغزال ، إذا تخله وخدعه واختفى له ليصيده فيأكله ، والله أعلم . ذكر الفراء ٢ / ٢٨٠ أن ابن مسعود قرأ : (ولنا لجميع حاذرون) يقولون : مؤدون في السلاح . يقول : ذوو أداة من السلاح . قال الزَّجَّاج : مؤدون ؛ أي ذوو أداة ؛ أي ذوو سلاح ، والسلاح أداة الحرب . معاني القرآن ٤ / ٩٢ .

وسأل نافع بن الأزرق ، ابن عباس^(١) عن قوله : ﴿حَذِرُونَ﴾ ما هو ؟ فقال :
التامون^(٢) السلاح .

وأنشد قول النجاشي^(٣) :

حنيفةٌ في كتائب حاذراتٍ يقودُهُم أبو الشَّبلِ الهزبرُ^(٤)

وهذا الذي ذكره أهل التفسير معنى وليس بتفسير ؛ وذلك أن من شأن من
يحذر الشيء أن يستعد له ، ويأخذ له الحذر ، وإلا فكم من حذر لا سلاح معه .
ومعنى الحذر في اللغة : اجتناب الشيء خوفاً منه . قال الليث في قوله : ﴿حَذِرُونَ﴾
نَخافُ شَرَّهُمْ^(٥) ، وذكرنا مثل هذا في قوله : ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء : ٧١]^(٦) .

٥٧ . قوله تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ : يعني فرعون وقومه^(٧) . ﴿مِّنْ جَنَّتٍ﴾ .
قال مقاتل : يعني البساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ يعني : أنهاراً جارية^(٨) .

(١) (ابن عباس) في نسخة (أ) و(ب) .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) : بحذف نون الإضافة ، وفي الدر المنثور ٢٩٧ / ٦ بالنون .

(٣) انظر : ترجمته في الشعر والشعراء ٣٢٩ / ١ ، والخزانة ٢٣١ / ١ ، والأعلام ٢٠٧ / ٥ .

(٤) ذكره عن ابن عباس ، ابن الأنباري في الزاهر ٣٠٣ / ١ ، وفيه : الحاذرون : «الملتئون من السلاح» ،
وأنشد البيت ، ولم ينسبه . وفي الحاشية : لم أقف عليه . وحنيفة : أبو حي من العرب ، وهو :
حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . لسان العرب (حنف) ٥٨ / ٩ .

(٥) كتاب العين (حذر) ١٩٩ / ٣ بلفظ : «وتقرأ الآية بلفظ : (وإننا لجميع حاذرون) ؛ أي مستعدون» ،
ومن قرأ : (حذرون) فمعناه : إننا نخاف شرهم . ونقله الأزهرى في تهذيب اللغة (حذر) ٤ / ٤٦٢ .

(٦) قال الماوردي ١٧٢ / ٤ : السلاح يسمى : حذراً ، قال الله تعالى : ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ ؛ أي سلاحكم .

(٧) تفسير الطوسي ٢٥ / ٨ بنصه .

(٨) تفسير مقاتل ٤٤٩ أ ، وتنوير المقباس ٣٠٧ .

٥٨. ﴿وَكُنُوزٍ﴾ : يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة^(١) ، وإنما سُمِّي كنزاً ؛ لأنه لم يعط حق الله منها . وكل ما لا يعطى حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهراً^(٢) .

ثم قال : ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [يعني : المساكن الحسان^(٣)] . قال المفسرون في قوله : ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾^(٤) : هو المجلس الحسن^(٥) من مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحف بها الأتباع^(٦) .

٥٩. وقوله : ﴿كَذَلِكَ﴾ ؛ أي كما وصفنا^(٧) . وقال مقاتل : هكذا فعلنا بهم في الخروج من مصر ، ومما كانوا فيه من الخير^(٨) .

وقوله : ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ . قال الحسن : رجع بنو إسرائيل إلى مصر بعد إهلاك فرعون^(٩) ، وقال مقاتل : إن الله تعالى رد بني إسرائيل بعد ما أغرق فرعون وقومه إلى مصر^(١٠) .

-
- (١) تفسير ابن جرير ٧٨ / ١٩ .
 (٢) تفسير مقاتل ٤٩ / ٨ ، وذكره الثعلبي ١١٠ / ٨ ب ، والبغوي ١١٤ / ٦ عن مجاهد ، وهو في الوسيط ٣٥٤ / ٣ غير منسوب . قال عبدالله بن عمر في قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة : ٣٤] مَنْ كَنَزَهَا فَلَمْ يُوَدِّ زَكَاتَهَا فَوَيْلَ لَهُ . أخرجه البخاري ، كتاب : الزكاة ، رقم ١٤٠٤ ، فتح الباري ٣ / ٢٧١ .
 (٣) تفسير مقاتل ٤٩ / ٨ ، وتنوير المقباس : ٣٠٧ .
 (٤) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ب) .
 (٥) تفسير الثعلبي ١١٠ / ٨ ب . واقتصر عليه في الوجيز ٧٩٠ / ٢ .
 (٦) بنصه في تفسير الطوسي ٢٥ / ٨ ، والبغوي ١١٤ / ٦ ، ولم ينسبها ، وهو في الوسيط ٣٥٤ / ٣ غير منسوب . وحكى الماوردي ١٧٢ / ٤ عن ابن عيسى أنها : مجالس الأمراء .
 (٧) تفسير الثعلبي ١١٠ / ٨ ب ، والبغوي ١١٤ / ٦ .
 (٨) تفسير مقاتل ٥٠ ب .
 (٩) تفسير الطوسي ٢٦ / ٨ بنصه منسوباً إلى الحسن .
 (١٠) تفسير مقاتل ٥٠ ب .

٦٠. ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ . قال عبدالله بن مسلم^(١) : لحقوهم مصبحين حين شرفت الشمس ؛ أي طلعت ، يقال : أشرقنا ؛ أي دخلنا في الشروق^(٢) ، وقد مرَّ^(٣) . والكلام في معنى أتبع ذكرناه في قوله : ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ١٧٥]^(٤) .

٦١. وقوله : ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ﴾ ؛ أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه^(٥) ، وهو مفاعل من : الرؤية ، كما يقال : تراءى الحزبان .

قال مقاتل : عاين بعضهم بعضاً . والجمعان : جمع موسى ، وجمع فرعون^(٦) . وجازت التثنية ؛ لأنه يقع على صفة التوحيد ، فيقال : هذا جمع واحد ، كقولك : جملة واحدة .

﴿قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونٌ﴾ . قال الزَّجَّاج : أي سيدركنا جمع فرعون هذا الكثير ، ولا طاقة لنا بهم^(٧) .

قال مقاتل : قالوا : هذا فرعون وجنوده قد لحقونا من ورائنا ، وهذا البحر أمامنا قد غشيناه ، ولا منقذ لنا منه^(٨) ، فقال موسى ثقة بنصر الله^(٩) :

(١) عبدالله بن مسلم هو ابن قتيبة .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٧ ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٩٢ / ٤ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣] .

(٤) قال الواحدي : وقوله تعالى : ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ . قال عبدالله بن مسلم : أي أدركه ، يقال : اتبعت القوم إذا لحقتهم . قال أبو عبيد : يقال : اتبعتُ القوم ، مثال : أفعلت ، إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم ، فعلى هذا معنى : اتبعه الشيطان ؛ أي أسرع خلفه .

(٥) تفسير الثعلبي ١١٠ / ٨ ب .

(٦) تفسير مقاتل ٥٠ ب .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٩٢ / ٤ .

(٨) تفسير مقاتل ٥٠ ب .

(٩) تفسير الثعلبي ١١٠ / ٨ ب ، وتفسير الطوسي ٢٦ / ٨ .

٦٢. ﴿كَلَّا﴾ ؛ أي ارتدعوا وازدجروا فليسوا يدركوننا^(١) ﴿إِنْ مَعِيَ رَقِيَ﴾
بنصره إيَّاي^(٢) ﴿سَيَّهْدِين﴾ سيدلني على طريق النجاة^(٣).

٦٣. قوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ ؛ أي فضرب فانفلق^(٤). قال مقاتل: فانشق الماء اثني عشر طريقاً يابساً، كل طريق طوله: فرسخان^(٥)، وقام الماء على يمين الطريق، وعن يساره كالجبل العظيم، فذلك قوله: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(٦). قال الزَّجَّاج: أي كل جزء تفرَّق منه^(٧).

وقال المفسرون: كل قطعة من الماء^(٨)، وكل طائفة من البحر ﴿كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ كالجبل العظيم^(٩). وجمعه: أطواد، ومنه قول الأسود:

ماءُ الفُراتِ يجيُّ منْ أطوادِ^(١٠)

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٩٢/٤ بنصره.

(٢) تفسير الطوسي ٢٨/٨.

(٣) تنوير المقياس: ٣٠٧ بمعناه، وتفسير الثعلبي ١١٠/٨ ب، والطوسي ٢٨/٨.

(٤) تفسير الطوسي ٢٨/٨.

(٥) الفرسخ: يطلق على معانٍ متعددة، منها: الوقت الطويل، كقول: انتظرتك فرسخاً من النهار، يعني: طويلاً. ويقاس بالفرسخ الطول، وهو يقدر بثلاثة أميال. تهذيب اللغة (فرسخ) ٦٦٥/٧، المعجم الوسيط ٦٨١/٢.

(٦) وتفسير مقاتل ٥٠ ب، وفيه: طوله فرسخان، وعرضه فرسخان.

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٩٢/٤.

(٨) تفسير الثعلبي ١١٠/٨ ب.

(٩) ذكره البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما. الفتح ٤٩٦/٨، ووصله ابن جرير ٨٠/١٩، وابن أبي حاتم ٢٧٣٧/٨ من طريق علي بن أبي طلحة، وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٧.

(١٠) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٨٦/٢، ولم ينسبه، ونسبه الطوسي ٢٨/٨ إلى الأسود بن يعفر النهشلي، وقد ذكره كاملاً، وصدره:

حلوا بأنقرة بجيش عليهم

وفي حاشية أبي عبيدة: للأسود بن يعفر، ديوانه في ملحقات ديوان الأعشى ٢٩٦، =

٦٤. قوله تعالى : ﴿وَأَرْزَلْنَاهُ نَمِ الْآخِرِينَ﴾ . قال ابن عباس وقتادة : قَرَّبْنَا إِلَى البحر فرعون وقومه حتى أغرقناهم^(١) ، وقال مقاتل : قَرَّبْنَا فرعون وجنوده^(٢) في مسلك بني إسرائيل^(٣) .

وقال أبو إسحاق : أي قَرَّبْنَا الْآخِرِينَ من الغرق وهم أصحاب فرعون^(٤) .

وقال أبو عبيدة : ﴿وَأَرْزَلْنَاهُ﴾ : جمعنا ، قال : ومن ذلك سُمِّيَتْ مزدلفة جمعاً^(٥) . وكلا القولين حسن ؛ لأن جمعهم تقريب بعضهم من بعض ، وأصل الزلفى في كلام العرب : القربى^(٦) . وقيل : قَرَّبْنَاهم إلى المنية لمجيء وقت هلاكهم^(٧) .

قال الشاعر :

وكلُّ يومٍ مضى أو ليلةٍ سلفتُ فيها النفوسُ إلى الآجالِ تزدلفُ^(٨)

ومعجم البلدان ١ / ٣٩١ . وذكره ابن جرير ١٩ / ٨١ من قول الأسود بن يعفر ، صدره مخالف لما عند أبي عبيدة :

حلوا بأنقرة يسيل عليهم

وفي الحاشية : أنقرة ، موضع بظهر الكوفة ، وقيل : موضع بالحيرة ، وأنقرة هذه غير أنقرة التي في بلاد الروم (الأناضول) ، وهي الآن قاعدة دولة الترك .

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢ / ٧٤ عن قتادة ، وأخرجه ابن جرير ١٩ / ٨١ عن ابن عباس وقتادة ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٧٤ عن السدي ، وقتادة .

(٢) في نسخة (ب) : (وقومه) .

(٣) تفسير مقاتل ٥١ أ بمعناه .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٩٣ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٨٧ ، ثم قال : وقال بعضهم : وأهلكنا . وصدر ابن جرير ١٩ / ٨٢ قول أبي عبيدة بقوله : «وزعم بعضهم» ، ولم يسمه .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٩٣ ، من قوله : وكلا القولين . وكلمة : أزلنا مأخوذة من التقريب ؛ إمّا إلى نجات ، وإمّا إلى بلاء . الزاهر في معاني كلمات الناس ٢ / ٢٦٤ .

(٧) تفسير الطوسي ٨ / ٢٩ بنصه .

(٨) أنشد الماوردي ٤ / ١٧٥ ، والطوسي ٨ / ٢٩ ، ولم ينسباه .

وقال ابن مسلم : يقال : أزلفك الله ؛ أي قَرَّبَكَ ، وأزلفني كذا عند فلان ؛ أي قَرَّبَنِي منه . والزُّلْفُ : المنازل والمراقي ؛ لأنها تُدْني المسافر والراقي إلى حيث يقصده ، ومنه قوله : ﴿ وَأَزْلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٠] ؛ أي أدنيت ^(١) .

وقال الحسن في قوله : ﴿ وَأَزْلَفْنَا نَمَ الْأَخْرِينَ ﴾ أهلكنا ^(٢) .

وهو معنى وليس بتفسير ؛ وذلك أنه أدنى من الهلاك ، فهو إهلاك في المعنى (وتم) إشارة إلى المكان ، وذكرنا معناه عند قوله : ﴿ فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] .

٦٧ . قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ . قال مقاتل : إن في هلاك فرعون وقومه عبرة لمن بعدهم ^(٣) ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ يقول : لم يكن أكثر أهل مصر مصدِّقين بتوحيد الله ، ولم يكن آمن من أهل مصر غير آسية امرأة فرعون ، وحزقيل المؤمن ، ومريم بنت ناموسا التي دلت على عظام يوسف ^(٤) .

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٧ .

(٢) ذكره عنه ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٧ .

فحاصل الأقوال في معنى : ﴿ وَأَزْلَفْنَا ﴾ ثلاثة :

١ - أهلكنا . ٢ - جمعنا . ٣ - قدمنا وقربنا .

قال ابن قتيبة : وكل هذه التأويلات متقاربة ، يرجع بعضها إلى بعض . غريب القرآن ٣١٨ .

(٣) أخرج ابن أبي حاتم ٢٧٧٦/٨ عن محمد بن إسحاق : وكان يقال : لو لم يخرج الله تعالى بيده حين أغرقه لشك فيه بعض الناس .

(٤) تفسير مقاتل ٥١ ، وفيه : «حزقيل المؤمن ، ومنه الماشطة» .

وفي الوسيط ٣/٣٥٥ : «خربيل المؤمن ، ومريم بنت موشا» . وعند البغوي ١١٦/٦ : «حزبيل المؤمن ، ومريم بنت ناقوسا» . وزاد ابن الجوزي ١٢٧/٦ : «وفئة الماشطة ، ونسبه إلى قتادة ، ولم أر من ذكره غيره» .

وفي تفسير مجاهد ٢/٤٦١ ، وابن جرير ٧٨/١٩ عنه رواية مطولة عن أخذ نبي الله موسى لعظام يوسف ، وليس فيها تسمية المرأة ، بل فيها وصفها بأنها امرأة عجوز بيتها على قبر يوسف ، وأن موسى جعل عظام يوسف في كسائه ، ثم حمل العجوز على كسائه ؛ لأن بني إسرائيل قالوا الموسى : إن يوسف =

٦٨. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه حين انتقم منهم ،
﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين حين أنجاهم من العذاب ^(١).

٦٩. قوله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ . قال ابن عباس : حدث قومك
بخبر إبراهيم ^(٢) .

وقال مقاتل : وائل على أهل مكة حديث إبراهيم ^(٣) .

أخبرنا أنا سننحي من فرعون ، وأخذ علينا العهد لنخرجن بعظامه معنا .
وقصة أخذ نبي الله موسى - عليه السلام - لعظام يوسف أخرجها الحاكم ٢ / ٤٠٤ ، وأبو يعلى
الموصلى في مسنده ١٣ / ٢٣٦ ، رقم ٧٢٥٤ عن أبي موسى - رضي الله عنه - مرفوعاً . قال الحاكم :
هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وذكره الألباني في سلسلة
الأحاديث الصحيحة ١ / ٥٥٩ ، رقم ٣١٣ .

وقد ذكر هذا الحديث ابن كثير ٦ / ١٤٢ من طريق ابن أبي حاتم فقط ، ثم قال : وهذا حديث غريب
جداً ، والأقرب أنه موقوف ، والله أعلم .

وكون امرأة فرعون اسمها آسية ثابت من حديث ابن عباس قال : خط رسول الله ﷺ في الأرض
أربعة خطوط ، قال : تدرون ما هذا ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله ﷺ : «أفضل
نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم
ابنة عمران» . أخرجه الإمام أحمد ٤ / ٤٠٩ ، رقم ٢٦٦٨ ، م / الرسالة ، وحكم عليه محققو المسند
بالصحة ، وأخرجه الحاكم ٣ / ١٧٤ ، كتاب معرفة الصحابة ، رقم ٤٧٥٤ ، وقال : صحيح الإسناد ،
ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، والحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ / ١٣ ، رقم ١٥٠٨ .

(١) تفسير مقاتل ٥١ أبنصه ، وتنوير المقباس : ٣٠٧ بمعناه .

(٢) الوسيط ٣ / ٣٥٥ غير منسوب .

قال الرازي ٢٤ / ١٤١ : «أعلم أنه تعالى ذكر في أول السورة شدة حزن النبي ﷺ بسبب كفر قومه ، ثم
إنه ذكر قصة موسى - عليه السلام - ليعرف محمد أن مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى ، ثم ذكر
عقبها قصة إبراهيم - عليه السلام - ليعرف محمد أيضاً أن حزن إبراهيم - عليه السلام - بهذا السبب
كان أشد من حزنه ؛ لأن من عظيم المحنة على إبراهيم - عليه السلام - أن يرى أباه وقومه في النار ،
وهو لا يتمكن من إنقاذهم» .

(٣) تفسير مقاتل ٥١ .

وقال الكلبي : يقول أخبرهم بخبر إبراهيم كيف قال لقومه ^(١) ؛ يعني قوله :

٧٠-٧١ . ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا ۖ﴾ . قال مقاتل : وكانت أصناماً من ذهب وفضة وحديد ونحاس وخشب ^(٢) ، ﴿فَنَظَّلُ لَهَا عَنكِيفِينَ﴾ فنقيم عليها عابدين مقيمين على عبادتها لا نعدل بها شيئاً ، قاله ابن عباس ومقاتل ^(٣) .

٧٢ . ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾ . قال أبو علي وغيره من النحويين : هل يسمعون دعاءكم ، فحذف المضاف ^(٤) ؛ لأن سمعت إذا عُدِّي إلى زيد لم يكن له من مفعول مما سمع زيد ، كقولك : سمعت زيدا يقول ذلك ، أو يشتم عمراً ، ونحو ذلك من المفعولات التي تُسمع ، وهذا كقوله : ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] ^(٥) .

قال ابن عباس : هل يجيبونكم أو يسمعون دعاءكم ^(٦) .

(١) تنوير المقياس ٣٠٧ بمعناه .

(٢) تفسير مقاتل ٥١ .

(٣) تفسير مقاتل ٥١ ، وتنوير المقياس : ٣٠٧ ، وهو في الوسيط ٣/ ٣٥٥ غير منسوب ، ونحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٣ ، أخرج ابن جرير ١٩/ ٨٣ عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿فَنَظَّلُ لَهَا عَنكِيفِينَ﴾ ، قال : الصلاة لأصنامهم . وذكر الثعلبي ٨/ ١١١ أعمن لم يسمه من أهل العلم : إنها قالوا : ﴿فَنَظَّلُ﴾ ؛ لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار من دون الليل .

(٤) المسائل الحلبات ٨٣ ، والإيضاح العضدي ، كلاهما لأبي علي الفارسي ١/ ١٩٧ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٦ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٨٧ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١١ .

(٥) قال ابن جرير ١٩/ ٨٤ : قال بعض من أنكر ذلك من قوله من أهل العربية : الفصيح من الكلام في ذلك هو ما جاء في القرآن ؛ لأن العرب تقول : سمعت زيدا متكلماً ، يريدون : سمعت كلام زيد ، ثم تعلم أن السمع لا يقع على الأناسي ، إنما يقع على كلامهم ، ثم يقولون : سمعت زيدا ؛ أي سمعت كلامه .

(٦) تنوير المقياس ٣٠٧ .

وقال مقاتل : هل يجيبونكم إذ تدعوهم^(١) . وتفسير السمع بالإجابة معنى ؛ لأن من سمع أجاب . ومن هذا قيل : سمع الله لمن حمده ؛ أي أجاب^(٢) . وإذا فسرنا السمع بالإجابة لم يحتاج إلى تقدير المضاف .

٧٣ . قوله تعالى : ﴿أَوْ يَفْعَلُوا أَوْ يَضُرُّوا﴾ . قال ابن عباس : يريد : هل يرزقونكم ، أو يكشفون عنكم الضر ، أو يملكون لكم ضرّاً^(٣) ؟

وقال الكلبي : هل ينفعونكم إن أطعموهم ، أو يضرّونكم إن عصيتموهم^(٤) ؟ ونحو هذا قال مقاتل : هل ينفعونكم في شيء إذا عبدتموهم ، أو يضرّونكم بشيء إن لم تعبدوهم^(٥) ؟

٧٤ . ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آيَاتِنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ؛ أي كما نفعل يفعلون . وهذا إخبار أنهم قلّدوا آباءهم في عبادة الأصنام ، وتركوا الحجة والاستدلال ، فلمّا أقرأوا على أنفسهم وآبائهم بعبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تضر^(٦) ولا تنفع^(٧) .

قال لهم إبراهيم متبرئاً منهم :

٧٥-٧٦ ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ : يعني الماضين الأولين .

(١) تفسير مقاتل ٥١ أ .

(٢) قال ابن الأنباري : وقولهم : «سمع الله لمن حمده ، معناه : أجاب الله من حمده ، والله سامع على كل حال ، وكذلك : سمع الله دعاءك ، معناه : أجاب الله دعاءك» . الزاهر في معاني كلمات الناس : ٥٩ / ١ .

(٣) الوسيط ٣ / ٣٥٥ منسوباً إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) تنوير المقباس ٣٠٧ .

(٥) تفسير مقاتل ٥١ أ .

(٦) (ولا تضر) مكررة في نسخة (ج) .

(٧) (لا تنفع ، ولا تضر ، ولا تسمع) في نسخة (ب) .

٧٧. ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ . قال الكلبي : يقول أبرأ منهم^(١) ، وقال مقاتل : أنا بريء منهم^(٢) . ومعنى عداوة الأصنام له هو ما ذكره الفرّاء ؛ أي لو عبدتهم كانوا إلى يوم القيامة ضداً وعدواً^(٣) ، وكأنه ذهب إلى معنى قوله : ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾^(٤) الآية ، [مريم : ٨٢] ، وذكر ابن قتيبة هذه الآية في باب المقلوب ، وقال : المعنى : فلإني عدو لهم ، فقلب ؛ لأن كل من عاديته عاداك^(٥) ، ونحو هذا حكى بعض المتأخرين عن الفرّاء ، ولم أرَ له ذلك^(٦) .

والعدو : اسم يجوز إطلاقه على الجماعة ، كما قال : ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف : ٥٠]^(٧) ، وقوله : ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ لَكُمْ﴾ [النساء : ٩٢] ، وقد مر^(٨) ؛ وذلك أنه وضع موضع المصدر فلا يُثنى ، ولا يُجمع ، كما يوضع المصدر موضع الصفة في نحو : رجل عدل ، وتجوز تثنيته وجمعه ؛ لأنه اسم^(٩) .

وقوله : ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ . قال أبو إسحاق : قال النحويون : إنه استثناء ليس من الأول ؛ أي لكن رب العالمين أعبدته ، ولا أتبرؤ منه . قال : ويجوز أن يكونوا عبدوا مع الله الأصنام ، فقال : إن جميع من عبدتم عدولي إلا رب

(١) تنوير المقباس ٣٠٧ ، وفيه : (تبرأ منهم) .

(٢) تفسير مقاتل ٥١ ب .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٨١ .

(٤) تفسير الثعلبي ٨ / ١١١ ب . والشاهد من الآية في آخرها ، وهو قوله تعالى : ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ .

(٥) تأويل مشكل القرآن ١٩٣ .

(٦) ذكره عن الفرّاء الثعلبي ١١١ ب ، وتبعه البغوي ٦ / ١١٧ ، وأحال محقق تفسير البغوي في الحاشية إلى معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٨١ ، وليس فيه هذا القول كما قال الواحدي .

(٧) ذكر هذا القول الأخفش في معاني القرآن ٢ / ٦٤٣ .

(٨) تفسير هذه الآية من سورة النساء من القسم المفقود من كتاب البسيط .

(٩) تفسير ابن جرير ١٩ / ٨٤ بمعناه .

العالمين ؛ لأنهم سَوَّوْا آلهتهم بالله عز وجل ، فأعلمهم أنه قد تبرأ مما يعبدون إلا الله ^(١) . وهذا الذي ذكره هو مذهب مقاتل في هذه الآية ، قال : إنهم كانوا يعلمون أن الله ربهم ، وهو الذي خلقهم ، فأقرارهم بالله أنه خلقهم وهو ربهم عبادة منهم له ^(٢) .

وقال الكلبي : ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ، يقول : إلا أن يكون فيكم أحدٌ يعبد الله ^(٣) . واختار الحسين بن الفضل هذا القول ، وقال : يعني إلا من عبد رب العالمين ^(٤) ، وهذا يتوجه على حذف المضاف ، كأنه قال : إلا عابد رب العالمين ، ويكون الاستثناء أيضاً لا من الأول .

واختار صاحب النظم في قوله : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ القلب ، وقال : لأن الأصنام لا تعادي أحداً ، والمعنى : فإني عدو لهم . ومعنى العداوة : البغض والبراءة وترك الموافقة ، وأصله : من عَدَوْتُ الشيء : إذا جاوزته وخلّفته . وقال في قوله : ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ إنه على التقديم والتأخير ؛ على تقدير : أفرأيت ما كنتم تعبدون أنتم وآبائكم الأقدمون إلا رب العالمين فإنهم عدوي ، وتكون (إلا) بمعنى (دون) و(سوى) ؛ أي ما كنتم تعبدون من دون الله ، وسوى الله ، فيكون (دون) و(سوى) نعتاً للاسم الأول ^(٥) .

وهذا الذي ذكره فيه تعدّد واستكراه ، ثم استبعد قول الذين قالوا إنه استثناء ليس من الأول ؛ بأن قال : يحتمل ذلك على بُعد فيه ؛ لأنه يكون ادّعى خبراً على الله من غير علم ، وهو تمدح وتفريط للنفس ، وهما مكروهان ، يعني أن إبراهيم

(١) معاني القرآن للزجاج ٩٣/٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٥١ ب .

(٣) تنوير المقباس ٣٠٧ .

(٤) تفسير الثعلبي ١١١/٨ ب .

(٥) ذكره عنه السمين الحلبي في الدر المصون ٥٣٠/٨ .

إذا قال : الأصنام أعدائي ، لكن الله وليي يكون قد أخبر عن الله بأنه وليه ، ومدح نفسه بولاية الله ؛ لأنه إذا كان الله [هو أيضاً]^(١) وليه ، كان هو أيضاً ولي الله . وهذا لا يقدح في قول النحويين ؛ لأنه لم يُخبر بذلك عن غير علم ؛ فإن النبي يعلم منزلته من الله . والنبوة فوق الولاية ، فإذا عَلِمَ أنه نبي ، عَلِمَ أنه ولي ، وأن الله وليه .

وقوله : إنه تمده ، هذا إنما لا يحسن بعد الأنبياء ، أمّا الأنبياء فلهم أن يتمدحوا بمنزلتهم ومكانهم من الله تعالى ، كما أن لهم التحدي بالمعجزة ، وقد قال نبينا ﷺ : «أنا سيد ولد آدم»^(٢) .

وقال : «آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة»^(٣) .

وقال : «لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي»^(٤) ، في أشباه لهذا كثيرة لا نُحمل على مذهب التمدح المكروه .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم ١٧٨٢ / ٤ ، كتاب : الفضائل ، رقم ٢٢٧٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مُشفّع» . وأخرجه باللفظ نفسه أبو داود ٥ / ٥٤ ، كتاب : السنة ، رقم ٤٦٧٣ .

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي ٣٥٣ من حديث ابن عباس بلفظ : «ويدي لواء الحمد تحته آدم ومن دونه ولا فخر» ، وأخرجه من الطريق نفسه أبو يعلى الموصلي ٤ / ٢١٤ ، وضعفه محقق مسند أبي يعلى ؛ لضعف علي بن زيد بن جُدعان ، وأخرجه ابن حبان من طريق آخر عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه . الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٤ / ٣٨٩ ، وقال محققه : حديث صحيح لغيره . وأخرجه الترمذي ٥ / ٥٤٨ ، كتاب : المناقب ، رقم ٣٦١٥ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . وهو في صحيح سنن الترمذي ٣ / ١٩٠ ، رقم ٢٨٥٩ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد ٢٣ / ٣٤٩ ، رقم ١٥١٥٦ ، وأخرجه أبو يعلى الموصلي ٤ / ١٠٢ ، وأخرجه ابن أبي عاصم ، كتاب السنة ٢٧ ، رقم ٥٠ ، وضعفه الحديث محققو المسند ، وكذا محقق مسند أبي يعلى ؛ لضعف مجالد بن سعيد ، وحسن إسناده الألباني . إرواء الغليل ٦ / ٣٤ ، رقم ١٥٨٩ ؛ لورود الحديث من طرق أخرى ساقها هناك .

قال مقاتل : ثم ذكر إبراهيم نعم رب العالمين ، فقال ^(١) :

٧٨. ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ . قال ابن عباس : يرشدني ، وقال الكلبي : فهو يهدين إلى الدين ^(٢) ، والمعنى : فهو الذي يهدين إلى الدين والرشد ، لا ما تعبدون من الأصنام . أخبر أن الذي يهدي هو الله الذي خلق ^(٣) لا غيره ، وجاء هذا لأنهم كانوا يزعمون أن آلهتهم هي التي تهديهم . قال صاحب النظم : وجاءت الفاء دون الواو في (فهو) لأن الفاء تجعل ما بعدها متصلاً بما قبلها على الجواب له .

٧٩. قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ . قال صاحب النظم : دخول ﴿هُوَ﴾ دليل على أنه أعلم أنه لا يطعم ولا يسقي غيره ، كما تقول في الكلام : زيد هو الذي فعل ؛ أي لم يفعله غيره ^(٤) .

٨٠. ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ . قال : دخلت الفاء هاهنا كما دخلت في الخلق والهداية ؛ وذلك أنهم كانوا يقولون : الممرض منا ومن الزمان ومن الأغذية ، والشفاء من الأطباء ومن الأدوية . فأعلم إبراهيم أن الذي أمرض هو الذي يشفي ، وهو الله عز وجل . هذا كلامه ^(٥) . وكان يجب على ما قال أن يكون : وإذا أمرضني ، وقد قال : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ فلم يُخبر عن الله - عز وجل - بأمراض ، إلا أن يقال : أراد :

(١) تفسير مقاتل ٥١ ب .

(٢) تنوير المقباس ٣٠٩ .

(٣) في نسخة (أ) و(ب) : زيادة (هذا) ، بعد : (خلق) ، والكلام مستقيم من دونها .

(٤) ذكره القرطبي ١٣ / ١١٠ ، ولم ينسبه .

(٥) وقد ذكره في الوسيط ٣ / ٣٥٥ ، ولم ينسبه .

وإذا أمرضني ، ولكن أخبر عن نفسه على العادة فإنه يقال : مرضت ، ولا يقال : أمرضني الله وإن كان المرض مخلوقاً لله بقضائه وقدره^(١) .

٨١ . وقوله : ﴿وَالَّذِي يُبَيِّنُ﴾ ؛ أي في الدنيا ﴿ثُمَّ يُخَيِّنُ﴾ للبعث ، قاله ابن عباس والمفسرون^(٢) .

قال صاحب النظم : كانوا لا يدفعون الموت ، إلا أنهم يجعلون له سبباً سوى الله ، ويكفرون بالبعث ، فأعلم إبراهيم أنه هو الذي يميت ، ثم يحيي^(٣) . ودخلت (ثم) للتراخي الذي بين الموت والحياة^(٤) .

٨٢ . وقوله : ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ . قال مقاتل : أرجو^(٥) ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ . قال مجاهد ، ومقاتل ، والكلبي ، والحسن^(٦) : هي قوله لسارة : أختي ، وقوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، وقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ ، وهي الكذبات الثلاث^(٧) .

(١) قال السمرقندي في تفسيره ٤٧٥ / ٢ : أضاف المرض إلى نفسه ؛ لأن المرض كسب يده ، كقوله عز وجل : ﴿وَمَا أَصْنَعُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى : ٣٠] ، وفيه كفارة . وجعل البغوي ١١٨ / ٦ إضافة المرض إلى نفسه استعمالاً لحسن الأدب . وهذا أولى ، والله أعلم .

(٢) تفسير ابن جرير ٨٥ / ١٩ .

(٣) تفسير الوسيط ٣ / ٣٥٥ منسوباً إلى صاحب النظم .

(٤) وقد أحسن الواحدي صنفاً في إعراضه عن ذكر الأقوال الغريبة والشاذة التي ذكرها الثعلبي ٨ / ١١١ عن بعض أهل المعرفة ، وإن كان الأحسن أن يشير إلى نقده لتلك الأقوال ، كما فعل القرطبي ١١١ / ١٣ وغيره من أهل العلم .

(٥) تفسير مقاتل ٥١ ب ، وتنوير المقباس ٣٠٩ .

(٦) (الحسن) غير موجودة في نسخة (ب) .

(٧) تنوير المقباس ٣٠٩ ، وتفسير مجاهد ٤٦٢ / ٢ ، وتفسير مقاتل ٥١ ب . وأخرجه بسنده ابن جرير

٨٥ / ١٩ ، عن مجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٨٠ / ٨ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً . ولفظه عند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثَتْنَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ قَوْلُهُ : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ . =

وزاد الكلبي والحسن قوله للكواكب : ﴿هَذَا رَيْي﴾^(١) .

وقال أبو إسحاق : معنى ﴿خَطِيئَتِي﴾ أن الأنبياء بشر ، وقد يجوز أن تقع عليهم الخطيئة إلا أنهم لا تكون منهم الكبيرة ؛ لأنهم معصومون^(٢) .

وقال أهل المعاني في قوله : (أطمع) هذا تلطف من إبراهيم في حسن الاستدعاء ، وخضوع لله عز وجل^(٣) .

قوله : ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ : يريد يوم الجزاء ، قاله ابن عباس^(٤) .

وَقَوْلُهُ : ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ ، وَقَالَ : بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةٌ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا ، فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : أُخْتِي ، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ : يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ أُخْتِي فَلَا تُكَذِّبِينِي فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ بَيْنَاوَلَهَا بِيَدِهِ فَأَخَذَ ، فَقَالَ : ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضْرُكَ ، فَدَعَتْ اللَّهَ فَأُطْلِقَ ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأَخَذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ ، فَقَالَ : ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضْرُكَ فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَّتَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ ، إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ ، فَأَخَذَ مَهَا هَاجِرَ ، فَاتَّهَتْ وَهُوَ قَائِمٌ يَصْلِي ، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ : مَهْيَا ، قَالَتْ : رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِ أَوْ الْفَاجِرِ فِي نَحْرِهِ وَأَخَذَهُمْ هَاجِرًا . البخاري ، كتاب : الأنبياء ، رقم ٣٣٥٨ ، الفتح ٦ / ٣٨٨ ، ومسلم ٤ / ١٨٤٠ ، كتاب : الفضائل ، رقم ٢٣٧١ .

(١) تفسير الوسيط ٣ / ٣٥٥ ، وذكره السمرقندي في تفسيره ٢ / ٤٧٥ ، ولم ينسبه ، ونسبه الثعلبي ٨ / ١١٢ ب ، واليغوي ٦ / ١١٨ إلى الحسن . قال ابن عطية ١١ / ١٢٣ : وقالت فرقة : أراد بالخطيئة اسم الجنس ، قدرها في كل أمره من غير تعيين ، واستظهر ابن عطية هذا القول . وهذا مخالف لظاهر الآية ، حيث نسبة الخطأ إلى نفسه ، ومخالف للحديث السابق ، والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - معصومون في ما يتعلق بالوحي وتبليغ الرسالة ، ولا ينافي إثبات ذلك عصمة الرسل ؛ فالعصمة ثابتة لهم في تبليغ الوحي ، وأما ما يفعلونه باجتهادهم فهم كغيرهم من البشر يصيبون ، وقد يخطئون فيصحح خطأهم ، والله أعلم .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٩٤ .

(٣) تفسير الوسيط ٣ / ٣٥٥ ، ولم ينسبه .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٨٠ عن الأعرج . قال ابن جرير ١٩ / ٨٥ : «يوم الحساب ، يوم المجازاة» .

وقال مقاتل : يعني يوم الحساب^(١) . ثم دعا إبراهيم ربه ، فقال :

٨٣ . ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ﴾ . قال ابن عباس : معرفة بالله وبحدوده وأحكامه^(٢) .

وقال مقاتل : يعني الفهم والعلم^(٣) .

﴿ وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ . قال ابن عباس : بأهل الجنة .

وقال عطاء عنه : يريد النبيين قبله^(٤) .

٨٤ . ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسفيان ، والسدي ، ومقاتل ، والكلبي ، والمفسرون : يعني ثناءً حسناً^(٥) .
﴿ فِي الْآخِرِينَ ﴾ : يعني في الدين يأتون بعدي^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٥١ ب . ذكر الواحدي في الوسيط ٣/٣٥٦ هاهنا حديث عائشة قالت : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمُسْكِينَ ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ قَالَ لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ » . أخرجه مسلم ١/١٩٦ ، كتاب : الإيمان ، رقم ٢١٤ ، والحاكم ٢/٤٣٩ ، كتاب : التفسير ، رقم ٣٥٢٤ ، وقال صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . والحديث أخرجه مسلم كما سبق .

(٢) تفسير الوسيط ٣/٣٥٦ ، وتفسير البغوي ٦/١١٨ ، وتفسير القرطبي ١٣/١١٢ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٨/٢٧٨١ عن ابن عباس : الحكم : العلم .

(٣) تفسير مقاتل ٥١ ب ، وتنوير المقياس ٣٠٩ ، وجعل ابن جرير ١٩/٨٦ الحكم هنا : النبوة ، وهو قول السدي ، أخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٧٨١ .

(٤) تفسير مقاتل ٥١ ب . وفي تنوير المقياس ٣٠٩ : بآبائي المرسلين في الجنة .

(٥) أخرجه بسنده عن مجاهد ، الفراء في معاني القرآن ٢/٢٨١ ، وذكره أبو عبيدة ٢/٨٧ ، من دون نسبة ، وذكره ابن جرير ١٩/٨٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٧٨١ ، عن مجاهد ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد .

(٦) تفسير مقاتل ٥١ ب ، وتنوير المقياس ٣١٠ .

قال أبو إسحاق : معناه اجعل لي ثناءً حسناً باقياً إلى آخر الدهر ^(١) .

قال المفسرون : وأعطاه الله ذلك ، وكل أهل دين يتولونه ويشنون عليه ^(٢) .
وذكرنا أن اللسان قد يُذكر ، والمراد به القول ^(٣) ، ومنه :

إِنِّي أَتْنِي لِسَانٌ البيت ^(٤)

والعرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق ^(٥) ، كقوله تعالى : ﴿ قَدَّمَ صَدِّقٍ ﴾
[يونس : ٢] ، وقد مرَّ ^(٦) .

٨٥ . ﴿ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ . قال ابن عباس : اجعل مصيري
إلى جنة النعيم ^(٧) ، وقال الكلبي : من الذين ذكروا في قوله :

(١) معاني القرآن للزجاج ٩٤ / ٤ ، قال السمرقندي في تفسيره ٤٧٦ / ٢ : وإنما أراد بالثناء الحسن ليقنتدوا به فيكون له مثل أجر من اقتدى به .

(٢) تفسير مقاتل ٥١ ب ، بلفظ : « فكل أهل دين يتولون إبراهيم عليه السلام ، ويشنون عليه » . وذكر هذا هود الهواري ٢٣٠ / ٣ ، وأخرجه بسنده مطولاً ابن جرير ٨٦ / ١٩ عن عكرمة وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٨١ / ٨ عن ابن عباس . قال الجصاص ٢١٤ / ٥ : فاليهود تقرر بنبوته ، وكذلك النصارى ، وأكثر الأمم . وذكره الثعلبي ٨ / ١١٣ .

(٣) ذكر ذلك ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ١٤٦ ، ونقله عنه الثعلبي ٨ / ١١٣ .

(٤) أنشده كاملاً ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ١٤٦ ، ولم ينسبه ، وتماهه :

إِنِّي أَتْنِي لِسَانٌ لَا أُسْرُ بِهَا مِنْ عَلَوٍ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ

قال ابن قتيبة : أي أتاني خبرٌ لا أُسرُّ به . والبيت مطلع قصيدة لأعشى باهلة ، يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي ، وقد ذكرها المبرد في الكامل ٣ / ١٤٣١ ، وأنشده الثعلبي ٨ / ١١٧ ، ونسبه .

(٥) في تهذيب اللغة ٨ / ٣٥٥ : يقال : هذا رجل صدق ، معناه : نعم الرجل هو .

(٦) ذكر الواحدي في تفسير هذه الآية ما يتعلق بالقدم ، ومعناه ، والمراد به ، ثم قال : هذا الذي ذكرنا معنى القدم في اللغة ، فأما التفسير فقال ابن عباس : أجراً حسناً بما قدّموا من أعمالهم . وعلى هذا المعنى أن لهم أجر صدق أو ثوابه ، على تقدير حذف المضاف ، وقال مجاهد والحسن : يعني الأعمال الصالحة . وعلى هذا لا حذف . قال الإمام مالك : لا بأس أن يُجب أن يُثنى عليه صالحاً ، ويرى في عمل الصالحين ، إذا قصد به وجه الله وهو الثناء الصالح . أحكام القرآن لابن العربي ٣ / ٤٥٨ .

(٧) تنوير المقباس : ٣١٠ بمعناه .

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].
والنعيم : نقيض البؤس ^(١).

٨٦. ﴿وَأَعْفِرْ لِيْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ . قال مقاتل : من المشركين ^(٢) . وهذا الاستغفار منه لأبيه إنما كان قبل أن يتبرأ منه ^(٣) ، وقد ذكرنا ذلك عند قوله : ﴿وَمَا كَأَنَّ اسْتَغْفَارَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ الآية ، [التوبة : ١١٤] ^(٤) .

٨٧. ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ . قال مقاتل والكلبي : لا تعذبني ^(٥) ﴿يَوْمَ يُعْتَوْنَ﴾ يوم يبعث الخلق بعد الموت ^(٦) ، ثم فسر ذلك اليوم وأبدل منه ، فقال :

٨٨. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ؛ [ومفعول النفع محذوف للعلم به ، كأنه قيل : لا ينفع مال ولا بنون أحداً] ^(٧) .

(١) وفي هذه الآية رد على من قال : لا أسأل جنة ولا ناراً . تفسير القرطبي ١٣ / ١١٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٥١ ب .

(٣) تفسير البغوي ٦ / ١١٩ .

(٤) قال الواحدي : « . . . وذلك أنه وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه ، وأن ينقل الله أباه باستغفاره له من الكفر إلى الإسلام ، فلما مات مشركاً ويثس من مراجعته الحق تبرأ منه ، وقطع الاستغفار له . . . » .

(٥) تفسير مقاتل ٥١ ، وتنوير المقباس : ٣١٠ .

(٦) تفسير مقاتل ٥١ ب ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ أَرْزَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِهِ أَرْزَقَرَّةٌ وَغَيْرَةٌ ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي ، فَيَقُولُ أَبُوهُ : فَالْيَوْمَ لَا أَغْصِيكَ ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْتَوْنَ ، فَأَيُّ خَزْيٍ أُخْزِي مِنْ أَبِي الْأَبْعَدُ ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، مَا نَحْتُ رَجُلَيْكَ ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيحٍ مُلْتَطِّخٍ ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ» أخرجه البخاري ، كتاب : الأنبياء ، رقم ٣٣٥٠ ، الفتح ٦ / ٣٨٧ ، والنسائي في السنن الكبرى ٦ / ٤٢٢ ، كتاب التفسير ، رقم ١١٣٧٥ ، قال ابن حجر في الفتح ٨ / ٤٩٩ : الذيخ : ذكر الضباع . يعني أن الله تعالى : قد مسخ أزر ضبعاً ، فلما رآه إبراهيم كذلك تبرأ منه .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

٨٩. ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ؛ وفي هذا الاستثناء قولان ؛ أحدهما : إنه استثناء من الأول على معنى أن الكافر لا ينفعه ماله وإن تصدق به ، ولا بنوه يغيثونه ، [فيكون قوله : ﴿إِلَّا مَنْ﴾ استثناء ممن لا ينفعه ماله وبنوه ، وهو الكافر .

القول الثاني : إن قوله : ﴿إِلَّا مَنْ﴾ استثناء ليس من الأول على معنى :^(١) لكن من أتى الله بقلب سليم ينفعه ذلك ، وهو سلامة قلبه^(٢) .

واختلفوا في معنى القلب السليم ، فقال ابن عباس : سليم من الشرك والنفق ، وهو قول مجاهد ، والكلبي ، ومقاتل ، وقتادة ، والحسن ، وأكثر المفسرين ، قالوا : القلب السليم الذي سلم من الشرك ، والشك ، والنفق^(٣) . وإذا كان سليماً من هذه الأشياء كان موقناً مخلصاً . وقال سعيد بن المسيب : القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن ، وقلب الكافر والمنافق مريض ، كما قال الله تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة : ١٠] .^(٤)

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

(٢) لم أجده عند من تقدم الواحدي ، وذكره من المتأخرين : الزمخشري ٣/ ٣١١ ، والقرطبي ١٣/ ١١٤ ، وأبو حيان ٧/ ٢٤ .

(٣) تفسير مقاتل ٥١ ب ، وأخرجه بسنده عبد الرزاق ٢/ ٧٤ عن قتادة . وتفسير هود الهواري ٣/ ٢٣١ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣١٨ ، وتفسير ابن جرير ١٩/ ٨٧ ، وأخرجه عن قتادة ، وابن زيد ، والضحاك ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨٣ عن مجاهد ، والحسن ، وعبد الرحمن بن زيد . قال الثعلبي ٨/ ١١٣ أ ، بعد ذكر هذا القول : «فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد» . ومراده ما دون الشرك . قال ابن القيم : «وقد اختلفت عبارات الناس في معنى السليم ، والأمر الجامع لذلك : أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره» . إغاثة اللفهان ١٣/ ١ .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٧ أ ، وتفسير الوسيط ٣/ ٣٥٦ ، وتفسير البغوي ٦/ ١١٩ ، وفي تنوير المقباس ٣١٠ : «سليم من بغض أصحاب النبي ﷺ» .

٩٠. قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْقِذِينَ﴾. قال ابن عباس: قَرَّبْتُ الجنة لأوليائي^(١).

قال أبو إسحاق: تأويله أنه قَرَّبَ دخولهم إيَّاهَا ونظرهم إليها^(٢).

٩١. ﴿وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ﴾؛ أي أظهرت^(٣). قال مقاتل: كشف الغطاء عن الجحيم^(٤) (للاغوين): للكافرين^(٥)، وهم الضالون عن الهدى^(٦).

والغاوي: الضال^(٧). ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ في ذلك اليوم على وجه التوبيخ واللوم^(٨).

٩٢-٩٣. ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾^(٩) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُكُمْ: هل يمنعونكم من العذاب؟ ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ يمتنعون منه^(٩).

ثم يؤمر بهم فيلقون في النار، فذلك قوله:

٩٤. ﴿فَكَبِكُوا فِيهَا﴾. قال ابن عباس، والسدي، والكلبي: جمعوا^(١٠)،

(١) تنوير المقباس: ٣١٠، وتفسير الوسيط ٣/٣٥٦، أخرج ابن أبي حاتم ٢٧٨٤/٨ عن الضحاك:

قُرِبَتْ مِنْ أَهْلِهَا، ثُمَّ قَالَ: وَرَوَى عَنْ السَّدي، وقادة، والربيع بن خيثم نحو ذلك.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/٩٤.

(٣) تنوير المقباس: ٣١٠، وتفسير هود الهواري ٣/٢٣١، وتفسير ابن جرير ١٩/٨٧، ومعاني القرآن

للزجاج ٤/٩٤، وتفسير الثعلبي ٨/١١٣ أ.

(٤) تفسير مقاتل ٥١ ب.

(٥) تنوير المقباس: ٣١٠، قال ابن عطية ١١/١٢٧: هم المشركون بدلالة أنهم خوطبوا في أمر الأصنام،

والقول لهم: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾^(٩) مِنْ دُونِ اللَّهِ.

(٦) (عن الهدى)، في نسخة (ج).

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤/٩٤.

(٨) تفسير الوسيط ٣/٣٥٦، ولم ينسبه.

(٩) تفسير مقاتل ٥١، وتنوير المقباس ٣١٠، وتفسير هود الهواري ٣/٢٣١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٨٥/٨ عن ابن عباس والسدي.

وقال مجاهد : دهوروا^(١) ، وقال مقاتل : قذفوا^(٢) .

قال أبو إسحاق : معنى : (ككبوا) طُرح بعضهم على بعض^(٣) .

وحقيقة ذلك في اللغة : تكرير الانكباب كأنه إذا أُلقي يَنْكَبُ مرة بعد مرة حتى يستقرَّ فيها^(٤) .

وقال أبو عبيدة : نكسوا فيها ، وهو من قولهم : كَبَّهَ الله لوجهه^(٥) .

قال ابن قتيبة : (ككبوا) ألقوا على رؤوسهم ، وأصل الحرف : كُبُّوا ، فأبدل من الباء الوسطى كافاً استثقلاً لاجتماع ثلاث باءات ، [كما قالوا : كمكموا ، من الكُمَّة ، وهي : القَلَنْسُوة ، والأصل : كُئِمُوا]^(٦) . كما قالوا : ربح صرصر^(٧) ، ورقرت العين بمعنى دمعت ، وله نظائر^(٨) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٨٥ / ٨ عن مجاهد بلفظ : «قد هووا فيها» ، وما في المطبوع مخالف لما في المخطوط ٢٢٧ ، ولفظه : «قدمروا فدهوروا» . ولفظ : «دهوروا» ، ذكره الثعلبي ٨ / ١١٣ ، والبغوي ٦ / ١١٩ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٢ أ ، وتفسير هود الهواري ٣ / ٢٣١ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١١٣ ب .

(٣) وقد اقتصر في الوجيز ٢ / ٧٩٢ ، على قول أبي إسحاق ، ولم ينسبه ، وذكر هذه الأقوال بهذا الترتيب البغوي ٦ / ١١٩ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٩٤ ، وذكره الأزهرى (كيب) ٩ / ٤٦١ ، ولم ينسبه .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٨٧ بلفظ : «أي طرح بعضهم على بعض جماعة جماعة» .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٨ ، وما بين المعقوفين زيادة نقلتها من الغريب ليستقيم بها الكلام ، وهي غير موجودة في النسخ الثلاث .

(٧) قال تعالى : ﴿ فَأَهْلِكُوا بَرِيحَ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٦] .

(٨) لم يظهر لي الارتباط بين هذا ومعنى : ككبوا ، فلعلها زيادة تتابع عليها النساخ ؛ إذ لم أجد لها في غريب ابن قتيبة ، ولا غيره ، والله أعلم .

ومن قال في تفسير : (ككبوا) جمعوا^(١) ، أراد : جمعوا بطرح بعضهم على بعض في النار . وهذا الفعل للمعبودين من دون الله ، أخبر الله تعالى أنهم يُطرحون في النار مع عابديهم ، فقال : ﴿فَكُبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد : هم وما يعبدون من دون الله^(٢) .

وقال الكلبي : العابد والمعبود^(٣) .

وقال السدي : جمعوا فيها الآلهة والمشركون^(٤) ، وعلى هذا : ﴿الْغَاوُونَ﴾ هم عبدة الأصنام .

وقال قوم : ﴿فَكُبِّكُوا فِيهَا﴾ يعني الكفار ، ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ كفر الجن ، وهو قول الكلبي^(٥) .

وقال قتادة ومقاتل : يعني الشياطين^(٦) . والقول هو الأول ؛ لأن الشياطين ذكروا في ما بعد ، وهو قوله :

٩٥ . ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ : يعني ذرية إبليس كلهم^(٧) .

(١) تنوير المقياس : ٣١٠ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٨٥ / ٨ بلفظ : ﴿الْغَاوُونَ﴾ المشركون .

(٣) في تنوير المقياس : ٣١٠ : «كفار الجن وأهنتهم» .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٨٥ / ٨ .

(٥) تنوير المقياس : ٣١٠ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١١٣ ب .

(٦) تفسير مقاتل ٥٢ ، وأخرجه بسنده عبدالرزاق ٢ / ٧٤ ، وابن أبي حاتم ٢٧٨٦ / ٨ عن قتادة ، وذكره عنها الثعلبي ٨ / ١١٣ ب .

(٧) تفسير مقاتل ٥٢ ، وتنوير المقياس : ٣١٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٧٨٦ / ٨ عن السدي . وفي رواية أخرى عنه ، قال : هم الشياطين . قال النحاس : «الذين دعوهم إلى عبادة الأصنام ، وساعدوا إبليس على ما يريد فهم جنوده» . إعراب القرآن ٣ / ١٨٤ ، وهذا قول حسن ، والله أعلم .

٩٦. ﴿قَالُوا﴾ : يعني الكفرة والغاوون ، ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مع الشياطين والمعبودين^(١) .

٩٧-٩٨. ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢) إِذْ تُسَوِّىكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ : والله ما كنا إلا في ضلال^(٢) حيث سَوَّيْنَاكم بالله فأعظمناكم ، وعبدناكم ، وعدلناكم به^(٣) .

٩٩. ﴿وَمَا أَضَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ . قال مقاتل : وما أضلنا عن الهدى إلا الشياطين^(٤) ، وهو قول ابن عباس .

وقال الكلبي : إلا أولونا الذين اقتدينا بهم^(٥) .

١٠٠. ﴿فَمَالَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ : من يشفع لنا من الملائكة والنبیین^(٦) . قال ابن عباس : يريد النبي ﷺ والمؤمنين حين يشفعون للموحدين .

(١) قال الهواري ٢٣١/٣ : «وخصومتهم تبرؤ بعضهم من بعض ، ولعن بعضهم بعضاً» .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) . واستدل ابن قتيبة بهذه الآية على أن : إن الخفيفة تكون بمعنى : لقد . تأويل مشكل القرآن ٥٥٢ .

(٣) (به) في نسخة (أ) و(ب) . معاني القرآن للزجاج ٩٤/٤ ، وفيه : (كما يعبد الله) ، بدل : (وعدلناكم به) . قال ابن القيم : «ومعلوم أنهم ما سواهم به سبحانه في الخلق والرزق ، والإماتة والإحياء ، والملك والقدرة ، وإنما سواهم به في الحب ، والتأله والخضوع لهم والتذل ، وهذا غاية الجهل والظلم ، فكيف يسوى التراب برب الأرباب ؟ وكيف يسوى العبيد بالملك الرقاب» . الجواب الكافي ١٩٧ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٢ أ .

(٥) تفسير الوسيط ٣/٣٥٧ ، وتنوير المقباس : ٣١٠ ، وتفسير الثعلبي ٨/١١٣ ب . قال ابن جرير

٨٩/١٩ : «يعني بالمجرمين : إبليس ، وابن آدم الذي سن القتل» ، وأخرجه بسنده عن عكرمة .

(٦) تفسير مقاتل ٥٢ أ ، وجعل ابن جريج الشافعين من الملائكة فقط ، أخرجه عنه ابن جرير ٨٩/١٩ .

(٧) في نسخة (أ) و(ب) : (قال الكلبي) ، والظاهر أنها زائدة .

١٠١. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾. قال ابن عباس : ولا قريب من المؤمنين ، وقال مقاتل : يعني : القريب الشفيق^(١) ، وقال الكلبي : ﴿وَلَا صَدِيقٍ﴾ ذي قرابة يهيمه أمرنا^(٢) . والحميم : القريب الذي توده ويودك^(٣) .

قال ابن عباس : إن المؤمن يشفع يوم القيامة للمؤمنين المذنبين^(٤) . وروى جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : «إن الرجل ليقول في الجنة : رب^(٥) ما فعل صديقي فلان ، وصديقه في الجحيم ، فيقول الله تعالى : أخرجوا له صديقه إلى الجنة ، فيقول من بقي : ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾^(٦) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»^(٦) .

ومعنى^(٧) الحميم في اللغة : القريب ، من قولهم : أَحَمَّ الأمر ، وَأَحَمَّ إذا قَرَّب ، ودنا^(٨) .

(١) تفسير مقاتل ٥٢أ .

(٢) تنوير المقياس : ٣١٠ .

(٣) تهذيب اللغة (حم) ٤ / ١٤ بنصه .

(٤) تفسير الوسيط ٣ / ٣٥٧ .

(٥) (رب) في نسخة (أ) و(ج) .

(٦) أخرجه بسنده الثعلبي ١١٣ / ٨ ب من طريق الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا من سمع أبا الزبير يقول : أشهد لسمعت جابر بن عبد الله . وعن الثعلبي أخرجه الواحد في تفسيره الوسيط ٣ / ٣٥٧ ، وكذا البغوي ٦ / ١٢٠ . وفي حاشية الوسيط : في سنده انقطاع بين الوليد بن مسلم وأبي الزبير . وفي حاشية البغوي : لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ، وغيرها ، وساقه المصنف بإسناده من طريق الثعلبي ، وفيه جهالة من سمع أبا الزبير .

في تفسير مقاتل : استكثروا من صداقة المؤمنين ؛ فإن المؤمنين يشفعون يوم القيامة .

(٧) ومعنى في نسخة (أ) و(ج) .

(٨) تهذيب اللغة (حم) ٤ / ١٤ من قول الكسائي وكذا في لسان العرب ١٢ / ١٥٢ ، وفيه : «ويروى بالجيم» .

وقال المبرّد: حَمِيم الرجل من يَخْصُه ، وهو مأخوذ من : الحَامَّة ، يقال : دُعِيَ فلانٌ في الحَامَّة ، لا في العامَّة^(١) . ثم قالوا :

١٠٢ . ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ ؛ أي رجعة إلى الدنيا^(٢) ، ﴿ فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ المصدّقين بالتوحيد^(٣) ؛ أي حتى تحل لنا الشفاعة كما حلت للمؤمنين^(٤) .

١٠٣ . ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ يعني في ما أخبر من قصة إبراهيم ﴿ لَآيَةً ﴾ لعبرة لمن بعدهم .

وبالباقي [١٠٣ ، ١٠٤] مُفسّر في ما مضى من السورة إلى قوله :

١٠٥ . ﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . قال أبو إسحاق : دخلت التاء و﴿ قَوْمٌ ﴾ المذكرون ؛ لأن المعنى : كذبت جماعة قوم نوح^(٥) .

وقوله : ﴿ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . قال ابن عباس ، ومقاتل ، والمفسرون : يعني نوحاً وحده^(٦) . وعلى هذا إنما جاز الجمع ؛ لأن من كذّب رسولاً واحداً من رسل الله فقد كذّب الجماعة وخالفها ؛ لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل^(٧) . وهذا

(١) في تهذيب اللغة (حم) ٤ / ١٤ : الحَامَّة : خاصة الرجل من أهله وولده وذوي قرابته . ولم ينسبه إلى المبرّد ، ولم أجده في فهارس المقتضب ، ولا فهارس الكامل . قال في الكشف ٣ / ١١٩ : « والحميم من الاحتمام ، وهو الاهتمام ، وهو الذي يهيم ما يهيمك ، أو من الحامة ، بمعنى الخاصة ، وهو : الصديق الخاص » .

(٢) تفسير مقاتل ٥٢ ، وتنوير المقباس ٣١٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٨٧ عن ابن عباس .

(٣) تفسير مقاتل ٥٢ .

(٤) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٨٧ عن ابن عباس .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٩٥ ، وقال النحاس : « على تأنيث الجماعة » . إعراب القرآن ٣ / ١٨٥ ، وهذا الوجه أحسن مما قاله البقاعي : « إثبات التاء ، اختياراً للتأنيث ، وإن كان تذكير القوم أشهر ، للتنبيه على أن فعلهم أخس الأفعال » . نظم الدرر ١٤ / ٦١ .

(٦) تفسير مقاتل ٥٢ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٩٥ بنصه .

معنى قول الحسن ، لما سُئِلَ عن هذا وأمثاله ، فقال : إن الآخر جاء بها جاء به الأول ، فإذا كَذَّبوا واحداً فقد كَذَّبوهم أجمعين^(١) ، وقال الكلبي : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحاً ، وما أخبرهم من مجيء المرسلين بعده^(٢) . قال الزَّجَّاج : وجائز أن يكونوا كذبوا جميع الرسل^(٣) .

١٠٦ . ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ . قال ابن عباس : ابن أبيهم ، يعني أن الأخوة كانت من جهة النسب ، لا من جهة الدين ، وهو قول جميع المفسرين : أخوهم في النسب ، يعني أنه منهم ، وليس بأخيهم في الدين^(٤) .

قال الزَّجَّاج : كل رسول يأتي بلسان قومه ، ليوضح لهم الحجة ، ويكون أبين لهم^(٥) ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ الآية ، [إبراهيم : ٤] . وقوله : ﴿أَلَا نُنْفِئُكَ﴾ مُفسَّر^(٦) في هذه السورة .

١٠٧ . ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ . قال ابن عباس : ائتمني الله على رسالته ، وبعثني إليكم^(٧) ، وهو قول مقاتل : [أمين على الرسالة في ما بينكم وبين ربكم^(٩) .

وقال الكلبي : كان فيهم أميناً قبل ذلك^(١٠) .

(١) ذكره عنه الثعلبي ٨/ ١١٣ أ ، والبغوي ٦/ ١٢٠ .

(٢) تنوير المقياس : ٣١٠ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٥ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٢ أ ، وتنوير المقياس ٣١٠ ، وتفسير هود الهواري ٣/ ٢٣٢ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٥ .

(٦) في نسخة (أ) : (تفسر) ، وفي نسخة (ب) : (تفسر في هذه الآية السورة) .

(٧) تنوير المقياس ٣١٠ بمعناه .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٩) تفسير مقاتل ٥٢ أ .

(١٠) تنوير المقياس ٣١٠ .

١٠٨ . ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بطاعته وعبادته ، ﴿وَأَطِيعُوا﴾ في ما أمركم به من الإيمان والتوحيد .

١٠٩ . ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ . قال مقاتل : وذلك أنهم قالوا للأنبياء : إنكم تريدون أن تملكوا علينا في أموالنا ! فردت عليهم الأنبياء ، فقالوا : وما نسألكم عليه من أجر ؛ يعني : على الإيمان جُعلا .

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما جزائي وثوابي ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) .

١١١ . وقوله : ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ﴾ . قال مقاتل : أنصدق بقولك^(٢) ﴿وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْذِلُونَ﴾ الواو هاهنا للحال ، ومعها : قد ، مضمرة ؛ لأن واو الحال قلّ ما تصحب الأفعال ، ولهذا قرأ من قرأ : (وَأَتَّبَعَكَ) . قال الفراء : وهو وجه حسن^(٣) .

وقال الزّجاج : هي في العربية جيدة ؛ لأن واو الحال تصحب الأسماء أكثر في العربية ؛ لأنك تقول : جئتكم وأصحابك الزيدون ، ويجوز : وصحبك ، والأكثر :

(١) تفسير مقاتل ٥٢أ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٢أ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨١ ، ولفظه : «وذكر أن بعض القراء قرأ : وأتباعك الأرذلون . ولكنني لم أجده عن القراء المعروفين ، وهو وجه حسن» . وهي قراءة يعقوب الحضرمي (وَأَتَّبَعَكَ) بقطع الهمة ، وإسكان التاء مخففة ، وضم العين وألف قبلها على الجمع . المبسوط في القراءات العشر ٢٧٥ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٥ ونسب ابن جني هذه القراءة إلى ابن مسعود والضحاك وطلحة وابن السميع ويعقوب وسعيد بن أبي سعيد الأنصاري . المحتسب ٢/ ١٣١ ، قال الأزهرى : «(وَأَتَّبَعَكَ) جمع تابع ، كما يقال : صاحب ، وأصحاب ، وشاهد وأشهاد ، ومعناه : وأشياعك الأرذلون» . معاني القراءات ٢٢٧ .

جئتك وقد صحبتك الزيدون^(١) . ومعنى ﴿أَلْزَدُونَ﴾ كمعنى الأراذل ، وقد مر^(٢) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد المساكين بأنهم شرار الناس ليس لهم مال ولا عز^(٣) .

وقال مقاتل والكلبي : يعنون السفلة^(٤) . وكان آمن بنوح بنوه ، ونسأؤه ، وأناس من ضعفاء قومه^(٥) .

وروى الضحاك عن ابن عباس قال : الحاكمة^(٦) ، وهو قول عكرمة ، وزاد الأساكفة^(٧) .

قال أبو إسحاق : والصناعات لا تضر في باب الديانات^(٨) .

وروي عن ابن عباس في تفسير الأردلين : الغلفة^(٩) . والصحيح أنهم أرادوا بالأردلين الذين مكاسبهم دنية ؛ لقوله : ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

(١) معاني القرآن للزجاج ٩٥ / ٤ .

(٢) في قوله تعالى : ﴿وَمَا نَزَّلَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِكَ الْوَيْلَ﴾ [هود : ٢٧] .

(٣) تفسير الوسيط ٣ / ٣٥٧ ، من قول عطاء ، وزاد المسير ٦ / ١٣٤ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٢ ، وتنوير المقباس : ٣١٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٨٨ عن قتادة .

(٥) ومراده ببنيه : الأكثر ؛ لقوله تعالى : ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِئْ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود : ٤٢] .

(٦) تفسير الثعلبي ٨ / ١١٤ ، وزاد المسير ٦ / ١٣٤ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٨٨ عن مجاهد . والمراد بهم : ناسجو الثياب ؛ مأخوذ من الحوك ، وهو : النسج . تهذيب اللغة (حاك) ٥ / ١٢٨ .

(٧) تفسير الثعلبي ٨ / ١١٤ ، وذكر الواحد في الوسيط ٣ / ٣٥٧ أن الضحاك وعكرمة قالا : يعنون الحاكمة ، والأساكفة . الإسكافي : الصانع ، وقيل : كل صانع غير من يعمل الخفاف . تهذيب اللغة (سكف) ١٠ / ٧٧ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٩٥ / ٤ ، وذكره في الوسيط ٣ / ٣٥٧ ، ونقله عن الزجاج الأزهري ١٤ / ٤١٩ .

(٩) هكذا كتبت في النسخ الثلاث : الغلفة ، ومعناها هنا غير مناسب ، ولعل الصواب : (الغفلة) : جمع غافل وهو من لا فطنة له) . تهذيب اللغة (غفل) ٨ / ١٣٦ .

لَمَّا نَسَبُوا أَتْبَاعَ نُوحٍ إِلَى دَنَاءَةِ الْمَكَاسِبِ أَجَابَهُمْ نُوحٌ بِأَن قَالَ :

١١٢ . ﴿وَمَا عَلَّمِي مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ : يعني ما كنت أعلم أعمالهم ، وصنائعهم ، ولم ^(١) أَكْلَفْ ذَلِكَ ، إِنَّمَا كُفِّتُ أَنْ أَدْعُوهُمْ ^(٢) .

وقال مقاتل : يقول : لم أكن أعلم أن الله يهديهم للإيمان من بينكم ويدعكم ^(٣) . وهذا القول غير الأول ، ومعناه أن نوحاً قال لهم : لا أدري ، إيش عملوا حتى استحقوا الهداية من بينكم دونكم ، كأنه يقول : لا يضرهم دناءة مكاسبهم إذ هداهم الله . والقول هو الأول ؛ لقوله :

١١٣ . ﴿إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ ؛ أي ما حسابهم في ما يعملون من صنائعهم ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ وليس عليّ من حسابهم شيء ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لو تعلمون ذلك ^(٤) .

وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف على معنى : ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ أن حسابهم على ربهم لما عبتهم بصنائعهم . ونظير قوله : إن حسابهم إلا على ربهم ، قوله في سورة هود في قصة نوح ﴿إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾ [هود : ٢٩] .

١١٤ . وقوله : ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٥) **﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾** . قال مقاتل : يعني وما أنا بالذي لا أقبل الإيمان من الذين تزعمون أنهم الأردلون عندكم ^(٥) .

(١) في نسخة (ب) : (ولا) .

(٢) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٧ ، ولم ينسبه .

(٣) تفسير مقاتل ٥٢ أ .

(٤) تنوير المقباس : ٣١١ ، واستدل ابن قتبية بهذه الآية على أن الحساب يكون بمعنى الجزاء . تأويل مشكل القرآن ٥١٣ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٢ ب .

قال الكلبي^(١) : قال الأشراف لنوح : اطردهم يا نوح ونؤمن لك ، فقال : ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

١١٥ . ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ . قال ابن عباس : أنذركم النار ، وأبين لكم ما يُقربكم من الله . قال مقاتل : ما أنا إلا رسول بين^(٢) .

١١٦ . ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ﴾ [عما تقول وتسكت]^(٣) ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ . قال ابن عباس ، ومقاتل ، والكلبي : من المقتولين^(٤) ، وقال الضحاك : من المشتومين^(٥) ، وقال قتادة : المضروبين بالحجارة^(٦) . وذكرنا معاني الرجم في ما تقدم^(٧) .

١١٧-١١٨ . ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ إِنِّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ ﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : فاقض بيني وبينهم قضاء^(٨) .

(١) قال الكلبي ، في نسخة (ج) .

(٢) تفسير مقاتل ٥٢ ب .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٤) تفسير مقاتل ٥٢ ب ، وتنوير المقباس : ٣١١ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١١٤ ، ونسبه الماوردي ٤ / ١٧٩ ، إلى محمد بن الحسن .

(٥) تفسير الثعلبي ٨ / ١١٤ ، وتفسير الوسيط ٣ / ٣٥٨ ، وتفسير البغوي ٦ / ١٢١ ، ونسبه الماوردي ٤ / ١٧٩ إلى السدي .

(٦) تفسير الثعلبي ٨ / ١١٤ ، وتفسير الماوردي ٤ / ١٧٩ .

(٧) في سورة هود الآية رقم ٩١ .

(٨) تنوير المقباس : ٣١١ ، وأخرجه بسنده عبدالرزاق ٢ / ٧٤ عن قتادة ، وأخرجه عنه كذلك ابن جرير ٩٠ / ١٩ ، وأخرجه أيضاً عن ابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٩٠ عن قتادة ، والسدي ، وعبدالرحمن بن زيد . وفي مجاز القرآن ٢ / ٨٧ : «أي احكم بيني وبينهم حكماً» . وتفسير هود الهواري ٣ / ٢٣٣ ، وفيه : وإذا قضى الله بين النبي وقومه هلكوا . «قال ابن قتيبة : «ومنه قيل للقاضي : الفتاح» . غريب القرآن ٣١٨» .

قال مقاتل : يعني بالعذاب ^(١) . ﴿وَيَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من ذلك العذاب ^(٢) .

١١٩ . ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ : مضى الكلام في تفسير الفلك عند قوله : ﴿وَالْفُلِّ الَّتِي تَجْرِي﴾ [البقرة: ١٦٤] .

قال أبو إسحاق في هذه السورة : ﴿الْفُلِّ﴾ السفن ، واحدا : فُلٌّ ، وجمعها : فُلُك ، وزعم سيبويه أنها بمنزلة أُسَد ، وأُسْد ، قياس فَعْل ، ألا ترى أنك تقول : قُفْل وأقفال ، وَجَل وأجمال ، وكذلك : أُسَد وأُسْد وآسَاد ، وفُلٌّ ، وأفلاك وفُلُك في الجمع ^(٣) .

قال أبو علي الفارسي في ما أصلح عليه : لم نعلم أحداً قال في واحد الفُلِّك : فُلٌّ ، ولكن الواحد : فُلٌّ ، وكُسِّرَ على فُلِّك ^(٤) ، وقول سيبويه : إنه بمنزلة أُسَد وأُسْد ، يريد : فُعْلاً كسر على فُعْل ، كما كسر فَعْل عليها ^(٥) ، واجتمعا في التفسير على فعل كما اجتمعا في التفسير على أفعال ؛ لأنهما يتعاقبان كثيراً على الشيء الواحد ، نحو : البُخْل والبخال ^(٦) ، والبُخْل ، والسَّقْم والسقم ، والعُجْم والعجم ، والعُرب والعرب ، فلما كانا على هذا جاز اجتماعهما على هذا التفسير .

(١) تفسير مقاتل ٥٢ ب .

(٢) تنوير المقباس ٣١١ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٩٥ / ٤ ، وتبعه النحاس في إعراب القرآن ١٨٦ / ٣ ، فقال : «زعم سيبويه» .

(٤) قال أبو عبيدة ٨٨ / ٢ : «والفلك يقع لفظه على الواحد ، والجميع من السفن سواء» .

(٥) في كتاب أبي علي : (عليه) ، بدل : (عليها) .

(٦) (البخال) ، غير موجودة في كتاب أبي علي .

ونظير هذا في أن لفظ التكسير جاء على لفظ الواحد قبل أن يُكسّر ، قولهم :
 ناقة هَجَّان ، وإبل هَجَّان^(١) ، ودرْعٌ دِلاص ، وأدرْعٌ دِلاص ، وهجان في الجمع^(٢)
 على حد ظرافٍ ، وشرَاقٍ ، وليس على حد سنان وضناك^(٣) .

وَأَمَّا ﴿الْمَشْحُون﴾ فقال الليث : الشحن ملؤك السفينة وإتمامك جهازها
 كله^(٤) . قال ابن عباس : يريد بالمشحون الذي قد شحن وملئ^(٥) ، وقال مجاهد :
 المشحون : المملوء^(٦) .

(١) في نسخة (أ) : الأولى هيجا بالياء ، والباقي من دونها كما في نسخة : (ب) ، في المواضع الثلاثة ، وفي
 نسخة (ج) : بالياء ، في الموضعين : الأول والثاني ، وفي كتاب أبي علي من دون الياء في المواضع
 كلها .

(٢) هكذا في نسخة (ب) ، وفي نسخة (أ) ، (ج) : (الجميع) ، وفي كتاب أبي علي : «إنها دلاص ، وهجان ،
 في الجمع» .

(٣) هاتان الكلمتان غير واضحتين في كتاب أبي علي . الإغفال في ما أغفله الزَّجَّاج ٢ / ٢٢٠ ، وقد ذكر
 هذه المسألة المبرِّد في المقتضب ٢ / ٢٠٥ ، وفي الحاشية : درع دلاص : لينة براق ، والهجان : الإبل
 البيضاء . قال أبو حيان ٧ / ٣١ : «الفلك واحد وجمع ، غالب استعماله جمعاً» . ويبين معنى : ظراف
 وشراق ، وسنان وضناك .

(٤) تهذيب اللغة (شحن) ٤ / ١٨٤ بنصه . وفي كتاب العين ٣ / ٩٥ : شحنت السفينة : ملأناها فهي
 مشحونة .

وجهازها بالفتح ، وجهاز بالكسر لغة ليست جيدة . تهذيب اللغة (جهاز) ٦ / ٣٦ .

(٥) أخرج ابن جرير ١٩ / ٩٢ بسنده من طريقين عن ابن عباس : «﴿الْمَشْحُون﴾ قال : يعني : الموقر» ،
 وأخرجه كذلك ابن أبي حاتم ٨ / ٢٨٩١ ، ولفظه عند الثعلبي ٨ / ١١٤ : «الموقر ، والمجهز» . وفي
 سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس : «السفينة الموقرة الممتلئة» . غريب القرآن في شعر العرب ٩٥ .
 انظر : الإتيقان ١٢٥ ، وأخرجه الطستى عن ابن عباس . الدر المنثور ٦ / ٣١١ .

(٦) تفسير مجاهد ٢ / ٤٦٣ ، ولفظه عند ابن جرير ١٩ / ٩٢ : «المفروغ منه المملوء» ، وهو كذلك عند
 ابن أبي حاتم ٨ / ٢٧٩٢ ، وذكره أبو عبيدة ٢ / ٨٨ ، ولم ينسبه ، واقتصر عليه ابن قتيبة في غريب القرآن
 ٣١٨ .

وقال قتادة: المَحْمَلُ^(١). وقال مقاتل: الموقر من الناس، والطير، والحيوان، كلها من كل صنف ذكر وأنثى^(٢). والفلك هاهنا واحد لا جمع، لذلك قال: ﴿الْمَشْحُونُ﴾، وعلى ما قال الزجاج: الفلك جمع، وهو خطأ له هاهنا^(٣)؛ لأن سفينة نوح كانت واحدة^(٤).

١٢٠. وقوله: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾. قال مقاتل: بعد أهل السفينة^(٥)، وقال غيره: بعد نجاة نوح ومن معه. ﴿الْبَاقِينَ﴾: من بقي منهم ولم يركب السفينة^(٦).

١٢١. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: في هلاك قوم نوح بالغرق^(٧). ﴿لَايَةً﴾: لعلبة لمن بعدهم^(٨). ﴿وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُهُمْ﴾: أكثر قوم نوح. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: مصدقين بتوحيد الله، ولو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا في الدنيا^(٩).

١٢٢. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه منهم بالغرق^(١٠). ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين إذ أنجاهم من الغرق^(١١).

-
- (١) أخرجه عبدالرزاق ٧٤/٢، وعنه ابن جرير ٩٢/١٩.
- (٢) تفسير مقاتل ٥٢ ب. الوقر: الثقل يُحمل على ظهر أو رأس. يقال: جاء يحمل وقره. ويقال: هذه نخلة موقرة وموقرة وموقر. تهذيب اللغة (وقر) ٢٨٠/٩.
- (٣) في نسخة (ج): (وهو خطأ لا وجه له).
- (٤) وفي وصف الفلك بأنه مشحون إظهار لعظيم النعمة؛ لأن سلامة المملوء جداً أغرب. نظم الدرر ٦٧/١٤.
- (٥) تفسير مقاتل ٥٢ ب.
- (٦) تفسير مقاتل ٥٢ ب.
- (٧) تفسير مقاتل ٥٢ ب.
- (٨) تفسير مقاتل ٥٢ ب، وفيه زيادة: «من هذه الأمة ليحذروا مثل عقوبتهم».
- (٩) تفسير مقاتل ٥٢ ب.
- (١٠) تفسير مقاتل ٥٢ ب.
- (١١) تفسير مقاتل ٥٢ ب. وتنوير المقياس: ٣١١.

وفي ذكر^(١) تكذيب الأمم الخالية وتعذيب الله إياهم تخويف لكفار مكة^(٢) .

١٢٣ . وقوله : ﴿ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ : التأنيث بمعنى القبيلة والجماعة .
ومضى الكلام في معنى جمع المرسلين في قصة نوح .

والباقي [١٢٤-١٢٧] مُفسَّر في ما سبق إلى قوله :

١٢٨ . ﴿ أَتَبْنُونَ بُكْلًا رِيعًا ﴾ . قال ابن السكيت : الرِّيع : المكان المرتفع ، وذَكَرَ
الآية ، قال : وقال عُمارَةُ : الرِّيع : الجبل^(٣) .

وقال أبو عبيدة : الرِّيع : الارتفاع ، جمع : رِيعَة^(٤) ، ونحو هذا قال المبرِّ
وابن قتيبة ، وأنشدوا^(٥) لذي الرمة ، فقال :

طِرَاقُ الْخَوَافِي واقِعٌ فَوْقَ رِيعَةٍ
نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيشِهِ يَتَرَقُّ^(٦)

(١) (ذكر) ، في نسخة (ج) .

(٢) مختصر مما ذكره مقاتل ٥٢ ب .

(٣) تهذيب اللغة (راع) ١٧٩/٣ .

(٤) مجاز القرآن ٨٨/٢ ، وفيه : «والجميع أرياع ، وريعة» .

(٥) في نسخة (ب) : «وأنشدوا قول ذي الرمة فقال» .

(٦) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٨٨/٢ ، وفيه : مشرف ، (بدل) : (واقع) ، وهو كذلك عند ابن جرير ٩٢/١٩ ، ونسباه إلى ذي الرمة ، وأنشده ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٨ ، ونسبه إلى ذي الرمة ، وفيه : مشرفاً ، (بدل) : (واقع) . يصف ذو الرمة نظره كنظر البازي (نوع من الطيور) ومعنى : طراق : بعضه على بعض ، والخوافي : ما دون القوادم من جناح الطائر ، والرَّيعة : المكان المرتفع ، ويترقق : يبيء ويذهب . ديوان ذي الرمة ١٧٥ .

وقال الكسائي والفرّاء : رِيع ورِيع بالكسر والفتح ، لغتان ؛ الواحدة : رِيعَة ورِيعَة ، مثل : الرِّير والرَّير ، وهو المكان المرتفع ^(١) .

وقال الزَّجَّاج : هي في اللغة : الموضع من الأرض المرتفع ، ومن ذلك : كم رِيعُ أرضك ؟ أي كم ارتفاع أرضك ^(٢) ؟

وقال ابن الأعرابي : الرِيع : مسيل الوادي من كل مكان مشرف ، وجمعه : أرياع وريوع ^(٣) .

قال ابن قتيبة : والرِيع أيضاً : الطريق ^(٤) ، وأنشد للمسيب بن علس ^(٥) ، وذكر طُغْنًا ، فقال :

في الآلِ يخفُضُهَا ويرفَعُهَا رِيعٌ يَلُوحُ كأنَّهُ سَحْلٌ ^(٦)
شَبَّهَ الطريقَ بالثوبِ الأبيض ^(٧) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٨١ ، ولفظه : «رِيع ورِيع ، لغتان مثل : الرير ، والرار ، وهو : المخ الرديء» .
الرار ، هكذا وردت . وما نقله عنه الأزهري في التهذيب ٣/ ١٨٠ موافق لما عند الواحدي ، ولم ينسب الأزهري هذا القول إلى الكسائي .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٩٦ .

(٣) تهذيب اللغة (راع) ٣/ ١٨٠ .

(٤) نسبه الماوردي ٤/ ١٨٠ إلى السدي .

(٥) انظر : ترجمته في جمهرة أشعار العرب ١١١ ، والخزانة ٣/ ٢٤٠ ، والأعلام ٧/ ٢٢٥ .

(٦) أنشده ابن قتيبة في غريب القرآن ٣١٨ ، وأنشده الماوردي ٤/ ١٨٠ ، ثم قال : «السحل : الثوب الأبيض ، شبه الطريق به» ، وأنشده الزمخشري ٣/ ٣١٦ منسوباً إلى المسيب ، وهو كذلك في لسان العرب (سحل) ١١/ ٣٢٨ ، والأللة : الهودج الصغير . لسان العرب (أل) ١١/ ٢٧ .

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٨ .

هذا كلام أهل اللغة في تفسير الرِّيع . وأمّا أهل التفسير فقال الوالبي عن ابن عباس : يعني : بكل شرف^(١) .

وقال قتادة : بكل طريق^(٢) ، وهو لفظ مقاتل ، والكلبي ، والضحاك ، وابن عباس في رواية عطية^(٣) ، وقال في رواية عطاء : بكل موضع . وهؤلاء الذين فسّروا الرِّيع بالطريق والموضع أرادوا الطريق والموضع المرتفع . وروى ابن أبي نجيح وابن جريج عن مجاهد : ﴿يَكُلُّ رِيعٌ﴾ ، قال : بكل فَجٍّ^(٤) .

قال الزّجاج : والفج : الطريق المنفرج في الجبل^(٥) .

وقال عكرمة : بكل وادٍ^(٦) ، وهذا موافق لقول ابن الأعرابي^(٧) .

قوله : ﴿ءَايَةً﴾ . قال مقاتل والكلبي : علماً^(٨) .

-
- (١) أخرجه ابن جرير ٩٤ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٩٣ / ٩ من طريق علي بن أبي طلحة ، وأخرجه ابن جرير أيضاً عن مجاهد واقتصر عليه في الوجيز ٧٩٣ / ٢ ، ولم ينسبه .
- (٢) أخرجه بسنده عبدالرزاق ٧٤ / ٢ ، وابن جرير ٩٤ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٩٣ / ٩ .
- (٣) نسبه إلى هؤلاء الثعلبي ١١٤ / ٨ ، وأخرجه ابن جرير ٩٤ / ١٩ عن ابن عباس والضحاك ، وهو في تفسير مقاتل ٥٢ ب . وتنوير المقياس : ٣١١ ، وذكر الماوردي ١٨٠ / ٤ عن الكلبي أنه فسّر الرِّيع بالسوق .
- (٤) تفسير مجاهد ٤٦٣ / ٢ من طريق ابن أبي نجيح ، وهو كذلك عند ابن أبي حاتم ٢٧٩٣ / ٩ ، وأخرجه ابن جرير ٩٤ / ١٩ عنه من طريق ابن جريج ، وابن أبي نجيح .
- (٥) معاني القرآن للزّجاج ٩٦ / ٤ .
- (٦) تفسير الثعلبي ١١٤ / ٨ ب .
- (٧) الذي سبق ذكره ، ولفظه : «مسيل الوادي . . .» .
- (٨) تفسير مقاتل ٥٢ ب ، وتنوير المقياس : ٣١١ ، ولفظه : «بكل طريق علامة» وتفسير هود الهواري ٢٣٤ / ٣ ، ولم ينسبه . وأخرجه ابن جرير ٩٤ / ١٩ عن ابن عباس .

وعن ابن عباس : بنياناً علماً^(١) .

﴿تَعَبُّونَ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد : تبنون ما لا تسكنون^(٢) ، فعلى هذا أنكر هوذ عليهم بناءهم ما يستغنون عنه ، ولا يسكنونه ، وجعل ذلك منهم عبثاً .

وقال الكلبي : ﴿تَعَبُّونَ﴾ بمن يمر بالطريق^(٣) ، وعلى هذا معنى الآية : تبنون بالمواضع المرتفعة كي تشرفوا على المارة والسائلة ، فتسخرها منهم وتعبثوا بهم .

وقال مقاتل : بل^(٤) كانوا إذا سافروا لا يهتدون إلا بالنجوم ، فبنوا القصور الطوال على الطرق عبثاً^(٥) .

وروي عن سعيد بن جبير ومجاهد أنها قالوا : هذا^(٦) في بنيان الحَمَام^(٧) ، وعلى هذا أنكر عليهم اتخاذهم بروجاً للحَمَام عبثاً . وهذه أوجه أربعة في معنى العبث المذكور هاهنا . وذكر بعض أهل المعاني وجهاً له ؛ فقال : كانوا يبنون بالمكان المرتفع البناء العالي ليدلوا بذلك على زيادة قوتهم ، وذلك عبث .

(١) اقتصر عليه في تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٨ ، ولم ينسبه . أخرج ابن جرير ١٩/ ٩٥ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٤ عن مجاهد : ﴿ءَايَةً﴾ بنيان .

(٢) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٨ وزاد المسير ٦/ ١٣٤ ، وذكره السمرقندي في تفسيره ٢/ ٤٧٩ ، وصدره بقوله : وروي عن ابن عباس .

(٣) تنوير المقياس : ٣١١ مختصراً .

(٤) (بل) في نسخة (أ) و(ب) .

(٥) تفسير مقاتل ٥٢ ب .

(٦) (هذا) في نسخة (ج) .

(٧) واقتصر على هذا القول في الوجيز ٢/ ٧٩٣ ، وأخرج هذا القول عن مجاهد ، ابن جرير ١٩/ ٩٥ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٤ ، وذكره الماوردي ٤/ ١٨١ عن السدي ، وذكره عنها البغوي ٦/ ١٢٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٣ .

١٢٩. قوله تعالى : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ . قال الليث : المصنعة شبه صهريج عميق يُتخذ للماء ، والجمع ^(١) المصانع ، والمصانع التي يتخذها الناس من الأبنية والآبار .

قال لبيد :

بَلِينَا وَمَا تَبَلَى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ وتبلى الدِّيارُ بعدَنَا والمصانعُ ^(٢)
وقال أبو عبيدة : كل بناء مَصْنَعَة ^(٣) .

قال الأزهري : وقال بعضهم : هي أحباس تُتخذ للماء ، كالزلف ، واحدها : مَصْنَعَة ، ومَصْنَع يحتفرها الناس فيملؤها ماء السماء فيشربونها . ويقال للقصور أيضاً : مصانع ^(٤) .

قال ابن عباس : هي الأبنية ^(٥) .

وقال مجاهد : قصوراً مشيدة ، وبنياناً مخلداً ^(٦) .

وقال الكلبي : مصانع : منازل ^(٧) .

-
- (١) في نسخة (أ) : (الجميع) ، وفي كتاب العين (صنع) ٣٠٥ / ١ : (وتجمع المصانع) .
 (٢) كتاب العين (صنع) ٣٠٥ / ١ ، ولم أجد قول الليث في تهذيب اللغة (صنع) ٣٧ / ٢ . وأما البيت فقد ذكره الأزهري منسوباً إلى لبيد ، وهو مطلع قصيدة يرثي بها أخاه : أريد ، وهي في الديوان ٨٨ بلفظ : بَلِينَا وَمَا تَبَلَى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ وتبقى الجبالُ بعدَنَا والمصانعُ
 (٣) مجاز القرآن ٨٨ / ٢ .
 (٤) تهذيب اللغة (صنع) ٣٧ / ٢ .
 (٥) قال ابن قتيبة : «المصانع : البناء ، واحدها مصنعة» . غريب القرآن ٣١٩ .
 (٦) تفسير مجاهد ٤٦٣ / ٢ ، وأخرجه ابن جرير ٩٥ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٩٤ / ٩ ، وأخرجه عبد الرزاق ٧٥ / ٢ «بلفظ : قصور ، وحصون» .
 (٧) تنوير المباس ٣١١ ، وذكر الهواري ٢٣٤ / ٣ عن الكلبي أن المراد : القصور ، وذكر البغوي ١٢٣ / ٦ عنه : الحصون .

وقال مقاتل : يعني القصور^(١) .

وذكر قتادة القولين ؛ أحدهما : القصور والحصون ، والثاني : مأخذ للماء^(٢) .

وقال سفيان : المصانع التي يكون فيها الماء^(٣) .

وقوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد كي تخلصوا^(٤) ، وهي اختيار الفرّاء ، والزّجاج ، وابن قتيبة . [قال الفرّاء : كيما يخلصوا^(٥) .

وقال الزّجاج : ومعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ؛ أي كي تخلصوا ؛ أي وتتخذون مباني للخلود^(٦) .

وقال ابن قتيبة^(٧) : وكأنهم كانوا يستوثقون من البناء والحصون ، ويذهبون إلى أنها تحصنهم من قدر الله^(٨) .

(١) تفسير مقاتل ٥٣ هـ ، وفيه : «يعني : القصور ليذكروا بها ، هذا منزل بني فلان ، وبني فلان» . واقتصر في الوجيز ٢/ ٧٩٣ على أن المراد بالمصانع : المباني والقصور .

(٢) أخرج القول الثاني عبدالرزاق ٢/ ٧٤ ، وابن جرير ١٩/ ٩٥ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٤ .

(٣) قال ابن جرير ١٩/ ٩٥ : «والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن المصانع جمع مصنعة ، والعرب تسمي كل بناء مصنعة ، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصوراً ، وحصوناً مشيدة ، وجائز أن يكون كان مأخذ للماء ، ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان ، ولا هو مما يدرك من جهة العقل ، فالصواب أن يقال فيه ما قال الله : إنهم كانوا يتخذون مصانع» .

(٤) ذكره عنه الثعلبي ٨/ ١١٤ ب ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٣٦ .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٨١ ، وذكره ابن جرير ١٩/ ٩٦ ، بقوله : «وكان بعض أهل العربية يزعم أن لعلكم في هذا الموضع بمعنى : كيما» ، ولم يسمه ، ولم يعلق عليه .

(٦) معاني القرآن للزّجاج ٤/ ٩٦ ، وفيه : «ومعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ؛ أي لأن تخلصوا» .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

(٨) غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٩ .

وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل : ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ كأنكم تخلدون^(١) في الدنيا لا تموتون^(٢) ، وهو قول الكلبي وأكثر المفسرين ، قالوا : يقول : كأنهم يخلدون^(٣) ، و(لعل) تأتي في الكلام بمعنى كأن ، قال يونس في قوله : ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف : ٦] معناه : كأنك فاعلٌ ذلك إن لم يؤمنوا^(٤) ، والمعنى على هذا أنهم كانوا قد جاوزوا في اتخاذ المصانع إلى الإسراف كأنهم يخلدون فيها فلا يموتون .

قال ابن الأنباري : وتكون : (لعل) بمعنى الاستفهام ، كقولك : لعلك تشتمني ، معناه : هل تشتمني^(٥) . وهذا مذهب ابن زيد في هذه الآية ، قال : (لعل)^(٦) استفهام يعني : فهل تخلدون حين تبنون هذه الأبنية^(٧) ؟ ويجوز أن يكون معنى (لعل) هاهنا : الترجي للخلود ، وكأنهم كانوا يرجون خلودهم في الدنيا لطول أعمارهم فاتخذوا الأبنية الشديدة^(٨) .

١٣٠ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ . قال المفسرون : بطشتم بالسيف والوسط^(٩) .

(١) (كأنكم تخلدون) ، في نسخة (ج) . ذكر البخاري عن ابن عباس : ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ : كأنكم .

الفتح ٤٩٦/٨ ، وهو كذلك في تنوير المقباس : ٣١١ ، ووصله ابن جرير ٩٦/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٩٥/٩ ، من طريق علي بن أبي طلحة ، وأخرجه ابن جرير عن قتادة أيضاً .

(٢) تفسير مقاتل ٥٣ أ .

(٣) تنوير المقباس : ٣١١ .

(٤) ذكره عن يونس ، الأزهرى في تهذيب اللغة (لعل) ١٠٦/١ .

(٥) ذكره عن ابن الأنباري ، الأزهرى في تهذيب اللغة (لعل) ١٠٦/١ .

(٦) في نسخة (أ) : (لعلك) .

(٧) أخرجه ابن جرير ٩٦/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٩٥/٩ ، وذكره الثعلبي ١١٤/٨ ب .

(٨) كون لعل للترجي ذكره الأزهرى عن ابن الأنباري بلفظ : «لعل يكون ترجياً ، ويكون بمعنى : كي» . تهذيب اللغة (لعل) ١٠٦/١ .

(٩) تفسير ابن جرير ٩٦/١٩ ، قال الكلبي : تقتلون على الغضب ، وقال غيره : ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ =

قال ابن عباس : يريد الضرب بالسياط والقتل بالسيف بغير حق^(١) .

وقال مقاتل : يقولون : إذا أخذتم قتلتم بغير حق^(٢) .

وقال ابن مسلم ، يقول : إذا ضربتم ضربتم بالسياط ، ضرب الجبارين ، وإذا عاقبتم قتلتم^(٣) . قال أبو إسحاق : وإنما أنكر ذلك عليهم لأنه ظلم ، فأما في الحق فالبطش بالسوط^(٤) والسيف جائز^(٥) .

ومعنى الجبار هاهنا : القتل بغير حق ، وهو قول المفسرين^(٦) .

١٣٢ . قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ؛ أي أعطاكم ما تعلمون من الخير^(٧) .

قال مقاتل : ثم أخبر بالذي أعطاهم ، فقال^(٨) :

بالسوط . معاني القرآن للفرأء ٢ / ٢٨١ ، ولم يسم أحدًا . وأخرج ابن أبي حاتم ٩ / ٢٧٩٥ عن مجاهد ، قال : ضرب السياط ، ونحوه عند السمرقندي ٢ / ٤٧٩ ، ولم ينسبه . قال الزجاج ٤ / ٩٦ : «جاء في التفسير أن بطشهم كان بالسوط ، والسيف» .

(١) أخرج ابن جرير ٩٦ / ١٩ عن ابن جريج : «قال : القتل بالسيف والسياط» .

(٢) تفسير مقاتل ٥٣ أ .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٩ .

(٤) في نسخة (ج) : (بالموت) .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ٩٦ ، وزاد المسير ٦ / ١٣٦ .

(٦) تنوير المقباس : ٣١١ ، وفي تفسير مقاتل ٥٣ أ : «الجبار من يقتل بغير حق» . وذكره السمرقندي

٢ / ٤٧٩ ، ولم ينسبه . وقسم ابن الأتباري الجبار إلى ستة أقسام ، هذا أحدها . الزاهر في معاني كلمات

الناس ١ / ٨١ .

(٧) تفسير مقاتل ٥٣ أ .

(٨) تفسير مقاتل ٥٣ أ .

١٣٣-١٣٥ . ﴿أَمَذَكُم بِأَنعَمِ﴾ إلى قوله : ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد إن عصيتموني ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يريد الذي أهلكوا به ^(١) ، ونحو هذا قال مقاتل : يعني في الدنيا ^(٢) ، وقال الكلبي : يعني عذاب النار ^(٣) .

١٣٦ . ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ . قال مقاتل : وعظت بالعذاب أم تركت ^(٤) ، وقال الكلبي : نهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا ^(٥) .

١٣٧-١٣٨ . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ . قال ابن عباس في رواية عطاء : ما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين ^(٦) ، وهذا قول السدي : قال دين الأولين .

وذكرنا الخلق بمعنى الدين عند قوله : ﴿فَلْيَغْيِرُ رَبُّكَ خُلُقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] ^(٧) ، وفيه قول آخر . قال مقاتل : ما هذا العذاب الذي تقول يا هود إلا كذب الأولين ^(٨) .

(١) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٩ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٣أ ، وتعظيم اليوم أبلغ من تعظيم العذاب . نظم الدرر ١٤/ ٧١ .

(٣) تنوير المقياس : ٣١١ ، وفي نسخة (ب) : (قال مقاتل الكلبي) ، وهو خطأ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٣أ .

(٥) تفسير الوسيط ٣/ ٣٥٩ ، وتنوير المقياس : ٣١١ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٢٣ .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٩/ ٩٧ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٧٩٧ ، من طريق علي بن أبي طلحة .

(٧) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : «قال ابن عباس : يريد دين الله . وهو قول إبراهيم ومجاهد والحسن والضحاك وقتادة والسدي وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ، ومعنى تغيير دين الله على ما ذكره أهل العلم هو أن الله تعالى فطر الخلق على الإسلام يوم أخرجهم من ظهر آدم كالذر ، وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم ، وآمنوا ، فمن كفر فقد غير فطرة الله التي فطر الناس عليها . . . » .

(٨) تفسير مقاتل ٥٣أ ، وفيه : أحاديث بدل : (كذب) .

وهو قول ابن مسعود : قال : شيء اختلقوه ^(١) .

وقال مجاهد : كذبهم ^(٢) . فخلِّق على هذا معناه الاختلاق والكذب ^(٣) ، كقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْلَقَ ﴾ [ص: ٧] ، وقوله : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ [العنكبوت: ١٧] ؛ أي تختلقونه ^(٤) ، وفيه قول آخر وهو قول قتادة ، قال : يقولون : هكذا خلقة الأولين ، وهكذا يحيون ، ويموتون ^(٥) .

قال الزَّجَّاج على هذا القول : أي خُلِقْنَا كما خُلِقَ مَنْ قَبْلَنَا نحيا كما حيوا ، ونموت كما ماتوا ، ولا نبعث ^(٦) .

وقال أبو علي : فخلِّق على هذا مصدر ، إن شئت قدرته تقدير الفعل المبني للمفعول ؛ أي خُلِقْنَا كما خلقوا ، قال : ويجوز أن يكون المصدر مضافاً إلى المفعول به ، ولا يقدَّر تقدير ^(٧) الفعل المبني للمفعول ^(٨) .

(١) في نسخة (ب) : زيادة : (فيه) ، بعد اختلقوه . وأخرجه ابن جرير ٩٨ / ١٩ إلى نهاية الآية بلفظ : شيء اختلقوه «وأخرج ابن جرير أيضاً ٩٧ / ١٩ عن ابن عباس : «أساطير الأولين» . وفي تنوير المقياس : ٣١١ : «اختلاق الأولين» .

(٢) تفسير مجاهد ٤٦٤ / ٢ ، وأخرجه ابن جرير ٩٧ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٩٧ / ٩ .

(٣) معاني القرآن للقرآن ٢٨١ / ٢ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٩٧ / ٤ ، واستدل ابن قتيبة بهذه الآية على أن الخلق يراد به : التخرص . تأويل مشكل القرآن ٥٠٦ ، وقال في غريب القرآن ٣١٩ : «أراد : اختلاقهم وكذبهم» ، وكذا أبو القاسم الزَّجَّاجي في اشتقاق أسماء الله ٢٨٦ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٣٦٥ / ٥ بنصه .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٧٥ / ٢ ، وعنه ابن جرير ٩٧ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٧٩٧ / ٩ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٩٧ / ٤ .

(٧) تقدير هكذا مكررة في النسخ الثلاث .

(٨) الحجة للقراء السبعة ٣٦٥ / ٥ .

وَقُرِئَ بَظْمِ الْخَاءِ وَاللَّامِ^(١). قَالَ الْفَرَّاءُ، وَالزَّجَّاجُ، وَابْنُ قَتَيْبَةَ، وَأَبُو عَلِيٍّ :
عَادَةُ الْأَوَّلِينَ^(٢).

وله تأويلان ؛ أحدهما : إنهم قالوا : ما هذا الذي نحن فيه إلا عادة الأولين
مِنْ قَبْلُنَا ، يَعِيشُونَ مَا عَاشُوا ، ثُمَّ^(٣) يَمُوتُونَ وَلَا بَعْثَ وَلَا حِسَابَ^(٤). والثاني :
ما هذا الذي أَنْكَرْتَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّأْنِ وَالْبَطْشِ إِلَّا عَادَةُ مَنْ قَبْلُنَا ، فَنَحْنُ عَلَى مَا
كَانُوا عَلَيْهِ نَقْتَدِي بِهِمْ .

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ عَلَى مَا نَفْعَلُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَرِيدُونَ أَنَّهُمْ أَمَّنُوا مَكْرَ
اللَّهِ ، فَكَذَّبُوهُ بِالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا^(٥). ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بِالرَّيْحِ^(٦).

١٤٦ . قوله : ﴿أَتَتَرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ﴾ . قَالَ مِقَاتِلٌ : يَعْنِي فِي مَا أَعْطَاهُمْ
اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِنَ الْمَوْتِ^(٧) .
وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : آمِنِينَ مِنْ أَنْ يَعَذَّبُوا^(٨) .

-
- (١) قرأ بضم الخاء واللام : نافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمة ، وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي :
(خَلَقَ) بفتح الخاء ، وتسكين اللام . انظر : السبعة في القراءات ٤٧٢ ، وإعراب القراءات السبع
وعملها ١٣٦ / ٢ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٥ ، والحجة للقراء السبعة ٣٦٥ / ٥ ، والنشر في
القراءات العشر : ٣٣٥ / ٢ .
- (٢) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٨١ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣١٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ٩٧ ،
والحجة للقراء السبعة ٣٦٥ / ٥ .
- (٣) في نسخة (ب) : (ويموتون) .
- (٤) الحجة للقراء السبعة ٣٦٥ / ٥ بمعناه .
- (٥) تفسير مقاتل ٥٣ أ بلفظ : «فكذبوه بالعذاب في الدنيا» ، وهو كذلك في النسخ جميعها .
- (٦) تفسير مقاتل ٥٣ أ ، وتنوير المقباس : ٣١١ .
- (٧) تفسير مقاتل ٥٣ أ ، قال ابن جرير ٩٩ / ١٩ : «آمنين لا تخافون شيئاً» . وفي تفسير الوسيط ٣ / ٣٦٠ ،
والوجيز ٢ / ٧٩٤ : «آمنين من الموت والعذاب» .
- (٨) تنوير المقباس ٣١٢ بمعناه .

قال مقاتل : ثم أخبر عن الخير ، فقال ^(١) :

١٤٧-١٤٨ . ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۖ ﴾ : طلوعها : ما يطلع منها ، يعني ثمرها ^(٢) .

وأما الهضيم فروى سلمة عن الفراء ، قال : هضيم ما دام في كوافيه ^(٣) ، قال : والهضيم : اللين ^(٤) ، والهضيم : اللطيف ^(٥) ، والهضيم : النضيج ^(٦) .

وقال أبو العباس في قوله : ﴿ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ ، قال : منهضم مدرِك ، قال : وقال ابن الأعرابي : هضيم مريء ، وهضيم ناعم ^(٧) .

وقال الزَّجَّاج : الهضيم الداخل بعضه في بعض ، وهو في ما قيل إن رُطْبَهُ بغير نوى ، وقيل : هو الذي يتهشم تهشماً ^(٨) .

وقال الليث : هضيم مهضوم في جَوْفِ الْجُفِّ ، مُنْهَضَمٌ فيه ^(٩) .

(١) تفسير مقاتل ٥٣ أ .

(٢) تنوير المقباس : ٣١٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٨٢ ، الكافور : وعاء الطلع . تهذيب اللغة (كفر) ١٠ / ٢٠٢ .

(٤) نسبة الماوردي ٤ / ١٨٢ إلى عكرمة .

(٥) نسبة الماوردي ٤ / ١٨٣ إلى الكلبي .

(٦) نسبة الماوردي ٤ / ١٨٣ إلى ابن عباس .

(٧) تهذيب اللغة (هضم) ٦ / ١٠٥ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٩٦ ، قال أبو عبيدة : ﴿ هَضِيمٌ ﴾ ؛ أي قد ضم بعضه بعضاً . مجاز القرآن ٢ / ٨٨ .

(٩) كتاب العين (هضم) ٣ / ٤١٠ . ونقله الأزهري في تهذيب اللغة ٦ / ١٠٥ ، الجف : الوعاء الذي تكون فيه ثمرة النخل . تهذيب اللغة (جف) ١٠ / ٥٠٦ ، وفي المعجم الوسيط ١ / ١٢٧ : الجف : كل ما خلا جوفه ، وهو أيضاً : غشاء الطلع .

وقال المبرد : الهضم : اللاصق بعضه ببعض ، وهو من قولك : هضمني حقي ؛ أي نقصني^(١) .

وقال ابن قتيبة : الهضم : الطلع قبل أن تنشق عنه القشرة وتفتح ، يريد أنه منضم مُكْتَبَرٌ ، ومنه قيل : رجل أهضم الكشَّحِينَ إذا كان مُنْضَمَّهْمَا^(٢) .

قال ابن عباس : هضم : لطيف ما دام في كفراه^(٣) . [وقال عطاء ، عنه : رُخْص^(٤) . وقال عطية عنه : يانع نضيج^(٥) .

وقال الكلبي : لين لطيف^(٦) ما دام في كفراه^(٧) فإذا خرج فليس بهضم^(٨) . وقال مقاتل : متراكب بعضه على بعض في الكثرة^(٩) .

قال مجاهد : يتهشم تهشماً^(١٠) .

(١) في غريب القرآن في شعر العرب ١٠٣ عن ابن عباس : «متصل بعضه إلى بعض» . قال السيوطي : «أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس ، أن نافع بن الأزرق ، قال له : أخبرني عن قوله عز وجل : ﴿طَلَعَهَا هُضِيمٌ﴾ قال : منضم بعضه إلى بعض» . الدر المنثور ٦ / ٣١٤ ، ولم أجده عندهما .
(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٣١٩ ، الكشَّح : ما بين الخاصرة والضلوع . تهذيب اللغة (كشح) ٨٧ / ٤ ، والخاصرة من الإنسان : ما بين رأس الورك وأسفل الأضلاع ، وهما خاصرتان . المعجم الوسيط (خصر) ١ / ٢٣٧ .

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٨ / ١١٥ ، والبغوي ٦ / ١٢٤ .

(٤) الرِّخْصُ : الناعم من كل شيء ، والثوب الرخيص : الناعم . كتاب العين (رخص) ٤ / ١٨٤ ، وتهذيب اللغة ٧ / ١٣٤ .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٨ / ١١٥ ، والماوردي ٤ / ١٨٣ ، والبغوي ٦ / ١٢٤ ، وأخرجه عنه ابن جرير ٩٩ / ١٩ ، بلفظ : «أينع وبلغ فهو هضم» .

(٦) تنوير المباس ٣١٢ ، وأخرجه عنه عبدالرزاق ٢ / ٧٥ «بلفظ : الهضم : اللطيف» .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٨) ذكر الهواري ٣ / ٢٣٥ عن الكلبي : «لطيف ، وهو الطلع ما لم ينشق» .

(٩) تفسير مقاتل ٥٣ ، أخرجه ابن جرير ١٩ / ١٠٠ عن الضحاك .

(١٠) تفسير مجاهد ٢ / ٤٦٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٠٢ .

وقال عكرمة : الهضم الرِّخَص الذي إذا مسسته تهشم ^(١) .

وقال الحسن : هضم ليس فيه نوى ^(٢) .

وقال يزيد بن زيد : هو المُذَنَّب ^(٣) ، وهو قول زيد بن أرقم روي أنه أكل رُطَبًا ^(٤) مُذَنَّبًا ، وقال : هذا الهضم ^(٥) .

هذا الذي ذكرنا هو قول أهل اللغة والتفسير في معنى الهضم ، وكله متقارب يرجع إلى معنى واحد ؛ لأن الهضم معناه في اللغة ^(٦) : كَسَرُ ما فيه رخاوة ولين . تقول : هضمته فانهضم كالحَصْبَةِ المَهْضُومَةِ التي يُزَمَّرُ بها ^(٧) ، والهضم بمعنى المهضوم فيدخل في هذا اللين ، واللطيف ، والرِّخَص ، واليانع ، والنضيج ، والمنضم ، والمتراكب ؛ لأنه إذا تراكب صار كأن كل واحد قد نقص منه شيء ، وكذلك : المنهشم . ويكون الهضم بمعنى النقصان وهو نوع من الكسر ، يقال :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٠٢/٩ عن مجاهد ، وأخرج ابن جرير ١٩/١٠٠ عن عكرمة : «الهضم : الرطب اللين» . ذكر النحاس عن الزهري : «الرخص اللطيف ، أول ما يطلع ، وهو الطلع النضيد ؛ لأن بعضه فوق بعض» . إعراب القرآن ٣/١٨٧ ، وذكره ابن عطية ١١/١٣٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٠١/٩ ، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر . الدر المنثور ٦/٣١٥ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها : (يزيد بن زيد) . أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٠١/٩ عن أبي العلاء ، وأبي ميسرة ، ويزيد بن راشد ، وسعيد بن جبير ، وأخرجه بسنده الثعلبي ٨/١١٥ عن أبي العلاء ، وذكره الماوردي ٤/١٨٢ ، وابن الجوزي ٦/١٣٨ عن سعيد بن جبير . قال القرطبي ١٣/١٢٨ : وروى أبو إسحاق عن يزيد ، وهو ابن أبي زياد كوفي ، ويزيد بن أبي مريم شامي . انظر : ترجمته في تهذيب التهذيب ١١/٢٨٧ ، رقم ٥٣١ . فراجع .

يقال للبصرة إذا بدأت تُرطب من قَبْلِ ذنبها : قد تذنبت ، فهي مُذَنَّبَةٌ . تهذيب اللغة (ذنب) ١٤/٤٤٠ . (رطباً) ساقطة من نسخة (ج) .

(٥) في نسخة (ج) زيادة : (وقال) ، والصواب حذفها .

(٦) في اللغة) ، في نسخة (ج) .

(٧) كتاب العين (هضم) ٣/٤٠٩ بنصه ، ونقله عنه الأزهري ٦/١٠٤ ، وتصحفت فيه إلى : يُرمى بها . وهي كذلك في النسخ الثلاث . والقصب : كل نبت ساقه أنابيب . تهذيب اللغة (قصب) ٨/٣٨١ .

هَضَمَ له من حقه إذا كَسَرَ له منه . واللطيف في وصف الثمر هو الرقيق الجسم ،
سُمِّي هَضِيماً لنقصانه ^(١) ، كما يقال : هَضِيم الحَشَا ^(٢) .

١٤٩ . وقوله تعالى : ﴿وَتَنَحُّتُونَ مِنْ أَلْبَاجَالِ بُيُوتًا فَرَهِينَ﴾ . قال عطاء عن
ابن عباس : حاذقين بنحتها ^(٣) ، وكذلك قال الكلبي ، ومقاتل ، وأبو
صالح ، والفرَّاء : فارهين حاذقين ^(٤) ، وهو من قولهم . فَرَّه الرجلُ
فَرَاهَةً فهو فَارَةٌ بَيِّنُ الفَرَاهَةِ والفَرَاهِيَةِ .

وَقُرِّئَ : ﴿فَرِهَيْنَ﴾ ^(٥) . قال ابن عباس : أشرين بطرين ^(٦) ، ونحو هذا قال
أهل اللغة في تفسير الفَرِه . قال أبو عبيدة : فرهين : فرحين ^(٧) .

(١) في تهذيب اللغة (لطف) ٣٤٧/١٣ : لَطَفَ الشيء يَلُطِفُ : إذا صَغُرَ .

(٢) وذهب إلى هذا الجمع ابن جرير ١٠٠/١٩ ، قال : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : الهضم
هو المنكسر من لينه ورطوبته ، وذلك من قولهم : هضم فلان فلاناً حقه : إذا انتقصه وتحيفه ، فكذلك
الهضم في الطلع إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه ، إمّا بمس الأيدي ، وإمّا بركوب بعضه بعضاً ،
وأصله (مفعول) صرف إلى : (فعليل) ، والحشا : ما في البطن من الكبد والطحال والكرش وما يتبع
ذلك ، كله حشاً ، وقيل غير هذا » . تهذيب اللغة (حشا) ١٣٨/٥ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٠٠/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٨٠٢/٩ من طريق علي بن أبي طلحة .

(٤) تفسير مقاتل ٥٣أ ، وتنوير المقباس ٣١٢ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/٢٨٢ ، ومجاز القرآن ٢/٨٨ ،
وأخرجه بسنده عبدالرزاق ٢/٧٥ عن قتادة والكلبي بلفظ : «معجبين بصنعكم» ، وذكره ابن قتيبة
من دون نسبة . غريب القرآن ٣٢٠ ، وأخرجه ابن جرير ١٠٠/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٨٠٢/٩ عن
أبي صالح .

(٥) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع : (فرهين) بغير ألف ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي
﴿فَرِهَيْنَ﴾ بالألف . انظر : السبعة في القراءات ٤٧٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/١٣٧ ،
والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥/٣٦٦ ، والنشر في القراءات
العشر ٢/٣٣٦ .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٠١/١٩ بلفظ : (أشرين) ، وذكره عنه البغوي ٦/١٢٤ بلفظ : (أشرين بطرين) .

(٧) مجاز القرآن ٢/٨٨ ، ولم ينسبه ، بل قال : وقال آخرون . ونسبه الماوردي ٤/١٨٣ إلى ابن شجرة .

وقال الفرّاء : أشرين ^(١) .

قال أبو الهيثم : من قرأ : ﴿فَرِهَيْنَ﴾ فسّر وها : أشرين بطرين ، والفَرِحَ في كلام العرب بالحاء : الأثر البطر ، يقال : لا تفرح ؛ أي لا تأثر ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص : ٧٦] . فالهاء هاهنا قامت مقام الحاء ^(٢) . وقال ابن قتيبة : يقال الهاء مبدلة من حاء ، فذكر نحو قول أبي الهيثم ، واحتج بالآية .

وقد يقال في الفَرِه بمعنى الفَرِح : الفاره ، كما يقال : الفارح ^(٣) .

قال أبو عبيدة : يقال فرهين وفارهين بمعنى مرحين ، وأنشد فقال :

لا أستكينُ إذا ما أزمَةُ أَزَمْتُ ولنْ تراني بخيرٍ فَاَرَهُ اللَّبِّبِ ^(٤)

قال : أي لا تراني مرحاً ، ونحو هذا ذكر المفسرون في تفسير الفرهين ، فقال مجاهد : شرهين ^(٥) .

وقال قتادة : معجبين ^(٦) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٨٢ .

(٢) تهذيب اللغة (فره) ٦ / ٢٧٩ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٤٩١ ، وغريب القرآن ٣١٩ ، ويعني بقوله : واحتج بالآية : آية القصص : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ ، حيث ذكرها في الكتابين .

(٤) أنشده أبو عبيدة ٢ / ٨٩ ، ونسبه إلى عدي بن وداع العُقوي ، وعنه ابن الأنباري في الزاهر ٢ / ٣٣٠ ، ولم ينسبه ، وأبو علي في كتابه الحجة ٥ / ٣٦٦ ، ولم ينسبه أيضاً . وأنشده ابن جرير ١٩ / ١٠١ ، ونسبه إلى عدي بن وداع ، وفيه : الطلب ، بدل : (اللب) واللبب : البال . لسان العرب (لبب) ١ / ٧٣٣ .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٩ / ١٠١ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٠٢ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢ / ٧٥ ، وعنه ابن جرير ١٩ / ١٠١ .

وقال السدّي : متجبرين^(١) . والشره ، والإعجاب ، والمرح ، والتجبر كله نتائج الفرح والأشر .

وروي عن عكرمة : ناعمين^(٢) ، وهو وهم ؛ لأن^(٣) الذي هو بمعنى النعيم الرائ فيه مقدّم على الفاء من الرفاهية ، وروي في فارهين ، عن عطية ، وعبدالله بن شداد ، أنها قالا : يتخيرون مواضع نحتها^(٤) ، وهذا أيضاً يعود إلى الحذق ، والعلم بالبحث .

وقال ابن زيد : (فارهين) : أقوىاء^(٥) . وشرط الحذق القوة على العمل .

١٥١ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ﴾ . قال ابن عباس : المشركين^(٦) ، وقال الكلبي : المسرفين في الشرك^(٧) .

وقال مقاتل : ولا تتبعوا قول المشركين ، يعني التسعة الذين عقروا الناقة ، ثم نعتهم^(٨) ، فقال^(٩) :

-
- (١) أخرجه ابن جرير ١٠٠/١٩ عن السدّي ، عن عبدالله بن شداد .
 (٢) نسبه القرطبي ١٢٩/١٩ إلى الكلبي .
 (٣) في نسخة (ب) : (لأنه) ، وهو خطأ .
 (٤) أخرجه ابن جرير ١٠٠/١٩ عن عبدالله بن شداد من طريقين : يتجبرون ، ولم أجد فيه نسبته إلى عطية .
 (٥) أخرجه ابن جرير ١٠١/١٩ .
 (٦) ذكره عنه البغوي ١٢٤/٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٠٨٣/٩ عن قتادة .
 (٧) تنوير المقياس : ٣١٢ .
 (٨) في نسخة (ب) : (ثم نعت التسعة) ، وما في تفسير مقاتل موافق لنسخة (أ) و(ج) .
 (٩) تفسير مقاتل ٥٣ .

١٥٢. ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ : يعصون الله ، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ : ولا يطيعون الله ^(١) في ما أمرهم ^(٢) .

١٥٣. ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ . قال مجاهد : من المسحورين ^(٣) ، وهو قول قتادة ^(٤) . قال الزَّجَّاج : مُسَحَّرِينَ : مفعلين من السَّحَر ؛ أي ممن سُحر مرة بعد مرة ^(٥) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي : من المخلوقين ^(٦) ، المعللين بالطعام والشراب ^(٧) .

(١) في نسخة (أ) و(ج) : (يطيعونه) .

(٢) تفسير مقاتل ٥٣ ب .

(٣) تفسير مجاهد ٤ / ٤٦٤ ، وأخرجه ابن جرير ١٩ / ١٠٢ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٠٨٤ .

(٤) أخرجه بسنده عبد الرزاق ٢ / ٧٥ بلفظ : (الساحرين) ، وعنه ابن جرير ١٩ / ١٠٢ بلفظ : (المسحورين) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٩٧ ، في نسخة (أ) و(ب) : (إنك تأكل الطعام والشراب . وليس فيه ممن سحر مرة بعد مرة ، ولعل ذلك تكرر لما بعده .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٩ / ١٠٢ .

(٧) تفسير الثعلبي ٨ / ١١٥ ب ، وتفسير البغوي ٦ / ١٢٤ ، واختار هذا القول ابن جرير ١٩ / ١٠٣ ، فقال : «والصواب من القول في ذلك عندي : القول الذي ذكرته عن ابن عباس أن معناه : إنها أنت من المخلوقين الذين يُعلَّلون بالطعام والشراب مثلنا ، ولست ربّاً ، ولا ملكاً فنطيعك ، ونعلم أنك صادق في ما تقول» .

قال الفرّاء : أي إنك تأكل الطعام والشراب ، وتسحر به وتعلّل ، وأنشد للبيد :

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عسافير من هذا الأنام المسحّر^(١)
المسحّر : المعلّل بالطعام والشراب مرة مرة ، يقال : سحّره ؛ أي علّله .
والمعنى : إنما أنت بشر . وذكر الفرّاء قولاً آخر ، فقال : المسحّر : المجوف ، كأنه
والله أعلم من قولك : انتفخ سحره^(٢) . قالوا له : لست بملك إنما أنت بشر
مثلنا^(٣) ، وعلى هذا سُمّي المجوف مسحراً تشبيهاً بالسحرة إذا انتفخ فصار مجوفاً
على ما زعم الفرّاء . وذكر أبو عبيدة والزجاج قولاً آخر في ﴿المُسْحَرِينَ﴾ . قال أبو
عبيدة : أي ممن له سحر ، وكل دابة مُسَحَّرَة^(٤) .

وقال الزجاج : أي ممن له سحر ، والسحّر : الرثة ؛ أي أنت بشر مثلنا^(٥) ،
وعلى هذا : المُسَحَّر ذو السحر ، وهو الذي خُلِق له سحر .

قال مقاتل : قالوا : أنت بشر مثلنا لا تفضلنا في شيء لست بملك ولا
رسول^(٦) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٨٢ ، ولم ينسب البيت . وأنشده أبو عبيدة ٢/ ٨٩ ، ونسبه إلى لبيد بن ربيعة ،
وذكره السمرقندي في تفسيره ٢/ ٤٨١ من إنشاد ابن عباس ، وذكره الثعلبي ٨/ ١١٥ من إنشاد
الكلبي وأنشده ابن الأنباري ، ونسبه إلى لبيد . الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٢٠٦ . والبيت من
قصيدة للبيد يذكر فيها مَنْ فقد من قومه ، ومن سادات العرب ، ويتأمل في سطوة الموت ، وضعف
الإنسان إزاءه . ديوان لبيد ٧١ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٨٢ .

(٣) هذا القول في تنوير المقباس : ٣١٢ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٨٩ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٩٧ .

(٦) تفسير مقاتل ٥٣ ب .

١٥٤ . ﴿ فَأَتِ بِثَايَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ أَنْكَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْنَا ^(١) . وقال ابن عباس : إنهم سألوه فقالوا : إن كنت صادقاً فادعُ الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عُشراء فتضع ونحن ننظر ، وتَرِدُ هذا الماء فتشرب ، وتغدو علينا بمثله لبناً ! قال أبو الطفيل : لما قيل له ذلك خرج بهم إلى هَضْبَةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فإذا هي تَمَخَّضُ كَمَا تَمَخَّضُ الْحَامِلُ فانشقت عن الناقة ^(٢) .

١٥٥ . ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ ﴾ : الشِّرْبُ : الحظ والنصيب من الماء ^(٣) ، والمعنى : لها شرب يوم ، ولكم شرب يوم معلوم .

قال قتادة : إذا كان يومُ شربها شربت ماءهم كله أول النهار ، وتسقيهم اللبن آخر النهار ، وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وأراضيهم ، ليس لهم في يوم وزدها أن يشربوا من شربها شيئاً ، ولا لها أن تشرب في يومهم من مائهم شيئاً ^(٤) .

وقال مقاتل : كان للناقة يوم ولهم يوم ، فإذا كان يوم الشرب للناقة ^(٥) كانوا ^(٦) في لبن ما شاءوا ، وليس لهم ماء ، وإذا كان يومهم لم يكن للناقة ماء ^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٥٣ ب .

(٢) ذكره في تفسيره الوسيط ٣/ ٣٦٠ من قول ابن عباس فقط . وهذا القول في تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٥ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٤ عن أبي الطفيل . المَخَاضُ : وَجَعُ الْوَلَادَةِ ، وَهُوَ الطَّلُقُ أَيْضاً . تهذيب اللغة (خض) ١٢١/ ٧ .

(٣) معاني القرآن للقرءاء ٢/ ٢٨٢ ، ولفظه : «لها حظ من الماء» ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٠ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١١٥ ب .

(٤) تفسير الوسيط ٣/ ٣٦٠ ، وذكر نحوه عن قتادة ابن الجوزي ٦/ ١٣٩ .

(٥) في نسخة (ج) : (يوم شرب الناقة) .

(٦) في نسخة (أ) و(ب) : (كان) .

(٧) تفسير مقاتل ٥٣ ب .

وبالباقي [١٥٦-١٦٤] بعضه مُفسَّر في ما مضى ، وبعضه ظاهر إلى قوله :

١٦٥ . ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ﴾^(١) : وهو جمع الذَّكَر ضد الأنثى ، ويجمع على الذُّكَارَة والذُّكور والذُّكران والذُّكورة^(٢) .

قال مقاتل : يعني نكاح الرجال^(٣) .

وقوله : (من العالمين) : يعني من بني آدم خاصة^(٤) .

١٦٦ . ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ : يعني فروج نسائهم^(٥) . وقال مجاهد : تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال^(٦) . ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ : ظالمون معتدون الحلال إلى الحرام ، والطاعة إلى المعصية^(٧) .

١٦٧ . ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ : لئن لم تسكت^(٨) يا لوط . ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ : من بلدتنا وقريتنا كقولههم لشعيب : ﴿لَنُخْرِجَكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨] .

(١) الاستفهام هنا يراد به التوبيخ . تأويل مشكل القرآن ٢٧٩ .

(٢) تهذيب اللغة (ذكر) ١٠ / ١٦٤ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٣ ب .

(٤) تفسير ابن جرير ١٩ / ١٠٥ ، وتفسير البغوي ٦ / ١٢٦ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٣ ب .

(٦) تفسير مجاهد ٢ / ٤٦٥ ، وأخرجه ابن جرير ١٩ / ١٠٥ (بزيادة : وأدبار النساء) ، وهو كذلك عند ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٠٨ .

(٧) تفسير الوسيط ٣ / ٣٦١ ، غير منسوب ، وتنوير المقباس : ٣١٣ ، وأخرج ابن جرير ١٩ / ١٠٥ عن ابن جريج : «عادون : معتدون» . وتفسير السمرقندي ٢ / ٤٨١ .

(٨) تفسير مقاتل ٥٤ أ .

١٦٨ . ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ﴾ . قال مقاتل : يعني إتيان الرجال ﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾ من الماقتين ^(١) ، وقال ابن عباس : من المبغضين ^(٢) . والقلَى : البُغْض ، قَلَيْتُهُ ، أَقْلِيهِ ، قَلَى ^(٣) ، ثم دعا فقال :

١٦٩ . ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ؛ أي من عذاب ما يعملون ، يدل عليه أن الاستجابة من الله كانت في نجاته من عذاب ذنوبهم . قال المفسرون : أي من عقوبة صنيعهم ^(٤) .

١٧٠ . ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ . قال مقاتل : من العذاب ^(٥) .

وقال ابن عباس : إن الله نجى لوطاً وبناته ^(٦) .

١٧١ . ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ : يعني امرأته ^(٧) . ﴿فِي الْغَيْرِينَ﴾ : يعني في الباقيين في العذاب ^(٨) .

(١) تفسير مقاتل ٥٤ أ .

(٢) تنوير المقباس : ٣١٣ ، واقتصر عليه ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٠ .

(٣) تهذيب اللغة (قلا) ٩ / ٢٩٥ ، قال الزَّجَّاج ٩ / ٩٩ : «والقالي : التارك للشيء الكاره له غاية الكراهية» .

(٤) تفسير ابن جرير ١٩ / ١٠٦ بمعناه .

(٥) لم أجده في تفسير مقاتل .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٠٩ في سياق طويل .

(٧) تفسير مقاتل ٥٤ أ ، وتنوير المقباس : ٣١٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٠٩ عن قتادة .

(٨) تفسير مقاتل ٥٤ أ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٠٩ عن قتادة . قال ابن الأنباري : «الغابر حرف من الأضداد . يقال : غابر للماضي ، وغابر للباقي» . الأضداد ١٢٩ ، والزاهر ٢ / ٣٢٤ .

١٧٢. ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ : أهلكتناهم بالخسف والحصب^(١) . قال ابن عباس : [إن الله دمر]^(٢) على جميع قومه ؛ لأنه لم يصدقه أحد منهم ، ولم يؤمن بما جاء به .

١٧٣. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ . قال ابن عباس : أمطر الله عليهم حجارة من سماء الدنيا وأسماها : ﴿سَجِيلٍ﴾^(٣) ، وقال مقاتل : خسف الله بقرى لوط ، وأرسل الحجارة على من كان خارجاً من القرية^(٤) .

وقوله : ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ : فبئس مطر الذين أنذروا بالعذاب^(٥) .

قال صاحب النظم : (ساء) مثل (بئس) في المعنى ، وهو يقتضي اسمين ؛ معرفة ونكرة ، ويجوز إفراده بأحد الاسمين كقوله : ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ . ولو ذُكر الاسمان لكان نظمه^(٦) ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ مطراً .

١٧٦. قوله : ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمِرْثَلِ﴾ . قال ابن عباس : يريد شعيباً وحده . والأليك : شجر الدَّوْمِ التي بمدينة^(٧) ، وقال مقاتل : كان أكثر شجرهم الدَّوْمُ ، وهو : المُقْلُ^(٨) ، وقال أبو إسحاق : هؤلاء كانوا

(١) تفسير مقاتل ٥٤ أ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٣) وردت هذه الكلمة في ثلاث آيات : [هود : ٨٢] و[الحجر : ٧٤] و[الفيل : ٤] . انظر : ما ذكره الواحدي عن سجيل في سورة هود .

(٤) تفسير مقاتل ٥٤ أ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨١ ، نحوه عن ابن عباس . وتفسير هود الهواري ٣ / ٢٣٨ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٤ أ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٧) أخرجه ابن جرير ١٩ / ١٠٧ من طريق علي بن أبي طلحة بلفظ : (الأليكة : مجمع الشجر) ، ومن طريق ابن جريج بلفظ : (أهل مدين ، والأليكة : الشجر الملتف) .

(٨) تفسير مقاتل ٥٤ أ ، في تهذيب اللغة (دام) ١٤ / ٢١٢ : الدَّوْمُ : (شَجَرُ الْمُقْلِ ، الواحدة : دَوْمَةٌ) ، وفي تهذيب اللغة (مقل) ٩ / ١٨٥ : (الْمُقْلُ : حَمْلُ الدَّوْمِ ، والدَّوْمُ شجرة تشبه النخلة) .

أصحاب شجر مُلْتَفٍّ^(١) . وذكرنا تفسير ﴿الْأَيْكَةِ﴾ عند قوله : ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَبُ الْأَيْكَةِ لَغُلَّامِينَ﴾ [الحجر: ٧٨] .

قال^(٢) : قرأ الحجازيون : (أصحاب ليكة) هاهنا وفي ص^(٣) ، بغير همزة ، والهاء مفتوحة^(٤) .

قال أبو علي الفارسي : ﴿الْأَيْكَةِ﴾ تعريف أيكة ، فإذا خففت الهمزة حذفها ، وألقيت حركتها على اللام فقلت : ليكة ، كما قالوا حَمَرَ . وقول من قال : أصحاب ليكة ، بفتح التاء مشكل^(٥) ؛ لأنه فتح التاء مع إلحاق الألف واللام الكلمة ، وهذا في الامتناع كقول من قال : مررت بِلَحْمَرٍ فَفَتَحَ الآخر مع إلحاق لام المعرفة^(٦) . وإنما يُخْرِجُ قول من قال : أصحاب ليكة على أن تكون هذه اللام فاءً ، ولا تكون لام التعريف ، ويكون^(٧) ذلك الموضع يعرف لهذا الاسم ، فإن لم يثبت هذا كان مشكلاً ولم أسمع بها .

(١) معاني القرآن للزجاج ٩٧/٤ ، وصدّره بقوله : «ويقال في التفسير» . قال أبو عبيدة ٩٠/٢ : «وجمعها : أيك ، وهي جماع من الشجر» .

(٢) قال ، في نسخة (ب) : (ولعلها زائدة) .

(٣) في قوله تعالى : ﴿وَمُؤَدُّوْهُمْ لَوْ طَرَ وَأَصْحَبُ لَيْكَةٍ أُولَئِكَ الْأَخْزَابُ﴾ [ص: ١٣] .

(٤) قال ابن الجزري : «قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر : ﴿أَصْحَبُ لَيْكَةٍ﴾ هاهنا ، وفي : ص ، بلام مفتوحة من غير ألف وصل قبلها ، ولا همزة بعدها ، ويفتح تاء التأنيث في الوصل ، مثل : حيو ، وطلحة ، وكذلك رسماً في جميع المصاحف ، وقرأ الباقون بألف الوصل مع إسكان اللام ، وهمزة مفتوحة بعدها ، وخفض تاء التأنيث في الموضعين . انظر : النشر في القراءات العشر : ٣٣٦/٢ ، والسبعة في القراءات ٤٧٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٣٧/٢ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٥ ، والحجة للقراء السبعة ٣٦٧/٥ .

(٥) (مشكل) في نسخة (أ) و(ب) .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٣٦٧/٥ بمعناه .

(٧) في نسخة (ج) : (فيكون) .

قال أبو إسحاق : وكان أبو عبيد^(١) يختار هذه القراءة لموافقتها الكتاب ؛ وذلك أن في هذه السورة وفي ص ، كتبت في المصحف (ليكة) بغير همز ولا ألف وصل^(٢) مع ما جاء في التفسير أن اسم المدينة كان ليكة^(٣) .

قال أبو علي : إن ما في المصحف من إسقاط [ألف الوصل التي مع اللام وإسقاط]^(٤) صورة همزة ليكة لا يدل على صحة ما اختاره ؛ وذلك أنه يجوز أن يكون كُتِبَ في المصحف على تخفيف الهمزة^(٥) ، ونقل الحركة^(٦) ، وقول من قال : لَحْمَرًا كما كتبوا ﴿الْحَبَّةُ﴾ [النمل: ٢٥] على ذلك ، فإذا جاز إسقاط ألف الوصل على هذه^(٧) اللغة مع تخفيف الهمزة ونقل الحركة^(٨) ثبت أن ما اختاره لا يدل عليه^(٩) خط المصحف ، ويجوز أيضاً أن تكون الكتابة في هذين الموضعين وقعت على اللفظ^(١٠) ؛ فكما أنه لا ألف ثانية في اللفظ مع تخفيف الهمزة في الأيكة كذلك

(١) في النسخ جميعها : (أبو عبيدة) . قال الزَّجَّاج في هذا الموضع ٩٨ / ٤ : « وكان أبو عبيد القاسم بن سلام يختار قراءة أهل المدينة » .

(٢) في نسخة (ب) : (بغير همز وصل) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٩٨ / ٤ ، وذكر قول أبي عبيد النحاس في إعراب القرآن ٣ / ١٩٠ ، وكذا السمين الحلبي في الدر المصون ٨ / ٥٤٤ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٥) في نسخة (أ) و(ب) ، زيادة : [ونقل الحركة ، ثبت أن ،] وليست في كتاب أبي علي .

(٦) (ونقل الحركة) . في نسخة (ب) . وفي إعراب القرآن للنحاس ٣ / ١٩٠ : « والقول فيه أن أصله : الأيكة ثم خففت الهمزة فألقيت حركتها على اللام وسقطت واستغنت عن ألف الوصل ؛ لأن اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا إلا الخفض ، كما تقول : مررت بالأحمر ، على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول : مررت بلَحْمَر ، فإن شئت كتبت في الخط كما كتبت أولاً ، وإن شئت كتبت بال حذف ، ولم يجوز إلا بالخفض فكذا لا يجوز في الأيكة إلا الخفض ، قال سيبويه : واعلم أن كل ما لا ينصرف إذا دخلته الألف واللام أو أضيف انصرف إذا دخلته ، ولا نعلم أحداً خالف سيبويه في هذا » .

(٧) في كتاب الحجة : (لهذا) ، بدل : (على هذه) .

(٨) قوله : (ونقل الحركة) غير موجود في كتاب الحجة .

(٩) يوجد هنا تكرار في نسخة (أ) ، وحذفته ليستقيم المعنى .

(١٠) في كتاب أبي علي : (الوصل) ، بدل : (اللفظ) .

[لم تكتب في الخط^(١)] ، وهذان وجهان في حذف ألف الوصل من الخط ، ومثله في أنه كُتب مرة على اللفظ ، وأخرى على غيره كتابتهم : ﴿سَنَدُّ الزَّيْنَةِ﴾ [العلق : ١٨] بغير واو لما لم تثبت في اللفظ ، وكتبت^(٢) في : ﴿وَيَدْعُ الْأَشْنُ بِالْشَّرِّ﴾ [الإسراء : ١١] بالواو ، فإذا جاز هذا فيه علمت أن الاختيار مدخول ، ويدل على ضعف الاختيار أن سائر القرآن غير هذين الموضعين عليه . ويدل على فساد ذلك أيضاً همز من همز ، فقال : (الأيكة) فإذا ثبت هذا علمت أن (ليكة) على تخفيف الهمز ، وأن فتح (ليكة) لا يصح في العربية ؛ لأنه فتح حرف الإعراب في موضع الجر مع لام المعرفة . انتهى كلامه^(٣) .

وقوله : جاء في التفسير أن اسم المدينة ليكة ، لم أر هذا في تفسير ، وكيف يجوز ذلك مع إجماع القراء على الهمز في قوله : ﴿وَلِنْ كَانَ أَصْحَبُ الْأَيْكَةِ﴾ في [الحجر : ٧٨] . والأيكة التي ذكرت هناك هي التي ذكرت هاهنا ، وقد روى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : (ليكة) ، قال : الأيكة . فدل هذا أن ليكة على التخفيف ونقل الحركة ، لا على أن اسم المدينة ليكة ، مع ما حكينا عن ابن عباس ومقاتل في هذه الآية أنها فسرا الأيكة بالشجرة الغيضة^(٤) لا بالمدينة والبلد^(٥) .

١٧٧ . قوله : ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ ، وقال في موضع آخر : ﴿وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ﴾ [الأعراف : ٨٥ ، وهود : ٨٤] ، ولم يقل في هذه السورة : إذ قال لهم أخوهم شعيب كما قال في سائر الأنبياء .

-
- (١) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .
 (٢) وكتبت في نسخة (ج) .
 (٣) الحجة للقراء السبعة ٣٦٧ / ٥ ، ونحوه في معاني القرآن للزجاج ٩٨ / ٤ .
 (٤) (الغيضة) في نسخة (أ) ، وفي (ج) : (والغيضة) . أخرجه ابن جرير ١٠٧ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٨١٠ / ٩ عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة . وتفسير مقاتل ٥٤ أ .
 (٥) في نسخة (ب) : (البلدة) . وقد أنكر هذا ، النحاس في إعراب القرآن ١٨٩ / ٣ قبل الواحدي .

قال المفسرون : شعيب كان من مدين ؛ لأنه شعيب بن بويب بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن ، ولم يكن من أصحاب الأيكة ، وكان مبعوثاً إليهما ، فإذا ذكر مدين ، قيل : أخوهم ، وإذا ذكر أصحاب الأيكة لا يقال أخوهم^(١) ، وهذا معنى قول ابن عباس في هذه الآية : إن شعيباً بعث إلى قومه ، وإلى غير قومه ، وهو من ولد مدين بن إبراهيم ، وأصحاب الأيكة من جُذَام^(٢) .

قال المفسرون : الفائدة في أن الله تعالى ذكره أخبر عن كل شيء ، ذكر في هذه السورة أنه قال لقومه : ﴿ أَلَا نُنْفِئُكُمْ ﴾^(٣) إِنْ كُنْتُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿ ١٧٦ ﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^(٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ١٧٧ ﴾ ، وأعاد هذا بلفظ واحد [هي أنه أخبر أن هؤلاء الأنبياء دعوتهم كانت^(٣) على وجه واحد]^(٤) ، وأنهم كانوا

(١) تفسير مقاتل ٥٤ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١١٥ ب ، وتفسير الطوسي ٨ / ٥٧ ، وتفسير البغوي ٦ / ١٢٦ ، وذكر السمرقندي في تفسيره ٢ / ٤٨٢ ، هذا القول ، ثم قال : « وقال بعضهم : كان مدين والأيكة واحداً ، وهو الغيضة بقرب مدين ، فذكره في موضع أخوهم ، ولم يذكره في الآخر » . وقيل : أصحاب الأيكة مدين ، ولكنه قال أخوهم حين ذكرهم باسم قبيلتهم ، ولم يقل أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها تنزياً لشعيب عن النسبة إليها . تفسير ابن جزي ٤٩٦ ، قال ابن كثير ٦ / ١٥٨ : « أصحاب الأيكة هم أهل مدين على الصحيح ، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم ، وإنما لم يقل هاهنا : أخوهم شعيب ؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة ، وهي شجرة فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه ، وإن كان أخاهم نسباً . ومن الناس من لم يتفطن لهذه النكتة ، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين ، فزعم أن شعيباً - عليه السلام - بعثه الله إلى أمتين ، ومنهم من قال : ثلاث أمم » . ثم قال بعد أن ساق روايات ضعيفة في بعث نبي الله شعيب - عليه السلام - إلى أمتين : « والصحيح أنهم أمة واحدة ، وصفاً في كل مقام بشيء ، ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان ، كما في قصة مدين سواء بسواء ، فدل ذلك على أنهم أمة واحدة » .

(٢) جُذَام بن عدي : قبيلة من كهلان من القحطانية ومساكنها بين مدين وتبوك . انظر : معجم قبائل العرب ١ / ١٧٤ ، عمر رضا كحالة .

(٣) في نسخة (ب) : (كانت دعوتهم) ؛ بتقديم : (كانت) .

(٤) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ب) .

متفقيين على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوى وتبليغ الرسالة^(١).

١٨١. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾. قال المفسرون: من الناقصين للكيل والوزن^(٢). قال أبو عبيد: يقال: خَسَرْتُ المِيزَانَ، وَأَخْسَرْتُهُ، نَقَصْتُهُ^(٣). وتقول: كِلْتُهُ وَوَزَنْتُهُ فَأَخْسَرْتُهُ؛ أي نَقَصْتُهُ، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]^(٤)؛ أي يَنْقُصُونَ في الكيل والوزن، ويجوز يُخْسِرُونَ في اللغة^(٥).

١٨٢-١٨٤. قوله: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى﴾ مُفسَّر في ما مضى. والجبلة: الخليقة^(٦)، يقال: جُبِلَ فلان على كذا وكذا؛ أي خُلِقَ^(٧). قال الشاعر:

والموتُ أعظمُ حادثٍ مما يمرُّ على الجبلة^(٨)

(١) تفسير الثعلبي ٨/١١٦، وتفسير البغوي ٦/١٢٦ بنصه، ولم ينسبه.

(٢) تفسير مقاتل ٥٤، وتنوير المقباس: ٣١٣، وتفسير الثعلبي ٨/١١٦ أ.

(٣) تهذيب اللغة (خسر) ٧/١٦٣، من قول أبي عبيد.

(٤) تهذيب اللغة (خسر) ٧/١٦٢.

(٥) تهذيب اللغة (خسر) ٧/١٦٣ من قول الزَّجَّاج، وهو في معاني القرآن ٥/٢٩٧، سورة المطففين، وقد ضُبِطت هذه الكلمة في كتاب الزَّجَّاج: يُخْسِرُونَ، وضُبِطت في تهذيب اللغة: يُخْسِرُونَ، وفي الحاشية، في (ج): بتشديد السين، ثم قال بعد ذلك الزَّجَّاج: ولا أعلم أحدا قرأ في هذا الموضع: يُخْسِرُونَ، ولم تضبط. وفي تهذيب اللغة ٧/١٦٣، في الحاشية، في (ج): بكسر الخاء والسين المشددة. فلعل هذا أقرب ما يكون في ضبط هذه الكلمة، والله أعلم.

(٦) تفسير مجاهد ٢/٤٦٥، وتفسير مقاتل ٥٤، وأخرجه ابن جرير ١٩/١٠٩، وابن أبي حاتم ٩/٢٨١٢ عن مجاهد. وتفسير الثعلبي ٨/١١٦ أ.

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٠، والزاهر في معاني كلمات الناس ١/٢١٩.

(٨) أنشده ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٠، غير منسوب، وهو كذلك عند الثعلبي ٨/١١٦، ونسبه الماوردي ٤/١٨٦، إلى امرئ القيس، وفيه: (في ما يمر)، بدل: (مما يمر)، ولم أجده في ديوان امرئ القيس. وذكره الطبرسي ٧/٣١٦، ولم ينسبه. وفي حاشية البحر ٧/٢٩ أهدت إلى قائله.

ونذكر اللغات فيها عند قوله : ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يس: ٦٢] إن شاء الله تعالى . قال المفسرون : يعني الأمم الخالية ^(١) .

١٨٥ . قوله : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ فسرناه في هذه السورة ^(٢) .

١٨٦ . قوله : ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ؛ أي في أنك رسول الله ^(٣) .

١٨٧ . قوله : ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ مفسر في قوله : ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ [الإسراء: ٩٢] .

قوله : ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ؛ أي بأن العذاب نازل بنا ، قاله مقاتل ^(٤) .

١٨٨ . ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ : يعني من نقصان الكيل والوزن ^(٥) .

والمعنى أنه أعلم به ؛ فهو مجازيكم ومعذبكم إن شاء ، وليس عندي من العذاب ، وما علي إلا الدعوة ^(٦) ؛ وذلك أن هذا جواب لقولهم : ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ .

(١) تفسير مقاتل ٥٤ أ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] في قصة نبي الله صالح عليه السلام .

(٣) تفسير مقاتل ٥٤ ب .

(٤) تفسير مقاتل ٥٤ ب .

(٥) تفسير مقاتل ٥٤ ب .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٦ أ .

١٨٩ . قوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ ﴾ : مضى تفسير الظلة في سورة البقرة^(١) . وها هنا سحاب^(٢) أظلتهم فاجتمعوا تحتها مستجيرين^(٣) بها مما نالهم من حر ذلك اليوم ، ثم أطبقت عليهم ، وكان من أعظم يوم في الدنيا عذاباً^(٤) .

قال ابن عباس : بعث الله عليهم وَقْدَةً وحرّاً شديداً فأخذ بأنفاسهم ، فدخلوا أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية ، فبعث الله سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا لها بَرْدًا ، فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أسقطها الله عليهم ناراً^(٥) ، وهذا قول أكثر المفسرين^(٦) .

وروي عن ابن عباس أنهم لما صاروا تحت السحابة أسقطها الله عليهم . وقال زيد بن معاوية : لما اجتمعوا تحتها صيح بهم منها فهلكوا^(٧) .

(١) قال الواحدي في تفسير قوله الله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ [البقرة: ٥٧] : الظل في اللغة ،

معناه : الستر ، يقال : لا أزال الله عنا ظل فلان ؛ أي ستره ، وظل الشجرة سترها ، ويقال لظلمة الليل : ظل ، لأنها تستر الأشياء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [الفرقان: ٤٥] .

(٢) هكذا في النسخ جميعها : (سحاب) ، وأيضاً عند الزجاج في المعاني ٩٨/٤ ، ولعل الصواب : (سحابة) ، والله أعلم . انظر : النسخ للتأكد .

(٣) في (أ) غير واضحة ، وفي تفسير مجاهد ٤٦٦/٢ : يعني : ظل العذاب الذي أتاهم .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٩٨/٤ بنصه ، ثم قال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ : «ولو كان في غير القرآن لجاز عظيماً ، والجر أجود كما جاء به القرآن» .

(٥) أخرجه ابن جرير ١١٠/١٩ ، وفيه : (بعث الله عليهم ومدة وحرّاً شديداً) . بدل : (وقدة) . أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨١٤/٩ بلفظ : (وهدة) . في تهذيب اللغة (وقد) ٢٤٩/٩ : يقال : وقدت النار تَقْدُ وُقُودًا وَوَقْدَانًا وَوَقْدًا وَقْدَةً ، وفي لسان العرب ٤٦٥/٣ : الوَقْدُ : نفس النار .

(٦) تفسير مقاتل ٥٤ ب . وأخرجه بسنده عبد الرزاق ٧٥/٢ عن مجاهد ، وأخرجه ابن جرير ١١٠/١٩ عن قتادة ، ومجاهد ، وابن جريج ، والضحاك ، وابن زيد . وذكره الثعلبي ١١٦/٨ .

(٧) أخرجه ابن جرير ١٠٩/١٩ بلفظ قريب منه .

وقال عطاء عن ابن عباس : بعث الله عليهم سَمُومًا^(١) ، فخرجوا إلى الأيكة يستظلون بها ، فأضرمها الله عليهم ناراً فاحترقوا^(٢) .

١٩٢ . قوله : ﴿وَلَنُزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ : يعني القرآن^(٣) . قال ابن عباس : نَزَّلَ القرآنَ ربُّ العالمين .

١٩٣ . ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ؛ أي نَزَّلَ الله بالقرآن جبريل^(٤) .

وتقرأ : ﴿نَزَلَ﴾ مخففة ، و(الروح الأمين) رفعا^(٥) ؛ فمن شدد فحجته قوله : ﴿لَنُزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وقوله : ﴿نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [البقرة : ٩٧] ، وقوله : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ [النحل : ٢] ، وينزل مطاوع نَزَّلَ ، ومن أسند الفعل إلى الروح وخفف ؛ فلأنه ينزل بأمر الله سبحانه وتعالى ، ومعناه معنى المثقلة^(٦) .

(١) السَّمُوم : الريح الحارة . لسان العرب (سمم) ٣٠٤ / ١٢ ، قال تعالى : ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ في سَمُورٍ وَجَمِيرٍ : [الواقعة : ٤١ ، ٤٢] .

(٢) قال أبو السعود ٢٦٣ / ٦ : «هذا آخر القصص السبع التي أوحيت إلى رسول الله ﷺ لصرفه عن الحرص على إسلام قومه ، وقطع رجائه عنه ، ودفع تحسره على فواته تحقيقاً لمضمون ما مرَّ في مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى : ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثًا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾» .

(٣) تفسير مقاتل ٥٤ ب ، وتنوير المقياس ٣١٤ ، وتفسير هود الهواري ٣ / ٢٤٠ ، وأخرجه ابن جرير ١١١ / ٩ ، وابن أبي حاتم ٢٨١٧ / ٩ عن قتادة . وتفسير الثعلبي ١١٦ / ٨ .

(٤) تنوير المقياس ٣١٤ ، وتأويل مشكل القرآن ٤٨٦ ، قال ابن كثير ١٦٢ / ٦ : «وهذا مما لا نزاع فيه» .

(٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم في رواية حفص : (نَزَلَ) خفيفة (الروح الأمين) رفعا ، وقرأ ابن عامر ، وحمة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم : (نَزَّلَ) مشددة (الروح الأمين) نصباً . انظر : السبعة في القراءات ٤٧٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٣٨ / ٢ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٦ ، والحجة للقراء السبعة ٣٦٨ / ٥ ، والنشر في القراءات العشر ٣٣٦ / ٢ .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٣٦٩ / ٥ .

و(الروح الأمين) هو جبريل^(١). قال ابن عباس : أمين في ما بين الله وبين أنبيائه ، وقال مقاتل : أمين في ما استودعه من الرسالة إلى أنبيائه^(٢).

١٩٤ . وقوله : ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ . قال مقاتل : يقول : لنثبت قلبك^(٣) ، والمعنى : نزل به الروح الأمين فتلاه عليك حتى وعيته بقلبك^(٤).

وقال أبو إسحاق : نزل فوعاه قلبك وثبت فيه فلا تنساه أبداً^(٥). ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [ممن أنذر المكذبين بآيات الله]^(٦).

١٩٥ . ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يريد لسان قريش ليفقهوا ما فيه ، فلا يقولوا : لا نفهم ما يقول محمد^(٧) ، وقال ابن بريده : بلسان جُرْهُم^(٨).

قال [ابن عباس :]^(٩) كان في سفينة نوح ثمانون ، وفيهم : جُرْهُم ، ولسان جُرْهُم هو لسان العرب^(١٠).

(١) تفسير ابن جرير ١٩/١١٢ ، وأخرجه أيضاً عن قتادة والضحاك .

(٢) تفسير مقاتل ٥٤ ب .

(٣) تفسير مقاتل ٥٤ ب .

(٤) تفسير ابن جرير ١٩/١١٢ بنصه .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/١٠٠ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٧) تفسير الوسيط ٣/٣٦٢ ، وتفسير البغوي ٦/١٢٧ ، وتفسير مقاتل ٥٤ ب ، وليس فيه : بلسان قريش .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/٢٨١٨ ويعرف بجرهم .

(٩) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ب) .

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/٢٧٩٠ .

١٩٦. قوله تعالى : ﴿وَلَنَهْلِي ذُبُرَ الْأَوَّلِينَ﴾ : وَإِنَّ ذَكَرَ الْقُرْآنَ وَخَبَرَهُ لَفِي كِتَابِ الْأَوَّلِينَ^(١) ، يعني أن الله تعالى أخبر في كتبهم عن القرآن وإنزاله على النبي ﷺ المبعوث في آخر الزمان^(٢) . وقال مقاتل^(٣) : وَإِنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ، وَذَكَرَهُ ، وَنَعْتَهُ^(٤) لَفِي كِتَابِ الْأَوَّلِينَ^(٥) ، وهذا كقوله : ﴿الَّذِي يَخْدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]^(٥) . والزُّبُرُ : الكتب ، زُبُورٌ وَزُبُرٌ ، مثل : رَسُولٌ وَرُسُلٌ^(٦) .

١٩٧. قوله : ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قرأه العامة : ﴿يَكُنْ﴾ بالياء ﴿آيَةٌ﴾ نصباً^(٧) .

قال أبو إسحاق : (أَنْ) اسم كان ، و(آيَةً) خبره ، والمعنى : أو لم يكن لهم^(٨) عِلْمٌ علماء بني إسرائيل أن النبي ﷺ حق وأن نبوته حق . (آيَةً) ؛ أي علامة^(٩) موضحة ؛ لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل وجدوا ذكر النبي ﷺ مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل^(١٠) .

(١) تفسير الثعلبي ١١٦/٨ ب .

(٢) تفسير ابن جرير ١١٢/١٩ بمعناه .

(٣) (ونعته) في نسخة (ج) .

(٤) تفسير مقاتل ٥٤ ب .

(٥) وقد استدلل بالآية على ذلك الرَّجَّاج ١٠٠/٤ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ١٠٠/٤ ، قال أبو عبيدة ٩٠/٢ : «أي كتب الأولين ، واحدها : زبور» .

(٧) كلهم قرأ ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ﴾ بالياء ﴿آيَةً﴾ نصباً ، غير ابن عامر فإنه قرأ : (أَوَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ) بالتاء (آيَةً) رفعاً . انظر : السبعة في القراءات ٤٧٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٣٨/٢ ، والمبسوط في

القراءات العشر ٢٧٦ ، والحجة للقراء السبعة ٣٦٩/٥ ، والنشر في القراءات العشر ٣٣٦/٢ .

(٨) (لهم) في نسخة (ج) .

(٩) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٠ .

(١٠) معاني القرآن للزجاج ١٠١/٤ ، وأخرج نحوه عبدالرزاق ٧٦/٢ عن قتادة .

قال ابن عباس في رواية الكلبي : بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد ﷺ ، فقالوا : إنَّ هذا لزمانه ، وإنَّا نجد في التوراة نعتَه وصفته . فكان ذلك آية لهم على صدقه ^(١) ، فعلى هذا أراد بعلماء بني إسرائيل يهود المدينة ومن كان منهم عالماً بالكتاب .

وقال مقاتل : يعني : ابن سلام وأصحابه ^(٢) .

وقال مجاهد : علماء بني إسرائيل ؛ عبدالله بن سلام ، وغيره من علمائهم ^(٣) .

وقال عطية في هذه الآية : كانوا خمسة : عبدالله بن سلام ، وابن يامين ، وثعلبة ، وأسد ، وأسيد ^(٤) .

قرأ ابن عامر : (تَكُنْ) بالتاء ، ﴿ آيَةٌ ﴾ رفعا . قال أبو إسحاق : جعل (آية) هي الاسم ، و (أن يعلمه) خبر تكن ^(٥) ، ونحو هذا قال الفرّاء ^(٦) . قال أبو علي : إذا اجتمع في باب : كان ، معرفة ونكرة ، فالذي يُجعل اسم كان منهما : المعرفة ، كما كان المبتدأ : المعرفة ، والنكرة : الخبر ، وهو يجيء في الشعر للاضطراب ؛ الاسم : نكرة ، والخبر : معرفة ، ولا يجوز هذا حيث لا يُضطرُّ إليه تصحيح وزن ، ولا إقامة قافية ، فقلوه : (أو لم تكن لهم آية) لا يجوز أن يكون التأنيث في (تكن)

(١) تفسير الثعلبي ١١٦/٨ ب ، وعنه ابن عطية ١٤٩/١١ ، وتفسير البغوي ١٢٩/٦ ، وتفسير السمرقندي ٤٨٤/٢ ، من دون نسبة ، وهو في تنوير المقباس : ٣١٤ بمعناه .

(٢) تفسير مقاتل ٥٤ ب .

(٣) تفسير مجاهد ٤٦٦/٢ ، وفيه زيادة : (من أسلم منهم) . وتفسير ابن جرير ١١٢/١٩ ، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٢٠/٩ ، وتفسير البغوي ١٢٩/٦ ، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن سعد ، وابن المنذر . الدر المنثور ٣٢٣/٦ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١٠١/٤ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢٨٣/٢ .

لأنه حينئذٍ يصير اسماً لكان ، ولكن في (تكن) ضمير القصة ، و(آية) خبر مبتدأ مقدم ، والجملة في موضع نصب كما تقول : كان زيد منطلقاً ، على معنى : كان الأمر هذا ، وكان الشأن هذا ؛ فاسم كان ضمير مستتر ، وارتفع زيد بالابتداء ، ومنطلق : خبره ، والجملة في موضع نصب بكونها خبراً .

قال : ومن ذلك قول الشاعر :

وَلَا أَنْبَأَنَّ أَنَّ وَجْهَكَ شَأْنُهُ حُشُوشٌ وَإِنْ كَانَ الْحَمِيمُ حَمِيمٌ^(١)

ذكر هذا في كتاب الإيضاح ، ونحو هذا ذكر في كتاب الحجة^(٢) ، وزاد في هذا الفصل بأن قال : (آية) مرتفعة بأنها خبر الابتداء الذي هو : ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ آبَائِهِ إِسْرَءِيلَ﴾ ، وقال : ولا يمتنع أن لا تضمّر^(٣) القصة ، ولكن ترفع : ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ بقوله : (تكن) ، وإن كان في تكن علامة تأنيث ؛ لأن ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ في المعنى هو الآية ، فيحمل الكلام على المعنى كما يحمل على المعنى في قوله : ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام : ١٦٠] ، فأنت لما كان المراد بالأمثال : الحسنات . وكذلك قرأ من قرأ : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الأنعام : ٢٣]^(٤) .

- (١) أشده أبو علي في الإيضاح العضدي ١/ ١٤٣ ، غير منسوب ، وأشده أبو زيد في النوادر ١٢٦ ، ونسبه إلى عبد قيس بن خُفَّاف البرجَجي . وفي حاشية الإيضاح : الشاهد فيه : «أنه جعل اسم كان ضمير الشأن ، والحميم مبتدأ ، وحميم خبره ، والجملة في موضع نصب خبر كان» .
- (٢) ملخص من كتاب الإيضاح العضدي ١/ ١٣٦-١٤٣ ، والحجة ٥/ ٣٦٩ .
- (٣) هكذا في كتاب الحجة : (ألا يضمّر) ، فراجع .
- (٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٧٠ . قرأ حمزة والكسائي : (يكن) بالياء ، وقرأ الباقون : (تكن) بالتاء ، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص : (فتنتهم) برفع التاء ، وقرأ الباقون بالنصب . انظر : السبعة في القراءات ٢٥٤ ، والنشر ٢/ ٢٥٧ .

١٩٨-١٩٩ . قوله : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۖ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ . قال الكلبي : على رجل عجمي^(١) ، والمعنى : ولو نزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ بغير لغة العرب ما آمنوا به ، وقالوا : ما نفقه قولك نظيره قوله : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ﴾ [فصلت : ٤٤] . قال مقاتل : يقول : لو نزلنا هذا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان فقرأه على كفار مكة لقالوا : ما نفقه قولك^(٢) .

قوله : ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ : يعني بالقرآن مصدقين بأنه من الله^(٣) ، وفيه قول آخر : روى داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : كنت واقفاً مع عبدالله بن مطيع بن الأسود بعرفات ، فقرأ هذه الآية : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ ، قال : لو نزل على جملي هذا فقرأ عليهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤) ، وهذا القول أليق بما بعده .

قال أبو إسحاق : (الأعجمين) جمع أعجم ، والأنثى عجماء ، والأعجم الذي لا يفصح ، وكذلك الأعجمي ، فأما العجمي فالذي من جنس العجم أفصح أو لم يفصح^(٥) .

(١) في تنوير المقباس : ٣١٤ : «على رجل لا يتكلم بالعربية» .

(٢) تفسير مقاتل ١٥٥ ، واقتصر على هذا القول في الوسيط ٣/ ٣٦٣ .

(٣) تفسير مقاتل ١٥٥ .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١١٤ من طريقين ، وكذا ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٢٠ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٠٢ ، ومعاني القرآن للقرطبي ٢/ ٢٨٣ بمعناه ، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٥٦ .

قال أبو علي الفارسي : أعجم صفة^(١) كأحمر ؛ لأنه قد وُصف به في النكرة ، وهو قوله :

... كما أوتَ حَزَقٌ يمانيةٌ لأعجمٍ طَمَطُمٍ^(٢)

وقد دخلته الألف واللام على حد دخولها على أحمر ، للتعريف في قولهم : زياد الأعجم ، فقد علمت لجريه على النكرة ، ودخول لام التعريف عليه أنه صفة في النكرة ، مثل أحمر ، وفي التعريف بمنزلة : الأحمر ، وإذا كان كذلك ثبت أنه صفة ، وإذا علمت أنه صفة علمت أن جمعه بالواو والنون ، والياء والنون^(٣) خطأ ، وإذا كان هذا القبيل من الصفة لا يُجمع بالواو والنون في قول النحويين أجمعين ، علمت أن قول أبي إسحاق : الأعجمين جمع أعجم ، [والأنثى]^(٤) عجماء ، خطأ بين ، والقول فيه : أنه جمع أعجمي ليس جمع أعجم ، وأعجم وأعجمي معناهما واحد ، وكلاهما وُصف الذي لا يُفصح من العجم كان أو من العرب ، إلا أن الذي تدخله ياء التشديد ينصرف ، وإن كان المعني فيه الصفة^(٥) ، [كما أن

(١) كلمة : (صفة) ، مكررة في نسخة (أ) و(ب) .

(٢) هكذا أنشده أبو علي . الإغفال لما أغفله الزَّجَّاج ٢/ ٢١٣ ب . والبيت لعنتره من معلقته ، وصدره كما في الديوان ٢٠ :

تأوي له قُلُوصُ النِّعَامِ كَمَا أوتَ

ورواية البيت في شرح التبريزي ١٦٢ :

بأوي إلى حَزَقِ النِّعَامِ كَمَا أوتَ

وقال في شرحه : يأوي هذا الظلم إلى حَزَقِ النِّعَامِ ، وهي : جماعاتها ، واحداً : حَزَقَةٌ ، وحزيقة ، والطمطم : الذي لا يفصح شيئاً ، شبه النِّعَامِ حول هذا الظلم يقوم من اليمن حول رجل من العجم يسمعون كلامه ، ولا يفهمونه ، وخص أهل اليمن لقربهم من العجم ، يعني : الحبش ، وملابسهم لهم .

(٣) غير واضحة بالنسخ ، ولعل الصواب ما ذكره أبو علي في كتاب الشعر ١/ ١٥٦ : (كما أن عجماء لا تجمع بالألف والتاء) .

(٤) ما بين المعقوفين من كتاب أبي علي .

(٥) (الصفة) ، في نسخة (أ) و(ب) .

صياقلة^(١) ونحوه لما دخله تاء التأنيث انصرف للتاء ، والمعنى : معنى الجمع^(٢) فأعجمي كقولهم : أحمر ، وأنت تريد الأحمر ، كما لا تريد بكرسي إضافته إلى شيء ، وهذا مروي مأخوذ من رواية اللغة ، يدل ذلك قول العجاج :

والدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِي^(٣)

ألا ترى أن المراد بدَوَّاري : دوارٌ واحد ، كذلك أعجم وأعجمي^(٤) . والذي قلنا من أن الأعجمين جمع أعجمي هو قول سيبويه ، وقد نص عليه^(٥) ، وذهب أبو إسحاق عنه^(٦) . قال سيبويه في الباب المترجم : هذا بابٌ من الجمع بالواو والنون ، [وتكسير الاسم . سألت الخليل عن قولهم : الْأَشْعَرُونَ ، فقال : إنما ألحقوا الواو والنون]^(٧) وحذفوا ياء الإضافة كما كَثَرُوا فقالوا : الْأَشَاعِرُ ،

(١) الصَّقْل : الجلاء ، والمِصْقَلَة التي يصقل الصَّيْقَل بها سيفاً ونحوه ، وجمع الصيقل : صياقل وصياقلة . تهذيب اللغة (صقل) ٨ / ٣٧٢ .

(٢) ما بين المعقوفين غير موجود في كتاب أبي علي .

(٣) أنشده ابن جرير ١٩ / ١١٤ منسوباً إلى العجاج ، وقال بعده : «ومعناه : دوار ، فنسبه إلى فعل نفسه» ، وأنشده أبو علي في كتابه الإغفال ١١٤ ب منسوباً إلى العجاج . وصدر البيت كما في الديوان ٢٤٧ :
أَطْرَبَا وَأَنْتَ قَنْسَرِي

قال محقق الديوان : القسري : المسن الكبير ، ودواري : دائر ، يقول : إن الدهر يتصرف بالإنسان ويدور به ، يقول : كيف تطرب وأنت كبير يوبخه بذلك ، وإنما يصبو فيعذر الصبي ومن لا سن له ولا تجربة عنده .

(٤) قال ابن جرير ١٩ / ١١٤ : «إذا أريد به نسبة الرجل إلى أصله من العجم ، لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان ، فإنه يقال : هذا رجل عجمي ، وهذان رجلان عجميان ، وهؤلاء قوم عجم ، كما يقال : عربي ، وعربيان ، وقوم عرب ، وإذا قيل هذا : هذا رجل أعجمي ، فإنها نسب إلى نفسه ، كما يقال للأحمر : هذا أحمر ضخم» .

(٥) وذهب إلى ذلك الأخفش في معاني القرآن ٢ / ٦٤٧ ، فقد قال : «واحدهم : الأعجم ، وهو إضافة كالأشعرين» ، وذكر السمين الحلبي الأقوال المؤيدة لذلك . الدر المصون ٨ / ٥٥٤ .

(٦) يعني غفل عنه أبو إسحاق فلم يذكره ، والله أعلم .

(٧) ما بين المعقوفين غير موجود في كتاب أبي علي .

والأشاعث ، والمسَامِعة ، فلمَّا كَسَّرُوا مِسْمَعًا والأشعث حين أرادوا معنى بني مِسْمَع وبني الأشعث ألحقوا الواو والنون ، فكذلك الأعجمون^(١) .

فقد تبيَّنت من نص سيبويه أن الأعجمين جمع أعجمي ، وأن ياء النسب والإضافة^(٢) محذوفان ، حُذفا في الجمع ، وأنه جُمع على هذا [الحد]^(٣) كما كُسِّر على الأشاعث . ومثل قولهم : الأعجمون ، قولهم : التَّمِيرُونَ . ومما يدلُّ على صحة هذا أن ما كان صفة من هذا القبيل لا يجمع بالواو والنون ، ألا ترى أنه لا يقال في جمع أسود : أسودون ، وإذا كان ذلك مرفوضاً علمت أنه جُمع الاسم إذا ألحق ياء النسب ؛ لأنه بدخول ياء النسب يخرج من ذلك الحد في اللفظ ، وإن كان موافقاً له في المعنى ، كما خرج بذلك من الامتناع من الانصراف ، وكما لم يُجمع مذكر هذا القبيل بالواو والنون ، كذلك لم يُجمع مؤنثه ، نحو : حمراء وسوداء ، بالألِف والتاء . انتهت الحكاية عن أبي علي^(٤) .

وذكرنا تفسير الأعجمي في سورة النحل^(٥) .

٢٠٠ . قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ سَلَكَنَا فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ ﴾ تفسيره كتفسير قوله : ﴿ كَذَلِكَ سَلَكَنَا فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ ﴾ في سورة الحجر^(٦) .

(١) الكتاب ٣ / ٤١٠ .

(٢) الإضافة) . ساقطة من النسخ الثلاث ، وهي في كتاب أبي علي .

(٣) في كتاب أبي علي . «وأنه جمع على هذا كما جمع وكسر على الأشاعث» .

(٤) الإغفال في ما أغفله الزَّجَّاج ٢ / ٢١٣ بشيء من التصرف والاختصار ، حيث أطال أبو علي الحديث عن هذه المسألة .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ ﴾ [١٠٣] .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ سَلَكَنَا فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ ﴾ [١٢] .

قال ابن عباس : ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ يريد الشرك سلكه في قلوب المجرمين ^(١) .
[و] ^(٢) قال الحسن : ﴿سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ الشرك جعلناه في قلوب
المجرمين ^(٣) . وهو قول ابن جريج وابن زيد ^(٤) ، وقال مقاتل : يقول : هكذا
جعلنا الكفر بالقرآن في قلوب المجرمين ^(٥) .

٢٠١ . ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ : بالقرآن ^(٦) ﴿حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ، فعلى هذا
أراد بالمجرمين مشركي مكة ، وعلى قول الحسن وابن عباس أراد :
المجرمين من الأمم الخالية . أخبر الله أنه أدخل الشرك ، وجعله
في قلوبهم فلم يؤمنوا إلا عند نزول العذاب حين لم ينفعهم . قال
ابن عباس في قوله : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الآية ، قال : لا يصدقون بتوحيد
الله ﴿حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ﴾ الذي أهلكهم الله به مما قص من لدن نوح إلى
شعيب . وعلى التأويلين جميعاً في الآية دلالة على أن الله تعالى خالق
الشرك ، سالكه في قلوب المجرمين .

قال الفرّاء : يقول سلكنا التكذيب في قلوب المجرمين كيلاً يؤمنوا به ^(٧) .

(١) تفسير مجاهد ٢/٤٦٦ ، وذكره ابن الجوزي ٤/٣٨٥ ، في تفسير سورة الحجر عن ابن عباس .

(٢) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ب) .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/١١٥ ، ولفظه : «الشرك سلكه في قلوبهم» .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩/١١٥ عن ابن جريج ، وابن زيد .

(٥) تفسير مقاتل ٥٥أ ، قال ابن قتيبة : «﴿سَلَكْنَاهُ﴾ يعني : التكذيب ، أدخلناه» . غريب القرآن ٣٢١ ،

راجع للحديث عن هذه الآية تفسير سورة [الحجر : ١٢] ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ .

انظر : متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ٤٢٥ ، وكذا تفسير هذه السورة عند الهوساوي .

(٦) تفسير مقاتل ٥٥أ .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٨٣ .

وقال أبو إسحاق : أي سلكننا تكذيبهم في قلوب جعل الله مجازاتهم أن طبع على قلوبهم وسلك فيها الشرك ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ . قال : أخبر أنه لما سلك في قلوبهم الشرك منعهم من الإيمان به ^(٢) . وتفسير القدرية لقوله : ﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ : أمرنا القرآن في قلوبهم بإخطاره ببالهم لتقوم الحجة عليهم ^(٣) . وهذا التفسير خَلْفٌ ^(٤) فاسد لم يقله أحد من المفسرين ، ولا أصحاب المعاني إلا القدرية ، وكيف يصح هذا والله تعالى يقول : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ أفتراه سلك القرآن في قلوبهم حتى لا يؤمنوا ؟ وكان من الواجب أن يؤمنوا إذا أدخل الله القرآن في قلوبهم ، ثم السلك ليس بمعنى الإمرار والإخطار ، إنما هو بمعنى الإدخال والإثبات ، كسلك الخيط في الحريرة ، يدل على هذا قوله تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ [المدر: ٤٢] ، لا يجوز أن يقال في معناه : ما أخطركم بها . والهاء في قوله : ﴿ سَلَكْنَاهُ ﴾ تعود إلى معنى قوله : ﴿ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، ومعناه : كذبوا ، وكذبوا يدل على التكذيب فكنى عنه ، وهو قول المفسرين وأهل المعاني : سلكننا الشرك وسلكنا التكذيب ، فظاهر الآية يدل على صحة قول مقاتل ، وأن هذا إخبار عن مشركي مكة ولو كان خبراً عن مشركي الأمم المتقدمة لقل : لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم فأتاهم بغتة ، وقد قال :

(١) معاني القرآن للزجاج ١٠٢ / ٤ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٠٢ / ٤ .

(٣) بنصه قول الطوسي في تفسيره ٦٣ / ٨ بلفظ : « أقرناه في قلوبهم بإخطاره » ، وهذا تصحيف ، والصواب : (أمرناه) .

(٤) يقال : هذا خَلْفٌ من القول ؛ أي رديء . تهذيب اللغة (خلف) ٣٩٤ / ٧ .

٢٠٢. ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ : يعني العذاب^(١) ، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ به فيتمنون الرجعة والنَّظَرَةَ^(٢) ، وهو قوله :

٢٠٣. ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ ؛ أي لِنَعْتَبِ^(٣) ونراجع ، قاله مقاتل^(٤) .

وقال ابن عباس : إنهم يسألون تأخير العذاب فلا يجابون ولا يصرف عنهم^(٥) .

قال مقاتل : فلمّا أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب قالوا : فمتى العذاب تكذيباً به^(٦) ، فقال الله تعالى :

٢٠٤-٢٠٥. ﴿أَفَعَدْنَا بِمَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٣٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ . [قال ابن عباس : ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾^(٧) يا محمد إِنْ مَتَّعْنَا كِفَارَ مَكَّةَ ﴿سِنِينَ﴾ . قال : يريد منذ خلق الله الدنيا إلى أن تنقضي في النعيم والسرور والنَّصَارَةُ^(٨) .

وقال الكلبي : يعني عَمَّرَهم ، وهو معنى قول مقاتل : ﴿سِنِينَ﴾ في الدنيا^(٩) .

(١) تنوير المقياس ٣١٤ ، وتفسير مقاتل ٥٥ أ .

(٢) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٨٤ ، وتفسير الماوردي ٦/ ١٣٠ ، ولم ينسبها .

(٣) الإعتاب والعتبى : رجوع المعتوب عليه إلى ما يُرضي العاتب . تهذيب اللغة (عتب) ٢/ ٢٧٨ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٥ بلفظ : «فنعتب ، ونراجع» . وفي تفسير ابن جرير ١٩/ ١١٦ : «لثوب ، وننيب» .

(٥) تنوير المقياس : ٣١٤ بلفظ : (مؤجلون من العذاب) .

(٦) تفسير مقاتل ٥٥ أ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٨) النصارة : نعيم الوجه ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَبُحُّهُ يُؤْمَرُ نَاصِرَةً﴾ [القيامة : ٢٢] . تهذيب اللغة (نصر)

٩/ ١٢ .

(٩) تفسير مقاتل ٥٥ أ .

قال صاحب النظم : قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتَ ﴾ غير متعدّد إلى شيء ، إنما هو سؤال واستخبار عن معنى بلفظ الاستفهام ، كقوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ ﴾ [الكهف: ٦٣] دخول الفاء في قوله : ﴿ فَإِنِّي ﴾ يدل على أنه مستأنف .

٢٠٦ . قوله : ﴿ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ ؛ أي من العذاب ^(١) .

٢٠٧ . ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴾ به في تلك السنين ، والمعنى : إنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا ^(٢) فإذا أتاهم العذاب لم يُغنِ طول التمتع عنهم ^(٣) شيئاً ، ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط ^(٤) .

٢٠٨ . قوله : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ ﴾ . قال مقاتل : ^(٥) أي في ما خلا بالعذاب في الدنيا ﴿ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾ : يعني رسلاً يندرونهم بالعذاب أنه نازل ^(٦) .

٢٠٩ . ﴿ ذَكَّرْنَاهُ ﴾ . قال ابن عباس : موعظة مني .

وقال مقاتل : تذكرة ^(٧) .

(١) تنوير المقباس : ٣١٤ وتفسير مقاتل ٥٥ .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) : (النساء) .

(٣) عنهم) . في نسخة (ج) .

(٤) ويشهد لهذا المعنى حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّبَكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّبَكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّبَنِي بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ » . أخرجه مسلم ٤ / ٢١٦٢ ، كتاب : صفة القيامة ، رقم ٢٨٠٧ ، وابن ماجه ٢ / ١٤٤٥ ، كتاب : الزهد ، رقم ٤٣٢١ .

(٥) (قال مقاتل) . في نسخة (أ) و(ب) .

(٦) تفسير مقاتل ٥٥ .

(٧) تفسير مقاتل ٥٥ ، ولفظه : «العذاب يذكر ، ويفكر» .

قال أبو إسحاق : ﴿ ذَكَرْتُ ﴾ تكون ^(١) نصباً ورفعاً ، فمن نصب فعلى المصدر ، ودلّ عليه الإنذار ؛ لأن قوله : ﴿ إِلَّا لَهُا مُنْذِرُونَ ﴾ معناه : إلا لها مذكرون ذكرى ، قال : ويجوز أن تكون في موضع رفع على معنى : إنذارنا ذكرى على خبر الابتداء ^(٢) ، وهذا معنى قول الفرّاء ؛ فقد ذكر ^(٣) القولين مجملًا ^(٤) .

قوله : ﴿ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ . قال مقاتل : وما كنّا ظالمين فنعذب على غير ذنب ^(٥) .

وقال غيره : ﴿ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ إذ أهلكوا ؛ لأنّا قدّمنا الإنذار والتذكير ^(٦) .

٢١٠ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ ﴾ . قال مقاتل : قالت قريش : إنما يحىء بالقرآن الشيطان فيلقيه على لسان محمد فأنزل الله : ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ ﴾ [يعني : القرآن] ^(٧) .

وهذه الآية منتظمة بقوله : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ ؛ أي نزل بالقرآن جبريل ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ ﴾ ^(٨) كما يزعم المشركون .

(١) تكون . في نسخة (ج) .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٠٢ / ٤ .

(٣) في نسخة (أ) و(ب) ، زيادة (إلا لها مذكرون ذكرى) ، قال : ويجوز أن تكون في موضع رفع . وهي تكرار لما سبق من قول أبي إسحاق .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٨٤ ، وذكرهما أيضاً ابن جرير ١٩ / ١١٧ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٥ أ .

(٦) تفسير الثعلبي ٨ / ١١٧ أ ، ولم ينسبه .

(٧) تفسير مقاتل ٥٥ أ ، وأخرجه عبدالرزاق ٢ / ٧٧ عن قتادة .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

٢١١. ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ أن ينزلوا بالقرآن^(١). قال ابن عباس : لأن الشياطين لا يقولون^(٢) على قراءة القرآن ، ولا يحتملونه إلا احترقوا ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ؛ أي لا يقولون على حمل القرآن ، وقال الكلبي : يقول : وما هم أهل للقرآن ، وما يقدرُونَ أن يأتوا بالقرآن من السماء فقد حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب^(٣) ، وهو قوله :

٢١٢. ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد عن استماع القرآن لمحجوبون . قال الكلبي : لأنهم يرهجون بالنجوم^(٤) ، وقال الزجاج : لما رموا بالنجم منعوا من السمع^(٥) .

٢١٣. قوله : ﴿فَلَا تَنْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ . [قال ابن عباس : يُحذَّرُ به غيره]^(٦) . قال مقاتل : وذلك حين دُعي إلى دين آبائه فأُنزل الله : ﴿فَلَا تَنْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ؛ أي لا تعبد معه إلها آخر^(٧) ﴿فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ . [قال ابن عباس : يحذر به غيره]^(٨) يقول : أنت أكرم الخلق عليّ ، ولو اتخذت من دوني إلهاً لعذبتك^(٩) .

(١) تفسير مقاتل ٥٥ أ بنصه .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) (يقولون) .

(٣) تفسير مقاتل ٥٥ أ بمعناه . قال ابن جرير ١٩ / ١١٧ : «لأنهم لا يصلون إلى استماعه في المكان الذي هو به من السماء» .

(٤) ذكره الهواري ٣ / ٢٤٢ ، ولم ينسبه .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٠٣ ، ونحوه في معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٨٥ .

(٦) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ب) ، وهو في تفسير الوسيط ٣ / ٣٦٤ .

(٧) تفسير مقاتل ٥٥ أ ، وتنوير المقباس ٣١٤ ، تفسير ابن جرير ١٩ / ١١٨ .

(٨) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ج) .

(٩) ذكره ابن الجوزي ٦ / ١٤٧ عن ابن عباس .

٢١٤ . قوله : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ؛ أي رهطك الأدين وهم بنو هاشم وبنو المطلب خاصة^(١) ، وهم الأقربون ، وهاشم والمطلب أخوان ابنا عبد مناف ، قاله مقاتل^(٢) .

وقال ابن عباس : أنذرهم ألا يتخذوا من دوني رباً .

وقال الكلبي : لما نزلت هذه الآية صعد رسول الله ﷺ الصفا ، ونادى الأقرب فالأقرب ، فخذأ^(٣) : «يا آل غالب ، يا آل لؤي ، يا آل كعب ، يا آل مرة ، يا آل كلاب ، يا آل قصي : لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن تقولوا : لا إله إلا الله ، فأنذرهم»^(٤) .

وقال قتادة : قال لبني هاشم لما نزلت هذه الآية : «ألا إن أوليائي منكم المتقون ، ألا فاتقوا النار ولو بشق تمرة»^(٥) .

قال مقاتل : لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ : «إني أرسلت إلى الناس كافة ، وأرسلت إليكم يا بني هاشم والمطلب خاصة»^(٦) ، وقالت عائشة رضي الله عنها : لما نزلت : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله ﷺ ، فقال : «يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي ما شئتم»^(٧) .

(١) الوسيط ٣/ ٣٦٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٥ .

(٣) في النسخ الثلاث : (فخذأ) . مرة واحدة . وقد أخرجه مكرراً عبد بن حميد عن قتادة . الدر المنثور ٦/ ٣٢٦ .

(٤) تفسير الهواري ٣/ ٢٤٢ عن الكلبي .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٧ ، وعنه ابن جرير ١٩/ ١٢٢ .

(٦) تفسير مقاتل ٥٥ .

(٧) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١١٨ ، والترمذي ٥/ ٣١٦ : كتاب تفسير القرآن ، رقم ٣١٨٤ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وقال أبو هريرة : لما نزلت : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جعل يدعو بطون قريش بطناً بطناً ؛ يا بني فلان : «أنقذوا أنفسكم من النار» حتى انتهى إلى فاطمة ، فقال : «يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها»^(١) .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : صعد رسول الله ﷺ على الصفا ، فقال : «يا صباحاه»^(٢) فاجتمعت إليه قريش ، فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : بلى ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»^(٣) .

٢١٥ . قوله : ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . قال المفسرون وأهل المعاني : جانبك لمن اتبعك من المؤمنين^(٤) . وذكرنا تفسير خفض الجناح في سورة بني إسرائيل^(٥) . قال ابن عباس : يريد أكرم من اتبعك من المصدقين بتوحيد الله ، وألن لهم القول ، وأظهر لهم المحبة والكرامة .

(١) عن أبي هريرة قال : «لما أنزلت هذه الآية : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعمّ وخصّ ، فقال : يا بني كعب بن لؤي ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة بن كعب ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة ، أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها» . أخرجه مسلم ١/ ١٩٢ ، كتاب : الإيمان ، رقم ٢٠٤ ، وأخرج نحوه البخاري ، كتاب : التفسير ، رقم ٤٧٧١ ، الفتح ٨/ ٥٠١ ، البلال : الماء . ومعنى الحديث : سأصلها ؛ شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة . شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٨٠ .

(٢) تقول العرب إذا ندرت بغارة من الخيل تفجؤهم صباحاً : يا صباحاه ، يُسندرون الحي أجمع بالنداء العالي . تهذيب اللغة (صبح) ٤/ ٢٦٦ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٢٠ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٢٥ .

(٤) تنوير المقباس ٣١٤ ، ومجاز القرآن ٢/ ٩١ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٤٨٦ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [٢٤] .

٢١٦. ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ . قال ابن عباس : يريد عشيرتك ، وقال مقاتل : يعني بني هاشم وبني المطلب . ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ؛ أي من الكفر وعبادة غير الله^(١) .

والآية دليل على أن موالاة المشرك حرام بكل حال ؛ ألا ترى كيف أمر الله رسوله في عشيرته الأقربين .

٢١٧. ﴿وَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ . قال الكلبي : فوَّض إليه جميع أمرك ، وقال مقاتل : ثق بالله ﴿الْعَزِيزِ﴾ في نعمته^(٢) ﴿الرَّحِيمِ﴾ بهم حين لم يعجل عليهم بالعقوبة^(٣) .

٢١٨-٢١٩. قوله تعالى : ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ ؛ أي للصلاة وإلى الصلاة ، قاله ابن عباس والكلبي^(٤) ، وقال مقاتل : حين تقوم وحدك إلى الصلاة^(٥) ، وقال مجاهد : الذي يراك أينما كنت ، يعني : يراك حين تقوم أينما كنت^(٦) .

فعلى قول مجاهد : ﴿تَقُومُ﴾ عام في كل شيء قام إليه ، وهو الظاهر ؛ لأنه بمرأى من الله إلى أي شيء قام^(٧) . وعلى قول الآخرين : هذا القيام يختص بالقيام

(١) تفسير مقاتل ٥٥ أ .

(٢) تنوير المقياس ٣١٤ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٥ ب .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٢٧/٩ عن ابن عباس . وتنوير المقياس ٣١٥ ، واقتصر في الوجيز ٧٩٨/٢ على قول : «إلى صلاتك» .

(٥) تفسير مقاتل ٥٥ ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٢٨/٩ عن الحسن .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٢٨/٩ ، وأخرج نحوه عن الضحاك ، وعكرمة ، وقتادة .

(٧) وهذا المعنى أخرجه ابن جرير ١٢٤/١٩ عن ابن عباس من طريق عطاء الخراساني : «يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعدهم معهم» .

إلى الصلاة ، وفائدته : التنبيه على تعظيم الصلاة ، كما يقول القائل لغيره : راقب مَنْ يراك إذا صَلَّيت ، والله تعالى يراه إذا لم يكن مصلياً .

قوله : ﴿وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ . قال مقاتل : يعني : ويرى ركوعك وسجودك وقيامك . وهو التقلب في الساجدين يعني : مع المصلين في الجماعة ^(١) ، والمعنى : يراك إذا صَلَّيت وحدك ، يراك إذا صَلَّيت في الجماعة راكعاً وساجداً قائماً . وهو قول عكرمة ، والكلبي ، وقتادة ، وابن زيد ، ورواية عن عطية وعطاء الخراساني ، عن ابن عباس ^(٢) ، كل هؤلاء فسَّروا التقلب في الساجدين بالتصرف مع المصلين قائماً وراكعاً وساجداً ، وهو اختيار الفراء ، قال : تقلبه : قيامه وركوعه وسجوده وعوده ^(٣) .

وقال ابن عباس في رواية جوير عن الضحاك عنه : ﴿وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ في أصلاب الآباء ؛ آدم ونوح وإبراهيم ، ونحو هذا روى عطية وعكرمة عنه : ﴿وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ يريد : في أصلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى أخرجك . في هذه الآية قال عطية عنه : ما زال رسول الله ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه ^(٤) .

(١) تفسير مقاتل ٥٥ ب ، وتنوير المقباس ٣١٤ ، قال مجاهد : «في المصلين» . تفسير مجاهد ٤٦٦/٢ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٧٧/٢ عن قتادة وعكرمة ، وأخرجه ابن جرير ١٢٣/١٩ عن ابن عباس وعكرمة ، وذكره الثعلبي ١١٨/٨ عن عكرمة ، وعطية ، وعطاء عن ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد ، ومقاتل ، والكلبي .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٥ ، واقتصر عليه في الوجيز ٧٩٨/٢ .

(٤) تنوير المقباس ٣١٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٢٨/٩ من طريق عكرمة وعطاء وذكره كذلك الثعلبي ١١٩/٨ ب . قال الطوسي : «وقال قوم من أصحابنا : إنه أراد تقلبه من آدم إلى أبيه عبدالله في ظهور الموحدين ، لم يكن فيهم من يسجد لغير الله» . التبيان للطوسي ٦٨/٨ ، ولم يعترض ابن كثير على ذلك . وهذا يعارضه كون أبوي النبي ﷺ كافرين ، بدليل حديث أنس أن رجلاً قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيْنَ أَبِي ؟ قَالَ : «فِي النَّارِ ، فَلَمَّا قَفَى دَعَاهُ فَقَالَ : إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» . أخرجه مسلم ١/١٩١ ، كتاب : الإيمان ، رقم ٢٠٣ ، وأبو داود ٩٠/٥ ، كتاب : السنة ، رقم ٤٧١٨ ، وحديث =

وقال الحسن : ﴿ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴾ يعني : ذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين^(١) ، وقال مجاهد في هذه الآية : كان النبي ﷺ إذا قام في الصلاة أبصر مَنْ خلفه من الصفوف كما يرى مَنْ بين يديه^(٢) ، وعلى هذا معنى : ﴿ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴾ إِبْصَارُكَ مِنْهُمْ^(٣) مَنْ هُوَ خَلْفُكَ كما تبصر مَنْ هُوَ أَمَامُكَ . يدل على هذا ما روى قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « أتموا الركوع والسجود ، فوالله إني لأراكم من بعد ظهري إذا ركعتم وسجدتم »^(٤) .

٢٢٠ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . قال ابن عباس : ﴿ السَّمِيعُ ﴾ لقولك : ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بما في قلبك من الإيمان واليقين^(٥) ، وقال مقاتل : ﴿ السَّمِيعُ ﴾ لما قالوا حين دعوه إلى دين آبائه ، ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بذلك .

أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَأُمَّيِّ فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا ، فَأْذَنْ لِي » . أخرجه مسلم ٢ / ٦٧١ ، كتاب : الجنائز ، رقم ٩٧٦ ، وأبو داود ٣ / ٥٥٧ ، كتاب : الجنائز ، رقم ٣٢٣٤ .

وقد ردّ هذا القول الشنقيطي من وجه آخر ، فقال : « في الآية قرينة تدل على عدم صحة هذا القول ، وهي قوله تعالى قبله مقترناً به : ﴿ الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ ، فإنه لم يقصد به أنه يقوم في أصلاب الآباء إجماعاً ، وأول الآية مرتبط بآخرها ؛ أي الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك ، وحين تقوم من فراشك ومجلسك ، ويرى تقلبك في الساجدين ؛ أي المصلين ، على أظهر الأقوال » . أضواء البيان ٦ / ٣٨٨ .

(١) أخرجه ابن جرير ١٩ / ١٢٤ بلفظ : ﴿ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴾ . قال : في الناس .

(٢) تفسير مجاهد ٢ / ٤٦٦ ، وأخرجه ابن جرير ١٩ / ١٢٤ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٢٩ ، وذكره الهواري ٣ / ٢٤٣ ، ولم ينسبه .

(٣) (منهم) في نسخة (ج) .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب : الصلاة ، رقم ٤١٩ ، الفتح ١ / ٥١٤ ، ومسلم ١ / ٣١٩ ، كتاب : الصلاة ، رقم ٤٢٥ ، وهذا الحديث يدل على صحة المعنى الذي ذكره مجاهد ، لكنه لا يدل على أن المراد من الآية هو هذا التفسير ، والله أعلم . قال ابن عطية ١١ / ١٥٩ عن هذا القول : « وهذا معنى أجنبني هنا » . ولم يرجح الواحد شياً من هذه الأقوال ، ولعل الأقرب ما رجحه ابن جرير ١٩ / ١٢٥ من أن المراد : يرى تقلبك مع الساجدين في صلاتك معهم . والله أعلم .

(٥) قال الثعلبي ٨ / ١٨١ ب : ﴿ السَّمِيعُ ﴾ لقراءتك ، ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بعملك .

ثم قال لكفار مكة^(١) :

٢٢١. ﴿هَلْ أَتَيْتُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ ، ثم أنبا ، فقال^(٢) :

٢٢٢. ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ . قال ابن عباس : كل كذاب فاجر^(٣) . قال الكلبي : مثل مسيلمة وطليحة^(٤) . وكان لكل كاهن منهم تابع من الجن يأتيه بما يستمع من السماء .

وقال قتادة : هم الكهنة تسترق الجن السمع ، ثم يأتون^(٥) إلى أوليائهم من الإنس^(٦) ، وقال أبو إسحاق : قال الله تعالى : ﴿وَلَيْتُمْ لِلزَّيْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، ثم قال : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ، ثم قال : ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ﴾ كالماتصل بهذا ، ثم أعلم أن الشياطين على من تنزل فقال : ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٥٥ ب .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٠٤ / ٤ .

(٣) تفسير مجاهد ٤٦٧ / ٢ ، ولفظه : «كذاباً من الناس» . وقال مقاتل ٥٥ ب : «يعني : كذاب» .

(٤) تفسير الثعلبي ١١٨ / ٨ ب بنصه منسوباً إلى مقاتل . وفي تفسير مقاتل ٥٥ ب : «منهم مسيلمة

الكذاب ، وكعب ابن الأشرف» ، وهو في تنوير المقابس ٣١٥ بلفظ : فاجر كاهن ، وهو مسيلمة الكذاب وطلحة . فعلل : (طلحة تصحيف : طليحة . يراجع للتعريف بهما) .

(٥) في نسخة (ج) : (يلقون) .

(٦) أخرجه عبد الرزاق ٧٨ / ٢ ، وعنه ابن جرير ١٢٥ / ١٩ ، ويشهد له حديث عائشة رضي الله عنها : سَأَلَ أَنَسُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْكُفَّانِ ، فَقَالَ : «إِنَّهُمْ لَيُسْوَأُونَ بِشَيْءٍ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهَا الْجَنُّ فَيَقْرَئُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَا جَاجَةٍ فَيَخْلُطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِثَّةِ كَذِبَةٍ» . أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، رقم ٧٥٦١ ، الفتح ٥٣٥ / ١٣ ، ومسلم ١٧٥٠ / ٤ ، كتاب : السلام ، رقم ٢٢٢٨ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ١٠٤ / ٤ .

٢٢٣. قوله : ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهُمْ كَذِبُوتٌ﴾ ؛ أي يلقون ما سمعوه إلى الكهنة^(١) .

وقال الفرّاء : يلقون إلى كهنتهم السمع الذي سمعوا ﴿وَأَكْتَرُهُمْ كَذِبُوتٌ﴾^(٢) ؛ لأنهم يخلطون به كذباً كثيراً . وهذا كان قبل أن أوحى^(٣) إلى النبي ﷺ ، وبعد ذلك : ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحْدِّثْ لَهُ شَهَابًا رَصْدًا﴾ [الجن : ٩] .

قال الكلبي : يستمعون إلى السماء ، فيأتون بها استمعوا إلى كهنتهم^(٤) .

وقال مقاتل : إن الله تعالى إذا أراد أمراً في الأرض علّم به أهل السموات من الملائكة ، فتكلموا به ، فسمع الشياطين ، وترميمهم الملائكة بالشهب ، فيخطفون الخطفة ، فذلك قوله : ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ . قال : معناه : يلقون بأذانهم إلى كلام الملائكة^(٥) .

وهذا التفسير غير الأول في : ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾^(٦) ، ويشهد لهذا قوله : ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق : ٣٧] ، ومعناه : استمع . وقال في قوله : ﴿وَأَكْتَرُهُمْ كَذِبُوتٌ﴾ يعني الشياطين حين يخبرون الكهنة أنه يكون في الأرض كذا وكذا^(٧) .

وذكر صاحب النظم قولاً آخر في : ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ ؛ وهو أنه قال : يعني (كل أفاك أثيم) ، وأخرج فعلهم مخرج الجماعة ؛ لأن قوله : (كل أفاك) يتضمن

(١) قال مجاهد : «الشیطان ما سمعه ألقاه ﴿عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾» . تفسير مجاهد ٢ / ٤٦٧ ، وأخرج نحوه ابن جرير ١٩ / ١٢٦ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٨٥ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها .

(٤) تنوير المقباس ٣١٥ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٥ ب .

(٦) هكذا في نسخة (ج) : (يلقون السمع) . وفي (أ) و(ب) : (يلقون السمع) .

(٧) تفسير مقاتل ٥٥ ب .

الجمع ؛ أي يستمعون إلى الشياطين ، وعلى هذا قوله : ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ من صفة : (كل أفاك أثيم) .

قال : وقوله ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ ؛ أي الشياطين يخبرونهم بالكذب وهم يسمعون منهم فيقصون به ، فجاء قوله : ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ ، وقوله : (كاذبون) كالمتلصل بعضها ببعض ، وهما مختلفان لاختلاف الأسماء فيها ، يعني أن قوله : ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ من صفة الكهنة ، وقوله : ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ من صفة الشياطين^(١) .

٢٢٤ . قوله تعالى : ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾^(٢) : الشعراء جمع الشاعر ، يقال : شَعَرَ يشْعُرُ شِعْراً وشِعْرةً إذا علم^(٣) ، والشعر : القريض المحدود بعلامات لا يُجاوزها ، وقائله شاعر ؛ لأنه يَشْعُر [ما لا يَشْعُر]^(٤) غيره^(٥) ، وجمعه شعراء مثل : جاهل وجهلاء ، وعالم وعلماء^(٦) .

(١) وذهب إلى هذا ابن قتيبة ، فقال في غريب القرآن ٣٢١ : ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ يسترقونه .
(٢) عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ فَتَسَخَّ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَشْتَى فَقَالَ : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ . أخرجه أبو داود ٢٨٠ / ٥ ، كتاب الأدب : رقم ٥٠١٦ ، وذكر ابن تيمية - رحمه الله - حكمة جيدة لذكر الحديث عن الشعراء في هذه السورة ، بعد ذكر قصص من سبق من الأنبياء ، فقال : «فذكر الفرق بينه وبين من قال : تنزل عليه الشياطين ، من الكهان ، والمتنبئين ونحوهم ، وبين الشعراء ؛ لأن الكاهن قد يخبر بغيب بكلام مسجوع ، والشاعر أيضاً يأتي بكلام منظوم يحرك به النفوس ، فإن قرين الشيطان مادته من الشيطان ، ويعين الشيطان بكذبه وفجوره ، والشاعر مادته من نفسه ، وربما أعانته الشيطان ، فأخبر أن الشياطين إنما تنزل على من يناسبها ، وهو الكاذب في قوله ، الفاجر في عمله ، بخلاف الصادق البر ، وأن الشعراء إنما يحركون النفوس إلى أهوائها فيتبعهم الغاؤون ، وهم الذين يتبعون الأهواء وشهوات الغي ، فنفى كلا منهما بانتفاء لازمه ، وبين ما تجتمع فيه من شياطين الإنس والجن» . تفسير آيات أشكلت ٧٧٢ / ٢ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها : (شعراً وشعرة) . وفي تهذيب اللغة ٤٢٠ / ١ : شِعْراً ، وشِعْراً .

(٤) ما بين المعقوفين في نسخة (أ) و(ب) .

(٥) تهذيب اللغة (شعر) ٤٢٠ / ١ .

(٦) قال الشافعي : «الشعر : كلام منظوم بمنزلة المنشور من الكلام ، فحسنة حسن ، وقبيحة قبيح ، فإذا =

قال ابن عباس : يريد : المشركين ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ من الشياطين ^(١) . قوله : يريد المشركين يعني الشعراء المشركين .

وقد ذكر مقاتل أسماءهم ، فقال : منهم : عبد الله بن الزبعرى السهمي ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ، ومُسافِع بن عبد مناف الجُمحي ، وأبو عزة عمرو بن عبد الله ، كلهم من قريش ، وأمّية بن أبي الصلت الثقفي ، تكلموا بالكذب والباطل ، وقالوا : نحن نقول مثل قول محمد ، وقالوا : الشعر ، واجتمع إليهم غواة من قومهم ^(٢) يسمعون أشعارهم ، ويروون عنهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه ^(٣) .

وقال عكرمة : تهاجى شاعران في الجاهلية مع كل واحد فتام ^(٤) من الناس ، فقال الله عز وجل : ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ وهما ذاك الشاعران ^(٥) . وهذا قول الضحّاك في سبب النزول ، وقال : الغواة : السفهاء ^(٦) .

قال الرجل شعراً وفيه رفث ، وفحش سقطت عدالته ، وإذا قال شعراً فيه الغزل الذي ليس بمكروه ، أو مدح رجلاً قبلت عدالته . إعراب القراءات السبع وعللها ١٤٢ / ٢ .

- (١) أخرجه ابن جرير ١٢٧ / ١٩ .
- (٢) في نسخة (أ) و(ب) : (قولههم) .
- (٣) تفسير مقاتل ٥٥ ب .
- (٤) الفتام من الناس : الجماعة . تهذيب اللغة (فأم) ٥٧٢ / ١٥ .
- (٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٣٢ / ٩ .
- (٦) أخرجه ابن جرير ١٢٧ / ١٩ بلفظ : «كان رجلاً على عهد رسول الله ﷺ ، أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين» ، وذكره كذلك الثعلبي ١١٨ / ٨ ب . وفي كون ذلك حدث بعد الهجرة إشكال من ناحية كون هذه السورة مكية . قال ابن كثير ١٧٥ / ٦ : «ولكن هذه السورة مكية ، فكيف يكون سبب نزول هذه الآية في شعراء الأنصار ؟ في ذلك نظر ، ولم يتقدم إلا مراسلات لا يعتمد عليها ، والله أعلم ، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم» .

وهي رواية العوفي عن ابن عباس^(١) .

وقال عكرمة والشعبي : ﴿الْفَاؤُنْ﴾ عصاة الجن^(٢) ، وهو معنى قول ابن عباس في رواية ابن بريدة ، قال : هم الشياطين^(٣) وهو قول قتادة ومجاهد : ﴿الْفَاؤُنْ﴾ الشياطين^(٤) .

وروى عكرمة عنه : ﴿الْفَاؤُنْ﴾ الرواة^(٥) ، وهو قول الكلبي ، قال : الرواة الذين يروون هجاء النبي ﷺ ، وكانوا ينحرون لهم الجُرُزُ^(٦) .

وقال الفرّاء : نزلت في ابن الزَّبْعَرَى وأشباهه ؛ لأنهم كانوا يهجون النبي ﷺ والمسلمين^(٧) يتبعهم غواتهم الذين كانوا يرون سب النبي ﷺ^(٨) .

(١) أخرجه ابن جرير ١٢٧/١٩ عن ابن عباس وعكرمة ، وابن أبي حاتم ٢٨٣٣/٩ ، وذكره الثعلبي ١١٨/٨ .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٢٧/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٨٣١/٩ عن عكرمة .

(٣) أخرجه الثعلبي ١١٨/٨ بسنده عن ابن بريدة عن ابن عباس .

(٤) تفسير مجاهد ٤٦٧/٢ ، وأخرجه ابن جرير ١٢٧/١٩ ، وأخرجه عبدالرزاق ٧٨/٢ عن قتادة ، وعنه ابن جرير ١٢٧/١٩ .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٢٦/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٨٣١/٩ ، وذكره الثعلبي ١١٨/٨ .

(٦) تنوير المباس : ٣١٥ بلفظ : (الراوون يروون عنهم) .

(٧) (والمسلمين) ، في نسخة (أ) و(ب) ، وهو موافق لما عند الفرّاء .

(٨) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٨٥ ، قال ابن جرير ١٢٧/١٩ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، أن يقال : إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ، ومردة الشياطين ، وعصاة الجن ، وذلك أن الله عَمَّ بقوله : ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاؤُنْ﴾ ، فلم يخص بذلك بعض الغواة دون بعض» .

٢٢٥. قوله تعالى: ﴿الْمَرَّتْ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ . قال أبو عبيد: رجل هائم وهيوم، وهو الذاهب على وجهه^(١)، وأنشد:

أَلَا طَرَقْتُ مَيِّ هُيُومًا بِذِكْرِهَا^(٢)

يقال: هام يهيم هُيُومًا وَهَيِّمًا وَهَيِّمًا^(٣).

قال ابن عباس: في كل فن من الكذب يتكلمون^(٤).

وقال مجاهد: في كل فن يفتنون^(٥).

وقال مقاتل: في كل فن يأخذون^(٦)، وعن ابن عباس أيضاً: في كل لغو يخوضون^(٧).

(١) تهذيب اللغة (هام) ٦/٤٦٧، من كلام أبي عبيد، من دون ذكر البيت. وفي مجاز القرآن ٢/٩١: «الهائم: هو المخالف للقصد الجائر عن كل حق، وخير؛ «لأن من اتبع الحق، وعلم أنه يكتب عليه قوله تثبت، ولم يكن هائماً يذهب على وجه لا يبالي ما قال». إعراب القرآن للنحاس ٣/١٩٦، وكتبت خطأ في النسخ الثلاث: (أبو عبيدة).

(٢) شطر بيت نسب إلى ذي الرمة، وعجزه:

وأيدي الثريا جَنَحَ في المغارب

(٣) قال أبو عبيد: وقد هام يهيم هُيُومًا. تهذيب اللغة (هام) ٦/٤٦٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/٢٨٣٣ بلفظ: «في كل فن من الكلام يأخذون».

(٥) تفسير مجاهد ٢/٤٦٧، وأخرجه ابن جرير ١٩/١٢٨.

(٦) تفسير مقاتل ٥٥ ب.

(٧) ذكره البخاري تعليقاً، كتاب: الأدب، الفتح ١٠/٥٣٧، ووصله ابن جرير ١٩/١٢٨، وابن أبي حاتم ٩/٢٨٣٣، من طريق علي بن أبي طلحة.

وقال قتادة : يمدحون بباطل ويشتمون بباطل^(١) . فالوادي مثل لفنون الكلام وأسالبيه ، وهيمانهم فيه : خوضهم ، وقولهم على الحيرة والجهل بما يقولون من لغو وباطل وغلو في مدح أو ذم^(٢) .

وقال ابن الأعرابي : قال بعضهم : هو وادي الصحراء يخلو فيه العاشق والشاعر [يتفرجان فيه] ، قال : ويقال هو وادي الكلام^(٣) ، والله أعلم . وقال الزَّجَّاج : ليس يعني أودية الأرض ، إنما هو مثل لقولهم وشعرهم^(٤) .

(١) أخرجه عبد الرزاق ٧٨/٢ ، وعنه ابن جرير ١٢٨/١٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٣٣/٩ .

(٢) تفسير هود الهواري ٣/٢٤٤ بمعناه .

وقد ورد في السنة ذم الشعر ، والتحذير من الالتئام به ، في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : «لَا يَمْتَلِئُ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قِيحًا خَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا» . أخرجه البخاري ، كتاب : الأدب ، رقم ٦١٥٤ ، الفتح ٥٤٨/١٠ ، ومسلم ١٧٦٩/٤ ، كتاب الشعر ، رقم ٢٢٥٨ . وهذا محمول على الشعر الباطل ، ويدل لذلك حديث عائشة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ رَشْقٍ بِالْبَلِّ» .

فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ ، فَقَالَ : اهْجُهُمْ فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرِضْ ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ : قَدْ أَنْ لَكُمْ أَنْ تُرْسَلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنبِهِ ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ ، فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ ، فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا فَرِيئَهُمْ بِلِسَانِي ، فَرَى الْأَدِيمُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا تَعْجَلْ ، فَإِنْ أَبَا بَكَرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا ، وَإِنْ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلْخَصَّ لَكَ نَسَبِي» . فَأَنَّهُ حَسَّانُ ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ لَخِصَّ لِي نَسَبَكَ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا سَلَنَكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ : «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» . وَقَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَأَشْتَفَى» . أخرجه مسلم ١٩٣٥/٤ ، كتاب : فضائل الصحابة ، رقم ٢٤٩٠ ، وأصله في البخاري ، كتاب الأدب ، رقم ٦١٥٣ ، الفتح ٥٦٤/١٠ .

(٣) تهذيب اللغة (هام) ٤٧٧/٦ من دون قوله : يتفرجان فيه . واقتصر على هذا القول ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢١ ، ولم ينسبه .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/١٠٤ .

٢٢٦. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ . قال مقاتل : يقولون : فعلنا وفعلنا وهم كذبة^(١) .

وقال أبو إسحاق : هذا دليل على تكذيبهم في قولهم ، يعني أن الله كذبهم في ما يقولون ، ثم استثنى شعراء المسلمين ، فقال^(٢) :

٢٢٧. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ . قال مقاتل والكلبي : هم عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت ، وسائر شعراء المسلمين^(٣) .

وقال ابن عباس : استثنى شعراء المهاجرين والأنصار^(٤) .

وقال أبو إسحاق : هم الشعراء الذين مدحوا رسول الله ﷺ ، وردوا هجاءه ، وهجاء المسلمين^(٥) .

قوله : ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ؛ أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله عز وجل ، ولم يجعلوا الشعر همهم^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٥٥ ب . ١٠٤ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٠٥ ، وتفسير مقاتل ٥٥ ب ، ومعاني القرآن للفرأ ٢ / ٢٨٥ ، كلاهما من قوله : «ثم استثنى» . وأخرجه بإسناده النحاس عن ابن عباس . الناسخ والمنسوخ ٥٧٢ / ٢ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٥ ب . وقال مجاهد : «ابن رواحة ، وأصحابه» . تفسير مجاهد ٢ / ٤٦٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٣٤ عن ابن عباس من طريق الضحاك ، وأخرجه عنه أيضاً النحاس . الناسخ والمنسوخ ٥٧١ / ٢ .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩ / ١٢٩ ، ولفظه : «ثم استثنى المؤمنين منهم ، يعني : الشعراء» .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٠٥ .

(٦) في نسخة (ج) : (هتهم) . معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٠٥ بنصه . فعلى هذا إما أن يراد : ذكروا الله كثيراً ، في كلامهم ، على وجه العموم ، أو : ذكروا الله كثيراً في شعرهم ، وقد أخرج ابن جرير القول الأخير عن ابن زيد . وهذا القول يدل على ضرورة أن يتميز الشاعر المؤمن بكثرة ما يورد في شعره من ذكر الله تعالى ، والدعوة إليه ، والله أعلم .

﴿وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ . قال مقاتل : وانتصروا من المشركين^(١) ؛ لأن المشركين بدؤوا بالهجاء^(٢) .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد إخراج المشركين إياهم من مكة وبيعهم دورهم ، وعلى هذا الظلم الذي نالهم ليس الهجاء ، إنما هو ما ذكره من الإخراج عن المنزل وبيع المساكن ، وانتصارهم منهم : هجأؤهم إياهم^(٣) . ومن أحق بأن يُهَجَّى^(٤) ممن كَذَبَ الرسول ﷺ وهجاه^(٥) .

قال مقاتل : ثم أوعِد شعراء المشركين فقال : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني : أشركوا^(٦) .

وقال الكلبي : هجوا النبي ﷺ^(٧) .

وقال ابن عباس : ﴿ظَلَمُوا﴾ المهاجرين وأخرجوهم من ديارهم ، وعلى هذا هو عام في مشركي مكة ، وهو الأولى .

﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد إلى جهنم والسعير .

(١) تفسير مقاتل ٥٦ أ .

(٢) تفسير السمرقندي ٤٨٧ / ٢ .

(٣) تفسير السمرقندي ٤٨٧ / ٢ ، بمعناه ، ولم ينسبه . أخرج ابن جرير ١٣٠ / ١٩ ، عن ابن عباس ، من طريق علي بن أبي طلحة ، قال : «يردون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين» .

(٤) في نسخة (أ) زيادة (نالهم ليس الهجاء) ، إنما هو ما ذكره من إلا ، والكلام مستقيم من دونها .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١٠٥ / ٤ بنصه .

(٦) تفسير مقاتل ٥٦ أ .

(٧) تنوير المقياس ٣١٥ ، وذكره عنه السمرقندي ٤٨٧ / ٢ بلفظ : «هجوا المشركين» .

وقال أبو إسحاق : عنى أنهم ينقلبون إلى نار جهنم مخلدون فيها . وأيّ : منصوبة بقوله : ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾ لا بقوله : ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾ ؛ لأن أياً ، وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها^(١) .

وهذا مما تقدّم الكلام فيه في مواضع من هذا الكتاب^(٢) .

* * *

(١) معاني القرآن للزجاج ١٠٥ / ٤ .

(٢) انظر : [الإسراء : ١١٠] ﴿أَيُّهَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ، و [الكهف : ١٢] ﴿أَيُّ الْحَزِينِ﴾ .

تفسير

سورة النمل^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿طس﴾ . قال ابن عباس : هو اسم من أسماء الله عز وجل ، أقسم الله به^(٢) .

(١) سورة النمل مكية ، وهي ثلاث وتسعون آية . تفسير مقاتل ٥٦ ب ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١١٩ ب ، وتفسير هود الهواري ٣ / ٢٤٦ من دون ذكر العدد ، والوسيط ٣ / ٣٦٨ ، ولم يقع خلاف في مكيتها . تفسير القرطبي ١٣ / ١٥٤ ، وتفسير أبي حيان ٧ / ٥١ ، وحكى ابن الجوزي ٦ / ١٥٣ الإجماع على ذلك وسماها أبو بكر بن مجاهد سورة سليمان . السبعة في القراءات ٤٧٨ ، وذكر ابن عاشور ١٩ / ٢١٥ عن ابن العربي في أحكام القرآن أنها تُسمَّى سورة الهدهد ، ولكني لم أجده عنده ، ثم قال : ووجه الأسماء الثلاثة أن لفظ : النمل ، ولفظ : الهدهد ، لم يذكر في سورة من القرآن غيرها ، وأما تسميتها : سليمان ؛ فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصلاً لم يذكر مثله في غيرها . وذكر الألوسي ١٩ / ١٥٤ الخلاف في مدنية بعض آياتها . قال المهامي : سُمِّيت سورة النمل لاشتغالها على مقالاتها الدالة على علم الحيوان بنزاهة الأنبياء وأتباعهم عن ارتكاب المكاره عمداً ، وهو مما يوجب الثقة بهم ، وهو من أعظم مقاصد القرآن . تفسير المهامي ٢ / ٩٩ .

وذكر الواحدي في الوسيط ٣ / ٣٦٨ حديث أبي بن كعب في فضل هذه السورة ، وهو حديث موضوع . تخريج الزيلعي للكشاف ٣ / ٢٣ ، والفتح السماوي ٢ / ٨٩٢ ، وقد سبق الحديث عنه في أول سورة الفرقان .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٩ / ١٣١ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٣٨ من طريق علي بن أبي طلحة ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٢٠ ، وفي تنوير المقياس ٣١٥ : ط ، طوله ، وسين ، سناؤه ، ويقال : قسم أقسم به .

وقال قتادة : إنه اسم من أسماء القرآن^(١) .

قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ تفسيره قد تقدّم في أوائل سور^(٢) .

٢ . وقوله : ﴿ هُدًى ﴾ . قال أبو إسحاق : يجوز أن يكون ﴿ هُدًى ﴾ في موضع نصب على الحال . المعنى : تلك آيات الكتاب هادية ومبشرة ، ويجوز أن يكون في موضع رفع من جهتين ؛ إحداهما : على إضمار : هو هدى ، وإن شئت على البدل من آيات ، على معنى : تلك هدى وبشرى . قال : وفي الرفع وجه ثالث ، وهو حسن ، على أن يكون خبراً بعد خبر ، وهما جميعاً خبرٌ لتلك ، كقولهم : هو حلو حامض ؛ أي قد جمع الطعمين ، فيكون خبر (تلك) : (آيات)^(٣) و(هدى) أيضاً فتجمع أنها آيات ، وأنها هادية ومبشرة^(٤) .

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي : بيان من الضلالة لأولياء الله ، ولمن عمل به ، وبشرى^(٥) بما فيه من الثواب للمصدقين بالقرآن أنه من عند الله ، وبالجنة لمن آمن بمحمد عليه السلام . ثم نعتهم فقال^(٦) : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

(١) أخرجه عبدالرزاق ٧٩ / ٢ ، وذكر الواحدي في الوسيط ٣ / ٣٦٨ عن مجاهد : هو من الحروف المقطعة ، التي هي فواتح يفتح الله بها القرآن ، وليست من أسماؤه ، وذكر البرسوي ٦ / ٣١٨ تأويلات باطلة لهذه الحروف .

(٢) سبق ذكر ما أحال عليه الواحدي في أول سورة الشعراء .

(٣) (آيات) سقطت من نسخة (أ) و(ب) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٠٧ .

(٥) (وبشرى) ساقطة من نسخة (أ) و(ب) .

(٦) تفسير مقاتل ٥٦ ب .

٤. قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ لا يصدقون بالبعث^(١) . ﴿زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَلُهُمْ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يعني : ضلالتهم حتى رأوها حسنة^(٢) . وفي هذا تكذيب للقدرية ، حيث أضاف الله تزيين القبيح لهم إلى نفسه^(٣) .

وقال أبو إسحاق : أي جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زينا لهم ما هم فيه^(٤) ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون فيها متحيرين^(٥) .

٥. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ : شدة العذاب^(٦) . وقال ابن عباس : أشد العذاب^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٥٦ ب ، وتفسير السمرقندي ٤٨٩/٢ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٦ ب .

(٣) قال ابن كثير ١٧٨/٦ : أي حسناً لهم ما هم فيه ، ومددنا لهم في غيهم ، فهم يتيهون في ضلالهم . وذكر الزمخشري ٣/٣٣٧ أن إسناد التزيين إلى الله تعالى هنا مجاز ، وإسناده إلى الشيطان في قوله تعالى : ﴿وَزَيْنًا لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ﴾ حقيقة . قال أبو حيان ٥٢/٧ : وهذا تأويل على طريق المجاز . قال البقاعي ١٢٧/١٤ : والإسناد إليه سبحانه حقيقي ، عند أهل السنة ؛ لأنه الموجد الحقيقي ، وإلى الشيطان مجاز سببي .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٠٨/٤ ، قال البرسوي ٣١٩/٦ : حيث جعلناها مشتبهة للطبع محبوبة للنفس ، كما ينبئ عنه قوله عليه الصلاة والسلام : «حفت النار بالشهوات» ؛ أي جعلت محفوفة ومحاطة بالأمور المحبوبة المشتبهة . واعلم أن كل مشيئة وتزيين وإضلال ونحو ذلك منسوبة إلى الله تعالى بالأصالة ، وإلى غيره بالتبعية . والحديث أخرجه مسلم ٢١٧٤/٤ ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، رقم ٢٨٢٣ ، والترمذي ٥٩٨/٤ ، كتاب : صفة الجنة ، رقم ٢٥٥٩ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٦ ب . قال مجاهد : فهم في ضلالهم يترددون . تفسير مجاهد ٤٦٩/٢ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٢٨٤١/٩ عن ابن عباس : في كفرهم يترددون .

(٦) تنوير المباس ٣١٥ ، وتفسير مقاتل ٥٦ ب ، وتفسير هود الهواري ٢٤٦/٣ ، وتفسير السمرقندي ٤٨٩/٢ .

(٧) تفسير الوسيط ٣/٣٦٨ ، من دون نسبة .

قال مقاتل والكلبي : يعني في الآخرة^(١) .

وقال غيرهما : يعني في الدنيا ؛ وهو القتل والأسر ببدر^(٢) .

﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ﴾ . قال ابن عباس : خسروا أنفسهم وأهلهم ، وقرنوا بالشياطين .

٦ . ﴿وَأِنَّكَ لَلْقَىٰ الْفُرَاتِ﴾ . قال مجاهد ومقاتل : لتؤتى بالقرآن^(٣) .

وقال السدي : يلقي عليك الوحي^(٤) .

وقال الكلبي : لتعطى القرآن^(٥) . ومضى تفسير التلقي والتلقي عند قوله : ﴿فَلَقَّيْنَاهُ عَادَمُ﴾ [البقرة: ٣٧]^(٦) .

قال أبو إسحاق : أي يُلقى إليك القرآن وحياً من عند الله عز وجل ، أنزله بعلمه وحكمته^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٥٦ ب ، وتنوير المقياس : ٣١٥ .

(٢) ذكره ابن جرير ١٩ / ١٣٢ ، ولم ينسبه .

(٣) تفسير مقاتل ٥٦ ب .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٤٢ ، واقتصر على هذا القول في تفسيره الوسيط ٣ / ٣٦٨ ، والوجيز ٧٩٩ / ٢ .

(٥) تنوير المقياس ٣١٥ بلفظ : (ينزل عليك جبريل بالقرآن) . أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٤١ عن قتادة : لتأخذ القرآن .

(٦) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : التلقي في اللغة معناه : الاستقبال ، ومنه الحديث : «أنه نهي عن تلقي الركبان» . قالوا معناه : الاستقبال ، الليث يقول : خرجنا نتلقى الحاج ؛ أي نستقبلهم ، وفي حديث آخر : «لا تتلقوا الركبان والأجلاب» ، هذا معنى التلقي في اللغة .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٠٨ .

٧. قوله : ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ . قال الزَّجَّاج : موضع (إِذْ) نصب . المعنى : اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ ؛ أي اذكر قصته ^(١) .

وقوله : ﴿لَأَهْلِيهِ﴾ . قال مقاتل : لامرأته ^(٢) . ﴿إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا﴾ مُفسَّر في سورة طه ^(٣) .

﴿سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ : أي من الطريق ؛ أي بخبر عن الطريق ، وقد كان تحيّر ، وترك الطريق ، قاله ابن عباس ومقاتل ^(٤) . ﴿أَوْءَاتِيكُمْ﴾ ؛ أي فإن لم أجد أحداً يخبرني عن الطريق ﴿ءَاتِيكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ﴾ ^(٥) .

قال ابن السكيت : الشهاب : العود الذي فيه نار ^(٦) .

وقال أبو الهيثم : الشهاب : أصل خشبة فيها نار ساطعة ^(٧) .

وقال الليث : الشهاب شُعْلَةٌ نارٍ ساطعة ، والجمعُ : الشُّهْب والشُّهْبَان ^(٨) .

وقال الزَّجَّاج : كل أبيض ذي نور فهو شهاب ^(٩) .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٠٨/٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٦ ب .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه : ١٠] .

(٤) تفسير مقاتل ٥٦ ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٤٢/٩ عن ابن عباس وذكره عنه الماوردي ١٩٤/٤ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٦ ب .

(٦) تهذيب اللغة (شهب) ٨٨/٦ .

(٧) تهذيب اللغة (شهب) ٨٨/٦ ، وتفسير الوسيط ٣/٣٦٩ ، من دون نسبة .

(٨) العين (شهب) ٣/٤٠٣ ، ونقله الأزهري في تهذيب اللغة (شهب) ٨٧/٦ .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٠٨/٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٤٣/٢ .

ويدخل في هذا النجم والنار والسنان^(١)، وقد استعمل الشهاب في هذا كله .

وقال أبو علي : الذي قاله أبو إسحاق لا أدري أقاله رواية أم استدلالاً^(٢) .
وتفسير القبس قد سبق في سورة طه^(٣) .

وَقُرِئَ قوله : ﴿شِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بالتنوين ، وبالإضافة^(٤) . قال أبو إسحاق : فَمَنْ نَوَّنَ جعل قَبَس من صفة الشهاب^(٥) ، ومن أضاف فقال الفراء : هو مما يضاف إلى نفسه إذا اختلف الاسمان ، كقوله : ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف : ١٠٩] ^(٦) .

قال أبو علي : القبس يجوز أن يكون صفة ، ويجوز أن يكون اسماً غير صفة ، فأما جواز كونه وصفاً فلا أنهم يقولون : قَبَسْتُهُ أَقْبِسُهُ قَبْساً ، والقَبْسُ : اسم للشيء المقبوس ، وكذلك الحَلَبُ قد يكون بمعنى : المحلوب ، والقَبْسُ ما اقتبست ، من

(١) السنان : سنان الرمح ، وجمعه : أسنة ، وسنان الرمح : حديدته لصقالتها وملاستها . تهذيب اللغة (سنن) ٢٩٨ / ١٢ ، ولسان العرب ١٣ / ٢٢٣ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٣٧٣ / ٥ .

(٣) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ مِنْهَا يَقْبَئُونَ﴾ [طه : ١٠] : القبس شعلة من نار يقتبسها من معظم النار . قال أبو زيد : أقبست الرجل علماً ، بالألف واللام ، وقبسته ناراً إذا جثته بها ، فإن كان طلبها قال : أقبسته بالألف . وقال الكسائي : أقبسته ناراً وعلماً سواء ، وقد يجوز طرح الألف منها . قال المبرد : والأصل واحد ؛ لأن كلاهما مستضاء به .

(٤) قرأ عاصم وحمة والكسائي بالتنوين ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالإضافة . انظر السبعة في القراءات ٤٧٨ ، والحجة للقراء السبعة ٣٧٢ / ٥ ، والنشر في القراءات العشر : ٢ / ٣٣٧ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١٠٨ / ٤ ، ويجوز أن يكون بدلاً منه . معاني القراءات للأزهري ٢ / ٢٣٣ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٨٦ .

وقد ردّ النحاس قول الفراء ، فقال : إضافة الشيء إلى نفسه محال عند البصريين ؛ لأن معنى الإضافة في اللغة ضم شيء إلى شيء ، فمحال أن يضم الشيء إلى نفسه ، وإنما يضاف الشيء إلى الشيء ؛ ليبين به معنى الملك والنوع ، فمحال أن يبين أنه مالك نفسه أو من نوعها ، و﴿شِهَابٍ قَبَسٍ﴾ إضافة النوع إلى الجسم ، كما تقول : هذا ثوب خز . إعراب القرآن ٣ / ١٩٨ .

قولهم : قَبَسْتُهُ نَاراً إِذَا جِئْتَهُ بِهَا . وَإِذَا كَانَ قَوْلُهُ : (قَبَسَ) صِفَةً فَلأَحْسَنَ التَّنْوِينِ ؛
لأن الموصوف لا يضاف إلى صفة^(١) .

وقال أبو الحسن : الإضافة أكثر وأجود في القراءة ، كما تقول : دار أجْرٌ ،
وسوارٌ ذهبٌ ، قال : ولو قلت : سوارٌ ذهبٌ ، ودارٌ أجْرٌ كان عربياً ، والأكثر في
كلام العرب الإضافة^(٢) .

قال أبو علي : فأبو الحسن : جعل القبس غير صفة ، ألا ترى أنه جعله بمنزلة
الأجر والذهب ، وليس واحد منهما صفة^(٣) .

وقال المفسرون : شعلة نار^(٤) . ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ : لكي تصطلوا من
البرد^(٥) . قال الكلبي : وكان ذلك في شدة الشتاء^(٦) .

ويقال : صلى بالنار واصطلى بها إذا استدفأ . واستقصاء تفسير هذه الآية قد
تقدّم في سورة طه .

٨ . وقوله : ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ﴾ . قال الفراء : (أن) في موضع نصب إذا
أضمرت اسم موسى في (نودي) ، وإن لم تضر اسم موسى كانت
(أن) في موضع رفع ، ونحو هذا قال الزجاج^(٧) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٣٧٣ / ٥ مختصراً .

(٢) ذكر قول أبي الحسن ، أبو علي في الحجة للقراء السبعة ٣٧٧ / ٥ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٣٧٧ / ٥ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٧ ، ومجاز القرآن ٩٢ / ٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٢ ، وتفسير ابن جرير
١٣٣ / ١٩ .

(٥) تفسير هود الهواري ٢٤٧ / ٣ ، وتفسير ابن جرير ١٣٣ / ١٩ ، وتفسير الماوردي ١٩٤ / ٤ .

(٦) تنوير المقياس : ٣١٦ ، وتفسير هود الهواري ٢٤٧ / ٣ ، ولم ينسبه . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٤٢ / ٩
عن ابن عباس ، وذكره الماوردي ١٩٤ / ٤ عن قتادة .

(٧) معاني القرآن للفراء ٢٨٦ / ٢ ومعاني القرآن للزجاج ١٠٩ / ٤ .

وقوله : ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ . قال الفراء : العرب تقول : باركه الله ، وبارك عليه ، وبارك فيه ^(١) . قال الشاعر :

فبُورِكتَ مولوداً وبُورِكتَ ناشئاً
وبُورِكتَ عندَ الشَّيبِ إذ أنتَ أَشيبُ ^(٢)

والمعنى : بورك في من في النار ، أو على من في النار . وقال آخر :

بورك الميثُ الغريبُ كما بوركَ نَظْمُ الرُّمَانِ والزيتونِ ^(٣)

واختلفوا في من في النار ؟ فالأحسن أن الآية من باب حذف المضاف على تقدير : بورك من في طلب النار ، وهو موسى عليه السلام ، وكأنه تحية من الله - عز وجل - لموسى بالبركة ، كما حيا إبراهيم بالبركة على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه ، فقالوا : ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] ^(٤) .

وقال أبو علي : ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ مَنْ فِي قَرَبِ النَّارِ ليس يراد به : متوغلها .

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٦ ، وذكره النحاس عن الكسائي . إعراب القرآن ٣/ ١٩٩ .

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢١ أ ، ولم ينسبه ، وعنه القرطبي ١٣/ ١٥٨ ، وذكره أبو حيان ٧/ ٥٤ ، ولم ينسبه . والبيت للكميت يمدح فيه النبي ﷺ . شرح هاشميات الكميت : ٦١ .

(٣) أنشده الزَّجَّاج ٤/ ٤٥ ، غير منسوب بلفظ : (نظم) ، واستشهد به على أنه ليس شيء يورق غصنه من أوله إلى آخره مثل الزيتون والرمان . وذكره البغدادي في خزانة الأدب ١٠/ ٤٦٧ بلفظ : (نضح) ، وبللفظ : (غصن الرمان) ، ونسبه إلى أبي طالب عم النبي ﷺ من قصيدة له يرثي بها مسافر بن أبي عمرو . ديوان أبي طالب ٩٣ .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٠ ب . ولم ينسبه . واقتصر على هذا القول في الوسيط ٣/ ٣٦٩ ، والوجيز ٢/ ٨٠٠ ، وجعله الرازي ٢٤/ ١٨٢ أقرب الأقوال ، واقتصر عليه ابن عاشور ١٩/ ٢٢٦ .

وقال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة في قوله : ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ : قُدِّسَ مَنْ فِي النَّارِ ، وهو الله سبحانه ، عنى به نفسه ^(١) ، وعلى هذا إسناد البركة إلى الله كقوله : تبارك الله ، وقد ذكرناه .

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/١٣٣ عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/٢٨٤٥ عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وأخرجه عن ابن عباس ، عبدالله بن الإمام أحمد ، كتاب : السُّنَّة ١/٣٠٠ ، رقم ٥٨٢ ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/٧٩ عن قتادة بلفظ : (نور الله بورك) ، وعن الحسن بلفظ : (هو النور) ، وهو موافق لما عند ابن جرير ، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية مقررأله . مجموع الفتاوى ٥/٤٦١ ، ومن الروايات التي ذكرها شيخ الإسلام عن ابن أبي حاتم رواية سعيد بن أبي مريم ثنا مفضل ابن أبي فضالة حدثني ابن ضمرة : ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُورِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . قال : إن موسى كان على شاطئ الوادي . . . إلى أن قال : فلَمَّا قام أبصر النار ففسار إليها ، فلَمَّا أَتَاهَا ﴿نُورِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . قال : إنها لم تكن ناراً ، ولكن كان نور الله ، وهو الذى كان في ذلك النور ، وانما كان ذلك النور منه ، وموسى حوله . وعلى هذا فلا وجه لردّ هذه الأخبار أو تأويلها كما فعل بعض المفسرين ، كالرازي ٢٤/١٨٢ ، وابن جزي ٥٠٢ ، وأبي حيان ٧/٥٤ ، وتوجيه الواحدى لهذا القول توجيه حسن . وذكر الألوسي عن الشيخ إبراهيم الكوراني تصحيحه لخبر ابن عباس ، وأنه لا يحتاج إلى تأويل ، وأن معناه ظاهر .

والمراد بالنار هاهنا : النور ؛ وذلك أن موسى رأى نوراً عظيماً فظنّه ناراً لذلك ذكرها هنا بلفظ النار^(١)، والمعنى : بورك الله الذي في النار ، وحسن هذا ؛ لأنه ظهر لموسى بآياته وكلامه من النار^(٢) .

وهذا كما روي أنه مكتوب في التوراة : جاء الله من سيناء يعني : بعث الله موسى من سيناء حتى يدعو الخلق إليه ، ويعرفهم توحيدهم ودينه وشرائعه ، فلما عرفوا بعثة موسى من سيناء قيل : جاء الله من سيناء ، كذلك لما ظهر لموسى بآياته وكلامه من النار ، وصف بأنه في النار ، على معنى أنه عُرف منها^(٣) .

(١) الوسيط ٣/ ٣٦٩، وصدره بقوله : ومذهب المفسرين . ونقله عنه الشوكاني ٤/ ١٢٢ ، ولم يعترض عليه ، وذكره الماوردي ٤/ ١٩٥ ، ولم ينسبه ، واقتصر عليه ابن كثير ٦/ ١٧٩ ، وذكر عن ابن عباس أنه قال : نور رب العالمين . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٣٤ بلفظ : (يعني نفسه) ، قال : كان نور رب العالمين في الشجرة . ثم ذكر ابن كثير بعد ذلك حديث أبي موسى ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ ، وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفُضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، حِجَابُهُ النُّورُ ، لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ ، أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ» ، ثُمَّ قرأ أبو عبيدة : ﴿أَنْ بُوْرِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . أخرجه ابن ماجه ١/ ٧١ ، المقدمة ، رقم ١٩٦ ، ومسلم ١/ ١٦٢ ، كتاب : الإيمان ، رقم ١٧٩ من دون ذكر الآية ، وصححه الألباني ، صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٣٩ ، رقم ١٦٢ ، وجوّد إسناده محقق مسند أبي يعلى الموصلي ١٣/ ٢٤٥ ، قال السيوطي : أخرج ابن المنذر عن محمد بن كعب ، قال : النار : نور الرحمن . الدر المنثور ٦/ ٣٤١ .

قال سعيد بن جبیر : كانت النار بعينها . تفسير البغوي ٦/ ١٤٥ ، ثم قال البغوي : والنار إحدى حجب الله تعالى ، كما جاء في الحديث : «حجابه النار» . وهي رواية للحديث السابق أخرجه الإمام أحمد ، مسند الكوفيين ، رقم ١٩٠٩٠ ، والذي يظهر - والله تعالى أعلم - صحة هذا التأويل ، ولا يلزم من القول به لوازم باطلة ، فإن الله تعالى قد أخبر بنفسه عن نفسه بذلك ، كما أخبرنا عن تجليه - سبحانه وتعالى - للجبل ، فقال : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ رُبُّهُ الْجَبَلَ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَوْقًا﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، والله أعلم .

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٧٧ .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٠ أ . قال النيسابوري في وضع البرهان ٢/ ١٣٨ : وفي التوراة : جاء الله من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ؛ أي من هذه المواضع جاءت آياته ، وظهرت رحمته ، حيث كلم موسى بسيناء ، وبعث عيسى من ساعير ، ومحمداً من فاران جبال مكة . وضع البرهان ٢/ ١٣٨ .

وقال بعضهم : على هذا القول تقدير الآية : ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ سلطانه وقدرته ، فحذف للإحاطة^(١) .

وروي عن مجاهد في هذه الآية أنه قال : معناه : وبوركت النار^(٢) . والتبرك عائد إلى النار . وهذا يكون على قراءة [أبي ، فإنه كان يقرأ : أن بوركت النار ومن حولها^(٣) .

ولا يتوجه قول مجاهد على قراءة^(٤) العامة .

وقال السدي : كان في النار ملائكة^(٥) ، فعلى هذا ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ الملائكة^(٦) .

(١) تفسير الثعلبي ٨ / ١٢٠ ب .

(٢) تفسير مجاهد ٢ / ٤٦٩ ، وفيه : (قال مجاهد : وكذلك قال ابن عباس) ، وهو كذلك عند ابن جرير ١٩ / ١٣٤ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٤٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٤٦ ، وذكرها الثعلبي ٨ / ١٢٠ ب . قال النحاس : ومثل هذا لا يوجد بإسناد صحيح ، ولو صح لكان على التفسير . إعراب القرآن ٣ / ١٩٩ ، وذكر هذه القراءة ابن جني بلفظ : (تباركت الأرض) . المحتسب ٢ / ١٣٤ ، واختار هذا القول لهذه القراءة الزمخشري ٣ / ٣٣٨ ، وذكره أبو السعود ٦ / ٢٧٣ ، وصدر غيره بـ قيل ، واختاره البيضاوي ٢ / ١٧١ ، والبرسوي ٦ / ٣٢١ ، قال : أي من في مكان النار ، وهو البقعة المباركة ، ورجح هذا القول شيخنا عبد الله الوهيبي في تحقيقه لتفسير العز بن عبد السلام ٢ / ٤٥٧ ، مع أن العز لم يذكر هذا القول . وأما قول السعدي ٥ / ٥٦٢ : أي ناداه الله تعالى ، وأخبره أن هذا محل مقدس مبارك ، ومن بركته أن جعله موضعاً لتكليم الله لموسى وإرساله ؛ فإنه لا يلزم منه نفي ما عده من الأقوال إذ لم يصح بذلك ، والله أعلم . وقد ذكر القاسمي ١٣ / ٥٨ ، هذه الأقوال كلها ولم يرجح ، لكنه قدم القول الذي اختاره الزمخشري ، وقدمه أيضاً المراغي ١٩ / ١٢٣ .

(٤) ما بين المعقوفين غير موجود في نسخة (ج) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٤٦ عن السدي ، وذكره عنه الماوردي ٤ / ١٩٥ .

(٦) وذكر هذا القول النيسابوري في وضع البرهان ٢ / ١٣٨ ، ولم ينسبه .

وروي أيضاً عن جماعة من أهل التفسير أنهم قالوا: ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ نور الله^(١)، وعلى هذا تكون (مَنْ) بمعنى ما، والله تعالى خلق نوراً في النار التي رآها موسى فكانت ناراً ونوراً^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: هم الملائكة وموسى في قول الجميع^(٣)؛ وذلك أنه كان حول ذلك النور الذي رأى موسى ملائكة، لهم زَجَلٌ بالتسبيح والتقديس^(٤).

وقال أبو علي: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾. ومن لم يقرب منها قرب الآخذ فيها وهو موسى، يعني أن موسى هو الآخذ منها، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ١٠١]، لم يقرب المنافقون الذين حولهم قرب المخالطين لهم، حيث يحضرونهم ويشهدونهم في مشاهدتهم^(٥).

(١) أخرجه عبدالرزاق ٧٩/٢، وابن جرير ١٣٤/١٩ عن قتادة بلفظ: (نور الله بورك)، وعن الحسن بلفظ: (هو النور)، وذكره الزَّجَّاج ١٠٩/٤، ولم ينسبه.

(٢) حكى هذا القول الماوردي ١٩٥/٤، والنيسابوري ١٣٨/٢، ولم ينسبه.

(٣) هما قولان؛ الأول: الملائكة، تفسير مقاتل ٥٧، وتفسير هود الهواري ٢٤٧/٣، وأخرجه عبدالرزاق ٧٩/٢ عن الحسن، وأخرجه ابن جرير ١٣٥/١٩ عن ابن عباس والحسن، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٤٧/٩ عن ابن عباس، وعكرمة، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، وأخرجه عن ابن عباس، عبدالله بن الإمام أحمد، كتاب: السنة ٣٠٠/١، رقم ٥٨٢، وذكره الفراء ٢٨٦/٢ غير منسوب. والثاني: موسى والملائكة، أخرجه ابن جرير ١٣٥/١٩، وابن أبي حاتم ٢٨٤٦/٩ عن محمد بن كعب، وذكره الثعلبي ١٢١/٨، ولم ينسبه. والقولان في تنوير المقياس ٣١٦، وتفسير الماوردي ١٩٥/٤، ونسبه ابن عطية ١٧٢/١١، إلى الحسن وابن عباس، وذكر ابن الجوزي ١٥٥/٦ قولاً ثالثاً، هو: موسى فقط. والمعنى: بورك في مَنْ يطلبها وهو قريب منها، وذكر هذا القول العزفي تفسيره ٤٥٧/٢.

(٤) تفسير الوسيط ٣٦٩/٣، وتفسير البغوي ١٤٥/٦، ولم ينسبه. الزَّجَلُ: رفع الصوت الطَّرب. تهذيب اللغة (زجل) ٦١٦/١٠.

(٥) هكذا في نسخة (ج)، وفي نسخة (أ): (لم يقرب المنافق الذي حولهم قرب بالمخاطبين لهم)، وفي نسخة (ب): (لم يقرب المنافقون الذي حولهم قرب بالمخاطبين لهم).

﴿وَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ . قال ابن عباس : نزه نفسه ^(١) .

٩ . قوله تعالى : ﴿يَمْوَسَّيْ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ . قال مقاتل : إن النور الذي رأيت ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ^(٢) .

[وقال الكلبي : ﴿يَمْوَسَّيْ إِنَّهُ﴾ إن ذلك النور ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾] ^(٣) ، فجعللا الكناية في (إِنَّهُ) عن النور ، وهو فاسد من وجهين ؛ أحدهما : إن النور لا يجوز أن يكون الله تعالى ، والثاني : إن المذكور في القرآن النار ، وكني عنها بالتأنيث كقوله : ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا﴾ [القصص : ٣٠] ، وقوله : ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ . فلو كان الأمر على ما ذكر لقليل : إنها ، والصحيح أن الكناية في قوله : (إِنَّهُ) كناية عن الشأن والأمر ، أراد : الشأن والأمر (أَنَا الله) ، وقد ذكرنا نظائر هذا عند قوله : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ [الحج : ٤٦] ، وفي مواضع ^(٤) .

وقال الفرّاء : هذه الهاء عماد ، وهو اسم لا يظهر ^(٥) ، وعلى هذا الهاء ليست بكناية ^(٦) ، ولكنها عماد تذكر تأكيداً .

(١) تنوير المقباس : ٣١٦ . وذكره الواحدي في الوسيط ٣ / ٣٦٩ ، غير منسوب ، وذكره الماوردي ٤ / ١٩٥ عن السدي من كلام موسى عليه الصلاة والسلام .

(٢) تفسير مقاتل ٥٧ أ .

(٣) ما بين المعقوفين غير موجود في نسخة (ج) .

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال الفرّاء : الهاء عماد يوفي بها : إن ، ويجوز مكانها : إنه ، وكذلك هي في قراءة عبدالله .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٨٧ . وفي الحاشية : هو المعروف عند البصريين بضمير الشأن . وذكر ذلك الطوسي ، فقال : يسميها البصريون : إضمار الشأن والقصة . التبيان في تفسير القرآن ٨ / ٧٧ ، واستظهر هذا القول أبو حيان ٧ / ٥٥ ، وهو قول البضاوي ٢ / ١٧١ .

(٦) تفسير الثعلبي ٨ / ١٢١ ب . قال ابن الجوزي ٦ / ١٥٦ : وعلى قول السدي : هي كناية عن المنادي ؛ لأن موسى قال : من هذا الذي يناديني ؟ فقليل : ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ . وصحح كونها كناية القرطبي ١٦٠ / ١٣ .

١٠. قوله : ﴿وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ : في الآية محذوف تقديره : فألقاها فصارت حية تهتز ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ وحذف فألقاها ؛ لأنه ذُكر في سورتين ؛ الأعراف ، والشعراء ^(١) .

﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ . قال الليث : الجانُّ : حية بيضاء ^(٢) ، وقال ابن شميل : الجانُّ حية أبيض دقيق أملس لا يضر أحداً ، وجمع الجانُّ : جنان ^(٣) .

وفي الحديث : نهى عن قتل جنان البيوت ، وهي حيات بيض تكون في البيوت ، لا تضر ولا تؤذي ^(٤) .

قال أبو إسحاق : المعنى أن العصا صارت تتحرك كما يتحرك الجانُّ حركة خفيفة وكانت في صورة ثعبان ^(٥) .

(١) في سورة [الأعراف : ١٠٧] ، و[الشعراء : ٣٢] ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ ، وفي سورة : طه : ١٩ ، ٢٠ ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ۖ فَالْقَهَا ۚ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ .

(٢) العين (جن) ٢١ / ٦ . ونقله الأزهرى في تهذيب اللغة ٤٩٦ / ١٠ .

(٣) في تنوير المقباس : ٣١٦ : حية لا صغيرة ، ولا كبيرة ، وكذا في معاني القرآن للقرآء ٢ / ٢٨٧ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٢ ، ولم أجده في تهذيب اللغة .

(٤) عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يُحْطَبُ عَلَى الْمِنْبَرِ ، يَقُولُ : «اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَاقْتُلُوا إِذَا الطُّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَرِ فَإِنَّهُمَا يَطْمَسَانِ الْبَصَرَ وَيَسْقِطَانِ الْحَبْلَ» . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَبَيْنَا أَنَا أَطَارِدُ حَيَّةً لَأَقْتُلَهَا فَنَادَانِي أَبُو لُبَابَةَ : لَا تَقْتُلْهُ . فَقُلْتُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ الْحَيَّاتِ . قَالَ : إِنَّهُ نَهَى بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ وَهِيَ الْعَوَامِرُ . أخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، رقم ٣٢٩٧ ، ٣٢٩٨ ، فتح الباري ٦ / ٣٤٧ ، وفيه : (وذا الطفيتين جنس من الحيات يكون على ظهره خطان أبيضان ، والأبتر : مقطوع الذنب . والعوامر : عمار البيوت ؛ أي سكانها من الجن) ، وأخرج مسلم ٤ / ١٧٥٦ عن أبي سعيد مرفوعاً : «إن لهذه البيوت عوامر ، فإذا رأيتم منها شيئاً فخرجوا عليه ثلاثاً ، فإن ذهب وإلا فاقتلوه» . صحيح مسلم ، كتاب : السلام ٢٢٣٦ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٠٩ .

ونحو هذا قال ثعلب : شبهها في عظمها بالثعبان ، وفي خفتها بالجأن ،
فلذلك قال الله تعالى مرة : ﴿كَأَنَّهُمَا جَأْنٌ﴾ ، ومرة : ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ [الأعراف : ١٠٧ ،
والشعراء : ٣٢] ^(١) .

وقيل : الاختلاف في التشبيه لاختلاف الحالين ؛ فالجأن عبارة عن أول
حالتها ، ثم لا تزال تزيد وتربو حتى تصير ثعباناً عظيماً ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَلَىٰ مُدْرِكٌ﴾ . قال مقاتل : من الخوف من الحية ، ﴿وَلَمْ يُعَقَّبْ﴾
يعني : ولم يرجع ^(٣) .

يقال : عَقَّبَ فلان إذا رجع يقاتل بعد أن ولى ^(٤) .

وهذا قول مجاهد ^(٥) ، وأهل اللغة ^(٦) .

قال شمر : وكل راجع مُعَقَّبٌ ^(٧) .

-
- (١) تهذيب اللغة (جن) ٤٩٦ / ١٠ ، وتفسير الوسيط ٣ / ٣٦٩ ، غير منسوب .
(٢) تفسير الثعلبي ٨ / ١٢١ أ . من دون نسبة . قال أبو الليث : الثعبان كان عند فرعون ، والجأن عند
الطور . تفسير السمرقندي ٢ / ٤٩٠ ، وذكره الطوسي ، ولم ينسبه . التبيان في تفسير القرآن ٨ / ٧٨ ،
وهذا التفريق له وجه ، لكنه يحتاج إلى دليل يشهد له ، والله أعلم .
(٣) تفسير مقاتل ٥٧ ، ومجاز القرآن ٢ / ٩٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٢ ، وأخرجه ابن جرير
١٣٦ / ١٩ عن ابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٤٨ عن مجاهد ، وهو قول السمرقندي
٢ / ٤٩٠ ، والثعلبي ٨ / ١٢١ .
(٤) ذكر نحوه الأزهري عن أبي الهيثم . تهذيب اللغة (عقب) ١ / ٢٧٢ .
(٥) تفسير مجاهد ٢ / ٤٦٩ ، وأخرجه ابن جرير ١٣٦ / ١٩ .
(٦) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٠٩ بلفظ : (وأهل اللغة يقولون : لم يرجع ، يقال : قد عقب فلان إذا رجع
يقاتل بعد أن ولى) .
(٧) تهذيب اللغة (عقب) ١ / ٢٧٣ .

وقال ابن عباس : ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ : لم يقف ^(١) .

وقال قتادة : لم يلتفت ^(٢) . وهذا معني ، وليس بتفسير .

وروى شمر عن عبد الصمد عن سفيان : لم يمكث ، قال : وهو من كلام العرب ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ . قال ابن عباس : لا يخاف عندي من أرسلته برسالتني ^(٤) ، والمعنى : لا يخيف الله الأنبياء ؛ أي إذا أمنهم فلا يخافونه ، فيكف يخاف الحية ، فنهى عن الخوف من الحية ، ونبه على أمن المرسلين عند الله ؛ ليعلم أن من آمنه الله من عذابه بالنبوة ودرجة الرسالة لا يستحق أن يخاف الحية ^(٥) .

١١ . ثم قال : ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ : يعني أذنب ^(٦) ، ﴿ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا﴾ ؛ أي توبهً وندماً ، ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾ عمله فإنه يخاف ويرجو ، ﴿فَأِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، وعلى هذا الاستثناء صحيح

(١) أخرج ابن أبي حاتم ٢٨٤٨/٩ عن السدي : لم ينتظر .

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٧٩/٢ ، وابن جرير ١٣٦/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٨٤٨/٩ ، وتنوير المقباس ٣١٦ ، واقتصر عليه الفراء ٢٨٧/٢ ، وذكره الهواري ٢٤٧/٣ ، ولم ينسبه .

(٣) تهذيب اللغة (عقب) ٢٧٣/١ ، من دون قوله : وهو من كلام العرب ، وإنما ذكر أبياتاً بعد ذلك تدل عليه . وعبد الصمد هو ابن حسان ، أبو يحيى المروزي ، قاضي هراة ، حدث عن زائدة ، والثوري ، وإسرائيل ، والكوفيين ، وحدث عنه الذهلي ، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء ، وأحمد بن يوسف السلمي ، توفي سنة ٢١٠ هـ انظر سير أعلام النبلاء ٥١٧/٩ .

(٤) تفسير الوسيط ٣٦٩/٣ عن ابن عباس . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٤٩/٩ عن قتادة بلفظ : (أي) عندي المرسلون ، وهو قول ابن جرير ١٣٦/١٩ ، والزجاج ١١٠/٤ .

(٥) تفسير الوسيط ٣٦٩/٣ ، من دون نسبة .

(٦) تفسير مقاتل ٥٧ ، وذكر لذلك أمثلة فقال : فكان منهم آدم ، ويونس ، وسليمان ، وإخوة يوسف ، وموسى بقتله النفس ، عليهم السلام . قال ابن عطية ١٧٦/١١ : أجمع العلماء أن الأنبياء - عليهم السلام - معصومون من الكبائر ، ومن الصغائر التي هي رذائل ، واختلف في ما عدا هذا .

من المرسلين ، ويكون المعنى : إلا من ظلم نفسه [في ما فعل من صغيرة ، فاستثناء متصل . وفيه إشارة إلى أن موسى وإن ظلم نفسه^(١) بقتل القبطي ، وخاف من ذلك فإن الله يغفر له ؛ لأنه ندم على ذلك وتاب منه^(٢) ، وهذا أحد قولي الفراء ، واختيار ابن قتيبة^(٣) .

القول الثاني : قال : هذا الاستثناء ليس من المرسلين ، ولكنه من متروك في الكلام على تقدير : ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ إنما الخوف على غيرهم ، ثم استثنى فقال : ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ؛ أي أشرك ، فهو يخاف عذابي^(٤) ، ﴿ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ : يعني توحيداً بعد شرك ؛ أي فتاب وعمل حسناً ، فذلك مغفور له ليس بخائف^(٥) .

قال ابن قتيبة : وهذا يبعد ؛ لأن العرب إنما تحذف من الكلام ما يدل عليه ما يظهر ، وليس في ظاهر الكلام دليل على هذا التأويل^(٦) . والقول الأول قول مقاتل^(٧) ، والثاني قول الكلبي^(٨) .

(١) ما بين المعقوفين غير موجود في نسخة (ج) .

(٢) الوسيط ٣ / ٣٧٠ ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [القصص : ١٥-١٦] .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٢١٩ ، واختاره ابن جرير ١٣٧ / ١٩ ، ورجحه .

(٤) اختار هذا القول ابن جزي ٥٠٣ ، وردّ هذا القول النحاس ، فقال : استثناء من محذوف محال ؛ لأنه استثناء من شيء لم يذكر ، ولو جاز هذا لجاز : إِنِّي أَضْرِبُ الْقَوْمَ إِلَّا زَيْدًا ، بمعنى : لا أضرب القوم إنما أضرب غيرهم إلا زيداً ، وهذا ضد البيان ، والمجيء بما لا يعرف معناه . إعراب القرآن ٣ / ٢٠٠ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٨٧ ، وذكره السمرقندي ٢ / ٤٩٠ عن الكلبي .

(٦) تأويل مشكل القرآن ٢١٩ .

(٧) تفسير مقاتل ٥٧ .

(٨) تنوير المقباس : ٣١٦ .

قال ابن الأنباري : الذي استقبحه ابن قتيبة من قول الفرّاء عندي جيد غير قبيح ؛ لأنه لما قال : ﴿لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ كان معناه : يأمن المرسلون عندي ويخاف غيرهم ، فاكتفى بالشيء من ضده ، كما قال : ﴿سَرِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل : ٨١]^(١) . وذهب قوم إلى أن هذا من الاستثناء المنقطع . المعنى : لكن من ظلم من العباد ثم تاب ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ؛ أي فلاني أغفر له ، والمعنى : لا يخاف الأنبياء والتائبون ، وهذا اختيار أبي إسحاق^(٢) .

وذهب آخرون إلى أن معنى (إلا) هاهنا : ولا ، كأنه قال : لا يخاف لديّ المرسلون ، ولا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء ، فيكون المعنى في هذا الوجه كالمعنى في الاستثناء المنقطع ، ولم يُجْزِ الفرّاء هذا الوجه^(٣) . وذكرنا جواز كون (إلا) بمعنى ولا عند قوله : ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة : ١٥٠]^(٤) .

(١) ذكر هذا الخطيب الإسكافي في درة التنزيل ٣٣٦ ، من دون نسبة ، وفيه : (فحذف البرد لعلم المخاطبين به) .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١١٠ ، وبه قال أبو حيان ٧ / ٥٥ ، والبيضاوي ٢ / ١٧٢ ، وابن الأنباري في البيان ٢ / ٢١٨ ، والمرآغي ١٩ / ١٢٤ ، والبرسوي ٦ / ٣٢٣ ، لكنه جعل المعنى راجعاً إلى الأنبياء ، فقال : استثناء منقطع ؛ أي لكن من ظلم نفسه من المرسلين بذنب صدر منه ، كآدم ويونس وداود وموسى ، وتعبير الظلم لقول آدم : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف : ٢٣] ، وموسى : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص : ١٦] .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٨٧ . قال الفرّاء : لم أجد العربية تحتل ما قالوا ؛ لأنني لا أجزى : قام الناس إلا عبدالله ، وهو قائم ، إنها الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد إلا من معنى الأساء قبل إلا . واعترض على هذا القول أيضاً النحاس ، فقال : معنى : إلا خلاف معنى : الواو ، لأنك إذا قلت : جاءني إخوتك إلا زيداً ، أخرجت زيداً مما دخل في الأخوة ، وإذا قلت : جاءني إخوتك وزيداً ، أدخلت زيداً في ما دخل فيه الأخوة ، فلا شبهة بينهما ولا تقارب . إعراب القرآن ٣ / ٢٠٠ ، واعترض عليه أيضاً ابن الأنباري في البيان ٢ / ٢١٩ ، وذكر هذا القول ابن قتيبة ، ولم يعترض عليه . تأويل مشكل القرآن ٢٢٠ .

(٤) ذكر الواحدي في تفسيره لهذه الآية الخلاف في الاستثناء ، واستطرد بذكر أقوال أهل اللغة ، ثم قال : وقال معمر بن المنثى : إلا هاهنا معناها : الواو ، فهو عطف ، عطف به : الذين ، على : الناس ، =

١٢. قوله تعالى : ﴿وَادْخُلْ يَدَكَ﴾ . قال مجاهد : كفك في جيبك^(١) .

قال المفسرون : كانت عليه مدرعة إلى بعض يده^(٢) ، ولو كان لها كُم أمره أن يدخل يده في كُمه^(٣) . والجيب : حيث جيب من القميص : أي قُطع^(٤) .

قوله تعالى : ﴿تَخْرُجُ بَيَّضًا﴾ . قال أبو إسحاق : المعنى وأخرجها تخرج بيضاء .

قال مقاتل : لها شعاع مثل شعاع الشمس ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ من غير برص^(٥) . وهذا مما فسرناه في سورة [طه : ٢٢]^(٦) .

والمعنى : لئلا يكون للناس والذين ظلموا عليكم حجة ، واحتج على هذا المذهب بأبيات ، منها :
وكلُّ أخ مفارقة أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان
قال : أراد : والفرقدان أيضاً يفترقان ، ثم ذكر تخطئة الفرء لهذا الوجه ، ثم قال : ومن الناس من صوّب أبا عبيدة في مذهبه ، وصحّح قوله بها احتج من الشعر .

(١) أخرجه ابن جرير ١٣٨/١٩ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٧أ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٣٨/١٩ عن مجاهد ، وكذا ابن أبي حاتم ٢٨٥٠/٩ ، وأخرج نحوه عن ابن عباس . قال الزجاج ١١٠/٤ : وجاء أيضاً أنه كانت عليه مدرعة صوف بغير كُمين . وذكره الثعلبي ١٢١/٨ ب .

(٤) تهذيب اللغة (جاء) ٢١٨/١١ ، وفيه : (يقال : جِبتُ القميص وجُبتَه) . وذكره الواحدي في الوسيط ٣/٣٧٠ ، وكذا ابن الجوزي ١٥٨/٦ ، أخرج ابن أبي حاتم ٢٨٥٠/٩ عن السدي : الجيب جيب القميص . قال ابن عطية ١٧٨/١١ : الجيب : الفتح في الثوب لرأس الإنسان .

(٥) تفسير مقاتل ٥٧أ . وذكره الهواري ٣/٢٤٨ ، وابن جرير ١٣٩/١٩ ، والثعلبي ١٢١/٨ ب ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٥١/٩ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، وعطاء الخراساني ، والربيع بن أنس . وذكر ابن الأنباري أن السوء يطلق ويراد به : الآفة والعلة ، قال تعالى : ﴿تَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِيْ أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ [الأعراف : ٧٣] ؛ أي بآفة وعقر . الزاهر في معاني كلمات الناس ١/٣٦٥ . وأمّا أبو عبيدة ١٨/٢ فقد قيّد السوء بالمرض والبرص ، فقال : السوء : كل داء معضل من جذام أو برص ، أو غير ذلك .

(٦) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ : من غير برص في قول جميع المفسرين . قال الليث : ويكنى بالسوء عن اسم البرص ، وقال أبو عمرو : ﴿سُوءٍ﴾ ؛ أي برص ، وقال المبرّد : السوء إذا أطلق فهو البرص ، وإذا وصلوه بشيء فهو كل ما يسوء ، والأغلب عند العرب من الأدواء : البرص .

قوله : ﴿ فِي شَجْعِ آيَاتٍ ﴾ . قال أبو إسحاق : (في) من صلة قوله : ﴿ وَأَلْقَى عَصَاكَ ﴾
 ﴿ وَأَدْخَلَ يَدَكَ ﴾ ، والتأويل : وأظهر هاتين الآيتين ﴿ فِي شَجْعِ آيَاتٍ ﴾ ، والمعنى :
 من تسع آيات ، كما تقول : خذ لي عشرة من الإبل فيها فحلان ، والمعنى : منها
 فحلان^(١) .

وفسر الآيات التسع في سورة بني إسرائيل^(٢) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١١٠ ، وذكره السمرقندي ٢/ ٤٩٠ ، غير منسوب ، وتفسير الوجيز
 ٢/ ٨٠٠ ، وهو قول ابن كثير ٦/ ١٨٠ .

قال الهواري ٣/ ٢٤٨ : ﴿ فِي شَجْعِ آيَاتٍ ﴾ ؛ أي مع تسع آيات ، وذكر ذلك ابن قتيبة في تأويل مشكل
 القرآن ٢١٧ ، وغريب القرآن ٣٢٣ ، من دون نسبة ، وهو قول الثعلبي ٨/ ١٢٢ أ . وأما ابن جرير
 فقد جعل (في) على ظاهرها ، فقال ١٩/ ١٣٩ : فهي آية في تسع آيات مرسل أنت بهن إلى فرعون ، ولم
 يذكر غير هذا القول ، واستحسنه النحاس . إعراب القرآن ٣/ ٢٠١ .

(٢) ليس في سورة بني إسرائيل تفصيل الآيات التسع ، وإنما فيها ذكر العدد جملة ، في قوله تعالى :
 ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى شَجْعَ آيَاتٍ يَبْتَئِثُ ﴾ [الإسراء : ١٠١] . قال الواحدي في تفسير هذه الآية : اختلفوا
 في الآيات التسع مع اتفاقهم أن منها : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، فهذه خمس ، وأما
 الأربعة الباقية فروى قتادة عن ابن عباس قال : هي يده البيضاء عن غير سوء ، وعصاه إذا ألقاها ،
 وما ذكر في قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [الأعراف : ١٣٠] . قال :
 ﴿ السِّنِينَ ﴾ لأهل البوادي حتى هلكت مواشيهم ، ﴿ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ لأهل القرى ، وهاتان
 آيتان ، ونحو هذا روى أبو صالح وعكرمة ، وهذا قول مجاهد ، وقال محمد بن كعب القرظي : بدل
 السنين ونقص من الثمرات فلق البحر والطمس ، وهي أن الله تعالى مسح أموالهم حجارة من النخل
 والدقيق والأطعمة والدراهم والدنانير ، وهذا الذي ذكرنا أجود ما قيل في تفسير الآيات . البسيط
 ٣/ ١٦٥ ب ، النسخة الأزهرية . ويعني بالطمس قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَطِيسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى
 قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٨٨] . ومن جعل الآية التاسعة : الطمس ، أو :
 نقص الثمرات ، فلا تعارض بينها ، لما في ذلك من التلازم ، والله أعلم .

وقوله : ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ . قال الفراء : (إلى) من صلة الإرسال والبعث .
المعنى : مرسلًا إلى فرعون أو مبعوثًا ، فترك ذكر الإرسال والبعث ؛ لأن شأن موسى
في أنه كان مبعوثًا إلى فرعون معروف ^(١) .

١٣ . قوله : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ؛ أي بيّنة ^(٢)
واضحة ، كقوله : ﴿وَأَيْنَانَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء : ٥٩] ، وقد مر ^(٣) .
قالوا : هذا الذي تراه عيانًا ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ، كقوله : ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ
بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام : ٧٨] ، وقد مر ^(٤) .

١٤ . قوله : ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا﴾ ؛ أي أنكروها ، ولم يقرؤا بأنها من عند الله .
قال قتادة : الجحود لا يكون إلا من بعد المعرفة ^(٥) ، وقال المبرد : لا

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٨٨ بمعناه ، وكذا ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢١٧ ، وذكره أبو علي في
الإيضاح العضدي ١/ ٢٦٥ ، وكذا الثعلبي ٨/ ١٢٢ أ .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤٠ عن ابن جريج .

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية :

قوله تعالى : ﴿وَأَيْنَانَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ . قال ابن عباس : يريد كانت لهم عيانًا ، وقال قتادة : بيّنة ،
وقال مجاهد : آية مبصرة ، وقال الأخفش : المُبْصِرَةُ : البيّنة ، كما تقول المَوْضُوحَةُ والمُبَيَّنَةُ ، فعلى
هذا أبصر واقع بمعنى بصر ، وقال الفراء : جعل الفعل لها ، ومعنى ﴿مُبْصِرَةً﴾ : مضيئة ، كما قال تعالى :
﴿وَاللَّهُكَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس : ٦٧] ؛ أي مضيئًا ، وقال الأزهري : والقول ما قال الفراء ؛ أراد آتينا
ثمود الناقة آية مبصرة ؛ أي مضيئة ، وقد ذكرنا هذا في سورة يونس ، وفي هذه السورة عند قوله :
﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء : ١٢] .

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال أبو بكر بن الأنباري : إنها قال : هذا ، والشمس مؤنثة ؛ لأن
الشمس بمعنى : الضياء والنور ، فحمل الكلام على تأويلها فذكر ، وأعان على التذكير أيضًا أن
الشمس ليست فيها علامة التأنيث ، فلما أشبه لفظها المذكر وكان تأويلها تأويل النور صلح التذكير
من هاتين الجهتين .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٢ .

يكون الجحود إلا لما قد علمه الجاحد ، كما قال الله عز وجل : ﴿ فَأَيُّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] ^(١) .

قال أبو عبيدة : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا ﴾ جحدوها ، والباء : زائدة ، وأنشد :

نضربُ بالسيفِ ونرجو بالفرجِ ^(٢)

﴿ وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ أنها من الله ^(٣) ، وأنها ليست بسحر ^(٤) ﴿ ظُلُمًا وَعُلُوًّا ﴾ . قال السدّي : هذا من التقديم والتأخير ، ونحو هذا قال مقاتل ^(٥) .

قال الزّجاج : المعنى : وجحدوا بها ظلمًا وعلوًّا ، ترفعًا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى ، فجحدوا بها وهم يعلمون أنها من الله ^(٦) .

وقال مقاتل : ﴿ ظُلُمًا وَعُلُوًّا ﴾ شركًا وتكبرًا ^(٧) ، وهذا يدل على أن اليقين بالقلب مع الجحود والإنكار باللسان لا ينفع ولا يكون إيمانًا .

(١) تأويل مشكل القرآن ٣٢٢ ، من دون نسبة .

(٢) أنشده كاملاً أبو عبيدة في مجاز القرآن ٥٦ / ٢ ، ولم ينسبه ، وقبله :

نحنُ بنو جعدة أصحابُ الفلجِ

وأنشده ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٤٩ ، ولم ينسبه ، وكذا البغدادى في الخزانة ٥٢١ / ٩ ، ثم نقل عن أبي عبيدة : الفلج : يفتح الفاء واللام ، موضع لبني قيس ، وهو في ديوان النابغة الجعدي ٢١٦ ، والشاهد الباء الثانية ، أمّا الأولى فللاستعانة . مغني اللبيب ١ / ١٠٨ .

(٣) معاني القرآن للقرّاء ٢ / ٢٨٨ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٧ أ .

(٥) تفسير مقاتل ٥٧ أ .

(٦) معاني القرآن للزّجاج ٤ / ١١١ .

(٧) تفسير مقاتل ٥٧ أ .

﴿فَانْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ في الأرض بالمعاصي^(١) .

١٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ . قال ابن عباس ومقاتل :
علمًا بالقضاء ، وبكلام الطير والدواب^(٢) ، وتسييح الجبال^(٣) .

﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾ ؛ أي بالنبوة والكتاب ، وإلانة الحديد ، وتسخير
الشياطين والجن والإنس^(٤) ، والمُلْك الذي أعطاهما الله وفضلهما به^(٥) ﴿عَلَى كَثِيرٍ
مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦) .

١٦ . وقوله : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ . قال ابن عباس : ورث منه النبوة .

وقال السدي : ورث نبوته .

وقال مقاتل : ورث سليمان علم داود وملكه^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ١٧٥أ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٧ب . وذكره السمرقندي ٢ / ٤٩١ ، ولم ينسبه . وفي تنوير المقباس ٣١٦ : فهما بالنبوة والقضاء .

(٣) تفسير الوسيط ٣ / ٣٧٠ عن ابن عباس .

(٤) تفسير الوسيط ٣ / ٣٧٠ ، من دون نسبة ، وتفسير الطبرسي ٧ / ٣٣٤ ، وتفسير ابن الجوزي ٦ / ١٥٩ .

(٥) تفسير السمرقندي ٢ / ٤٩١ .

(٦) قال الشوكاني ٤ / ١٢٥ : وفي الآية دليل على شرف العلم ، وارتفاع محله ، وأن نعمة العلم من أجل النعم التي ينعم الله بها على عباده ، وأن من أوتيها فقد أُوتي فضلاً على كثير من العباد ، ومُنح شرفاً جليلاً .

(٧) تفسير مقاتل ٥٧ب ، وهو قول ابن جرير ١٩ / ١٤١ .

وقال قتادة: كان لداود تسعة عشر ذكراً، فورث سليمان مملكه من بينهم ونبوته^(١). فمعنى تخصيص سليمان بالوراثة هو هذا^(٢).

وذكر الفرّاء والزّجاج معنى قول قتادة^(٣).

(١) تنوير المقياس: ٣١٦، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٥٤/٩ عن قتادة من دون ذكر العدد، وذكره الزّجاج ١١١/٤، ولم ينسبه، وكذا الثعلبي ١١٢٢/٨، وذكره الماوردي ١٩٨/٤، والقرطبي ١٦٤/١٣ عن الكلبي.

(٢) قال الماوردي ١٩٨/٤: وإنما خص سليمان بوراثته؛ لأنها وراثة نبوة وملك، ولو كانت وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء. والرافضة يخالفون هذا، فيجعلون الوراثة هنا وراثة مال أيضاً، قال الطوسي: قال أصحابنا: إنه ورث المال، والعلم، وقال مخالفونا: إنه ورث العلم، لقوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، ثم أجاب عن الحديث بقوله: والخبر المروي عن النبي ﷺ خبر واحد لا يجوز أن يخص به عموم القرآن، ولا نسخه به. التبيان في تفسير القرآن ٨٢/٨.

قال ابن القيم: فلو كان الموروث هو المال لم يكن سليمان مختصاً به، وأيضاً فإن كلام الله يصاب عن الإخبار بمثل هذا، فإنه بمنزلة أن يقال: مات فلان وورثه ابنه. ومن المعلوم أن كل أحد يرثه ابنه، وليس في الإخبار بمثل هذا فائدة، وأيضاً فإن ما قبل الآية، وما بعدها يبين أن المراد بهذه الوراثة وراثة العلم والنبوة، لا وراثة المال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وإنما سبق هذا البيان فضل سليمان، وما خصّه الله به من كرامته، وميراثه، وما كان لأبيه من أعلى المواهب، وهو العلم والنبوة ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْأَمِينُ﴾، وكذلك قول زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿وإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ ﴿يَرْزُقْنِي وَرَثَتِي مِنْ أَمَالٍ يَعْقُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥، ٦]، فهذا ميراث العلم والنبوة والدعوة إلى الله، وإلا فلا يظن بنبي كريم أنه يخاف عصبته أن يرثه ماله، فيسأل الله العظيم ولداً يمنعهم ميراثه، ويكون أحق به منهم، وقد نزه الله أنبياءه ورسله عن هذا وأمثاله، فبعداً لمن حرّف كلامه، ونسب الأنبياء إلى ما هم برآء منه هون عنه. مفتاح دار السعادة ٦٧.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٨٨، ومعاني القرآن للزّجاج ١١١/٤.

قوله : (وَقَالَ) ؛ أي قال سليمان لبني إسرائيل ^(١) ﴿عَلَّمَنَا مَنَاقِبَ الطَّيْرِ﴾ ^(٢) ، وهذا كالتحدث من سليمان بما أنعم الله به عليه .

قال الليث : كلام كل شيء منطق ، وتلا الآية ^(٣) .

وقال الأصمعي : صوت كل شيء منطق ، ونطقه ، ومنه قولهم : ماله صامت ولا ناطق ؛ الناطق : الحيوان من الرقيق وغيره سُمِّي ناطقاً لصوته ^(٤) .

قال الفراء : منطق الطير يعني كلام الطير ، فجعله كمنطق الرجل إذ فهم ، وأنشد حميد بن ثور :

عجبتُ لها أنِّي يكونُ غناؤها فصيحاً ولم تغرُ بمنطقِها فما
فجعله كالكلام لما ذهب به إلى أنها تغني ^(٥) .

-
- (١) تفسير مقاتل ٥٧ هـ . أخرج ابن أبي حاتم ٢٨٥٥ / ٩ عن الأوزاعي : الناس عندنا : أهل العلم .
- (٢) وقد استدل قتادة بهذه الآية على أن النملة من الطير . أخرجه عبدالرزاق ٧٩ / ٢ ، وعنه ابن أبي حاتم ٢٨٥٥ / ٩ ، وهذا ليس بلازم ، قال ابن العربي : فجعل الله لسليمان معجزة فهم كلام الطير ، والبهائم ، والحشرات ، وإنما خص الطير لأجل سوق قصة الهدهد بعدها ، ألا تراه كيف ذكر قصة النمل معها ، وليس من الطير . أحكام القرآن ٤٧٢ / ٣ ، وزاده بياناً في ٤٧٥ ، قال الشوكاني ١٢٥ / ٤ : إنه عُلِّم منطق جميع الحيوانات ، وإنما ذكر الطير لأنه كان جنداً من جنده يسير معه لتظليله من الشمس .
- (٣) العين (نطق) ١٠٤ / ٥ ، وليس فيه ذكر الآية ، وإنما ذكرها الأزهري في تهذيب اللغة ٢٧٥ / ١٦ .
- (٤) تهذيب اللغة (نطق) ٢٧٩ / ١٦ ، وفيه الصامت : الذهب والفضة والجوهر .
- (٥) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٨٨ ، وفيه : (تبكي) بدل : (تغني) ، ولم ينسب البيت ، وفيه : (بليغاً) بدل : (رفيعاً) ، و(تفتح) بدل (تفغر) . وأنشده الطوسي في التبيان في تفسير القرآن ٨ / ٨٥ ، وأنشده في الوسيط ٣ / ٣٧٢ ، وكذا في وضح البرهان ٢ / ١٣٩ منسوباً ، وذكره ابن الجوزي ٦ / ١٦٠ من دون نسبة ، وهو في ديوان حميد بن ثور ٤٢ .

وقال أبو علي الفارسي : القول والكلام والمنطق يستعمل كل واحد من ذلك في موضع الآخر ، ويُعبّر بكل واحد منها عما عبّر بالآخر . قال رؤبة :

لَوْ أَنَّنِي أُعْطِيتُ عِلْمَ الْحُكْلِ عِلْمَ سَلِيمَانَ كَلَامِ النَّمْلِ^(١)
وقال الله تعالى : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ [النمل: ١٨] ، وقال إخباراً عن الهدهد : ﴿ فَقَالَ أَحَطْتُ ﴾ [النمل: ٢٢] ، فذكر له القول . وأنشد الأخفش :

صَدَّهَا مِنْطِقُ الدَّجَاجِ عَنِ الْقَصْدِ وَصَوْتُ النَّاقُوسِ بِالْأَسْحَارِ^(٢)
وأنشد أيضاً :

فَصَبَّحْتُ وَالطَّيْرُ لَمْ تُكَلِّمْ

فوضع كل واحد من الكلام والنطق موضع الصوت .

(١) تهذيب اللغة (حكل) ٤/ ١٠٠ ، ونسبه إلى رؤبة ، وهو في ديوانه ١٣٣ ، وأنشده ابن فارس من دون نسبة ، وفيه : (أوتيت) ، وقال : الحاء والكاف واللام أصل صحيح منقاس ، وهو الشيء الذي لا يبين ، يقال : إن الحُكْلَ الشيء الذي لا نطق له من الحيوان ، كالنمل وغيره . معجم مقاييس اللغة ٢/ ٩١ ، وأنشده ابن جني ، ولم ينسبه في الخصائص ١/ ٢٢ ، وذكر الواحدي كلمة الحكل في مقدمة تفسيره ، فقال : ويعلم قول الحُكْل . تفسير الواحدي ١/ ٢٠١ ، تحقق : الفوزان .

(٢) أنشده الأخفش ٢/ ٥٨٨ كاملاً في سورة يوسف ، وعجزه :

وَصَرَبُ النَّاقُوسِ فَاجْتَنَّبَا

وأنشده ٢/ ٦٤٨ في سورة النمل مقتصراً على صدره ، ولم ينسبه في الموضعين . وفي الحاشية : لم تفد المراجع شيئاً في القائل والقول .

وقال الراعي يصف ثوراً يحفر كناساً^(١) إلى الصباح :

حَتَّى إِذَا نَطَقَ الْعَصْفُورُ وَانْكَشَفَتْ عَمَايَةُ اللَّيْلِ عَنْهُ وَهُوَ مُعْتَمِدٌ^(٢)

ومعنى الآية : فهمنا ما يقول الطير .

قوله تعالى : ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ . قال ابن عباس : يريد من أمر الدنيا والآخرة^(٣) .

وقال مقاتل : يعني أعطينا المُلْكَ والنبوة والكتاب في تسخير الرياح ، وسُخرت الجن والشياطين ، ومنطق الطير^(٤) .

وقال الزَّجَّاج : المعنى ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يجوز أن يؤتاه الأنبياء والناس . وكذلك قوله : ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل : ٢٣] يؤتى مثلها ، وعلى هذا جرى كلام الناس . يقول القائل : قد قصد فلاناً كلُّ أحد ؛ أي قصده كثير من الناس^(٥) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا﴾ . قال مقاتل : إن هذا الذي أعطينا^(٦) ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْمُؤْمِنُ﴾ . قال ابن عباس : من الله علينا^(٧) .

(١) المَكْنَسُ : مَوْلِجُ الوحش من البقر تسكن فيه من الحر ، وهو الكَنَاس ، والجمع : أكنسة ، وكُنُس ، واشتقاقه من الكَنَس ؛ وهو : كَسَحُ القُمام عن وجه الأرض ، فهي تَكْنَسُ الرمل حتى تصل إلى الثرى . تهذيب اللغة (كنس) ٦٣ / ١٠ ، ولسان العرب ١٩٧ / ٦ .

(٢) ديوان الراعي ٩٢ . نطق العصفور : كناية عن انبلاج الصبح ، وعماية الليل : ظلمته ، والمعتمد : الذي يمشي طوال الليل . حاشية الديوان . وفي لسان العرب (عمد) ٣ / ٣٠٥ : اعتمد فلان ليلته إذا ركبها يسير فيها .

(٣) تفسير الوسيط ٣ / ٣٧٢ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٧ ب .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١١١ .

(٦) تفسير مقاتل ٥٧ ب .

(٧) تنوير المقياس : ٣١٦ بلفظ : (المن العظيم من الله عليّ) .

١٧. قوله تعالى: ﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ﴾ وُجِّعَ له ﴿جُنُودَهُ﴾^(١) جموعه ، وكل صنف من الخلق جند على حدة ، يدل عليه قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾^(٢) . قال المفسرون والكلبي : كان سليمان إذا أراد سفراً أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود على بساط له عظيم ، ثم يأمر الريح فتحملهم ، فتجعلهم بين السماء والأرض^(٣) . وكان سليمان يعرف ألسنتهم ويقضي بينهم ، فمعنى قوله: ﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ﴾ ؛ أي في مسير له .

وقوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ : معنى الوزع في اللغة : الكف^(٤) . وزَعْتُهُ ، أَزَعُهُ ، وَزَعَا ؛ أي كَفَفْتُهُ^(٥) . والشيب وازع ؛ أي مانع^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٥٧ ب . قال الراغب : الحشر : إخراج الجماعة عن مقرهم وإزاعاجهم عنه إلى الحرب ، ونحوها . المفردات ١١٩ ، وقد أحسن الواحدي صنعا في تركه الحديث عن عدد جند نبي الله سليمان عليه السلام . قال ابن عطية ١١/ ١٨٣ : واختلف الناس في مقدار جند سليمان - عليه السلام - اختلافاً شديداً لم أورد ذكره لعدم صحته .

وقال الشوكاني ٤/ ١٢٥ : وقد أطال المفسرون في ذكر مقدار جنده ، وبالعكس كثير منهم مبالغة تستبعدوها العقول ، ولا تصح من جهة النقل ، ولو صَحَّتْ لكان في القدرة الربانية ما هو أعظم من ذلك .

(٢) تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٢ ، من دون نسبة .

(٣) تفسير مجاهد ٢/ ٤٧٠ عن عبدالله بن شداد ، وتفسير هود الهواري ٣/ ٢٥٠ عن الحسن ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٣ ب . وذكره في الوسيط ٣/ ٣٧٢ ، وصدره بقوله : قال المفسرون .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١١٢ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٣ أ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٥٠ ، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٣٩٨ .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٣ ، وتهذيب اللغة (وزع) ٣/ ٩٩ .

(٦) قال النابغة الذبياني :

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصُّبَا وقلْتُ : ألما تصحُّ والشيبُ وازعُ
الكتاب ٢/ ٣٣٠ ، والأصداق لابن الأنباري ١٤٠ .

وتقول العرب : لأزعنكم عن الظلم^(١) .

قال الليث : والوازع في الحرب : الموكل بالصفوف يزَع مَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُمْ بغير أمره ، وقال الله عز وجل : ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ؛ أي يُكفون^(٢) .

قال الكلبي وأكثر أهل التفسير : يُحبس أولهم على آخرهم^(٣) .

وقال قتادة : يُرَدُّ أولهم على آخرهم^(٤) ، يعني ليجتمعوا ويتلاحقوا^(٥) .

وقال السدي : يُوقفون^(٦) .

وقال الوالبي عن ابن عباس : ﴿ يُوزَعُونَ ﴾ : يدفعون^(٧) .

وقال ابن زيد ومقاتل : يساقون^(٨) .

(١) معاني القرآن للقرآء ٢/ ٢٨٨ .

(٢) العين ٢/ ٢٠٧ بلفظ : (الوازع : الحابس للعسكر) . قال الله عز وجل : ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ؛ أي يكف أولهم على آخرهم . وما ذكره الواحدي عن الليث بنصه عند الأزهري . تهذيب اللغة (وزع) ٣/ ٩٩ .

(٣) تنوير المقباس : ٣١٦ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤١ عن ابن عباس ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٦ عن مجاهد ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٣ ، وتفسير الماوردي ٤/ ١٩٩ ، واقتصر عليه في الوجيز ٢/ ٨٠١ ، وذكره ابن الأثير في الأضداد ١٣٩ ، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ٣٩٨ ، واقتصر عليه ابن كثير ٦/ ١٨٣ ، والبيضاوي ٢/ ١٧٣ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٧٩ ، وعنه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥٧ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤٢ ، ورجح هذا القول على غيره .

(٥) معاني القرآن للقرآء ٢/ ٢٨٩ .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٣ ، وتفسير البغوي ٦/ ١٥٠ .

(٧) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٣ . وأخرج ابن جرير ١٩/ ١٤٢ عن الحسن : يتقدمون .

(٨) تفسير مقاتل ٥٧ ب . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤٢ عن ابن زيد . وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٣ .

والدفع والسوق ضد الوقف والكف . وقد ذكر المبرّد وجه هذا ، فقال : تأويل ذلك أنه يُدفع آخرهم على أولهم ، وقولهم : وزعته بمعنى كففته ، كلمة عامة ، تقول : وزعته ؛ أي كففته عن الإبطاء ، بمعنى : دفعته وسقته ، وتكون بمعنى كففته عن الإسراع ؛ أي حبسته ، ووقفته^(١) . فمن قال في تفسير ﴿يُوزَعُونَ﴾ : يدفعون ويساقون أراد أن الآخرين يُمنعون عن الإبطاء والتوقف .

وذكر أبو عبيدة الوجهين ، فقال : يُدفع أخرهم ، ويُحبس أولهم^(٢) ، يعني إذا تقدّم الأولون وسرعانهم وزعوا ، وإذا توقف المتأخرون دفعوا ووزعوا عن الإبطاء . وهكذا يفعل الشرط والوزعة للعساكر^(٣) .

١٨ . قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ ؛ أي أشرفوا عليه^(٤) . ولهذا المعنى أدخل (عَلَى) ولم يكن : أتوا وادي النمل . قال كعب : هو بالطائف^(٥) ، وقال قتادة ومقاتل : هو بالشام^(٦) .

(١) قال ابن الأنباري : الصحيح عندنا أن يكون : أوزعت بمعنى : أمرت وأغریت ، ووزعت بمعنى : حبست . الأضداد ١٣٩ ، قال ابن العربي : وقد يكون بمعنى : يلهمون . أحكام القرآن ٣ / ٤٧٤ .
(٢) مجاز القرآن ٩٢ / ٢ .

(٣) أخرج نحوه ابن جرير ١٩ / ١٤١ عن ابن عباس ، وأخرج نحوه أيضاً ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٥٧ عن مجاهد . قال الحسن لما ولي القضاء : لا بدّ للناس من وزعة ؛ أي شرط يكفونهم عن القاضي . الأضداد ١٤٠ .

(٤) تفسير الوسيط ٣ / ٣٧٣ من دون نسبة .

(٥) تفسير الثعلبي ٨ / ١٢٤ أ ، وتفسير الماوردي ٤ / ١٩٩ ، وتفسير البغوي ٦ / ١٥٠ ، قال البقاعي ١٤٢ / ١٤ : وهو الذي تميل إليه النفس ، فإنه معروف عندهم بهذا الاسم ، ويسمى أيضاً : نخب ، وزن كتف ، وقد رأيت لما قصدت تلك الديار . والطائف مدينة معروفة في غرب المملكة العربية السعودية ، على بُعد ١٠٠ كم من مكة المكرمة .

(٦) تفسير مقاتل ٥٧ ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٥٧ عن قتادة . وتفسير الثعلبي ٨ / ١٢٤ أ ، وتنوير المقباس ٣١٦ ، واقتصر عليه الهواري ٣ / ٢٤٩ ، ولم ينسبه ، وذكره الزّجاج ٤ / ١١٢ ، ولم ينسبه ، واقتصر عليه في الوجيز ٢ / ٨٠١ ، وذكر القولين في تفسيره الوسيط ٣ / ٣٧٣ ، وكذا البغوي ٦ / ١٥٠ .

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾. ذكرنا أن القول والكلام والمنطق يستعمل كل واحد منهما مكان الآخر، ويُعبّر به عن الصوت، كقوله: حتى إذا نطق العصفور؛ أي صاح^(١). كذلك قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾؛ أي صاحت بصوت خلق الله لها. ولما كان ذلك الصوت مفهوماً لسليمان عليه السلام عبّر عنه بالقول على ما ذكر الفراء في منطق الطير^(٢)، وهذان وجهان في قول النملة.

قال الكلبي: وكانت نملة صغيرة مثل النمل^(٣)، وقال نوف الشامي وشقيق بن سلمة: كانت نمل ذلك الوادي كهيئة الذئب في العظم^(٤).

وعن بريدة الأسلمي أنها كانت كهيئة النعاج^(٥). ولعل الأقرب قول الكلبي، لقوله: ﴿لَا يَخْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ ولو كانت كالذئب والنعاج ما حطمت بالوطء ولا خافت ذلك^(٦).

-
- (١) تقدّم ذكر البيت عند قول الله تعالى: ﴿عَلَّمَنَا نَاطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦].
- (٢) وذهب إلى هذا سيبويه في الكتاب ٤٦/٢، وكذا المبرّد في المقتضب ٢٢٦/٢.
- (٣) نسبه القرطبي ١٧١/١٣ إلى الكلبي. وفي تنوير المقباس ٣١٦: نملة عرجاء يقال لها: منذرة! وما دليل ذلك؟
- (٤) تفسير القرطبي ١٧١/١٣، وأخرجه ابن جرير ١٤٢/١٩ عن عوف بلفظ: (الذباب)، واقتصر عليه في الوجيز ٨٠١/٢، وأخرج ابن أبي حاتم ٢٨٥٨/٩ عن نوف الحميري: كان نمل سليمان مثل أمثال الذئب، وذكره كذلك الثعلبي ١٢٤/٨، وذكر السيوطي في الدر المنثور: ٣٤٧/٦ عن كعب: وكانت مثل الذئب في العظم، وذكره الزّجاج ١١٢/٤، من دون نسبة، وذكره ابن كثير ١٨٣/٦ عن الحسن، ثم نقد ابن كثير هذه الأقوال بقوله: ومن قال من المفسرين: إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره، وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذئب، أو غير ذلك من الأقاويل، فلا حاصل لها. وأخرج ابن أبي حاتم ٢٨٥٧/٩ عن الشعبي: النملة التي فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين.
- (٥) ذكره عنه القرطبي ١٧١/١٣.
- (٦) ورجح ذلك القرطبي ١٧١/١٣، ولم يذكر من سبقه له. قال البغوي ١٥١/٦، والبرسوي ٣٣٣/٦: والمشهور أنه النمل الصغير.

والنملة ، جمعها : نَمَل ، ونَمَال^(١) ، ومنه قول الأخطل :

دَبِيبُ نِمَالٍ فِي نَقَاً يَتَهَيَّلُ^(٢)

ويقال : رجل نَمِل الأصابع إذا كان خفيف الأصابع في العمل ، وفرسٌ نَمِل القوائم لا يكاد يستقر^(٣) . والنمل إذا خرجت من قريتها لا تُرى مُستقرة ثابتة ، بل تتحرك وتعدو يمنة ويسرة ، وهي كثيرة الحركة .

قال أهل المعاني : ومعرفة النملة سليمان معجزة له ألهمها الله تعالى معرفته حتى عرفت ، وحذرت النملَ حَطْمَه ، والنمل تعرف كثيراً مما فيه نفعها وضرها ، فمن ذلك : أنها تكسر الحبة بقطعتين لثلاث تنبت ، إلا الكُزْبَرَة^(٤) فإنها تكسرها بأربع قطع ؛ لأنها تنبت إذا كُسرت بقطعتين . فَمَنْ هداها إلى هذا هو الذي ألهمها معرفة سليمان^(٥) .

قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ﴾ . قال أبو إسحاق : جاء لفظ : (ادْخُلُوا) كلفظ ما يعقل ؛ لأن النمل هاهنا أجري مجرى آدميين حين نطق كما نطق آدميون^(٦) .

(١) تهذيب اللغة (نمل) ٣٦٦/١٥ .

(٢) تهذيب اللغة (نمل) ٣٦٦/١٥ عن الليث ، ونسبه إلى الأخطل ، وصدره :

تَدِبُّ دَبِيباً فِي الْعِظَامِ كَأَنَّهُ

النقا : ما ارتفع من الرمل ، يتهيل : ينحدر . شرح ديوان الأخطل ٢٦٢ .

(٣) تهذيب اللغة (نمل) ٣٦٦/١٥ .

(٤) نوع من أنواع البقول . لسان العرب (كزبر) ١٣٨/٥ ، والمعجم الوسيط ٧٨٦/٢ .

(٥) تفسير الوسيط ٣/٣٧٣ من دون نسبة ، وتفسير الماوردي ٤/٢٠٠ غير منسوب . وذكره الطوسي للدلالة على أن معرفة النمل لسليمان ، ليس على سبيل المعجزة الخارقة للعادة ؛ لأنه لا يمتنع أن تعرف البهيمة كثيراً مما فيه نفعها وضرها . التبيان في تفسير القرآن ٨/٨٤ ، وذكر ابن القيم عجائب صنع الله تعالى في النمل في كتابه شفاء العليل ٦٩ ، ٧٠ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ١١٢/٤ .

وذكرنا استقصاء هذا عند قوله : ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَآيْنُهُمْ﴾ [يوسف : ٤] ^(١) .

قوله تعالى : ﴿لَا يَحْطِمْكُمْ﴾ : الحطم : كسر الشيء ، والحطام : ما يُحطم من ذلك ^(٢) .

ومعنى : ﴿لَا يَحْطِمْكُمْ﴾ : لا يكسركم ^(٣) . قال مقاتل : لا يهلككم سليمان وجنوده ^(٤) . وذكرنا وجه جواب الأمر بنون التأكيد عند قوله : ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُضَيِّبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الآية [الأنفال : ٢٥] ، وهذه الآية وتلك سواء ^(٥) .

(١) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : وقوله : ﴿رَأَيْنُهُمْ﴾ وهي مما لا يفهم ، ولا يفهم وحسن ذلك ؛ لأنه لما وصفها بالسجود صارت كأنها تعقل فأخبر عنها كما يخبر عمن يعقل ، كما قال في صفة الأصنام : ﴿وَتَرْنَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف : ١٩٨] .

(٢) تهذيب اللغة (حطم) ٣٩٩ / ٤ .

(٣) تنوير المقياس : ٣١٧ ، وتفسير ابن جرير ١٤١ / ١٩ .

(٤) تفسير مقاتل ٧٥ ب .

(٥) قال الواحدي في تفسير هذه الآية من سورة الأنفال : ووجه إعراب الآية على هذا القول ما ذكره أبو إسحاق ، وهو أن قوله : ﴿لَا تُضَيِّبَنَّ﴾ نهي بعد أمر ، والمعنى : اتقوا فتنة ، ثم نهى بعد ، ثم قال : ﴿لَا تُضَيِّبَنَّ﴾ الفتنة الذين ظلموا ؛ أي لا يتعرضن الذين ظلموا لما ينزل بهم من العذاب ، ثم ذكر شرح ابن الأنباري لهذا القول ، ثم ذكر قول أبي علي الفارسي : إنه نهي بعد أمر ، واستغني عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانية بالأولى ، كما استغني عن ذلك في قوله : ﴿ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كَبِهَتْ﴾ [الكهف : ٢٢] ، و﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة : ٣٩] ، وغيرهما . ومحال أن يكون جواب الأمر بلفظ النهي ، ودخول النون هاهنا يمنع أن تكون : ﴿لَا تُضَيِّبَنَّ﴾ جواباً للأمر . قال أبو حيان : دخول نون التوكيد على المنفي بـ (لا) مختلف فيه ؛ فالجمهور لا يميزونه ويمحلوها ما جاء منه على الضرورة ، أو الندور ، والذي نختاره الجواز ، وإليه ذهب بعض النحويين . البحر المحيط ٤ / ٤٧٧ ، وأطال الحديث عن هذه المسألة في سورة الأنفال ، وفي سورة النمل ، وتبعه السمين الحلبي في الدر المصون ٥ / ٥٨٩ ، قال ابن الأنباري : (لا) ناهية ، ولهذا دخلت النون الشديدة في ﴿يَحْطِمْكُمْ﴾ ، ولا يجوز أن يكون تقديره : إن دخلتم مساكنكم لم يحطمنكم ، على ما ذهب إليه بعض الكوفيين ؛ لأن نون التوكيد لا تدخل في الجزاء إلا في ضرورة الشعر . البيان ٢ / ٢٢٠ .

وقوله : ﴿وَهُزَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ؛ أي بحطمكم ووطئكم . قال مقاتل : لقد علمت النملة أنه ملك لابغي فيه ، ولا فخر ، وأنه إن علم بها قبل أن يغشاها لم يتوطأها^(١) ، لذلك قالت : ﴿وَهُزَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢) .

ثم وقف سليمان بمن معه ليدخل النمل مساكنها^(٣) ، وهذا يدل على أن سليمان وجنوده كانوا ركباناً ومشاةً على الأرض ، ولم تحملهم الريح ؛ لأن الريح لو حملتهم بين السماء والأرض ما خافت النمل أن تتوطأهم بأرجلهم^(٤) . ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله تعالى الريح لسليمان .

قال المفسرون : طارت الريح بكلام النملة فأدخلته أذن سليمان^(٥) . قال ابن عباس : وذلك أن الله تعالى أعطى سليمان زيادة في ملكه ، لا يذكره أحد من الخلق إلا حملت الريح ذلك الكلام إليه حتى يسمعه ، فلما سمع كلام النملة تبسّم^(٦) .

وفي هذه الآية ذكر أنواع من المعجزة لسليمان ؛ وهي : معرفة النمل لسليمان وجنوده ، وكلام النملة للنمل ، وفهم النمل عنها ما حذرته من الخطم ؛ لأنها لما سمعت كلام النملة دخلت المساكن ، وسمع سليمان كلام النملة .

(١) تفسير مقاتل ٧٥ ب .

(٢) أي لا يعلمون أنهم يحطمونكم . تفسير ابن جرير ١٩ / ١٤١ . وذكر الهوارى ٣ / ٢٤٩ قولاً آخر اقتصر عليه ولم ينسبه ، فقال : أي والنمل لا يشعرون أن سليمان يفهم كلامهم . وفي ذلك بعد . وقد نقد هذا القول محقق الكتاب . واستبعده الشوكاني ١٢٧ / ٤ ، وذكر القولين السمرقندي ٢ / ٤٩٢ ، والماوردي ٢٠٠ / ٤ . ورد هذا القول ابن العربي في أحكام القرآن ٤٧٥ / ٣ ، وذكر ابن الجوزي ١٦٢ / ٦ عن ابن عباس : وأصحاب سليمان لم يشعروا بكلام النملة .

(٣) تفسير مقاتل ٧٥ ب . ونسبه الماوردي ٤ / ٢٠٠ إلى ابن عباس .

(٤) أي تتوطأهم الجنود ، ونحو هذا ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ١٩ ، وفي هذا رد على ما سبق من حمل الريح لجنود نبي الله سليمان عليه السلام .

(٥) تفسير الثعلبي ٨ / ١٢٤ أ ، والماوردي ٤ / ٢٠٠ ، وتفسير الوسيط ٣ / ٣٧٣ .

(٦) تفسير الثعلبي ٨ / ١٢٣ أ . وظاهر الآية أنه سمع كلام النملة لقربه منها ، والله أعلم .

١٩ . قوله تعالى : ﴿فَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ : يقال : بَسَمَ يَبْسِمُ وَابْتَسَمَ وَتَبَسَّمَ يَتَبَسَّمُ ، إذا أبدى عن أسنانه ، وَكَشَّرَ للضحك^(١) .

قال أبو إسحاق : أكثر ضحك الأنبياء التبسم ، و﴿ضَاحِكًا﴾ حال مؤكدة ؛ لأن تَبَسَّمَ بمعنى ضحك ، هذا كلامه^(٢) ، ومعناه أن التبسم ابتداء الضحك ، والضحك عبارة جامعة للابتداء والانتها ، فمعنى تبسم ضاحكاً : تبسم مبتسماً ، أو ضحك ضاحكاً ، فَذِكْرُ لَفْظِ التَّبَسُّمِ دلالة على أن ضحكه كان تبسماً ، وَذِكْرُ الحال بلفظ الضحك ؛ ليكون الكلام أحسن ، وليس المراد بلفظ الضحك هاهنا أكثر من التبسم^(٣) ، ونحو هذا قليل في قول كثير :

غَمَرُ الرَّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا^(٤)

وقالوا : إن أكثر ضحك الملوك تبسم . وسبب ضحك سليمان من قول النملة : التعجب ؛ وذلك أن الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك^(٥) .

(١) تهذيب اللغة (بسم) ٢٣ / ١٣ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١١٢ / ٤ ، قال ابن الأنباري : منصوب على الحال المقدرة ، وتقديره : فتبسم مقدراً الضحك . ولا يجوز أن يحمل على الحال المطلقة ؛ لأن التبسم غير الضحك . البيان ٢ / ٢٢٠ ، وقد ذكر ابن العربي في أحكام القرآن ٤٧٦ / ٣ عدداً من الأحاديث في ضحك النبي ﷺ .

(٣) قال القرطبي ١٣ / ١٧٠ : أكد التبسم بقوله : ﴿ضَاحِكًا﴾ ؛ إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا ، ألا تراهم يقولون : تبسم تبسم الغضبان ، وتبسم تبسم المستهزين .

(٤) ديوان كثير ١٨٧ ، من قصيدة له في مدح عبدالعزيز بن مروان ، وعجزه :

عَلَقْتُ لِضُحْكَيْهِ رِقَابُ الْمَالِ

وفي الحاشية : غمر الرداء : كناية سعة المعروف والكرم . وأنشده ابن جني في الخصائص ٢ / ٤٤٥ ، ولم ينسبه .

(٥) نسبه بنصه البغوي ٦ / ١٥٢ إلى مقاتل ، وهو عند مقاتل ٥٧ ب بمعناه .

قال مقاتل : ثم حمد ربه حين علّمه منطق كل شيء ، فسمع كلام النملة ^(١) .
﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ؛ أي ألهمني ، ونحو هذا قال ابن عباس ، والمفسرون ، وأهل
المعاني في تفسير ﴿أَوْزِعْنِي﴾ ^(٢) .

قال الزّجاج : وتأويله في اللغة : كفني عن الأشياء ، إلا عن شكر نعمتك ^(٣) .
ولهذا يقال في تفسير الموزع : إنه المولّع ، ومنه الحديث : «كان رسول الله ﷺ
موزعاً بالسواك» ^(٤) ؛ أي مولعاً به ، كأنه كُفّ ومُنِع إلا منه .

قوله : ﴿فِي عِبَادِكَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يريد مع عبادك ^(٥) .

وعلى هذا في الكلام محذوف تقديره : مع عبادك الصالحين الجنة ، فحذف
للعلم به .

وقال آخرون : معناه : وأدخلني في جملتهم ، يعني : أثبت اسمي مع أسمائهم ،
واحشروني في زميرتهم ^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٧٥ ب .

(٢) تنوير المقباس : ٣١٧ ، ومعاني القرآن للقرّاء ٢٨٩ / ٢ ، وتفسير مقاتل ٧٥ ب ، وغريب القرآن
لابن قتيبة ٣٢٣ ، وتفسير ابن جرير ١٩ / ١٤٣ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٥٨ / ٩ عن قتادة ،
والسدّي ، وابن زيد ، وذكره ابن الأثير في الزاهر ٢ / ٣٩٨ ، والأضداد ١٤٠ ، وهو في تهذيب
اللغة (وزع) ٣ / ١٠٠ ، وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس بلفظ : (اجعلني) ، وكذا عند ابن أبي حاتم
٢٨٥٨ / ٩ .

(٣) معاني القرآن للزّجاج ٤ / ١١٢ .

(٤) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٥ / ١٨١ ، ولم يعزه إلى أحد ، وقد بحثت عن الحديث فلم
أجده .

(٥) تفسير مقاتل ٧٥ ، وتنوير المقباس ٣١٧ ، وأخرجه ابن جرير ١٩ / ١٤٣ ، وابن أبي حاتم ٢٨٥٩ / ٩
عن ابن زيد .

(٦) تفسير البغوي ٦ / ١٥٢ من دون نسبة .

قال ابن عباس : يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، ومن بعدهم من النبيين^(١) .

٢٠ . قوله : ﴿وَنَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾ : التفقد : تَطَلَّبُ ما غاب عنك من شيء^(٢) ، وأصله : تَبَّع الشيء المفقود وتَطَلَّبُه هل هو مظفور به . وكل شيء غاب عنك ثم تَبَّعْتَه طالباً له قلت : تَفَقَّدْتَه ، بُني على تفعل ؛ لأنه تكلف الطلب ، كما تقول : تعرفت الشيء إذا تتبعته تطلب معرفته .

والطير : اسم جامع ، والواحد طائر^(٣) . والمراد بالطير هاهنا : جنس الطير وجماعتها ، وكانت تصحبه في سفره تظله بأجنحتها^(٤) . فقال : ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾ : هذا استفهام عن حال نفسه ، والمراد به الاستفهام عن حال الهدهد ، على تقدير : ما للهدهد لا أراه ، ولكنه من القلب الذي يوضحه المعنى . تقول العرب : مالي أراك كئيباً ؟ معناه : مالك^(٥) ؟ والهدُّد : طير معروف ، وهُدْهُدُته صَوْتُهُ^(٦) .

(١) ذكره عنه البغوي ١٥٢/٦ ، وفي تنوير المقباس : ٣١٧ : مع عبادك المرسلين الجنة .

(٢) تهذيب اللغة (فقد) ٤٢/٩ .

(٣) تهذيب اللغة (طار) ١١/١٤ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٦٠/٩ عن سعيد بن جبیر ، وعبدالله بن شداد ، والسدي ، وأخرجه ابن جرير ١٤٤/١٩ عن ابن عباس ، وأخرجه الحاكم ٤٤٠/٢ عن ابن عباس ، كتاب : التفسير ، وقال : على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي .

(٥) تفسير الوسيط ٣/٣٧٣ من دون نسبة ، وذكر نحوه أبو علي في المسائل الحلييات ١٥٢ .

(٦) تهذيب اللغة (هد) ٣٥٣/٥ ، وذكره القرطبي ١٧٨/١٣ ، ولم ينسبه .

قال مجاهد : سُئِلَ ابن عباس كيف تَفَقَّدَ سليمان الهدهد من بين الطير ؟ قال : إن سليمان نزل منزلاً ، ولم يَدْرِ ما بُعِدَ الماء ، وكان الهدهد مهتدياً ، فأراد أن يسأله عنه . قال : قلت كيف يكون مهتدياً والصبي يضع له الحَبَالَةَ^(١) فيصيده ؟ ! قال : إذا جاء القدر حال دون البصر^(٢) .

وروى مجالد عنه قال : بينما سليمان ذات يوم في مسيره إذ تَفَقَّدَ الطير ، ففقد الهدهد فقال : ﴿ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ ﴾ قال عطاء عنه : وكان الهدهد يدلّه على الماء إذا أراد أن ينزل ، فلمّا فقده سأل عنه^(٣) .

قال الكلبي : ولم يكن معه في سيره ذلك إلا هدهد واحد . هذا قول أكثر المفسرين : إن السبب في تَفَقُّدِ الطير كان طلب الماء^(٤) ، وكان الهدهد مهندس الماء ، وإنما كان يعرف سليمان قُرب الماء وبعده من جهته ؛ وذلك أنه كان يرى الماء في الأرض كما يرى الماء في الزَجَّاجَةِ^(٥) .

قال عبدالله بن شداد : الهدهد ينظر إلى الماء كما ينظر بعضنا إلى بعض^(٦) .

(١) الحَبَالَةُ : جمع الحَبْل ، يقال : حَبَلَ وَحَبَلَ ، وَحَبَالَةً ، وَالْحَبْلُ : مصدر حَبَلْتُ الصيد واحتبلته : إذا نَصَبْتُ له حَبَالَةً فَنَشِبَ فيها وأخذته . انظر : تهذيب اللغة ٧٩ / ٥ .

(٢) ذكر نحوه الهواري ٢٥٠ / ٣ ، ولم ينسبه ، وفيه تعيين السائل ، وهو : نافع الأزرق . وأخرجه ابن جرير ١٤٣ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٨٥٩ / ٩ عن ابن عباس ، وفيه ذكر نافع الأزرق . وذكره الثعلبي ٨ / ١٢٥ ، وأخرجه الحاكم ٢ / ٤٤٠ ، كتاب : التفسير ، رقم ٣٥٢٥ ، ٣٥٢٦ ، من طريق عكرمة ، وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وقال : على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وأخرجه عبدالله بن الإمام أحمد ، كتاب السُّنة ٢ / ٤١٢ ، رقم ٩٠٠ .

(٣) أخرج ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٦٠ هذا المعنى عن عدد من المفسرين .

(٤) تفسير مجاهد ٢ / ٤٧٠ ، وتفسير هود الهواري ٣ / ٢٥٠ ، وابن جرير ١٤٣ / ١٩ .

(٥) أخرج نحوه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٥٩ عن ابن عباس ، وذكره بنصه الزَّجَّاج ٤ / ١١٣ ، ولم ينسبه ، وذكره السمرقندي ٢ / ٤٩٢ ، ولم ينسبه .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٦٠ ، والذي يظهر - والله تعالى أعلم - أن تَفَقَّدَ نبي الله سليمان - عليه السلام - للهدهد من تمام متابعتة لجنده وتفقده لهم ، واستظهر هذا المعنى أبو حيان ٧ / ٦١ ، وردَّ ابن سعدي ٥ / ٥٧٠ القول بأن سبب تَفَقُّدِ الهدهد طلب الماء بأنه لا يدل عليه دليل ، بل الدليل العقلي =

وروي عن ابن عباس في سبب تفقد الطير أنها كانت تظله ، فوقعت نفحة من الشمس على رأسه ، فنظر وتفقد الطير ، فإذا موضع الهدهد خال ، فذلك قوله : ﴿ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾^(١) . قال أبو إسحاق : معناه : بل كان من الغائبين^(٢) .

قال مقاتل : والميم هاهنا صلة^(٣) كقوله : ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الطور : ٤١ ، القلم : ٤٧] ^(٤) ، ونحو هذا قال الكسائي .

وقال المبرّد : لما تفقد سليمان الطير ولم ير الهدهد قال : ﴿ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ ﴾ على تقدير أنه مع جنوده وهو لا يراه ، ثم أدركه الشك ، فشك^(٥) في غيبته عن ذلك الجمع حيث لم يره ، فقال^(٦) : ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ؛ أي بل أكان من الغائبين ، كأنه ترك الكلام الأول ، واستفهم عن حاله وغيبته .

واللفظي دال على بطلانه ، ثم شرع في بيان ذلك ، ثم قال : فإن عنده من الشياطين والعفاريت ما يحفرون له الماء ، ولو بلغ في العمق ما بلغ ، وسخر له الريح غدوها شهر ، ورواحها شهر ، فكيف مع ذلك يحتاج إلى الهدهد والشاهد : أن تفقد سليمان - عليه السلام - للطير ، وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه ، وتدبيره للملك بنفسه ، وكمال فطنته ، حتى تفقد هذا الطائر الصغير .

(١) أخرجه ابن جرير ١٩ / ١٤٤ بنحوه ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٦١ عن سفيان . قال ابن جرير : والله أعلم بأي ذلك كان ؛ إذ لم يأتنا بأي ذلك كان تنزيل ، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١١٣ ، فأما منقطة بمعنى بل .

(٣) أي حرف زائد ، فيكون المعنى على الاستفهام : أكان من الغائبين ؟ والظاهر في الآية أنها أم المنقطعة . وجزم بذلك الزمخشري ٣ / ٣٤٦ ، قال أبو حيان : والصحيح أن أم في هذا هي المنقطعة ؛ لأن شرط المتصلة تقدّم همزة الاستفهام ، فلو تقدّمها أداة الاستفهام غير الهمزة كانت أم منقطعة ، وهنا تقدّم (ما) ففات شرط المتصلة ، وقيل : يحتمل أن تكون من المقلوب ، وتقديره : ما للهدهد لا أراه ، ولا ضرورة إلى ادّعاء القلب . البحر المحيط ٧ / ٦٢ ، وتبعه في ذلك السمين الحلبي في الدر المنصون ٨ / ٥٩٢ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٨ أ . وذكره البغوي ٦ / ١٥٣ ، ولم ينسبه .

(٥) في نسخة (ج) : (فقال) .

(٦) (فقال) غير موجودة في (ج) .

وقال صاحب النظم : (كَانَ) هاهنا بمنزلة صار ، كقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَتْ لِيَنْبِيَ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾ [الأنفال: ٦٧] ؛ أي أن يصير له أسرى ، والتأويل : صار من الغائبين ؛ أي صار ممن يغيب عن مركزه . انتهى كلامه .

وقال أبو علي : معنى ﴿ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ ﴾ أخبروني عن الهدهد ، أحاضر هو ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ [فعرفت الجملة لقوله : (أَمْ كَانَ)]^(١) ومثله قوله : ﴿ أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴾ [ص: ٦٣] ، وسنذكره في موضعه^(٢) . وقوله : ﴿ أَمَنْ هُوَ قَتِيتُ ﴾ [الزمر: ٩]^(٣) . قال : وهذا قول أبي الحسن^(٤) ، وإنما قال : ﴿ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ، ولم يقل : من الغائبة ؛ لوفاق رؤوس الآي^(٥) . ووجه جوازه : أن الطير من سليمان بمنزلة من يعقل ، حيث فهم عنها وفهمت عنه ، فهي عنده كبني آدم وغيرهم ممن يعقل ، فلما كان عنده سواء قال : ﴿ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ، ثم

(١) ما بين المعقوفين في نسخة (ج) .

(٢) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿ اتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴾ : قال أبو علي : في إلحاق همزة الاستفهام بعض البعد ؛ لأنهم قد علموا أنهم اتخذوهم سخرى ، فكيف يستقيم أن يستفهموا عن اتخذهم سخرى ، وقد علموا ذلك ، يدل على علمهم به أنه قد أخبر عنهم بذلك في قوله : ﴿ فَاتَّخَذْتُمُ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي ﴾ [المؤمنون: ١١٠] ، فالجملة التي هي : ﴿ اتَّخَذْتَهُمْ ﴾ صفة للنكرة ، وهي قوله : ﴿ رِجَالًا ﴾ ووجه قول من ألحق همزة الاستفهام أنه على التقرير لا على المعنى ، وذلك ليعادل قوله : ﴿ اتَّخَذْتَهُمْ ﴾ بـ (أم) في قوله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [المنافقون: ٦] ، وإن لم يكن استفهاماً في المعنى ، وكذلك قولهم : ما أبالي أزيد قائم أم عمرو ، فإن قلت : ما الجملة المعادلة بقوله : ﴿ أَمْ زَاغَتْ ﴾ فالقول فيه : أنها محذوفة المعنى : أمفقودون أم زاعت عنهم الأبصار ، وهذا كما ذكرنا في قوله تعالى : ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٠] .

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قرئ بالتخفيف والتشديد ، واختلف أهل المعاني في توجيه القراءتين ، واختار أبو عبيد التشديد ، قال : ومعناها عند أهل العلم : هذا أفضل أمَنْ هو قانت على تأويل : أم الذي هو قانت . . . وهذا قول أبي علي في وجه هذه القراءة وشرحه ، فقال : الجملة التي قد عادت أم قد حذفت ، والمعنى : الجاحد الكافر خير أم الذي هو قانت ، ودل على الجملة المحذوفة المعادلة لـ (أم) ما جاء بعد من قوله سبحانه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

(٤) لم أجده في معاني القرآن للأخفش .

(٥) سبق الحديث عن هذه المسألة في تفسير الآية الرابعة من سورة الشعراء .

أوعده على غيبته فقال : ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ .

٢١ . ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾ . قال ابن عباس : فتألى ليعذبه ، قال : والله لأعذبه عذاباً شديداً ، قال : يريد التفت ، نف ريشه ، وهو أن يتنفه ثم يلقيه بالأرض ، فلا يمتنع من نملة ، ولا من شيء من هوام الأرض^(١) . هذا قول ابن عباس في رواية عطاء ، ومجاهد وسعيد بن جبير ، وهو قول جماعة المفسرين ، قالوا : تعذبه إياه : تنفه وتشميسه^(٢) .

وقال مقاتل : يعني : لانتفن ريشه فلا يطير مع الطير حولاً^(٣) .

قوله : ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ؛ أي بحجة بينة في غيبته^(٤) . وقرأ ابن كثير : ﴿لَيَأْتِيَنِي﴾ ، بنونين ، وكذلك في مصاحفهم ، وقرأ الباقون بنون واحدة مشددة ، وحذفوا النون الثانية التي قبل ياء المتكلم ؛ لاجتماع النونات ، وكذلك في مصاحفهم^(٥) .

(١) تفسير هود الهواري ٣/ ٢٥٠ من دون نسبة . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٢ عن قتادة ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٢٤ ب ، واستظهر هذا القول البغوي ٦/ ١٥٣ .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٤٧٠ عن مجاهد ، وعبدالله بن شداد . وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٧٩ عن ابن عباس ، وقتادة ، وعبدالله بن شداد ، وأخرجه ابن أبي شيبه عن عبدالله بن شداد ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٤٥ عن ابن عباس من طرق ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٢ عن ابن عباس ، وعبدالله بن شداد ، وقال به ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٣ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٨ . قال ابن كثير : اختلف المفسرون فيه ، والمقصود حاصل على كل تقدير . البداية والنهاية ٢/ ٢١ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٨ ، وهود الهواري ٣/ ٢٥٠ منسوباً إلى ابن عباس ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ١١٣ غير منسوب . أخرج ابن جرير ١٩/ ١٤٦ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٣ عن ابن عباس : كل سلطان في القرآن فهو حجة .

(٥) السبعة في القراءات ٤٧٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٤٥ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٨ ، والحجة ٥/ ٣٨٠ ، والنشر ٢/ ٣٣٧ .

قال صاحب النظم : قوله : ﴿لَيَأْتِيَنَّ﴾ ليست بموضع قسم ؛ لأنه عذر للهدهد في دفع الذبح والعذاب عنه ، فلم يكن ليقسم على أن يأتي بعذر ، ولكنه لما جاء بها في إثر^(١) ما يجوز فيه القَسَمُ أجراه مجراه ، كما تقول في باب المحاذاة والمعارضة^(٢) ، ولو لم يحمي باللام لم يجز فيه النون ، فكان يكون : أو يأتيني ، على أن يكون (أو) بمنزلة حتى ، أو على نظم^(٣) : أو أن يأتيني ، وهذا شبيهه بقوله عز وجل : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنَّاكُمْ﴾ [النساء : ٩٠] ، فاللام الأولى دخلت لـ (لو) ، والثانية على المحاذاة والمعارضة .

٢٢ . وقوله : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ : قرئ بفتح الكاف^(٤) . قال المبرّد : يقال : مكث ومكث ومكث ؛ فمن قال : مكث أو مكث فالمضارع منه : يمكث ، ومن قال : مكث فالمضارع منه : يمكث ، واسم الفاعل من المفتوحة والمكسورة : ماكث ، ومن المضمومة : مكيث ، نحو : شُرّف فهو شريف ، وظُرّف فهو ظريف .

قال الأزهري : من قرأ : بنونين ، ثقل النون للتأكيد ، وجاء بنون أخرى للإضافة . معاني القراءات ٢/ ٢٣٥ ، قال الداني : في مصاحف أهل مكة ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنَّ﴾ بنونين ، وفي سائر المصاحف بنون واحدة . المقنع ١٠٦ .

(١) قال ابن السكيت : خرجت في أثره ، وإثره . وقال ابن الأعرابي : جاء في أثره ، وإثره . تهذيب اللغة (أثر) ١٢١/١٥ .

(٢) يعني : أن اللام لما دخلت على : ﴿لَا تُعَذِّبْنَهُ﴾ و﴿لَا أَذِجْنَهُ﴾ لكونها في موضع قسم دخلت على : ﴿لَيَأْتِيَنَّ﴾ من باب : المحاذاة والمعارضة ، والله تعالى أعلم .

(٣) في نسخة (ج) : (وزن) .

(٤) قرأ عاصم وحده بفتح الكاف ، وقرأ الباقر بضم الكاف . انظر السبعة في القراءات ٤٨٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٤٦ ، وفيه اختار ابن خالويه الفتح ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨١ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٧ . قال ابن جرير ١٩/ ١٤٧ : هما لغتان مشهورتان ، وإن كان الضم فيها أعجب إليّ ؛ لأنها أشهر اللغتين وأفصحها ، وقال الأزهري : ضم الكاف أكثر في كلام العرب .

قال أبو علي : ومما يقوّي الفتح قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ مِّنْكَثُوتٍ﴾ [الزخرف: ٧٧] ، وقوله : ﴿مَّنْكَثِيَّتٍ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣] ، فماكثون تدلك على : مَكْث ، ألا ترى أنك لا تكاد تجد فاعلاً من فَعَلَ^(١) .

قال ابن عباس : يريد : لم يلبث إلا يسيراً^(٢) .

قال الفرّاء : ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ غير طويل من الإقامة ، والبعيد والطويل متقاربان^(٣) . وقال الزّجاج : أي غير وقت بعيد^(٤) .

وقوله : ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾^(٥) . قال صاحب النظم : فيه محذوف على تقدير : ﴿فَمَكْثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ حتى جاء (فَقَالَ)^(٦) .

وقال الزّجاج : المعنى : ﴿فَمَكْثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ، فجاء الهدهد فسأله سليمان عن غيبته ، فقال : ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ وحذف هذا ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه . ومعنى : (أَحَطْتُ) علمت شيئاً من جميع جهاته^(٧) .

قال ابن عباس : فأتاه الهدهد بحجة ، فقال : اطلّعت على ما لم تطلّع عليه^(٨) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٣٨١/٥ ، قال النحاس : سمعت علي بن سليمان يقول : الدليل على أن : مَكْثُ أفصح قولهم : ماكث ، ولا يقولون : مَكِثٌ . إعراب القرآن ٢٠٣/٣ ، قال الأزهري : وكان أبو حاتم يختار النصب ؛ لأنه قياس العربية ، ألا ترى أنه يقال : فهو ماكث ، ولا يقال : مكِث . معاني القراءات ٢٣٥/٢ .

(٢) تنوير المقباس : ٣١٧ بمعناه .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢٨٩/٢ .

(٤) معاني القرآن للزّجاج ١١٣/٤ .

(٥) في هذه الآية ردٌّ على مَنْ قال : إن الأنبياء تعلم الغيب . إعراب القرآن للنحاس ٢٠٣/٣ .

(٦) تفسير السمرقندي ٤٩٣/٢ من دون نسبة .

(٧) معاني القرآن للزّجاج ١١٤/٤ ، وتفسير الماوردي ٢٠١/٤ من دون نسبة .

(٨) تفسير الماوردي ٢٠١/٤ .

وقال مقاتل : علمتُ ما لم تعلم ، يقول : جئتُك بأمر لم تخبرك به الجنُّ ، ولم تعلم به الإنس ، وبلغتُ ما لم تبلغه أنت ولا جنودك^(١) .

قوله تعالى : ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾^(٢) : قُرِئَ : ﴿ مِنْ سَبَإٍ ﴾ بالإجراء والتنوين ، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو غير مجري^(٣) .

قال الفرَّاء : من أجرى فلأنه في ما ذكروا : رجل . قال : وسُئِلَ أبو عمرو عن قراءته بغير إجراء ، فقال : لست أدري ما هو ، قال : وقد ذهب مذهباً إذ لم يدر ما هو فلم يُجره^(٤) ؛ لأن العرب إذا سَمَّت بالاسم المجهول تركوا إجراءه ، كما قال الأعشى :

وتُدفنُ منه الصَّالحاتُ وإنَّ يُسَى
يَكُنْ ما أساء النَّارَ في رأسٍ كَبَكَبَا
فكأنه جهل كبكب^(٥) .

-
- (١) تفسير مقاتل ٥٨ أ . وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٢٨٦٤ / ٩ عن قتادة .
- (٢) سبأ : بفتح أوله وثانيه : أرض باليمن مدينتها مأرب ، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام ، وسُمِّيَتْ بهذا لأنها كانت منزل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . معجم البلدان ٢٠٣ / ٣ ، وهي تقع شمال شرق صنعاء .
- (٣) السبعة في القراءات ٤٨٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٤٧ / ٢ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٨ ، والحجة للقراء السبعة ٣٨٢ / ٥ ، والنشر في القراءات العشر ٣٣٧ / ٢ ، وقد صَوَّب القراءتين ابن جرير ١٤٧ / ١٩ ، ومعنى غير مجري ؛ أي غير مجرور ، فهو ممنوع من الصرف .
- (٤) اعترض النحاس على كلام الفرَّاء عن قول أبي عمرو ، فقال : أبو عمرو أجَلُّ من أن يقول مثل هذا ، وليس في حكاية الرُّؤاسي عنه دليل أنه إنما منعه من الصرف لأنه لم يعرفه ، وإنما قال : لا أعرفه ، ولو سُئِلَ نحوي عن اسم فقال : لا أعرفه ، لم يكن في هذا دليل على أنه يمنعه من الصرف ، بل الحق على غير هذا ، والواجب إذا لم تعرفه أن تصرفه ؛ لأن أصل الأسماء الصرف . إعراب القرآن ٢٠٤ / ٣ .
- (٥) أنشده مع بيت قبله ، ونسبه سيبويه في الكتاب ٩٣ / ٣ ، وأنشده كذلك الفرَّاء في معاني القرآن ٢٩٠ / ٢ ، وعن الفرَّاء ذكره النحاس في إعراب القرآن ٢٠٤ / ٣ ، والبيت في شرح ديوان الأعشى ٤٠ ، من قصيدة يهجو فيها عمرو بن المنذر بن عبدان . وفي حاشية الكتاب : كبكب : اسم جبل بمكة ، والنار في رأس الجبل أظهر وأشهر ؛ أي من اغترب عن قومه جرى عليه الظلم فاحتمله لعدم ناصره ، وأخفى الناس حسناته ، وأظهروا سيئاته .

وقال الكسائي : من جعله اسم ذكر ؛ رجلٍ أو غيره أجراه ، ومن جعله اسماً مؤنثاً : قبيلة ، أو مدينة ، أو مكاناً لم يحره ^(١) .

وأنكر أبو إسحاق على الفراء قوله : الاسم إذا لم يُدرَ ما هو لم يُصرف ، فقال : الأسماء حقها الصرف فإذا لم يعلم الاسم لمذكرٍ هو أم لمؤنثٍ فحقه الصرف حتى يُعلم أنه لا ينصرف ؛ لأن أصل الأسماء الصرف ، فكل ما لا ينصرف فهو يُصرف في الشعر .

قال : ومن قال : إن سبأ اسم رجل فغلط ؛ لأن سبأ هي مدينة تعرف بمأرب من اليمن ، وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام . فمن لم يصرف فلأنه اسم مدينة ، ومن صرف والصرف أكثر ؛ فلأنه اسم للبلد فيكون مُذكرًا سُمِّيَ به مُذكر ^(٢) .

والذي قاله أبو إسحاق من أنه اسم مدينة ، قول بعض المفسرين ^(٣) ، وبه قال مقاتل ؛ لأنه قال : يعني من أرض سبأ باليمن ^(٤) .

وظاهر هذا القول أنه أراد مدينة ، مع احتمال أن سبأ اسم القبيلة أضاف الأرض إليهم . وكثير من الناس ذهبوا إلى أن سبأ اسم رجل .

(١) ذكر هذا سيبويه في الكتاب ٣/ ٢٥٢ ، فقال : فأما ثمود وسبأ فهما مرة للقبيلتين ، ومرة للحين . قال ابن الأنباري : من قرأ بالصرف جعله اسماً للحي أو للأب ، ومن قرأ بترك الصرف جعله اسماً لقبيلة أو بلدة ، فلم يصرف للتعريف والتأنيث . البيان ٢/ ٢٢١ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١١٤ .

(٣) تفسير هود الهواري ٣/ ٢٥٠ ، ولم ينسبه .

(٤) تفسير مقاتل ٥٨ أ . واقتصر عليه في الوجيز ٢/ ٨٠٢ .

رُوي في الخبر أن النبي ﷺ سُئِلَ عن سبأ ، فقال : « كان رجلاً له عشرة من البنين » الحديث ^(١) .

وقال أبو الحسن ^(٢) في سبأ : إن شئت صرفت فجعلته اسم أبيهم ، أو اسم الحي ، وإن شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيلة ، قال : والصرف أعجب إليّ ؛ لأنني قد عرفت أنه اسم أبيهم ، وإن كان اسم الأب يصير كالقبيلة ، إلا أنني أحمله على الأصل ^(٣) .

وقال غيره : هو اسم رجل ، واليمنية كلها تنسب إليه ، يقولون : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ^(٤) . فبان بما ذكرنا أن إنكار أبي إسحاق على من قال : سبأ : اسم رجل ، لا يتوجه .

(١) ذكره الهواري ٣/ ٢٥٠ ، ولفظه : (سُئِلَ رسول الله ﷺ عن سبأ ، أرجل هو أم امرأة ، أم أرض . فقال : بل هو رجل ، ولَدَ عشرة ، فباليمن منهم ستة ، وبالشام أربعة ، ثم ذكر أساءهم) ، وأخرجه بسنده ابن جرير في تفسير سورة سبأ ٢٢/ ٧٦ ، وأخرجه بسنده الأزهر في معاني القراءات ٢/ ٢٣٧ ، وقال : إسناد الحديث حسن ، وهو يدل على أن إجراء سبأ أصوب القراءتين . والحديث أخرجه الترمذي ٥/ ٣٣٦ ، كتاب : تفسير القرآن ، رقم ٣٢٢٢ ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٦٠ ، كتاب : التفسير ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وهو في صحيح سنن الترمذي ٣/ ٩٦ ، رقم ٢٥٧٤ .

(٢) نص ابن الجوزي ٦/ ١٦٥ على أنه الأخفش ، لكنني لم أجد هذا القول في كتابه المعاني في هذه السورة ، ولا في سورة سبأ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٢ منسوباً إلى أبي الحسن . قال الشوكاني ٤/ ١٢٨ : أقول : لا شك أن سبأ اسم مدينة باليمن كانت فيها بلقيس ، وهو أيضاً اسم رجل من قحطان ، وهو : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود ، ولكن المراد هنا : أن الهدهد جاء إلى سليمان بخبر ما عاينه في مدينة سبأ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٢ ، ولم يسم القائل . وهذا النسب ذكره النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٠٥ .

قال الأزهري : سبأ : اسم رجل ولد عشرة بنين ، فسُمِّيت القرية باسم أبيهم^(١) . وفي هذا بيان أن القرية إن سُمِّيت سبأ فهي مسماة باسم رجل ، نحو : مدين سُمِّيت باسم مدين بن إبراهيم ، والعرب قد تكلمت بالإجراء وغير الإجراء في : (سبأ) . قال جرير :

الواردون وتيمُّ في ذُرَى سبأ^(٢)

فأجرى ، وقال آخر :

مَنْ سبأَ الحاضرينَ مَأْرَبَ إِذْ يَبْنُونَ مَنْ دُونَ سَيْلِهِ الْعَرَمَا^(٣)

(١) تهذيب اللغة (سبأ) ١٣/١٠٦ ، وصدره ب : قيل ، ولم ينسبه .

(٢) أنشده كاملاً الفرّاء ٢/٢٩٠ ، ولم ينسبه ، وعجزه :

قَدْ عَصَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ

وهو في ديوان جرير ٢٥٢ من قصيدة طويلة يهجو فيها التيم ، ورواية البيت في الديوان :

تَدْعُوكَ تَيْمٌ وَتَيْمٌ فِي ذُرَى سَبَا قَدْ عَصَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ

وفي حاشية الديوان : أراد أنهم أسرى ، وفي أعناقهم أطواق من جلد الجواميس .

(٣) أنشده ولم ينسبه سيبويه ٣/٢٥٣ ، والزَّجَّاج ٤/١١٤ ، وابن الأنباري في الإنصاف ٢/٥٠٢ .

والشاهد فيه : ترك صرف سبأ ، على معنى القبيلة . حاشية الكتاب ٣/٢٥٣ ، وأنشده النحاس في

إعراب القرآن ٣/٢٠٤ ، ونسبه إلى النابغة الجعدي ، وهو في ديوانه ١٣٤ من قصيدة طويلة مطلعها :

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقْلُهَا فَنَفْسُهُ ظَلَمًا

يذكر في هذه القصيدة ضرباً من دلائل التوحيد ، والإقرار بالبعث والجزاء ، والجنة والنار ، وصفة

بعض ذلك على نحو شعر أمية بن أبي الصلت ، وقد قيل : إن هذه القصيدة لأمية بن أبي الصلت ،

ولكنه قد صحَّحه يونس بن حبيب ، وحماد الراوية ، ومحمد بن سلام ، وعلي بن سليمان الأخفش

للنابغة الجعدي . خزنة الأدب ٣/١٧٢ ، والبيت في ديوان أمية بن أبي الصلت ١٩٠ .

وقوله : ﴿بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ . قال ابن عباس : بخبر صادق ^(١) .

وقال مقاتل : بحديث حق لا شك فيه . فقال سليمان : وما ذاك ؟ فقال الهدهد ^(٢) :

٢٣ . ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ . قال مقاتل : يعني تملك أهل سبأ ^(٣) .
﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يريد من زينة الدنيا
من المال والجنود والعلم ^(٤) .

والمعنى : ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يؤتاه مثلها ^(٥) . قال أبو علي : أي ﴿وَأُوتِيَتْ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في زمانها فحذف المفعول لدلالة الإيتاء عليه ^(٦) . ويجوز في قياس
أبي الحسن أن يكون المعنى : وأوتيت كل شيء ، ولا يجوز في قياس قول سيبويه ^(٧) .

(١) تفسير هود الهواري ٣/ ٢٥٠ بلفظ : (بخبر يقين) . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٥ بلفظ : (خبر حق) .

(٢) تفسير مقاتل ٥٨ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٨ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٨ .

وأخرج ابن جرير ١٩/ ١٤٨ عن الحسن : من كل أمر الدنيا ، ونسبه في الوسيط ٣/ ٣٧٥ إلى عطاء .
وذكر البغوي ٦/ ١٤٩ عن ابن عباس : من أمر الدنيا والآخرة . وفي تنوير المقباس ٣١٧ : أعطيت
علم كل شيء في بلدها .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١١١ .

(٦) المفعول المحذوف تقديره : وأوتيت من كل شيء شيئاً يؤتاه مثلها .

(٧) يعني الواحدي بذلك الخلاف في : ﴿مَنْ﴾ هل هي زائدة للتوكيد ، كما هو رأي أبي الحسن الأخفش
حيث يرى أن : (من) تزداد في الإيجاب مطلقاً ، كقوله تعالى : ﴿لَمَّا أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾
[آل عمران : ٨١] ، قال : ﴿مَنْ كِتَابٍ﴾ تريد : لما آتيتكم كتاباً وحكمةً ، وتكون : (من) زائدة .
معاني القرآن ١/ ٤١٣ .

كتبن بالرفع : كتاب وحكمة . وذكر رأي أبي الحسن الأخفش ، أبو البركات الأنباري . البيان في
غريب إعراب القرآن ١/ ٣٢٠ ، وأما سيبويه فهو يرى أن (من) لا تزداد إلا إذا كان مجرورها نكرة في
سياق نفي ، أو نهي ، أو استفهام . الكتاب ١/ ٣٨ .

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ . قال ابن عباس : يريد : سريراً من ذهب تجلس عليه ، طوله ثمانون ذراعاً ، وعرضه أربعون ذراعاً ، وارتفاعه في السماء ثلاثون ذراعاً ، مضروب بالذهب ، مكلّل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ، قوائمه من زبرجد أخضر^(١) .

وقال مقاتل : كان عرشها ثمانون ذراعاً في ثمانين ذراعاً ، وارتفاع السريّر من الأرض ثمانون ذراعاً مكلّل بالجواهر^(٢) .

٢٤ . وقوله تعالى : ﴿وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، وتفسيرها ظاهر .

= وذكر هذه المسألة بالتفصيل عبدالفتاح الحموز في رسالته للدكتوراه : التأويل النحوي في القرآن الكريم ١٢٩٢ / ٢ ، وذكرها أيضاً صالح بن إبراهيم الفراج في رسالته للدكتوراه : الواحدي النحوي من خلال كتابه البسيط ٤٢٥ / ٢ .

(١) تفسير الوسيط ٣ / ٣٧٥ عن عطاء . وذكر هذا التفصيل وزاد عليه الثعلبي ٨ / ١٢٢٧ ، والبغوي ١٥٦ / ٦ .

وتفسير العرش بأنه السريّر ذكره البخاري عن ابن عباس ، ولفظه : ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ سريّر ﴿كَبِيمٌ﴾ حُسْنُ الصَّنْعَةِ ، وغلاء الثمن . فتح الباري ٨ / ٥٠٤ . وأخرجه ابن جرير ١٩ / ١٤٨ بلفظ : (عرشها : سريّر من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ) ، وكذا عند ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٦٦ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٨ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٦٧ عن زهير بن محمد : سريّر من ذهب ، وصفحته مرمول بالياقوت ، والزبرجد ، طوله ثمانون ذراعاً في أربعين عرضاً . وهذا التفصيل مما لم يثبت ، ولا فائدة في معرفته ، فالأولى تركه ، والله أعلم . قال ابن عطية ١١ / ١٩٣ عن ملكة سبأ : وأكثر بعض الناس في قصصها بما رأيت اختصاره لعدم صحته ، وإننا اللازم من الآية أنها مختصة بامرأة مُلّكت على مدائن اليمن ، وكانت ذات ملك عظيم ، وكانت كافرة من قوم كفار .

٢٥. وقوله: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: قُرِئَ بالتشديد والتخفيف^(١)؛ فَمَنْ شَدَّدَ فتقديرها: فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا، وهذا قول الزَّجَّاج^(٢).

ويجوز أن يُعلق: أن بزین، كأنه زين لهم الشيطان لئلا يسجدوا، وهذا قول الفراء^(٣).

واللام في الوجهين داخلية على مفعول له ثم حذفت، وموضع أن نصب بقوله: ﴿فَصَدَّهُمْ﴾، ويجوز أن يكون موضعها خفضاً، ولو حذفت اللام. والوجه: قراءة من قرأ بالتشديد لتجري القصة على سَنَنِها، ولا يفصل بين بعضها وبعض بما ليس منها، وإن كان الفصل بهذا النحو غير ممتنع؛ لأنه يجري مجرى الاعتراض، وما يسد القصة، وكأنه لما قيل: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾، فدل هذا الكلام على أنهم لا يسجدون لله، ولا يتدينون بدين. قال الهدهد: ألا يا قوم، أو يا مسلمون اسجدوا لله الذي خلق السموات والأرض، خلافاً عليهم^(٤)، وحمد الله لمكان ما هداكم لتوحيد، فلم تكونوا مثلهم في الطغيان والكفر.

(١) كلهم شَدَّدَ اللام، غير الكسائي. السبعة في القراءات ٤٨٠، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٤٨/٢، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٩، والحجة للقراء السبعة ٣٨٣/٥، والنشر في القراءات العشر ٣٣٧/٢.

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/١١٥، وذكره أبو علي في الحجة ٣٨٣/٥ من دون نسبة.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٢٩٠، ولفظه: (زين لهم الشيطان ألا يسجدوا)، وهو قول الأخفش ٢/٦٤٩، وذكره أبو علي غير منسوب في الحجة للقراء السبعة ٣٨٣/٥، قال ابن كثير ٦/١٨٨: ولما كان الهدهد داعياً إلى الخير، وعبادة الله وحده والسجود له نهي عن قتله. ثم ساق حديث ابن عباس قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ أَرْبَعَ مِنَ الدَّوَابِّ: النَّمْلَةَ وَالنَّحْلَةَ وَالْهُذُودَ وَالضَّرَدَ». أخرجه أبو داود ٥/٤١٨، كتاب: الأدب، رقم ٥٢٦٧، وابن ماجه ٢/١٠٧٤، كتاب: الصيد، رقم ٣٢٢٣، وصححه الألباني، صحيح أبي داود ٣/٩٨٨، رقم ٤٣٨٧.

(٤) المعنى والله أعلم: لمخالفتكم لهم في عبادتهم، فاحمدوا الله.

ووجه دخول حرف التنبيه على الأمر أنه موضع يُحتاج فيه إلى استعطاف المأمور، لتأكيد ما يؤمر به عليه، كما أن النداء موضع يُحتاج فيه إلى استعطاف المنادى، لما ينادى له من إخبار، أو أمر، أو نهي، ونحو ذلك مما يخاطب به، وإذا كان كذلك فقد يجوز أن لا يريد منادى في نحو قوله: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾، ويجوز أن يراد بعد يا: مأمورون، فحذفوا كما حذف من قوله:

يَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمْ وَالصَّالِحِينَ عَلَى سَمْعَانَ مِنْ جَارٍ^(١)

وكما أن (يا) هنا لا تكون إلا لغير اللعنة، كأنه قال: يا قوم أو يا هؤلاء، كذلك في الآية يجوز أن يكون المأمورون مرادين، وحذفوا من اللفظ، وقد جاء هذا في غير موضع من الشعر، فمن ذلك ما أنشده أبو زيد:

وَقَالَتْ أَلَا يَا أَسْمَعَ نَعِظُكَ بِخُطَّةٍ فَقُلْتُ سَمِعْنَا فَاَنْطُقِي وَأَصِيبِي^(٢)

قال الفراء: من قرأ بالتخفيف فهو على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، فيُضمَر: هؤلاء، ويُكتفى منها بقوله: يا، وأنشد للأخطل:

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرِ وَإِنْ كَانَ حَيَّانَا عِدَى آخَرَ الدَّهْرِ^(٣)

(١) أنشده سيبويه ٢/٢١٩، ولم ينسبه. وفي الحاشية: البيت من شواهد سيبويه التي لم يعرف قائلها. والشاهد فيه: حذف المدعو لدلالة حرف النداء عليه، والمعنى: يا قوم، أو يا هؤلاء، لعنة الله على سمعان، ولذا رفع: لعنة بالابتداء، ولو أوقع النداء عليها لتصبها. وأنشده المبرّد في الكامل ٣/١١٩٩، وأبو علي في الحجة ٥/٣٨٤، وأبو القاسم الزجاجي في كتابه اشتقاق أسماء الله ١٦٦، والنحاس في إعراب القرآن ٣/٢٠٧، وابن الأنباري في الإنصاف ١/١١٨، ولم ينسبه، وكذا البغدادى في الخزانة ١١/١٩٧. وفي الحاشية: البيت مجهول القائل.

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/٣٨٣-٣٨٥ من قوله: (واللام في الوجهين) بتصرف يسير. وذكر البيت من إنشاد أبي زيد، وهو في كتاب النوادر في اللغة ٢٢ منسوباً إلى النمر بن تَوَلَب. وأنشده ابن الأنباري في الإنصاف ١/١٠٢. وفي الحاشية: الخطبة: شبه القصة. وأنشده أبو حيان ٧/٦٦ بلفظ: (بخطبة)، وكذا في الدر المصون ٨/٦٠١.

(٣) أنشده الفراء في معاني القرآن ٢/٢٩٠، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٩٤، والزجاج في معاني القرآن ٤/١١٥، ونسبه إلى الأخطل. العدى: التباع، يخاطب صاحبه هنداً، ويرجو لها السلامة، =

وقال أبو إسحاق : من قرأ بالتخفيف ، فـ (ألا) لا ابتداء الكلام والتنبيه ، والوقف عليه : ألا يا ، ثم يستأنف فيقول : ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾^(١) ، ومثله : قول ذي الرمة :

أَلَا يَا اسْلِمِي يَا دَارَ مِيٍّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرَ عَائِكَ الْقَطْرُ^(٢)
وقال العجاج :

يَا دَارَ سَلَمَى يَا اسْلِمِي ثُمَّ اسْلِمِي عَنْ سَمْسَمٍ وَعَنْ يَمِينٍ سَمْسَمٍ^(٣)
قال : وإنما أكثرنا الشاهد في هذا الحرف كما فعل مَنْ قبلنا ، وإنما فعلوا ذلك لقلّة اعتياد العامة لدخول : ياء ، إلا في النداء ، لا تكاد تقول العامة : يا اذهب بسلام^(٤) .

وينسبها إلى بني قومها ، ويقول : إنه يأمل أن يقيما على المودة بالرغم من الخفاء بين قوميها . شرح ديوان الأخطل ١٥٠ ، وذكر ابن قتيبة هذا القول في تأويل مشكل القرآن ٢٢٣ ، ٣٠٦ من دون ذكر البيت .

- (١) معاني القرآن للزّجاج ١١٥ / ٤ . وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٩٣ / ٢ ، وهود الهواري ٢٥١ / ٣ ، وأشار إلى هذا القول سيبويه في الكتاب ٥٤٥ / ٣ ، قال : وإنما حذفت الهمزة هاهنا ؛ لأنك لم ترد أن تتم ، وأردت إخفاء الصوت ، فلم يكن ليلتقي ساكن وحرف هذه قصته كما لم يكن ليلتقي ساكنان .
- (٢) أنشد أبو عبيدة في المجاز ٩٤ / ٢ ، والزّجاج ١١٥ / ٤ ، ونسباه إلى ذي الرمة . وهو في ديوانه ٢٠٢ ، وفي شرحه : الانهلال : شدة الصب ، والجرعاء من الرمل : رابية سهلة لينّة .
- (٣) أنشد أبو عبيدة الشطر الأول منه ، ونسبه إلى العجاج في مجاز القرآن ٩٤ / ٢ ، وكذا ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٢٣ غير منسوب ، وأنشده الزّجاج ١١٥ / ٤ ، ونسبه إلى العجاج ، وأنشده ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها ١٤٨ / ٢ من دون نسبة ، وهو في ديوان العجاج ٢٣٤ بلفظ :

بسمسم أو عن يمين سمس

وفي النسخ الثلاث : عن سمسسم أو عن يمين سمسسم .
وقال محقق الديوان : سمسسم : بلد من شق بلاد تميم ، أو كثنان رمل .

- (٤) معاني القرآن للزّجاج ١١٥ / ٤ .

وقال أبو علي : ومما يؤكّد قول من قال : (أَلَا) مثقلة أنها لو كانت مخففة ما كتبت في (يسجدوا) ؛ لأنها : اسجدوا ، ففي ثبات الياء في : يسجدوا في المصحف دلالة على التشديد ، وأن المعنى : أن لا يسجدوا ؛ فانتصب الفعل بأن ، وثبتت ياء المضارعة في أول الفعل ^(١) .

وذكر صاحب النظم وجهين آخرين للقراءتين ، فقال في قراءة العامة بالتشديد : إنه متصل بما قبله ؛ لأن قوله : ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾ واقع على قوله : ﴿الْأَيَّاسُجُدُوا﴾ على تأويل : فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله ؛ أي لا يعلمون أن ذلك واجب عليهم ، و(لا) : زيادة ، كما قال : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف : ١٢] ؛ أي ما منعك أن تسجد .

قال : ومن قرأ بالتخفيف فما قبله تمام ، وقوله : ﴿الْأَيَّاسُجُدُوا﴾ كلام معترض من غير القصة الماضية ؛ إمّا من سليمان ، وإمّا من الهدد ^(٢) ، وهو أمر على غير المواجهة كما تقول : ليضرب فلان ، قال الله تعالى : ﴿فَإِذْكَ فَتَفَرَّقُوا﴾ [يونس : ٥٨] ، ومنه قوله عز وجل : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجنّة : ١٤] ، وقد قيل فيه : إنه أمر على تأويل : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ اغفروا أو ليغفروا ، وعلى هذا التوجيه لا يتأتّى الترجيح الذي ذكره أبو علي : القراءة التشديد ، غير أن الظاهر ما قال هو .

وقال الفرّاء والزّجاج : من قرأ بالتخفيف فهو في موضع سجدة من القرآن ، ومن قرأ بالتشديد فليس بموضع سجدة ، هذا قولهما ^(٣) ! وأهل العلم على أن

(١) الحجة للقراء السبعة ٣٨٥ / ٥ .

(٢) ذكر هذا القول القرطبي ١٨٧ / ١٣ ، ونسبه إلى الجرجاني ، ورجح ابن عطية أن يكون الكلام المعترض من قول الله تعالى ؛ لأنه اعتراض بين كلامين ، قال : وهو الثابت مع التأمل .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٩٠ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٤ / ١١٥ ، ونقد هذا القول الزمخشري

٣ / ٣٥١ ؛ فقد قال : لأن موضع السجدة إمّا أمر بها ، أو مدح لمن أتى بها ، أو ذم لمن تركها ، وإحدى =

هاهنا سجدة على القراءتين بلا خلاف بينهم في ذلك ؛ لأن التشديد يتضمن مذمتهم على ترك السجود لله ^(١) .

ويحسن السجود في مثل هذا الموضع ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ [الانشقاق : ٢١] .

وقال أبو عبيد : من قرأ بالتخفيف جعله أمراً من الله مستأنفاً بمعنى : ألا يا أيها الناس اسجدوا ، وهذا وجه حسن إلا أن فيه انقطاع الخبر الذي كان من أمر سبأ وقومها ، ثم رجع بعد إلى ذكرهم ، والقراءة الأولى خبرٌ يتبع بعضه بعضاً ، لا انقطاع في وسطه ^(٢) .

ويدل على ما قال أبو عبيد ، ما روى عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا ﴾ : قال الله تعالى : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا ﴾ ، فجعل هذا إخباراً عن الله ومن قوله .

القراءتين أمر بالسجود ، والأخرى ذم للتارك وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف من دون التشديد ، فغير مرجوع إليه .

(١) سجدة سورة النمل ثابتة لا خلاف فيها كما ذكر الواحدي ، وحكى ابن حزم اتفاق أهل العلم على ذلك . مراتب الإجماع لابن حزم ٣١ ، وأخرج السجدة فيها بسنده عبدالرزاق عن ابن عباس ، وابن عمر . المصنف لعبدالرزاق الصنعاني ٣/ ٣٣٥ ، وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز : إسناد عبدالرزاق جيد . التبيان في سجدة القرآن ٦٩ .

وموضع السجدة بعد قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ عند الحنفية ، والمالكية ، والشافعية والحنابلة . بدائع الصنائع ١/ ١٩٣ ، وحاشية الدسوقي ١/ ٣٠٧ ، والحاوي الكبير للماوردي ٢/ ٢٠٢ ، والمغني لابن قدامة ٢/ ٣٥٧ ، لكن أشار في المجموع ٣/ ٥١٠ إلى الخلاف في موضع السجدة ، فقال : وشذ العبدري من أصحابنا فقال في كتابه الكفاية هي عند قوله : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ : قال : هذا مذهبننا ، ومذهب أكثر الفقهاء وهذا الذي ادّعاه العبدري ونقله عن مذهبنا باطل مردود ، والله أعلم . وبحث عن هذه المسألة في كتاب الأم للشافعي فلم أجدها ، والله أعلم .

(٢) ذكره عن أبي عبيد القرطبي ١٣/ ١٨٦ .

وقوله : ﴿يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : يقال : خبأت الشيء أخبؤه خبئاً . والخبء : ما خبأت من ذخيرة ليوم ما ، وكل ما خبأته فهو خبء^(١) .

قال مجاهد ومقاتل : يعني الغيث في السماوات والأرض^(٢) .

وقال الزَّجَّاج : وجاء في التفسير أن الخبء هاهنا : القطر من السماء ، والنبات من الأرض^(٣) ، قال : ويجوز وهو الوجه أن الخبء : كل ما غاب ، فيكون المعنى : يعلم الغيب في السماوات والأرض^(٤) .

وذكر الفرَّاء القولين أيضاً ، وقال : وهي في قراءة عبدالله : ﴿يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، قال : وصلحت : (في) مكان : (من) ؛ لأنك تقول : لأستخرجن العلم فيكم ، تريد : لأستخرجن العلم الذي فيكم منكم ، ثم تحذف أيهما شئت ، أعني : (من) ، و(في) ، فيكون المعنى قائماً على حاله^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ : قراءة الناس بالياء ؛ لأن الكلام على الغيبة ، وهو قوله : ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ ، وهو

(١) العين (خبأ) ٤/ ٣١٥ . ونقله عنه الأزهرى في تهذيب اللغة ٧/ ٦٠٣ .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٤٧١ ، وتفسير مقاتل ٥٨ . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٠ عن مجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٨ عن مجاهد ، وسعيد بن المسيب .

(٣) وهو قول ابن زيد ، أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٠ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٨ ، وقال به ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٣ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٦ ، أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٨ عن ابن عباس : يعلم كل خفية في السماوات والأرض ، وأخرج عبد الرزاق ٢/ ٨١ عن قتادة : ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ﴾ ، قال : هو السر ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٦٨ عن عكرمة ، وذكره الهواري ٣/ ٢٥١ ، ولم ينسبه .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩١ .

يعلم الغيب ، وما يخفون وما يعلنون . وقرأ الكسائي وحفص بالتاء^(١) ، أمّا الكسائي فإن الكلام دخله خطاب على قراءته : ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ بالتخفيف^(٢) .

والمعنى : اسجدوا لله الذي يعلم ما تخفون . ورواية أبي بكر عن عاصم بالياء أشبه بقراءته من رواية حفص ؛ لأنه غيبةٌ مع غيبة^(٣) .

قال مقاتل : (مَا يُخْفُونَ) في قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألستهم^(٤) .

٢٦ . وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ؛ أي هو الذي يستحق العبادة لا غيره ، و﴿هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ لا ملكة سبأ ؛ لأن عرشها وإن كان عظيماً لا يبلغ عرش الله في العظم^(٥) .

قال ابن إسحاق وابن زيد : من قوله : ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ إلى منتهى هذه الآية ، من كلام المهدد^(٦) . والسجود على مذهب الشافعي - رضي الله عنه - يكون عقيب هذه الآية .

(١) قرأ الكسائي وحفص عن عاصم بالتاء فيها ، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم بالياء فيها . انظر السبعة في القراءات ٤٨١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٤٩ / ٢ ، والمبسوط في القراءات العشر ٢٧٩ ، والحجة للقراء السبعة ٣٨٥ / ٥ ، والنشر في القراءات العشر ٣٣٧ / ٢ .

(٢) قال الكسائي : ما كنت أسمع المشيخة يقرؤونها إلا بالتخفيف على نية الأمر . معاني القرآن للقرّاء ٢٩٠ / ٢ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٣٨٥ / ٥ باختصار .

(٤) تفسير مقاتل ٥٨ . وأخرج ابن أبي حاتم ٢٨٦٩ / ٩ عن ابن عباس ، يعلم ما عملوا بالليل والنهار . وعن الحسن : في ظلمة الليل ، وفي أجواف بيوتهم .

(٥) بنصه في تفسير الوسيط للواحد ٣٧٦ / ٣ ، ولم ينسبه . والأولى جعل الآية عامة ، قال ابن كثير : أي له العرش العظيم الذي لا أعظم منه في المخلوقات . البداية والنهاية ٢٢ / ٢ .

(٦) أخرجه عنها ابن جرير ١٥١ / ١٩ ، وذكره الثعلبي ١٢٧ / ٨ ب .

٢٧. قوله : ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ ﴾ . قال سليمان للهدد : سننظر في ما أخبرتنا من هذه القصة ﴿ أَصَدَقْتَ ﴾ فيم قلت ﴿ أَمْ كُنْتُ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل وصاحب النظم : يعني : أم أنت من الكاذبين ^(١) . والكلام في الكاذبين في مخاطبة الطير كالكلام في قوله : ﴿ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ، وقد مر ^(٢) .

٢٨. قوله : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهْ إِلَيْهِمْ ﴾ . قال مقاتل : كتب سليمان كتاباً وختمه بخاتمه ، ودفعه إلى الهدد ، وقال له : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهْ إِلَيْهِمْ ﴾ يعني : أهل سبأ ^(٣) .

وفي قوله : (أَلْفَهْ) أوجه من القراءة ؛ أجودها : وصل الهاء بالياء : (فَأَلْفِهِي) ^(٤) ، وترك وصله بالياء إنما يكون في الشعر ، كقوله :

ما حجَّ ربُّه في الدنيا ولا اعتمرا ^(٥)

(١) تفسير مقاتل ٥٨ ب .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ وَتَقَعْدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ [النمل : ٢٠] .

(٣) تفسير مقاتل ٥٨ ب .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ فَأَلْفَهْ ﴾ ثلاث قراءات :

١ - إسكان الهاء ، قرأ بها حمزة وعاصم وأبو عمرو .

٢ - كسر الهاء من غير ياء ، قرأ بها نافع في رواية قالون .

٣ - كسر الهاء ووصلها بالياء ، قرأ بها ابن كثير والكسائي وابن عامر وورش عن نافع .

السبعة في القراءات ٤٨١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ١٥٠ ، وجود كسر الهاء مع الياء . معاني القرآن للزجاج ٤ / ١١٦ ، واختارها الأزهرى في معاني القراءات ٢ / ٢٤١ ، وقال السمرقندي في تفسيره ٢ / ٤٩٤ : والقراءة بالياء أوسع اللغتين ، وأكثر استعمالاً .

(٥) عجز بيت ذكره أبو علي في الحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٨٧ ، ولم ينسبه ، وصدره :

أَوْ مُعْبَرُ الظَّهْرِ يُنْبِي عَنْ وَلِيِّتِهِ

وهو من شواهد سيبويه ، ونسبه إلى رجل من باهلة . وذكره المبرِّد وابن الأنباري ، ولم ينسباه . والشاعر يصف لصاً يمتنى سرقة بعير لم يستعمله صاحبه في سفر لحج أو عمرة . معبر الظهر : كثير الشعر في امتلاء ، والولية : البرذعة ، ومعنى : ينبي عن وليته : يجعلها تنبئ عنه لسمنه . الكتاب ١ / ٣٠ ،

والإنصاف ٢ / ٥١٦ ، والمقتضب ١ / ٣٨ . وفي الحاشية : البرذعة والبرذعة ، بالذال والذال = المجلس

وَأُنْشِدَ الزَّجَّاجُ :

سَأَجْعَلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعًا^(١)

قال : ولو قال : لنفسه ، لكسر الشعر ولكنه ترك الياء وأبقى الكسرة لإقامة الوزن ، وأكثر ما يقع هذا في الشعر .

ومن أسكن الهاء فغالط ؛ لأن الهاء ليست مجزومة ، وليس له وجه من القياس ؛ لأنه يُجري الهاء في الوصل على حالها في الوقف^(٢) ، وزعم الأخفش أن هذا لغة كقوله :

.. مشتاقان لَهُ أَرْقَان^(٣)

الذي يُلقى تحت الرحل . تهذيب اللغة (برذخ) ٣/ ٣٥٧ ، ولسان العرب ٨/ ٨ ، وفي المعجم الوسيط ١/ ٤٨ : ما يوضع على الحمار أو البغل ليركب عليه كالسرج للفرس .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١١٧ ، ولم ينسبه ، صدره :

فإن يك غثاً أو سميناً فإنني

ونسبه سيويه ١/ ٢٨ إلى مالك بن خريم الهمداني ، واستشهد به سيويه على حذف الياء في الوصل من قوله : لنفسه ، للضرورة ، وذكره المبرّد في المقتضب ١/ ٣٨ ، ولم ينسبه . وفي حاشيته : يقول الشاعر : إنه يقدم لضيفه ما عنده من القرى ، ويحكمه فيه ليختار منه أفضل ما تقع عليه عينه ، فيقتنع بذلك .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١١٧ ، وسياق الكلام فيه يدل على الإثبات ، قال : لأن الهاء ليست بمجزومة ، ولها وجه من القياس ، وهو أنه يجري الهاء في الوصل على حالها في الوقف ، وأكثر ما يقع هذا في الشعر أن تحذف هذه الهاء وتبقى كسرة . وتسكين الهاء قراءة أبي عمرو ، وعاصم ، وحمة في رواية عنهم . السبعة في القراءات ٤٨١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٥٠ .

(٣) أشده كاملاً الأخفش ١/ ١٧٩ في تفسير سورة البقرة ، وعنه ابن جني في الخصائص ١/ ١٢٨ ، ولم ينسبه ، وكذا أبو علي في الحجة ٥/ ٣٨٧ ، وحمله المبرّد على الضرورة في المقتضب ١/ ٣٩ . والبيت بتمامه :

فَظِلْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أُرِغُهُ وَمِطَوَايَ مَشْتَقَانِ لَهُ أَرْقَانِ

وفي الحاشية : الأصل : فظللت فحذفت العين ، ويجوز فتح الظاء وكسرها ، وأريغه : بمعنى : أطلبه ، ومطواي : بمعنى صاحباي ، مثني مطوى ، وضمير الغائب للبرق . المقتضب ١/ ٣٩ ، وعند الأخفش : (أخيله) بدل : (أريغه) . والشاهد فيه تسكين الهاء من (له) ، وحذف حركتها .

ولم يحك ذلك سيبويه ، وحمله على الضرورة^(١) .

قوله : ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ . قال مقاتل : انصرف عنهم^(٢) .

وقيل : أعرض عنهم . [قال ابن زيد : هذا على التأخير والتقديم . المعنى : اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ، فانظر : ماذا يرجعون ، ثم تَوَلَّى عَنْهُمْ^(٣) . قال : لأن رجوعه من عندهم]^(٤) والتولي عنهم بعد أن ينظر ما الجواب .

قال الزَّجَّاج : وهذا حسن ، والتقديم والتأخير كثير في الكلام^(٥) . ومن لم يحمل الآية على التقديم والتأخير قال : معناه : ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ مستتراً من حيث لا يرونك ، فانظر : ما يردون من الجواب^(٦) . فيقال : إن الهدهد فعل ذلك ؛ ألقى الكتاب ، وطار إلى كُوَّة^(٧) في مجلسها متوارياً عنها^(٨) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٣٨٧/٥ ، قال علي بن سليمان : لا تلتفت إلى هذه اللغة ، ولو جاز أن يصل وهو ينوي الوقف لجاز أن تحذف الإعراب من الأسماء . إعراب القرآن للنحاس ٢٠٩/٣ ، وتكلم على هذا سيبويه ٢٦/١ .

(٢) تفسير مقاتل ٥٨ ب ، وتفسير هود الهواري ٢٥٢/٣ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٥١/١٩ ، وذكره الثعلبي ١٢٧/٨ ب ، وأبو علي ، في كتاب الشعر ١٠٢/١ ، ولم ينسبه .

(٤) ما بين المعقوفين غير موجود في نسخة (ج) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ١١٧/٤ ، واختار هذا الوجه الأخفش في معاني القرآن ٦٥١/٢ ، وذكره الفراء في معاني القرآن ٢٩١/٢ .

وذهب إلى القول بالتقديم والتأخير ابن الأنباري في الأضداد ١١١ ، وهذا التقديم والتأخير لا يحتاج إليه ؛ لأن الكلام صحيح على ما هو عليه من الترتيب ، والمعنى : فألقه إليهم ثم تَوَلَّى عَنْهُمْ قريباً منهم ، فانظر : ماذا يرجعون . تفسير الطوسي ٩١/٨ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ١١٧/٤ ، أخرج ابن أبي حاتم ٢٨٧١/٩ عن ابن عباس : ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ ؛ أي كن قريباً منهم . وأخرجه ابن جرير ١٥١/١٩ عن وهب بن منبه ، واختاره الثعلبي ١٢٧/٨ ب .

(٧) الكُوَّة : الحرق في الجدار يدخل منه الهواء والضوء . اللسان (كوي) ٢٣٦/١٥ .

(٨) معاني القرآن للفراء ٢٩١/٢ ، فالفرق بين القولين هو في الاستتار عنهم ، فالقول الأول يدل على أن الهدهد لم يتوار عنهم ، والقول الثاني يدل على أنه فعل ذلك . والذي يظهر أن القول الثاني أقرب ، ولا حاجة إلى التقديم والتأخير ؛ فالمعنى بيّن ، والله أعلم .

٢٩. قوله : ﴿قَالَتْ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُوْا إِنِّيْ أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيْمٌ﴾ . قال أبو إسحاق : تقدير الكلام : فمضى الهدهد فألقى الكتاب إليهم^(١) فقالت : ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُوْا إِنِّيْ أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيْمٌ﴾ ، قال قتادة : أتاها الهدهد ، وهي نائمة مستلقية على قفاها ، فألقى الكتاب على نحرها^(٢) .

وقال مقاتل : أتاها الهدهد حتى وقف على رأسها فرفرف ساعة ، والناس ينظرون ، فرفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها ، فقرأت الكتاب ، وكانت عربية من قوم : تبع الحميري ، فأخبرت قومها وقالت : ﴿إِنِّيْ أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيْمٌ﴾^(٣) . قال عطاء عن ابن عباس : مطبوع^(٤) ، وهو : قول الضحاك ، قال : سَمَّته كريماً ؛ لأنه كان مختوماً^(٥) .

ويدل عليه ما روى ابن عباس أن النبي ﷺ قال : «كرامة الكتاب ختمه»^(٦) .

-
- (١) معاني القرآن للزجاج ١١٧/٤ .
 (٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٧٠/٩ ، وذكره الثعلبي ١٢٧/٨ ب .
 (٣) تفسير مقاتل ٥٨ . وكل هذا التفصيل مما لا دليل عليه ، والأولى الوقوف عند ظاهر الآية .
 (٤) تنوير المقباس : ٣١٧ بلفظ : (مختم) . وذكره عنه بهذا اللفظ السيوطي في الدر المنثور ٣٥٣/٦ من رواية ابن مردويه .
 (٥) معاني القرآن للقرآن ٢٩١/٢ ، من دون نسبة ، ونسبه مقاتل ٥٨ ب إلى أبي صالح ، وذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٤٩٤ ، غير منسوب ، وذكره ابن جرير ١٥٣/١٩ ، من دون نسبة ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٧٢/٩ عن السدي . وذكره في الوسيط ٣٧٦/٣ عن عطاء والضحاك ، وقال : وهو قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبیر .
 (٦) ذكره العجلوني في كشف الخفاء ١٤٢/٢ ، وعزاه إلى القضاعي ، وقال : أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس بسند فيه متروك ، وذكره الهيثمي عن الطبراني في الأوسط ، وقال : فيه محمد بن مروان السدي الصغير ، وهو متروك . مجمع الزوائد ٩٨/٨ ، كتاب : الأدب ، باب : في كتابة الكتب وختمها . وأخرجه الواحدي في الوسيط ٣٧٦/٣ من الطريق نفسه ، ولم يبنه على ضعفه ، بل جعل الحديث شاهداً على صحة تفسير عطاء والضحاك . وتكلم عليه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ١٦/٣ ، وذكر رواية الواحدي له في الوسيط ، وحكم عليه الألباني بالوضع ، وعلته : محمد بن مروان السدي . سلسلة الأحاديث الضعيفة ٦٩/٤ ، رقم ١٥٦٧ ، وذكره من المفسرين السمرقندي ٤٩٤/٢ .

وقال قتادة ومقاتل : ﴿ كِتَبٌ كَرِيمٌ ﴾ حسن^(١) ، وهو اختيار الزَّجَّاج ، قال : حسن ما فيه^(٢) .

ويدل على هذا قوله : ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٥٨ ، والدخان : ٢٦] ؛ أي مجلس حسن ، ويقال : سَمَّته كريماً لكرم صاحبه ؛ وذلك أنها رأت كتاب مَلِك^(٣) ، رسوله الطير ! فوصفت كتابه بالكرم ، لكرم صاحبه^(٤) .

وهذا معنى ما روي عن ابن عباس : شريف بشرف صاحبه^(٥) .

ثم بَيَّنَّت ما في الكتاب ، فقالت :

٣٠ . ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾ . قال الكلبي : لما أتاها الهدهد كانت في قصرها فدار حول القصر ، وطلب السبيل إليها حتى وصل من كُوة كانت في القصر ، ثم قطع سبعة أبيات ، حتى انتهى إليها نائمة مستلقية ، فوضع الكتاب إلى جنبها ، ونقرها نقرة ، ثم رجع إلى مكانه من الكُوة ، فاستيقظت فزعة ، فنظرت فإذا كتاب إلى جنبها مختوم ، فأخذته ونظرت فإذا الأبواب مغلقة ، والحرس قد أحاطوا بقصرها ، فقالت : هل رأيتم أحداً دخل إليّ ؟ قالوا : ما رأينا أحداً دخل ، ولا فتح باباً ،

وقد اتخذ النبي ﷺ خاتماً لمكاتباته ومراسلاته ، يقول أنس : لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له : إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة ، فكأنه أنظر إلى بياضه في يده ، ونقش فيه محمد رسول الله . أخرجه البخاري ، كتاب : العلم ، رقم ٦٥ ، فتح الباري ١ / ١٥٥ ، ومسلم ٣ / ١٦٥٧ ، كتاب : اللباس والزينة ، رقم ٢٠٩٢ .

(١) تفسير مقاتل ٥٨ ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٧٢ عن قتادة .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١١٧ ، واقتصر عليه الهواري ٣ / ٢٥٢ .

(٣) كلمة (كتاب) سقطت من نسخة (ج) .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢ / ٢٩١ ، من دون نسبة . وأخرجه ابن جرير ١٩ / ١٥٣ عن ابن زيد ، ونسبه

الماوردي ٤ / ٢٠٦ ، إلى ابن بحر .

(٥) تأويل مشكل القرآن ٤٩٤ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥ ، ولم ينسبه .

فوقع في قلبها أنه ألقى عليها من السماء ، فعند ذلك قالت : ﴿إِنِّي أُلْقِيَ
إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾ (٢١) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴿السَّمَاءُ﴾ ، ثم فتحت الكتاب ، وكانت
كاتبة قارئة ، فإذا فيه : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من سليمان بن داود ،
إلى بلقيس بنت ذي الشرح ، فقالت عند ذلك لمن حولها وكرهت
الكذب : إنه من سليمان ؛ أي إن الكتاب من سليمان ، ﴿وَأِنَّهُ﴾ : وإن
المكتوب فيه : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١) .

ونحو هذا قال السدي ، قال : لما ألقاه المهدد في حجرها ظنّت أنه من عند الله
فقالت : ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ ، وذلك قبل أن تقرأه ، فلما قرأته قالت : ﴿إِنَّهُ مِنْ
سُلَيْمَانَ﴾ ، وفيه : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٢) .

٣١ . ﴿أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ﴾ . قال أبو إسحاق : (أَنْ) يجوز أن تكون في موضع
نصب على معنى : كتاب بأن لا تعلموا ؛ أي كتاب بترك العلو ، ويجوز
أن يكون في موضع رفع على معنى : ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ﴾ أَنْ لا تعلموا .

وفيها وجه آخر حسن على معنى : قال : لا تعلموا عليّ ، وهو تأويل ما ذكره
سيبويه والخليل ، قالوا : (أَنْ) في هذا الموضع في تأويل : أي ، على معنى : أي لا
تعلموا عليّ ، كقوله عز وجل : ﴿وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾ [ص : ٦] .

(١) تفسير السمرقندي ٢ / ٤٩٤ ، من دون نسبة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٧٢ / ٩ . وأخرج عبد الرزاق ٨١ / ٢ بسنده عن قتادة : لم يكن الناس يكتبون
إلا : باسمك اللهم ، حتى نزلت : ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، وأخرج نحوه
ابن أبي حاتم ٢٨٧٣ / ٩ عن ميمون بن مهران ، والشعبي .

قال أبو إسحاق : وتأويل أي هاهنا تأويل القول والتفسير ، كأنها قالت : قال : ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ﴾ ، كما تقول : فعل فلان كذا وكذا ؛ أي إني جواد ، كأنك قلت : يقول : إني جواد ^(١) .

وقد بان بهذا أنَّ (أَنْ) لم تكن في كلام سليمان المكتوب في الكتاب ، وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، لا تعلوا عليَّ ^(٢) .

قال ابن عباس : يريد لا تتكبروا عليَّ ^(٣) ؛ أي لا ترفعوا عليَّ وإن كنتم ملوكاً ، ﴿وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ منقادين طائعين ^(٤) .

قال قتادة : وكذلك كانت الأنبياء تكتب جملاً لا تطيل ^(٥) ، يعني أن هذا القدر الذي ذكره الله كان كتاب سليمان ^(٦) .

(١) معاني القرآن للزجاج ١١٩/٤ ، وذكر الوجهين الفراء ٢/٢٩١ ، وابن جرير ١٩/١٥٣ ، والله أعلم ، ولم أجد قول سيبويه في الكتاب .

(٢) هكذا في نسخة (ج) ، وفي نسخة (أ) و(ب) : وقد بان بهذا أن لم يكن يكن من كلام سليمان (بتكرار (يكن) ، وإسقاط (أَنْ) ، و(من) بدل (في)) .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٤ ، من دون نسبة . وأخرجه ابن جرير ١٩/١٥٣ ، وابن أبي حاتم ٩/٢٨٧٤ عن ابن زيد .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/٢٨٧٤ بلفظ (موحدين) ، وذكره هود الهواري ٣/٢٥٢ ، ونسبه إلى الكلبي ، وأخرجه ابن جرير ١٩/١٥٣ عن ابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/٢٨٧٤ عن سفیان .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٩/١٥٢ ، وابن أبي حاتم ٩/٢٨٧٤ ، وذكره هود الهواري ٣/٢٥٢ ، غير منسوب ، وذكره الثعلبي ٨/١٢٧ ب عن قتادة .

(٦) أخرج ابن جرير ١٩/١٥٢ عن ابن جريج : لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه : (إنه) ، و(إنه) ، ونحوه عند ابن أبي حاتم ٩/٢٨٧٣ عن مجاهد ، وتفسير مقاتل ٥٨ ب ، وذكره الثعلبي ٨/١٢٧ ب عن ابن جريج .

قال الكلبي : كان في الكتاب : فإن كنتم من الجن فقد عُبدتم لي ، وإن تكونوا من الإنس فعليكم السمع والطاعة والإجابة ، مع أشياء كتب بها إليها^(١) . فعلى هذا كان الكتاب طويلاً ، وذكر الله تعالى منه ما هو القصد ، وهو أنه دعاها إلى الطاعة .

قال الكلبي ومقاتل : أرسلت إلى قومها فاجتمعوا إليها ، فاستشارتهم في ما أتاهما من سليمان ، فقالت :

٣٢ . ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا﴾ : يعني الأشراف وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً ، وهم أهل مشورتها^(٢) ، وهذا قول قتادة والثَّالِي والكلبي ومقاتل ، قالوا : وكان كل رجل منهم على عشرة آلاف^(٣) ، وقال مقاتل : كان مع كل قائد : مائة ألف^(٤) .

وقوله : ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ . قال ابن عباس : أشيروا عليّ ؛ أي بيّنوا لي ما أعمل^(٥) ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ فاعلة أمراً وقاضيته^(٦) ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ حتى تحضرون ؛ أي إلا بحضوركم ومشورتكم ، قاله ابن عباس ومقاتل^(٧) . قالوا مجيبين لها :

-
- (١) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٩٤ منسوباً إلى الكلبي . وفي تنوير المقياس : ٣١٧ : وأشياء كانت فيه مكتوبة . ولم يذكر شيئاً منها . وهذا لا دليل عليه ، ولا سبيل للجزم به إلا من طريق معصوم .
- (٢) تفسير مقاتل ٥٨ ب ، والوسيط ٣/ ٣٧٧ ، من دون نسبة .
- (٣) ذكره الهواري ٣/ ٢٥٣ ، وصدّره بقوله : قال بعضهم . والثَّالِي : هو ثابت بن أبي صفية الثَّالِي .
- (٤) تفسير مقاتل ٥٨ ب ، وتنوير المقياس ٣١٨ من دون ذكر العدد . وفي نسخة (أ) و(ب) : كررت مائة ألف مرتين .
- (٥) أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٥ عن زهير بن محمد : أشيروا برأيكم . قال الفرّاء : جعلت المشورة فتياً ، وذلك جائز لسعة العربية . معاني القرآن ٢/ ٢٩٢ .
- (٦) فالعنى واحد : فاعلة ، وقاضية . معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٩٢ .
- (٧) تفسير مقاتل ٥٨ ب ، وتنوير المقياس ٣١٨ بمعناه . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٣ عن ابن زيد ، وهو في الوسيط ٣/ ٣٧٧ غير منسوب .

٣٣. ﴿نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً﴾^(١). قال عطاء عن ابن عباس : كانت من قوة أحدهم أنه يُرَكِّضُ الفرس ، حتى إذا امتلأ فُرُوجُهُ ضم فخذيه فحبسه بقوته^(٢) .

وقال مقاتل : يعني عدَّة كثيرة من الرجال ، كقوله : ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥] يعني : بالرجال^(٣) .

فتحمل القوة هاهنا على العدَّة والكثرة^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَأُولُوا بِأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ : يعني الشجاعة والقوة في الحرب^(٥) .

قال ابن زيد : عَرَّضُوا لها بالقتال بأن ذكروا لها قوتهم وشجاعتهم ، ثم قالوا : ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾^(٦) ؛ أي في القتال وفي تركه ، ﴿فَأَنْظِرِي﴾ من الرأي ، ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ : ماذا تشيرين علينا^(٧) .

(١) تكلم أبو علي الفارسي على كلمة : ﴿أَوْلُوا﴾ وأنها جمع : ذو ، من غير لفظه . كتاب الشعر ٢/ ٤٢٢ ، والمسائل الحلبيات ١٥٤ .

(٢) ذكره عن ابن عباس القرطبي ١٣/ ١٩٥ ، وفي الوسيط ٣/ ٣٧٧ : أي في الأبدان في معنى قول ابن عباس . في تهذيب اللغة (وكى) ١٠/ ٤١٦ : وإنما قيل للذي يشدد عدوه : مُوَكِّ ؛ لأنه كأنه ملأ هواء ما بين رجليه عدواً وأوَكى عليه ، والعرب تقول : ملأ الفرسُ فُرُوجَ دَوَارِجِهِ عَدُوًّا : إذا اشتد حُضْرُهُ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٨ ب .

(٤) وهذا جمع حسن بين القولين .

(٥) تفسير مقاتل ٥٨ ب . وكلمة (القوة) في نسخة (ج) .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٥ ، وذكره في الوسيط ٣/ ٣٧٧ ، من دون نسبة .

(٧) تفسير مقاتل ٥٨ ب بنصه .

قالت مجيبة لهم عن التعريض بالقتال :

٣٤ . ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ . قال مقاتل : أهلكوها ، كقوله عز وجل : ﴿ لَفَسَدَتِ السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [المؤمنون : ٧١] . يعني هلكت ^(١) ، وقال غيره : خربوها ^(٢) .

وقال الزَّجَّاج : معناه : إذا دخلوها عَنوة ؛ أي جهاراً عن قتال وغلبة ^(٣) .

﴿ وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً ﴾ . قال مقاتل : أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الأمر ^(٤) .

قال الفرَّاء : قالت لهم : إنهم إن دخلوا بلادكم أذلوكم وأنتم ملوك ^(٥) .

ومعنى الآية أنها حذرتهم مسير سليمان إليهم ، ودخوله بلادهم ، وتناهى الخبر عنها ، وصدَّقها الله تعالى ، فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ، يعني : كما قالت هي . وهذا معنى قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٥٨ ب .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٧٦/٩ عن ابن عباس ، وذكره هود الهواري ٢٥٣/٣ ، من دون نسبة .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ١١٩/٤ ، أخرج ابن جرير ١٥٤/١٩ عن ابن عباس : إذا دخلوها عنوة خربوها .

(٤) تفسير مقاتل ٥٨ ب ، وهو في الوسيط ٣٧٧/٣ غير منسوب .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢٩٢/٢ .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٥٤/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٨٧٧/٩ عن ابن عباس . وتفسير مقاتل ٥٩ أ ، وتنوير المقباس : ٣١٨ ، وذكره ابن قتيبة ، ولم ينسبه . تأويل مشكل القرآن ٢٩٤ ، ونسبه النحاس إلى سعيد بن جبير في إعراب القرآن ٢١٠/٣ ، وعلى هذا فالوقف على : ﴿ وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً ﴾ وقف تام . النشر ٢٢٧/١ .

قال الزَّجَّاج : هو من قول الله عز وجل ؛ لأنها قد ذكرت أنهم يفسدون ،
فليس لتكرير هذا منها فائدة^(١) .

٣٥ . قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرُهُ يَمُورُ بِالْمُرْسَلِينَ ﴾ . قال
مقاتل : أصانعههم على ملكي إن كانوا أهل دنيا^(٢) .

وقال السدّي : تختبر بذلك سليمان ، وتعرفه أملك هو أم نبي^(٣) .

قال ابن عباس : أرسلت إليهم ببائة وصيف ومائة وصيفة ، وهو قول
مقاتل^(٤) .

وقال مجاهد : مائتي غلام ، ومائتي جارية^(٥) ، وهذا قول أكثر المفسرين ،
قالوا : الهدية كانت غلمانا وجواري ، وإن اختلفوا في مبلغ عدد الفريقين^(٦) .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١١٩ ، ومعاني القرآن للقرّاء ٢/ ٢٩٢ ، وحكى الماوردي ٤/ ٢٠٩ عن
ابن شجرة أن هذا حكاية عن قول بلقيس : كذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا ، واستظهره أبو حيان
٧/ ٧٠ ، وكذا السمين الحلبي ٨/ ٦١١ ، والأقرب ما اقتصر عليه الواحدي ، والله أعلم .

(٢) تفسير مقاتل ٥٩ أ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٧ عن قتادة ، وأخرج عنه في ٢٨٧٩ : رحمه الله إن
كانت لعاقلة في إسلامها ، وشركها ، قد علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس .

(٣) تفسير هود الهواري ٣/ ٢٥٣ بمعناه غير منسوب . وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٦ عن ابن زيد ،
وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٩ عن ابن عباس .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٥ ، وتفسير مقاتل ٥٩ أ .

(٥) ذكره في الوسيط ٣/ ٣٧٧ بنصه ، وأخرجه ابن جرير ١٩/ ١٥٥ ، وليس فيه ذكر العدد ، وكذا في
تفسير مجاهد ٢/ ٤٧١ .

(٦) أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٧٧ عن سعيد بن جبير : أرسلت إليهم ثمانين من وصيف ووصيفة .

وقال ثابت البناني: أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج^(١).

﴿فَنَاطِرَةُ يَمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ من عنده بقبول أم برَدَّ^(٢). قال الفراء: انقصت الألف من (بِمْ)؛ لأنها في معنى: بأي شيء، وإذا كانت (مَا) في موضع: أي، ثم وصلت بحرفٍ خافضٍ نُقصت الألف من (مَا) ليعرف الاستفهام من الخبر، ومن ذلك قوله: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ [النساء ٩٧] و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبا: ١]، وإن أتممتها فصواب^(٣)، وأنشدني المفضل^(٤):

إِنَّا قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتَكُمْ أَهْلَ اللَّوَاءِ ففِيمَا يَكْثُرُ الْقِيلُ^(٥)

(١) أخرجه عبدالرزاق ٨١/٢، وابن جرير ١٥٥/١٩، ورواه ابن أبي حاتم ٢٨٧٧/٩، ٢٨٧٩، عنه، وعن قتادة. وتوجد زيادات على ما ذكر الواحد في ماهية هذه الهدية، وقد ذكر ذلك بطوله الثعلبي ١٢٨/٨، وكله مما لا دليل عليه، وقد أحسن الواحدي - رحمه الله - في ترك ذكرها، والأولى الوقوف عند ظاهر الآية، فهي هدية مالية كبيرة، لقوله تعالى: ﴿أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ﴾، وأما تعيينها فلا دليل عليه، والله أعلم.

(٢) تفسير ابن جرير ١٥٦/١٩.

(٣) قال النحاس: وأجاز الفراء إثباتها في الاستفهام، وهذا من الشذوذ التي جاء القرآن بخلافها. إعراب القرآن ٢١١/٣.

(٤) هو أبو طالب المفضل بن سلمة.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٩٢، غير منسوب. بلفظ: (القيل)، وفي نسخة (أ) و(ب): (الفتك)، وأورده البغدادى في الخزنة ٦/١٠٦، وقال: البيت من قصيدة لكعب بن مالك شاعر رسول الله ﷺ، أجاب بها ابن الزبير وعمرو بن العاص عن كلمتين افتخرا بها يوم أحد. سراء القوم: خيارهم. وهو في ديوان كعب ٨٣.

قال : وأنشدني أيضاً :

على ما قام يشتمني لئيم كخزير تمرغ في رماد^(١)

وقال الزّجاج : حروف الجر مع (ما) في الاستفهام تحذف معها الألف من (ما) ؛ لأنها كالشيء الواحد ، وليفصل بين الخبر والاستفهام ، تقول : قد رغبت في ما عندك ، فتثبت الألف ، وتقول : فيم نظرت يا هذا ؟ فتحذف الألف^(٢) .

قال المفسرون : دعت بلقيس رجلاً من أشرف قومها يقال له : المنذر بن عمرو ، وضمت إليه رجلاً أصحاب رأي وعقل ، وبعثتهم وفداً إلى سليمان مع الهدية ، وهم المرسلون في قوله : ﴿يَمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٣) .

٣٦ . قوله عز وجل : ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ﴾ ؛ أي جاء الرسول سليمان ، قاله الفراء والزّجاج ، زاد أي الزّجاج ، ويجوز أن يكون فلماً جاء برّها سليمان إلا أن قوله : ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ مخاطبة للرسول^(٤) .

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٢ ، من دون نسبة ، وكذا ابن جرير ١٩/ ١٥٦ . والشاهد فيه : دخول الألف على (ما) . والبيت في ديوان حسان ٧٩ من قصيدة يهجو فيها بني عابد بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم .

(٢) معاني القرآن للزّجاج ٤/ ١٢٠ .

(٣) تفسير مقاتل ٥٩أ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٢٩ أ . واختار ابن قتيبة أن يكون المراد به واحداً ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ . تأويل مشكل القرآن ٢٨٤ ، ولا تعارض بين اللفظين ؛ فيحمل الجمع على مخاطبة رئيس الوفد ومن معه ، ويحمل الأفراد على مخاطبة رئيس الوفد وحده ، والله أعلم .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٣ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٤/ ١٢٠ ، والبداية والنهاية ٢/ ٢٣ ، برها : هديتها ، والمال الذي بعثت به . في تهذيب اللغة (بر) ١٨٨/ ١٥ : البر فعل كل خير من أي ضرب كان والبر : الإكرام .

﴿قَالَ أَتَمِدُّونَ بِمَالٍ﴾. روى المسيبي^(١) عن نافع: (أَتَمِدُّونَ) خفيفة النون بنون واحدة، وياء على حذف النون الثانية التي تصحب ضمير المتكلم^(٢)، ولا يجوز حذف الأولى لأنه لحن^(٣)، والثانية قد حذفت في مواضع من الكلام نحو: قَدِي^(٤).

وقرأ حمزة: (أَتَمِدُّونِي) بنون واحدة مشددة، أدغم الأولى في الثانية، ومن قرأ بنونين وجمع بين المثليين ولم يدغم؛ فلأن الثانية ليست بلازمة، ألا ترى أنه يجزئ في الكلام من غير الثانية نحو: أتمدون زيدا^(٥).

(١) محمد بن إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن، أبو عبد الله المسيبي، المدني، مقرئ عالم مشهور، ضابط ثقة، أخذ القراءة عن أبيه عن نافع، وحدث عن سفيان بن عيينة، ومحمد بن فليح، وغيرهما، روى عنه مسلم وأبو داود في كتابيهما، وأبو زرعة، وغيرهم. توفي سنة ٢٣٦ هـ. انظر معرفة القراء الكبار ١/ ١٧٧، وغاية النهاية ٩٨/ ٢.

(٢) قرأ ابن كثير: ﴿أَتَمِدُّونَ﴾ بنونين، وإثبات الياء في الوصل، وقرأ نافع في رواية المسيبي بنون واحدة خفيفة، وبحذف الياء في الوقف، وقرأ عاصم، وابن عامر، والكسائي بنونين بغير ياء في الوصل والوقف، وقرأ حمزة بنون واحدة مشددة، وياء في الوصل والوقف. انظر السبعة في القراءات ٤٨٢، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٥٠، وذكر الفراء هذه الأوجه، وصوبها كلها، في معاني القرآن ٢/ ٢٩٣، وكذا ابن جرير ١٩/ ١٥٧، والأزهري في معاني القراءات ٢/ ٢٤١.

(٣) في نسخة (ج): (لأن حذف الأولى لحن).

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٩، قال سيويه ٢/ ٣٧١: وقد جاء في الشعر: قدي، فأما الكلام فلا بد فيه من النون، وقد اضطر الشاعر فقال: قدي، شبهه بحسي؛ لأن المعنى واحد، قال الشاعر:

قَدْنِي مَنْ نَصَرَ الْحَبِيبَيْنِ قَدِي

والشاعر قيل هو: أبو نخيلة، وقيل: حميد الأرقط، وقيل غير ذلك. والحبیبان - بالتصغير - هما: عبد الله بن الزبير، وكنيته: أبو خبيب، ومصعب أخوه، غلبه عليه لشهرته، وقدي؛ أي حسبي وكفاني، وهو مبتدأ، خبره الجار والمجرور، والمعنى: حسبي من نصره هذين الرجلين؛ أي لا أنصرهما بعد. وقدي الثانية تأكيد. والشاهد فيه: حذف النون من قدي تشبيهاً بحسي. حاشية الكتاب ٢/ ٣٧١، وأنشده ولم ينسبه أبو زيد في النوادر ٢٠٥، وأبو علي في الحجة ٣/ ٣٣٤.

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٣٨٩، وفيه: (ألا ترى أنها تجري في الكلام، ولا تلتزق بها الثانية).

ومعنى قوله : ﴿أَتُمِدُّوْنَ بِمَالٍ﴾ إنكار عليهم إهداءهم إليه ، وما أتوه به من المال . قوله : ﴿فَمَاءَ آتَيْنِ ۖ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْتُكُمْ﴾ ؛ أي ما أعطاني من الإسلام والنبوة والملك خير مما أعطاكم . ﴿بَلْ أَنتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ فَرِحُونَ﴾ : يعني إذا أهدى بعضكم إلى بعض ، وأما أنا فلا أفرح بها ، إنما أريد منكم الإسلام ، قاله مقاتل ^(١) .

ثم قال سليمان لأمير الوفد :

٣٧ . ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ ؛ أي بالهدية ، هذا قول أكثر المفسرين ^(٢) . وقال الكلبي : ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ خطاب للهدهد كتب إليها كتاباً آخر ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بَحُورٌ لَّا يَمْلِكُ لَهُمْ بِهَا﴾ . قال ابن عباس والمفسرون وأهل اللغة : لا طاقة لهم بها ^(٤) .

﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ . قال الكلبي : من قرية سبأ ^(٥) ﴿أَذَلَّةٌ وَهُمْ صَغِيرُونَ﴾ أذلاء .

(١) تفسير مقاتل ٥٩ ، وفيه : إذا أهدى بعضكم إليّ ، فأما أنا فلا أفرح وفي تنوير المقياس : ٣١٨ : ﴿بَلْ أَنتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ فَرِحُونَ﴾ إن ردت إليكم . وما اقتصر عليه الواحدي أقرب ، والله أعلم .

(٢) تفسير مقاتل ٥٩ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٢٩ أ . وأخرجه ابن جرير ١٩ / ١٥٧ عن وهب بن منبه . وأخرج ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٨١ عن قتادة : ما نراه يعني إلا الرسل . وفي معاني القرآن للقرّاء ٢ / ٢٩٤ ، وتفسير هود الهواري ٣ / ٢٥٤ : توجيه الخطاب للرسول ، وليس فيه ذكر الهدية .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٨١ عن زهير بن محمد . وفي تنوير المقياس : ٣١٨ : ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بهديتهم . وليس فيه تعيين المخاطب . حيث يحتمل أن يكون الخطاب لرسول ملكة سبأ . تفسير الماوردي ٤ / ٢١١ .

(٤) ذكره البخاري عن ابن عباس ، معلقاً بصيغة الجزم ، كتاب : التفسير ، الفتح ٨ / ٥٠٤ ، ووصله ابن جرير ١٩ / ١٥٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٨٢ عن أبي صالح وكتادة . وتفسير مقاتل ٥٩ ، ومجاز القرآن ٢ / ٩٤ ، وتفسير هود الهواري ٣ / ٢٥٣ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٤ .

(٥) تنوير المقياس ٣١٨ ، وهو في الوسيط ٣ / ٣٧٧ غير منسوب .

قال المفسرون : فلما رجعت إليها الرسل قالت : قد عرفنا ما هذا بملك وما لنا به من طاقة ، ثم تجهزت للمسير إليه ^(١) .

٣٨ . قال ابن عباس : وأخبره جبريل أنها خرجت من اليمن مقبلة إليه ^(٢) ، فقال سليمان : ﴿ قَالَ يَتَأْتِيهَا الْمَلَكُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ . قال عبدالله بن شداد : كانت بلقيس على رأس فرسخ ^(٣) من سليمان لما قال سليمان : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ وكان ما بينه وبينها كما بين الكوفة والحيرة ^(٤) ؛ وذلك أنه لم يخبر بمسيرها إليه حتى رأى يوماً رهجاً ^(٥) قريباً منه فسأل عنه فقيل : بلقيس يا رسول الله ، فحينئذ قال : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ ، هذا قول وهب بن منبه ، وجميع المفسرين ^(٦) .

- (١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٢٩ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٢ عن يزيد بن رومان .
- (٢) ذكره في الوسيط ٣/ ٣٧٧ ، ولم ينسبه .
- (٣) الفرسخ : ثلاثة أميال أو ستة ، سُمِّيَ بذلك لأن صاحبه إذا مشى قعد واستراح من ذلك كأنه سكن ، والفرسخ : السكون . لسان العرب (فرسخ) ٣/ ٤٤ ، والميل مقياس للطول قُدِّرَ قديماً بأربعة آلاف ذراع ، وهو الميل الهاشمي ، وهو بري وبحري ؛ فالبري : يقَدَّرُ الآن بما يساوي ١٦٠٩ من الأمتار ، والبحري بما يساوي ١٨٥٢ من الأمتار . المعجم الوسيط ٢/ ٨٩٤ .
- (٤) الكوفة بالضم : المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، وُسِّمَتْ بذلك لاستدارتها ، وقيل : لاجتماع الناس بها . معجم البلدان ٤/ ٥٥٧ ، وهي تقع جنوب بغداد بنحو ١٥٠ كم . والحيرة : مدينة على بُعْد ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له : النجف . معجم البلدان ٢/ ٣٧٦ ، وهي جنوب الكوفة بنحو ٧٥ كم .
- (٥) الرَّهَجُ : الغبار . تهذيب اللغة (رهج) ٦/ ٥٢ .
- (٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٢ ، ٢٨٩٧ عن ابن عباس ، وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٢٩ ، وأخرجه ابن أبي شيبة عن عبدالله بن شداد . المصنف ٦/ ٣٣٦ ، وهذا يخالف ما ذكره الواحدي قبل ذلك ، واقتصر عليه في تفسيره الوسيط ٣/ ٣٧٧ ، من أن نبي الله سليمان - عليه السلام - قد أعلمه جبريل بذلك ، والله أعلم .

واختلفوا في السبب الذي خص سليمان - عليه السلام - العرش بالطلب ، فقال قتادة : لأنه قد وُصف له عرشها بالعِظَم فأعجبه ذلك وأحب أن يراه ^(١) .

وقال مقاتل وأكثر المفسرين : أحب سليمان أن يأخذ عرشها قبل أن تُسلم فلا يحل أخذ مالها ^(٢) . فذلك قوله : ﴿ قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِ مُسْلِمِينَ ﴾ ؛ أي مخلصين بالتوحيد ، قاله مقاتل ^(٣) .

وقال ابن جريج : ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ بحرمة الإسلام فيمنعنا الإسلام أموالهم ^(٤) .
وقال ابن عباس : ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ : طائعين منقادين ^(٥) .

وعلى هذا يحل له أخذ مالها بعد إتيانها . قال مقاتل : وكان قد أوحى إلى سليمان أنها تأتي مسلمة ، فلذلك قال : ﴿ قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِ مُسْلِمِينَ ﴾ ^(٦) ، فهذان قولان في سبب طلب العرش .

(١) ذكره الثعلبي ٨ / ١٢٩ ب عن قتادة ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٨٣ عنه ، وليس فيه دلالة على ما ذكر ، بل هو موافق للقول الذي ذكره الواحدي عن مقاتل وأكثر المفسرين .
(٢) تفسير مقاتل ٥٩ ب وتفسير هود الهواري ٣ / ٢٥٤ ، من دون نسبة . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٨٤ عن زهير بن محمد وعطاء والسدي ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٢٩ ب عن أكثر المفسرين ، ولم يسمهم . واقتصر عليه الواحدي في الوسيط ٣ / ٣٧٨ ، والوجيز ٢ / ٨٠٤ ، ولا يخفى ما في هذا القول من البعد ؛ لأن نبي الله سليمان - عليه السلام - لم يكن بحاجة إلى ذلك ، وكيف يظن به وهو نبي ، وقد أعطاه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ! وأقرب ما يكون أن نبي الله سليمان - عليه السلام - أراد أن يظهر لها عظم ملكه ، وأنه من الله ، والله أعلم . وقد ذكر هذا الوجه الثعلبي ٨ / ١٢٩ ب ، فقال : وقيل : ليربها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه ، وذكره الواحدي بعد ذلك بمعناه ، لكنه لم ينتقد القول السابق .

(٣) تفسير مقاتل ٥٩ ب .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩ / ١٦١ .

(٥) ذكره البخاري عن ابن عباس ، معلقاً بصيغة الجزم ، بلفظ : (طائعين) . كتاب : التفسير ، الفتح ٨ / ٥٠٤ ، وذكره أيضاً الثعلبي ٨ / ١٢٩ ب ، ونسبه الهواري ٣ / ٢٥٤ إلى الكلبي .

(٦) تفسير مقاتل ٥٩ ب .

وقال ابن زيد : أراد سليمان أن يعاتبها بالعرش ويختبر عقلها^(١) ، ويدل على هذا قوله : ﴿ قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ ألا يتبين .

وقال آخرون : أراد سليمان أن يريها آية معجزة في عرشها ليجعل ذلك حجة عليها ، فقال : ﴿ إِنَّكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ؛ أي طائعين منقادين^(٢) ، كما قال ابن عباس .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ ﴾ : العفريت : النافذ في الأمر المبالغ فيه مع خبث ودهاء . يقال : رجل عَفْرٌ وعِفْرِيتٌ ، وعِفْرِيَّةٌ وعُفْارِيَّةٌ ، بمعنى واحد^(٣) .

وقال الفراء : من قال عفرية ، فجمعه : عَفَارٌ . ومن قال : عفريت ، جمعه : عفاريت ، وجائز أن يقول : عفارٍ ، كقولهم في جمع الطاغوت : طواغيت وطواغ^(٤) .

قال المفسرون في تفسير العفريت : إنه المارد الداهية القوي الخبيث الغليظ القوي الشديد ، كل هذا من ألفاظهم^(٥) .

(١) أخرجه ابن جرير ١٦٠ / ١٩ ، وفيه : (وكانت الملوك يتعاطبون بالعلم) ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٢٩ ب عنه بلفظ : (أراد أن يختبر عقلها) .

(٢) ذكره الثعلبي ٨ / ١٢٩ ب ، ولم ينسبه .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٢٠ بنصه ، ومجاز القرآن ٢ / ٩٤ بمعناه . وقد قرأ أبو رجاء وعيسى الثقفي : (عفرية) . قال ابن جني : هو العفريت . المحتسب ٢ / ١٤١ ، قال أبو عبيد : رجل عَفْرٌ نَفْرٌ ، وعِفْرِيَّةٌ نَفْرِيَّةٌ ، وعِفْرِيتٌ نَفْرِيتٌ ، وعُفْارِيَّةٌ نُفَارِيَّةٌ : إذا كان خبيثاً مارداً . تهذيب اللغة (نفر) ١٥ / ٢١١ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٩٤ ، وذكر الأزهري كلام الزجاج والفراء ، ونسب الثاني من دون الأول . تهذيب اللغة (عفر) ٢ / ٣٥٢ .

(٥) قال الكلبي : داهية من الجن . تفسير عبدالرزاق ٢ / ٨١ ، وقال مقاتل ٥٩ ب : مارد ، وقيده الهواري ٣ / ٢٥٤ بالكافر ، فقال : العفريت لا يكون إلا الكافر . ويعد أن يكون عند نبي الله سليمان عليه السلام - وهو على الكفر ، والله أعلم . وأخرج ابن جرير ١٩ / ١٦١ عن مجاهد وقتادة : مارد من الجن ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٨٤ عن مجاهد . وفي تنوير المقياس ٣١٨ : شديد . وذكر ابن الأنباري في كتابه الزاهر ١ / ٢٠٩ ، والأضداد ٣٨٣ معاني أخرى لكلمة عفريت .

وقال ابن قتبية : أصله : عَفَر ، زيدت التاء فيه ، يقال : عَفِرْتِ ونَفِرْتِ وعُفَارِيَّة ، ولم يسمع بِنُفَارِيَّة^(١) .

وقوله : ﴿أَنَاْ أَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُوْمَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾ : يعني من مجلسك الذي تقضي فيه ، وكان سليمان يجلس في مجلسه للقضاء غُدُوَّة إلى نصف النهار ، قاله ابن عباس والمفسرون^(٢) .

فمعنى المقام هاهنا : المقعد والمشهد ، لا موضع القيام . وقال أبو الحسن : إنهم يقولون للمقعد والمشهد : مقام ، كالذي في هذه الآية ، وكقوله : ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء : ٥٨ ، الدخان : ٢٦] : يعني ومجلس حسن . قال الكلبي : كانت قوة العفريت أنه يضع قدمه حيث ينال بصره .

وقال مقاتل : قال العفريت : أنا أضع قدمي عند منتهى بصري ، فليس شيء أسرع مني^(٣) .

﴿وَلِإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ ؛ أي على حمله (أَمِينٌ) على ما فيه من الذهب والفضة والجواهر ، قاله ابن عباس^(٤) ، فقال سليمان : أريد أسرع من ذلك^(٥) .

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٨٤/٩ عن ابن عباس ومجاهد ، وأخرجه عبدالرزاق ٨٢/٢ عن قتادة ، وأخرجه ابن جرير ١٦٢/١٩ عن مجاهد ، وقتادة ، وهب بن منبه ، وهو في تفسير مجاهد ٤٧٢/٢ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/٢٩٤ ، وتفسير هود الهواري ٣/٢٥٤ ، وتفسير الثعلبي ٨/١٢٩ ب .

(٣) تفسير مقاتل ٥٩ ب . وذكره في الوسيط ٣/٣٧٨ ، ولم ينسبه .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٦٢/١٩ ، وابن أبي حاتم ٩/٢٨٨٥ ، وذكره الثعلبي ٨/١٢٩ ب ، وهو قول مقاتل ٥٩ ب .

(٥) تفسير مقاتل ٥٩ ب . وأخرجه ابن جرير ١٦٣/١٩ عن الضحاك ، وهو في تنوير المقباس ٣١٨ ، وتفسير الثعلبي ٨/١٢٩ ب .

٤٠. ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ . قال محمد بن إسحاق : هو آصف بن برخيا ، وكان صديقاً ، يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي به الله أجاب^(١) ، وهو قول مقاتل والكلبي والأكثرين ، ورواية الضحاك عن ابن عباس^(٢) .

وقال قتادة : هو رجل من بني إسرائيل كان يعلم الاسم الذي إذا دعي به أجاب ، اسمه كليخا^(٣) .

وقال أبو صالح وشعيب بن حرب^(٤) : هو رجل من بني آدم^(٥) .

وقال عطاء عن ابن عباس : هو جبريل^(٦) .

-
- (١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٨٦/٩ عنه ، وعن يزيد بن رومان ، وهو في البداية والنهاية ٢٣/٢ .
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٨٥/٩ عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير . وتفسير مقاتل ٥٩ ب ، وتفسير هود الهواري ٢٥٤/٣ ، من دون نسبة . وأخرجه ابن جرير ١٦٣/١٩ عن محمد بن إسحاق ، وأخرجه من طريق الضحاك الثعلبي ١٢٩/٨ ب ، واقتصر عليه الواحدي في الوسيط ٣٧٨/٣ ، والوجيز ٨٠٤/٢ .
- (٣) أخرجه بسنده عبد الرزاق ٨٢/٢ من دون ذكر الاسم ، وأخرجه ابن جرير ١٦٢/١٩ من طريقين ؛ أحدهما : مثل رواية عبد الرزاق ، والثاني : فيه ذكر الاسم فقط ، ولفظه : (بليخا) . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٨٦/٩ ، واسمه : آصف . وفي تفسير الثعلبي ٨/١٣٠ أسماه : مليخا . وهذا الاختلاف في تعيين اسمه مما لا طائل تحته ، ولا يفيد التعيين في معنى الآية شيئاً ؛ فالأولى تركه .
- (٤) شعيب بن حرب المدائني ، أبو صالح ، نزيل مكة ، ثقة عابد ، روى عن إسما عيل بن مسلم العبدى ، وشعبة ، وسفيان ، وغيرهم ، وروى عنه أحمد بن حنبل ، وعلي بن بحر ، وغيرهما ، توفي سنة ١٩٧ هـ . انظر السير ١٨٨/٩ ، وتقريب التهذيب ٤٣٧ .
- (٥) أخرجه بسنده عبد الرزاق ٨٢/٢ عن الكلبي ، وأخرجه ابن جرير ١٦٢/١٩ ، ١٦٣ عن أبي صالح وابن جريج ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٨٥/٩ عن أبي صالح وزهير بن محمد . وأخرج أيضاً عن أبي صالح أنه قال : هو الخضر . وكل هذه الأقوال لا دليل عليها ، والأولى الوقوف عند ظاهر الآية ، والله أعلم .
- (٦) تفسير هود الهواري ٢٥٥/٣ ، وتفسير الثعلبي ١٢٩/٨ ب ، ولم ينسبه .

وقال ابن زيد : هو رجل صالح كان في جزيرة من جزائر البحر ، فخرج ذلك اليوم ينظر من ساكن الأرض ، فوجد سليمان ، فدعا باسم من أسماء الله فجيء بالعرش^(١) .

ومعنى : ﴿عَلَّمَ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ علم اسم الله الأعظم ، على ما ذكره المفسرون^(٢) .
وقال محمد بن المنكدر : ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هو سليمان عليه السلام^(٣) .
وإلى هذا القول ذهب المعتزلة^(٤) ، إنكاراً لكرامة الولي^(٥) ، وهذا القول لا يصح ؛

(١) أخرجه ابن جرير ١٦٣/١٩ ، والثعلبي ١٣٠/٨ . وذكر ابن كثير قولاً غريباً ، هو : إنه كان من الجن . البداية والنهاية ٢/٢٣ ، وكل هذه الأقوال مما لا فائدة من البحث فيها ، والأولى الوقوف عند ظاهر الآية ، والله أعلم .

(٢) تفسير مقاتل ٥٩ ب ، وسيذكر أقوالهم الواحد بعد ذلك .

(٣) ذكره الثعلبي ١٣٠/٨ .

(٤) المعتزلة من الفرق الكلامية التي نشأت في أواخر العصر الأموي ، على يد واصل بن عطاء الذي اعتزل الجماعة بعد خلافة مع الحسن البصري في القدر ، في أوائل المائة الثانية ، فكان مع أصحابه يجلسون معتزلين ، فيقول قتادة وغيره : أولئك المعتزلة ، عظم شأنهم في العصر العباسي ، والمعتزلة يعتمدون على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرهم بالفلسفة اليونانية ، ولا يقيمون للنصوص الشرعية إذا خالفت عقولهم وزناً ولا قدراً ، ولهم أصول خمسة هدموا بها كثيراً من الدين ؛ وهي :
١- التوحيد ، وهو عندهم توحيد الجهمية الذي مضمونه نفي الصفات ، فقالوا : إن الله لا يرى ، وأن القرآن مخلوق ، وأنه ليس فوق العالم ، وأنه لا يقوم به علم ولا قدرة ، ولا حياة ولا سمع ، ولا بصر ولا مشيئة ، ولا صفة من الصفات .

٢- العدل ، ومضمونه عندهم أن الله لم يشأ جميع الكائنات ، ولا خلقها كلها ، ولا هو قادر عليها كلها ، بل عندهم أن أفعال العباد لم يخلقها الله لا خيرها ولا شرها .

٣- المنزلة بين المنزلتين في مرتكب الكبيرة ؛ فإنه عندهم يخرج من الإيمان ، ولا يدخل في الكفر .

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومضمونه جواز الخروج على أئمة المسلمين بالقتال إذا جاروا ، من دون تقييد ذلك بالكفر البواح الصريح .

٥- إنفاذ الوعيد في الآخرة ، وأن الله لا يقبل في أهل الكبائر شفاعة ، ولا يُخرج أحداً منهم من النار .
مجموع الفتاوى ١٣/٣٥٧ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٢٩٨ ، ٥٢٠ ، والفرق بين الفرق ٢١ .

(٥) ذكره الطوسي عن الجبائي . التبيان في تفسير القرآن ٨/٩٦ ، وذكره الزخشري ٣/٣٥٥ مع غيره من الأقوال ، ولم يرجح بينها . قال ابن أبي العز : والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر تقرير =

لأنه خلاف ما عليه المفسرون ، ولأن الخطاب في قوله : ﴿أَنَا إِلَٰهِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ لسليمان ، وكيف يصح أن يقال : ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هو سليمان ؟

وقوله : ﴿أَنَا إِلَٰهِيكَ بِهِ﴾ : أمال حمزة ﴿إِلَٰهِيكَ﴾ أشم الهمزة شيئاً من الكسر^(١) من أجل لزوم الكسرة في آتي ، وإذا لزم الكسرة جازت الإمالة ، فأمال الفتحة التي على همزة المضارعة ليميل الألف في آتي نحو الياء ، وإمالة الكسائي فتحة الياء في (عَاتَانِ اللَّهِ) أحسن من إمالة حمزة ؛ لأن (آتَى) مثال الماضي ، والهمزة في (إِلَٰهِيكَ) همزة المضارعة ، فإمالتها لا تحسن ، ألا ترى أنه لو كانت الياء التي للمضارعة في الفعل لم تجز الإمالة ، وإذا لم تجز الإمالة في حرف من حروف المضارعة كان ما بقي من الحروف في حكمه ، ألا ترى أنهم قالوا : يَعِدُ ، فَاتَّبَعُوا سَائِرَ الحروف الياء ، وكذلك أَكْرِمُ^(٢) .

وقوله : ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ . قال محمد بن إسحاق : قال له آصف : تمد عينيك ، فلا ينتهي إليك طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك^(٣) ، ثم قال : امدد عينيك حتى ينتهي طرفك ، فمد سليمان عينيه ينظر نحو اليمن ، ودعا آصف فانخرق العرش مكانه الذي هو فيه ، ثم نبع بين يدي سليمان^(٤) .

نبوة الأنبياء بالمعجزات ، لكن كثيراً منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات ، وقرروا ذلك بطرق مضطربة ، والتزم كثير منهم إنكار خوارق العادات لغير الأنبياء ، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر ، ونحو ذلك . شرح العقيدة الطحاوية ١٥٠ .

(١) السبعة في القراءات ٤٨٢ ، والحجة للقراء السبعة ٣٩٠ / ٥ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٣٩١ / ٥ بشيء من التصرف .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٦٤ / ١٩ .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٦٤ / ١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٨٨٧ / ٩ .

ونحو هذا روى عكرمة عن ابن عباس في كيفية حصول العرش عند سليمان ، قال : لم يجر عرش صاحبة سبأ بين السماء والأرض ، ولكنه انشقت به الأرض ، فجرى تحت الأرض حتى ظهر بين يدي سليمان^(١) .

وقال ابن سابط : دخل السرير فصار له نفق في الأرض حتى نبع بين يدي سليمان^(٢) .

وقال مجاهد : خرج العرش من نفق في الأرض^(٣) .

وقال الكلبي : خَرَّ آصف ساجداً ، ودعا باسمه الأعظم ، فعاد عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان^(٤) .

وقال مقاتل : احتمل السرير احتمالاً فوضع بين يدي سليمان^(٥) ، هذا قول المفسرين .

وقال أهل المعاني : الله - عز وجل - قادر على ذلك بأن يُعده من حيث كان ، ثم يوجده ، حيث كان سليمان بلا فصل ، بدعاء ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾^(٦) .

(١) معاني القرآن للقرآء ٢/ ٢٩٤ ، ونسبه إلى ابن عباس . وأخرج نحوه ابن جرير ١٩/ ١٦٥ ،

وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٧ عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة عن مجاهد في المصنف ٦/ ٣٣٦ ، وأورده السيوطي في الدر ٦/ ٣٦١ عن

ابن سابط ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٧ عنه ، وعن عبدالله بن شداد . وتفسير مجاهد ٢/ ٤٧٢ .

(٤) تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٨ ، ونسبه إلى الكلبي .

(٥) تفسير مقاتل ٥٩ ب .

(٦) ذكره الطوسي ، ولم ينسبه . التبيان في تفسير القرآن ٨/ ٩٧ ، وذكره في الوسيط ٣/ ٣٧٨ ، ولم ينسبه .

وهذا أحسن مما سبق مما لا دليل عليه .

وتفسير ذلك العلم : هو اسم الله الأعظم على ما ذكرنا عن المفسرين . واختلفوا في ذلك الاسم ، فقال مجاهد ومقاتل : يا ذا الجلال والإكرام^(١) .

وقال شعيب بن حرب : قال الذي جاء بعرشها : إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً ، لا إله إلا أنت أنت به ؛ فإذا هو مستقر عنده^(٢) ، ونحو هذا قال الزهري^(٣) .

وروت عائشة عن النبي ﷺ أن الاسم الذي دعا به آصف : يا حي يا قيوم ، وهو قول الكلبي^(٤) .

وأما تفسير قوله : ﴿ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ فقد ذكرنا فيه قول محمد بن إسحاق ، وهو انتهاء طرفه إلى مداه ، وهذا ضد الارتداد ، وإنما يصح تفسيره بتقدير محذوف في الآية ، كأنه : قبل أن يرتد إليك طرفك بعد الانتهاء ، فحذف ذكر الانتهاء ؛ لأن الارتداد يدل عليه ؛ وذلك أنه لا يرتد إليه طرفه إلا بعد مداه إيّاه ، حتى ينتهي طرفه ثم يعود إليه^(٥) .

(١) أخرجه ابن جرير ١٦٣/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٨٨٦/٩ عن مجاهد . وتفسير مجاهد ٤٧٢/٢ ، وتفسير

مقاتل ٥٩ ، وتفسير هود الهواري ٢٥٤/٣ ، ولم ينسبه ، وزاد : والمنن العظام ، والعز الذي لا يرام .

(٢) ذكره الزَّجَّاج في معاني القرآن ١٢١/٤ ، غير منسوب ، ونسبه في الوسيط ٣٧٨/٣ ، إلى بكر بن عبدالله .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٦٣/١٩ ، وابن أبي حاتم ٢٨٨٦/٩ ، وذكره الثعلبي ٨/١٣٠ أ .

(٤) ذكره الثعلبي ٨/١٣٠ أ ، وهو في تنوير المقباس ٣١٨ غير مرفوع ، وذكره مرفوعاً القرطبي ١٣/٢٠٤ ، وذكره البغوي منسوباً إلى عائشة ، ولعله أقرب ، والله أعلم . وكون يا حي يا قيوم هو الاسم الذي إذا دعي الله به أجاب ثابت ، فعن أنس ، قال : كنت مع النبي ﷺ ، فدعا رجلاً ، فقال : يا بديع السماوات ، يا حي ، يا قيوم ، إني أسألك ، فقال : «أتدرون بما دعا ؟ والذي نفسي بيده دعا الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب» . أخرجه البخاري ، الأدب المفرد ١٤١ ، باب : الدعاء عند الاستخارة ، وأخرجه أبو داود ١٦٧/٢ ، كتاب : الصلاة ، رقم ١٤٩٥ ، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ١/٣٨٦ ، رقم ١٢٢٣ ، وهو في صحيح الأدب المفرد ٢٦٢ ، رقم ٥٤٣ .

(٥) وجعله ابن كثير أقرب الأقوال . البداية والنهاية ٢/٢٤ .

وقال سعيد بن جبير : قال لسليمان : انظر : إلى السماء فما طُرْفٌ ^(١) حتى جاء به فوضعه بين يديه ^(٢) ، وعلى هذا حتى يرتد إليك طرفك من السماء .

ومعنى : ﴿يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ يعود إليك بصرك بعد مده إلى متنها .

وفسّر مجاهد ارتداد الطرف تفسيراً صالحاً ، فقال : هو إدامة النظر حتى يرتد طرفه خاسئاً ^(٣) ، وعلى هذا معنى الآية أن سليمان يمد بصره إلى أقصاه وهو يديم النظر ، فقبل أن ينقلب إليه بصره حسيراً ، يكون قد أتى بالعرش .

وقال مقاتل : يقول قبل أن ينتهي إليك الذي هو على منتهى بصرك وهو جاء إليك ^(٤) .

وقال الكلبي : يقول قبل أن يأتيك الشخص من مد النظر ^(٥) ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ، وكذلك قال أبو صالح : قبل أن يأتيك الشيء من مد البصر ^(٦) ، واختاره الفرّاء ^(٧) ، وعلى هذا التفسير يجب أن يكون التقدير : قبل أن يرتد إليك من على منتهى طرفك ، وهذا التقدير بعيد ، ثم إتيان الشخص إليه من مد البصر لا يسمى ارتداداً إلا أن يكون قد خرج من عنده ، فالقول هو الأول ،

(١) الطَّرْفُ : إطباق الجفن على الجفن . تهذيب اللغة (طرف) ٣١٩/١٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٩/١٦٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/٢٨٨٧ عنه ، وعن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وذكره الثعلبي ٨/١٣٠ أ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/١٦٤ ، وابن أبي حاتم ٩/٢٨٨٩ ، وذكره الثعلبي ٨/١٣٠ أ .

(٤) تفسير مقاتل ٥٩ ب .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢/٨٢ ، وهو في تنوير المقباس ٣١٨ بمعناه ، وذكره الثعلبي ٨/١٣٠ أ عن قتادة .

(٦) ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٤ ، ونسبه إلى أبي صالح ، واقتصر عليه الهواري ٣/٢٥٤ ، وأخرجه ابن جرير ١٩/١٦٤ عن سعيد بن جبير .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٢/٢٩٤ .

ولهذا قال قتادة : هو أن يبعث رسولاً إلى منتهى طرفه ، فلا يرجع حتى يؤتى به^(١) ، فعلى هذا يصح أن يقال للرسول إذا رجع إليه : ارتد إليه ، ولو صح أن يحمل الطرف على من ينظر إليه ويبصره من بعيد يصح هذا التفسير الثاني ؛ ولكنه بعيد .

وفي ارتداد الطرف قول ثالث ، قال أبو إسحاق : قيل : هو مقدار ما يفتح عينه ثم يَطْرُفُ ، قال : وهذا أشبه بارتداد الطرف ، ومثله من الكلام : فَعَلَ ذَلِكَ فِي لَحْظَةِ عَيْنٍ ؛ أي في مقدار ما نظر نظرة واحدة^(٢) ، وعلى هذا معنى الآية : إذا نظرت إلى شيء فقبل أن تَطْرُفَ يكون العرش عندك .

والإتيان بالعرش كان كرامة للولي ، ومعجزة للنبي ، فلا ينكر سرعة حصول ذلك ؛ إذ كان الله تعالى قادراً على تحصيله عنده في أسرع من لمحة ولحظة . فهذه ثلاثة أقوال في تفسير قوله : ﴿ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ ﴾ : في الآية محذوف تقديره : فدعا الله فأتى به ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ ﴾ ؛ أي رأى العرش مستقراً عنده ثابتاً بين يديه . ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي ﴾ : هذا النصر والتمكين في المثلك من فضل ربي وعطائه^(٣) .

قال قتادة : والله ما جعله فخراً ولا بطراً ، ولكن جعله منّة لله وفضلاً منه ونعمة^(٤) ﴿ لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ ﴾ على ما أعطاني ﴿ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ .

(١) ذكره الثعلبي ٨/ ١٣٠ أ بمعناه .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٢١ . وذكر هذا القول ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٤ ، ولم ينسبه .

(٣) تفسير ابن جرير ١٩/ ١٦٥ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٩ .

وقال مقاتل : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ ، هذا السرير ﴿ مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ أعطانيه ^(١) .
يعني : جيء به في حال شركها قبل أن تسلم . ﴿ لِبَلْوَى ﴾ . قال : يقول : ليختبرني
﴿ أَشْكُرُ ﴾ الله في نعمه إذ أتيت بالعرش ، ﴿ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ إذ رأيت مَنْ هو دوني أعلم
مني .

ثم عزم الله له على الشكر فقال : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ ؛ أي لأجل
نفسه يفعل ذلك ^(٢) ؛ لأن ثواب شكره يعود إليه ، ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ ﴾ عن
شكره ، ﴿ كَرِيمٌ ﴾ بالإفضال على من كفر نعمه ^(٣) .

٤١ . وقوله : ﴿ قَالَ نَكُرُّوْا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي ﴾ . قال وهب ومحمد بن كعب
والمفسرون : خافت الشياطين أن يتزوج سليمان بلقيس فتفشي عليه
أسرار الجن ، ولا ينفكون من تسخير سليمان وذريته بعده ، فأساءوا
الثناء على بلقيس ليزهدوه فيها ، وقالوا : إن في عقلها شيئاً ، وإن
رجلها كحافر الحمار ، فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها ،
فذلك قوله : ﴿ قَالَ نَكُرُّوْا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ ^(٤) .

(١) تفسير مقاتل ٥٩ ب .

(٢) تفسير مقاتل ٥٩ ب . وتبعه في ذلك الهواري ٣ / ٢٥٥ ، فقال . . . كأنه وقع في نفسه مثل الحسد
له ، ثم فكر ، فقال : أليس هذا الذي قدر على ما لم أقدر عليه مسخرألي ؟ ونسبه إلى ابن عباس من
دون إسناد ، وأخرجه ابن جرير ١٩ / ١٦٥ عنه من طريق عطاء الخرساني ، وأخرجه ابن أبي حاتم
٩ / ٢٨٨٩ عن السدي . وكيف يظن بنبي الله سليمان - عليه السلام - مثل ذلك ! والله أعلم .

(٣) تفسير الثعلبي ٨ / ١٣٠ ب ، وهو بنصه في تفسير الوسيط ٣ / ٣٧٨ ، من دون نسبة ، ويمكن أن
يحمل : الكريم هنا على الصفوح . تأويل مشكل القرآن ٤٩٤ .

(٤) بنصه في تفسير الوسيط ٣ / ٣٧٨ ، غير منسوب . وذكره مطولاً الهواري ٣ / ٢٥٦ ، ونسب بعضه إلى
الكلبي ، وأورده مطولاً ابن جرير في التاريخ ١ / ٤٩٣ ، والتفسير ١٩ / ١٦٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم
٩ / ٢٨٩٧ عن ابن عباس ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٣٠ ب عن وهب ومحمد بن كعب ، وذكره الفراء في
المعاني ٢ / ٢٩٤ بمعناه . قال ابن كثير : وهذا ضعيف . البداية والنهاية ٢ / ٢٤ ، ولم يبين سبب ضعفه ،
والظاهر أنه يعني متنه ؛ لأنه لم يذكر إسناده ، والله أعلم . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٩٣ عن مجاهد
وقتادة .

قال المفسرون : يقول : غيروا لها سيرها^(١) . يقال : نكرته فتنكر ؛ أي غيرته فتغير^(٢) .

ومعنى التنكير في اللغة : التغيير إلى حال ينكرها صاحبها إذا رآها^(٣) .

قال قتادة ومقاتل : نكرته : أن يزداد فيه وينقص^(٤) ، يقول : زيدوا في السير وانقصوا منه ، فننظر إذا جاءت ﴿أَتَهْدِي﴾ أتعرف السير ؛ أي أتهدي لمعرفة ، ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ لا يعرفون^(٥) . والقوم تقع على الرجال والنساء ، فلما جاءت المرأة قيل لها :

٤٢ . ﴿أَهَكَذَا عَرَشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ . قال قتادة : شَبَّهه ، وكانت تركته خلفها^(٦) .

وقال مجاهد : جعلت تعرف وتنكر ، وعجبت من سرعته ، فقالت : ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾^(٧) .

(١) ذكره البخاري عن مجاهد بلفظ : (غيروا) . كتاب : التفسير ، الفتح ٨ / ٥٠٤ ، وكذا عند الهواري ٢٥٥ / ٣ ، وأخرجه ابن جرير ١٩ / ١٦٥ ، ١٦٦ عن قتادة ومجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٩٠ عن مجاهد ، وهو في تفسير مجاهد ٢ / ٤٧٢ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥ بنصه .

(٣) تهذيب اللغة (نكر) ١٠ / ١٩١ بمعناه .

(٤) تفسير مقاتل ٥٩ ب . وأخرجه عبد الرزاق ٢ / ٨٢ عن قتادة ، وأخرجه ابن جرير ١٩ / ١٦٦ ، ١٦٦ عن ابن عباس والضحاك ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٩٠ عن قتادة وعكرمة .

(٥) تفسير مقاتل ٥٩ بنصه .

(٦) أخرجه عبد الرزاق ٢ / ٨٢ ، وابن جرير ١٩ / ١٦٧ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٩٢ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٩١ .

وقال مقاتل : عرفته ، ولكنها شبّهت عليهم كما شبهوا عليها ، ولو قيل لها : أهذا عرشك ؟ لقالت : نعم^(١) .

وقال عكرمة : كانت حكيمة ؛ قالت : إن قلت : هو هو ، خشيت أن أكذب ، وإن قلت : لا ، خشيت أن أكذب ، فقالت : ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ شبهه^(٢) .

وقال الفرّاء : كانت تعرف وتنكر ، فلم تقل : هو هو ، ولا : ليس هو ، فقالت : ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلُهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ : مذهب مجاهد ومقاتل أن هذا من قول سليمان^(٤) .

وعلى هذا للآية تأويلان :

أحدهما : وأوتينا العلم بقدرة الله على ما يشاء من قبل هذه المرأة ؛ أي من قبل مجيئها : مخلصين لله بالتوحيد ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾^(٥) .

والثاني : وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائفة من قبل مجيئها ، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ خاضعين لله .

(١) تفسير مقاتل ٥٩ بنصه . وذكره الثعلبي ٨ / ١٣٠ ب عن الحسين بن الفضل .

(٢) بنصه في تفسير الوسيط ٣ / ٣٧٩ ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٩٢ عن السدي .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٩٥ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٠ أ . وأخرجه ابن جرير ١٩ / ١٦٧ عن مجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٩٢ عن مجاهد ، وسعيد بن جبیر . وتفسير مجاهد ٢ / ٤٧٣ ، واقتصر على هذا القول ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والسمرقندي ٢ / ٤٩٧ ، والماوردي ٤ / ٢١٥ ، وغيرهم .

(٥) تفسير مقاتل ٦٠ أ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٩٢ عن زهير بن محمد ، واقتصر عليه الثعلبي ٨ / ١٣٠ ب .

وقال آخرون : هذا من كلام المرأة ؛ وذلك أنها لما قالت : ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ قيل لها : فإنه عرشك ، فما أغنى عنك إغلاق الأبواب^(١) . قالت : ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ بصحة نبوة سليمان ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾ ؛ أي من قبل الآية في العرش ، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ ؛ أي طائعين منقادين لأمر سليمان من قبل أن جئنا . وهذا القول أليق بالمعنى ، وأشبه بظاهر التنزيل^(٢) .

٤٣ . قوله تعالى : ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ؛ أي منعها من الإيمان بالله والتوحيد ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهو الشمس^(٣) .

قال الفرّاء : معنى الكلام : صدها من أن تعبد الله ما كانت تعبد ؛ أي عبادتها الشمس والقمر . وقد قيل : ﴿وَصَدَّهَا﴾ منعها سليمان ما كانت تعبد ، و(مَا) نصب ، والفعل لسليمان . ويجوز أن يكون الفعل لله على معنى : وصدّها الله ما كانت تعبد^(٤) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ، كسرت الألف من (إِنَّ) على الاستئناف^(٥) . أخبر الله تعالى أنها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت في ما بينهم ، ولم تعرف إلا عبادة الشمس . وذكر في التفسير أنها كانت عاقلة ، ولم يصدّها عن عبادة الله نقص العقل ، إنما صدها عبادة الشمس^(٦) .

(١) وكانت قد خلفته وراء سبعة أبواب لما خرجت . تفسير الوسيط ٣/ ٣٧٩ ، وقد أخرجه ابن جرير ١٥٩/ ١٩ عن وهب بن منبه ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٣ عن يزيد بن رومان ، وهو من الأخبار الإسرائيلية .

(٢) واقتصر الواحدي على هذا القول في تفسيره : الوسيط ٣/ ٣٧٩ ، والوجيز ٢/ ٨٠٤ ، ولم ينسبه .

(٣) تفسير مقاتل ٦٠/ ١ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٠ ب ، ولم ينسبه .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٩٥ ، ولم ينسب شيئاً من هذه الأقوال .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٩٥ بنصه .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٩٥ بمعناه .

وذكر الكسائي وجهاً آخر ، فقال : هذه الآية متصلة بالتي قبلها ، والمعنى : قال سليمان : ﴿ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلُهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ (٤٤) وَصَدَّهَا ﴿ أَنْ تَوْتِيَ الْعِلْمَ وَأَنْ تَسْلَمَ عِبَادَةَ غَيْرِ اللَّهِ وَكَفَرَهَا السَّابِقُ ﴾ (١) . وإذا جعلنا (مَا) في محل نصب جعلنا الصد متعدياً إلى مفعولين ، وليس يتعدى الصد إلى مفعولين إلا بواسطة حرف الجر ، كما تقول : صددت زيدا عن كذا (٢) . قال الله تعالى : ﴿ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴾ [الرعد: ٣٣] ، ولكن يجوز أن تجعل الصد بمعنى النفع ، فيتعدى إلى مفعولين ، أو يقال : التقدير : صدها عما كانت تعبد ، فحذف الجار ، كقوله : ﴿ وَأَخْنَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] .

٤٤ . وقوله : ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ ﴾ [النمل: ٤٤] . قد ذكرنا أن الشياطين قالت لسليمان : إن رجلها كحافر الحمار .

قال ابن عباس : وكان لسليمان ناصح من الشياطين ، فقال له : كيف لي أن أرى قدمها من غير أن أسألها كشفه ؟ فقال : أنا أهرق لك في هذا الصرح ، يعني : القصر ماء ، وأبسط فوق الماء بالزجاج ، حتى تظن أنه ماء فترفع ثوبها فترى قدمها .

وقال المفسرون : أراد سليمان أن يعلم حقيقة ما قالت الجن ، وينظر إلى قدمها وساقها ، فهبى له بيت من قوارير فوق الماء ، وأرسل فيه السمك لتحسب أنه الماء ، ووضع سرير سليمان في صدر البيت ، و﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ﴾ (٣) .

(١) أخرج ابن أبي حاتم ٢٨٩٢/٩ عن سعيد بن جبير ؛ أي بصددوها كانت من قوم كافرين ، وإنما وصفها ، وليس بمستأنف .

(٢) ذكر نحوه النحاس في إعراب القرآن ٢١٣/٣ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٠ ، وتفسير هود الهواري ٢٥٦/٣ ، وأخرجه ابن جرير ١٦٨/١٩ عن وهب بن منبه ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٢٨٩٣/٩ عن ابن عباس ومحمد بن إسحاق ، وذكره الثعلبي ١٣٠/٨ ب عن وهب بن منبه ، وذكره في الوسيط ٣٧٩/٣ ، والوجيز ٨٠٥/٢ بمعناه ، ولم ينسبه . وأما القول الذي ذكره عن ابن عباس فلم أجده . ومثل هذا التفصيل مما لم يثبت في الكتاب والسنة يتعين تركه ، ولا سيما ما يتعلق منه برغبة نبي الله سليمان - عليه السلام - رؤية قدمها وساقها .

والصرح في اللغة معناه : القصر . قال ذلك أهل اللغة والتفسير ^(١) ، وهو قول ابن عباس ومقاتل ^(٢) .

وقال أبو عبيد : كل بناء موثق من صخر أو غير ذلك فهو صرح ^(٣) ، وأنشد هو وغيره بيت أبي ذؤيب :

بِهِنَّ نَعَامٌ بَنَاهَا الرِّجَالُ تشبهُ أَعْلَامُهُنَّ الصُّرُوحَا ^(٤)

قال أبو عبيدة : كل بناء بنيته من حجارة فهو : نَعَامَة ، والجماع : نَعَام ^(٥) .

وقال أبو إسحاق : الصرح في اللغة : القصر والصحن ، يقال هذه ساحة الدار ، وصحنه الدار ، وباحة الدار ، وقاعة الدار ، كله في معنى الصحن ^(٦) ، ونحو هذا ذكر ابن قتيبة ، فقال : الصرح : بلاط اتُّخِذَ لها من قوارير ، وجعل تحته ماء وسمك ^(٧) .

(١) مجاز القرآن ٢/ ٩٤ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٠ أ ، وتنوير المقباس ٣١٩ .

(٣) تهذيب اللغة (صرح) ٤/ ٢٣٧ بلفظ : (الصرح : كل بناء عالٍ مرتفع ، وجمعه : صروح) .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٩٥ ، ونسبه إلى أبي ذؤيب ، وعنه ابن الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ١٥٥ ، وأنشده ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٥ ، واقتصر على الشطر الثاني منه ، ولفظه : (تحسبُ أَعْلَامُهُنَّ الصُّرُوحَا) .

وأنشده الأزهري ٤/ ٢٣٧ عن أبي عبيد بلفظ : (تحسبُ آرَامَهُنَّ الصُّرُوحَا) . وأنشده ابن جرير ٢٠/ ٧٧ ، كإنشاد أبي عبيدة ، ولم ينسبه ، وأنشده الغزنوي في وضع البرهان ٢/ ١٤١ ، مع بيت آخر بتقديم وتأخير ، ولفظه :

على طريق كنحور الركبا بِ تحسبُ أَعْلَامُهُنَّ الصُّرُوحَا

وهو كذلك في ديوان أبي ذؤيب الهذلي ٦٣ .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٩٥ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٢٢ .

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥ ، من دون نسبة ، وصدره بقول : (ويقال) . وتفسير مقاتل ٦٠ أ بمعناه .

وقال مجاهد : الصرح : بركة ماء ضرب عليها سليمان قوارير ؛ ألبسها^(١) .

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُحَّةً﴾ وهي معظم الماء^(٢) . ولُحَّة البحر حيث لا ترى أرضاً ولا جبلاً^(٣) . ومَرَّ الكلام في اللجة عند قوله : ﴿فِي بَحْرِ لُجِّي﴾ [النور : ٤٠] ^(٤) . قال المفسرون : حسبته ماءً^(٥) .

﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ : والساق : لكل دابة وشجرة وطائر وإنسان ، والأسوق : الطويل عَظُم الساق ، والمصدر السَوَقُ^(٦) . قال رؤبة :

قُبَّ مِنَ التَّعْدَاءِ حُقْبٌ فِي سَوَقٍ^(٧)

ونذكر باقي الكلام في هذا الحرف عند قوله : ﴿يَالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص : ٣٣]^(٨) ، وقوله : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم : ٤٢] إن شاء الله^(٩) .

(١) ذكره البخاري عنه ، كتاب : التفسير ، الفتح ٨ / ٥٠٤ ، ووصله ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٩٣ ، وتفسير مجاهد ٢ / ٤٧٣ .

(٢) تفسير الثعلبي ٨ / ١٣١ ، والطوسي ٨ / ٩٩ ، ولم ينسبها ، وهو كذلك في الوسيط ٣ / ٣٧٩ ، والوجيز ٢ / ٨٠٥ ، وفي تفسير مقاتل ٦٠ أ : يعني : غدير الماء . وفي تنوير المقباس : ٣١٩ : ماءً غمرأ ، يعني : كثيراً .

(٣) ومنه قول سمر : لُجُّ البحر : الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه . تهذيب اللغة (لج) ١٠ / ٤٩٤ .

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال أبو عبيدة : لجي مضاف إلى اللجة ، وهو معظم البحر ، وقال الليث : بحر لجي واسع اللجة ، وقال الفراء : بحر لجي ولجي ، كما يقال : سُخْرِي وَسُخْرِي ، وقال المبرّد : اللجي العظيم اللجة ، ومعناه : كثرة الماء .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٢٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٩٣ عن عبد الله بن شداد .

(٦) العين (سوق) ٥ / ١٩٠ . ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (ساق) ٩ / ٢٣٢ .

(٧) العين (سوق) ٥ / ١٩٠ ، غير منسوب . وذكره الأزهري (ساق) ٩ / ٢٣٢ من إنشاد الليث ، وكذا في

(٨) اللسان ١٠ / ١٦٨ ، وهو في ديوانه ١٠٦ ، الأقب : الضامر ، وجمعه : قُب . اللسان (قُب) ١ / ٦٥٨ . ذكر الواحدي في تفسير هذه الآية القراءات في قوله تعالى : ﴿يَالسُّوقِ﴾ ، ولم أجد فيه ما يتعلق بالساق ومعناها في اللغة ، والله أعلم .

(٩) تكلم الواحدي في تفسير هذه الآية من سورة القلم عن المراد بالساق في الآية ، وذكر أقوال المفسرين وأهل اللغة في ذلك ، ولم أجد فيه الحديث عن معاني الساق .

قال ابن عباس : لما كشفت عن ساقها رأى سليمان قدماً لطيفاً ، وساقاً حسناً خَدَجًا ، أَرَبَّ^(١) ، فقال لناصحه من الشياطين : كيف لي أن أقطع هذا الشعر من غير مضرة للجسد ؟ فدله على عمل التُّورَة^(٢) ، والحمامات من يومئذٍ^(٣) .

وقال مقاتل : نظر إليها سليمان فإذا هي أحسن الناس ساقين وقدمين ، ورأى على ساقها شعراً كثيراً ، فكره سليمان من ذلك ، فقالت : إن الرمانة لا تدري ما هي حتى تذوقها ، فقال سليمان : ما لا يحلو في العين لا يحلو في الفم^(٤) .

قوله : ﴿ قَالَ إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ ؛ أي قال سليمان لما رأى ساقها وقدمها ، ناداها : ﴿ إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ ﴾ ؛ أي مملس بالزَّجَّاج ، وليس ببحر^(٥) . وذكرنا الكلام في الممرد عند قوله : ﴿ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج : ٣]^(٦) .

(١) الخَدَجُ بتشديد اللام : الممتلئ الذراعين ، والساقين . تهذيب اللغة (خدج) ٦٣٦ / ٧ ، واللسان ٢٤٨ / ٢ ، والأزب : كثير الشعر . اللسان (أزب) ٢١٣ / ١ .

(٢) التُّورَة من الحجر : الذي يحرق ويسوى منه الكُلس ، ويخلق به شعر العانة . تهذيب اللغة (نور) ٢٣٤ / ١٥ ، واللسان ٢٤٤ / ٥ .

(٣) بنصه في تفسير الوسيط ٣ / ٣٧٩ ، وذكر نحوه الثعلبي ٨ / ١٣١ ب عن ابن عباس ، وذكره هود الهواري ٣ / ٢٥٧ ، من دون نسبة ، وأخرج ابن جرير ١٦٩ / ١٩ اتخاذ النورة عن مجاهد ، وعكرمة ، وأبي صالح ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٩٤ عن ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي . ومثل هذا القول لا تحتمله الآية ، ولا تدل عليه ، وهل يليق بنبي أن يتحايل على امرأة لينظر إلى ساقها ؟ ولذا قال ابن كثير بعد إيراد هذا القول : في هذا نظر . البداية والنهاية ٢ / ٢٤ ، وأولى ما تفسر به الآية أن سليمان - عليه السلام - أراد إثبات عظمة ما أعطاه الله من الملك بذلك ، ويؤيد هذا أن ما أراد نبي الله سليمان قد وقع وحصل ، فعلمت ملكة سبأ أن ملكه أعظم من ملكها ، وأنه من الله تعالى ، ولذا قالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، والله أعلم .

(٤) تفسير مقاتل ٦٠ ، وهذا كلام لا يليق بإيراده في حق الأنبياء ، وكان الأولى بالواحدى أن ينبه على ذلك ، والله أعلم .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥ ، وذكره في تفسير الوسيط ٣ / ٣٧٩ ، ولم ينسبه .

(٦) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال ابن عباس : المريد الذي يتمرّد على الله عز وجل ، وقال أهل اللغة في المريد قولين ؛ أحدهما : إنه المتجرّد للفساد ، والثاني : إنه العاري من الخير ، ومنه قوله تعالى : ﴿ صَرَخَ مُمَرَّدٌ ﴾ [النمل : ٤٤] ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿ مَرَدُّوْاْ عَلَى الْإِنْفَاقِ ﴾ [التوبة : ١٠١] .

قال مقاتل : لما رأت السرير والصرح علمت أن ملكها ليس بشيء عند ملك سليمان ، وأن ملكه من الله ، فقالت حين دخلت الصرح : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ يعني : بعبادة الشمس ﴿ وَأَسْلَمْتُ ﴾ ، وأخلصت ﴿ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾ بالتوحيد ﴿ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ خَرَّتْ لَهِ سَاجِدَةً ، وتابت إلى الله من شركها ، فاتخذها سليمان لنفسه ، وولدت له داود بن سليمان بن داود ، وأمر لها بقرية من الشام لها خراجها ، وكانت عذراء فاتخذت الجن الحمامات من أجلها^(١) .

وقال النبي ﷺ : « كانت من أحسن نساء العالمين ساقين ، وهي من أزواج سليمان في الجنة » ، فقالت عائشة أم المؤمنين للنبي ﷺ : هي أحسن ساقاً مني ؟ فقال النبي ﷺ : « أنت أحسن ساقين منها في الجنة »^(٢) .

فكان سليمان يسير بها معه إذا سار ، هذا قول مقاتل^(٣) .

وقال محمد بن إسحاق : أدخلها سليمان الصرح ليربها ملكاً وسلطاناً هو أعظم من سلطانها ، فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله تعالى فأسلمت ، وحسن إسلامها ، فقال لها سليمان حين أسلمت وفرغ من أمرها : اختاري رجلاً أزوجه ، فقالت : ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال ؟ وقد كان لي من الملك والسلطان ما كان ! قال : نعم ؛ إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك ، فقالت : زوجني - إذا كان ذلك - ذا تُبَّع ، ملك همدان ، فزوجه إياها ثم ردها إلى اليمن^(٤) .

(١) تفسير مقاتل ٦٠ أ . وذكره بنحوه الثعلبي ٨ / ١٣١ ب ، ولم ينسبه ، وذكر زواجها من نبي الله سليمان ، وابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٢٤ ، ووصف هذا القول بأنه أشهر وأوضح ، والله أعلم .

(٢) ذكره بنصه مقاتل ٦٠ أ ، هكذا من دون إسناد ، وذكره القرطبي ١٣ / ٢١٠ ، وصدره بقوله : وفي بعض الأخبار ، وعزاه إلى القشيري .

(٣) تفسير مقاتل ٦٠ ب .

(٤) أخرجه ابن جرير في التاريخ ١ / ٤٩٤ من طريق ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٣١ ب بطوله . وكل ما ذكر في هذا مما لا دليل عليه ، والأحسن أن يقال ما ذكره الواحدي بعد ذلك عن عبدالله بن عتبة .

وقال عون بن عبدالله : جاء رجل إلى عبدالله بن عتبة ، فسأله : هل كان سليمان تزوجها ؟ قال : عهدي بها أن قالت : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) .
يعني : أنه لا يعلم ذلك ، وآخر ما سمع من حديثها أن قالت : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾ .

٤٥ . وقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ .
قال مجاهد ومقاتل : مؤمنون وكافرون ^(٢) .

وقال الكلبي : مصدق ومكذب ، وهو قول قتادة ^(٣) .

﴿ يَخْتَصِمُونَ ﴾ : يقول كل فريق منهم : الحق معي ^(٤) . قال ابن عباس ومقاتل : وخصومتهم الآية التي في الأعراف : ﴿ قَالَ أَلِمْلَأُ الَّذِينَ أَسْتَكَبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفَرُونَ ﴾ [الأعراف : ٧٥ ، ٧٦] ^(٥) .

٤٦ . وقوله : ﴿ قَالَ يَنْقُومُ لِمَ اسْتَعَجِلُونَ بِالْسَيْئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ [النمل : ٤٦] ، كان هذا القول من صالح - عليه السلام - للفريق المكذب .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٩٨/٩ ، واقتصر على هذا القول في الوسيط ٣/٣٧٩ ، وهذه إجابة حسنة توقف ما في النفوس من التطلع عما سكت عنه القرآن ، مما لا فائدة من العلم به .

(٢) تفسير مقاتل ٦٠ ب . وأخرجه ابن جرير ١٩/١٧٠ ، وابن أبي حاتم ٢٨٩٨/٩ عن مجاهد ، وهو في تفسير مجاهد ٢/٤٧٤ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٩٨/٩ ، وذكره الهواري ٣/٢٥٧ ، والثعلبي ٨/١٣٢ ، ولم ينسبها . قال الفراء : مختلفون ، مؤمن ومكذب . معاني القرآن ٢/٢٩٥ ، وليس بين القولين تعارض ، ولذا قال ابن جرير ١٩/١٧٠ : فريق مصدق صالحاً مؤمن به ، وفريق مكذب به ، كافر بما جاء به .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/١٢٣ بنصه . وذكره في تفسيره : الوسيط ٣/٣٨٠ ، والوجيز ٢/٨٠٥ ، ولم ينسبه .

(٥) تفسير مقاتل ٦٠ ب .

قال أبو إسحاق : وطلب الفرقة الكاذبة على تصديق صالح العذاب ، فقال : ﴿لَمْ تَسْتَعِجْلُونَ﴾^(١) .

وقال مقاتل : قالوا : يا صالح ﴿أَعْتَنَّا بِمَا وَعَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ، فردّ عليهم صالح : ﴿يَقَوْمُ لِمَ تَسْتَعِجْلُونَ﴾^(٢) ، وحذف هاهنا ذكر طلبهم العذاب ؛ لذكره في سورة الأعراف ، وغيرها^(٣) .

وقوله : ﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ . قال ابن عباس ومجاهد : بالعذاب قبل الرحمة^(٤) ؛ أي لم قلت : إن كان ما أتيت به حقاً فأتنا بالعذاب^(٥) . والحسنة والسيئة جاءتا في التنزيل لا بمعنى الطاعة والمعصية ، كقوله : ﴿بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ [الأعراف : ٩٥]^(٦) ، وقوله : ﴿فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الأعراف : ١٣١] ، وقد مرّ^(٧) .

قوله تعالى : ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ . قال مقاتل : هلاً تستغفرون الله من الشرك ، لكي ﴿تُرْحَمُونَ﴾ فلا تعذبوا في الدنيا^(٨) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٢٣ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٠ ب .

(٣) قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا يَنْصَلِحُ أَخْبَانَا بِمَا وَعَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف : ٧٧] .

(٤) تفسير مقاتل ٦٠ ب ، وتفسير الهواري ٣ / ٢٥٧ ، ولم ينسبه . وأخرج ابن جرير ١٩ / ١٧١ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٩٨ عن مجاهد : السيئة : العذاب ، والحسنة : الرحمة ، وفي رواية : العافية ، وهو في تفسير مجاهد ٢ / ٤٧٤ من دون ذكر العافية .

(٥) ذكره في الوسيط ٣ / ٣٨٠ ، ولم ينسبه .

(٦) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : معنى السيئة والحسنة هاهنا : الشدة والرخاء ، عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد ، قال عطاء عن ابن عباس : يريد : بدل البؤس والمرض الغنى والصحة .

(٧) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال ابن عباس والمفسرون : معنى الحسنة : يريد بها : الغيث ، والخصب ، والثار ، والمواشي ، والألبان ، والسعة في الرزق ، والعافية والسلامة .

(٨) تفسير مقاتل ٦٠ ب . وأخرج أوله ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٩٩ عن السدي .

٤٧. قوله عز وجل : ﴿ قَالُوا أَطِیرَنَا بِكَ وَیَمَن مَّعَكَ قَالَ طَیِّرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّفْتَنُونَ ﴾ ^(١) . قال ابن عباس والمفسرون : تشاء منا بك وبمن معك على دينك ^(٢) .

قال مقاتل : وذلك أنه قحط المطر عنهم وجاعوا فقالوا : أصابنا هذا الشر من شؤمك وشؤم أصحابك ، فقال لهم صالح : ﴿ طَیِّرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ^(٣) . قال ابن عباس : الشؤم أتاكم من عند الله بكفرکم ^(٤) .

وقال أبو إسحاق : أي ما أصابكم من خير أو شر فمن الله ^(٥) .

وقال الفرّاء : يقول هو في اللوح المحفوظ عند الله ، قال : وهو بمنزلة قوله : ﴿ طَیِّرُكُمْ مَّعَكُمْ ﴾ [يس : ١٩] ؛ أي لازم لكم ما كان من خير أو شر ، فهو في رقابكم لازم ، وقد بيّنه الله في قوله : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَیْرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [الإسراء : ١٣] ^(٦) ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿ يَطَّيِّرُوا يَمُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ ﴾ [الأعراف : ١٣١] ^(٧) .

(١) أصل : ﴿ أَطِیرَنَا ﴾ تطيرنا ، فأدغمت التاء في الطاء ؛ لأنها من مخرجها . معاني القرآن للأخفش ٦٥٠ / ٢ ، وتأويل مشكل القرآن ٣٥٤ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٥ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٠ ب بنصه ، وتفسير ابن جرير ١٩ / ١٧١ ، وتنوير المقباس ٣١٩ ، وتفسير الثعلبي ١٣٢ / ٨ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٠ ب . وذكره الثعلبي ١٣٢ / ٨ ، ولم ينسبه .

(٤) ذكره بنصه في الوسيط ٣ / ٣٨٠ ، ونسبه إلى ابن عباس . وفي تنوير المقباس ٣١٩ : شدتكم ورخاؤكم من عند الله .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٢٣ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٩٥ .

(٧) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : التطير : التشاؤم في قول جميع المفسرين . وقوله تعالى : ﴿ يَطَّيِّرُوا ﴾ هو في الأصل : يتطيروا ، فأدغمت التاء في الطاء لأنها من مكان واحد ، من طرف اللسان وأصول الشنابا .

وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾. قال ابن عباس: تختبرون بالخير والشر^(١)، وقال عطاء عنه والقرظي: تعذبون بذنوبكم^(٢).

وقال الكلبي: تفتنون حتى تجهلون أنه من عند الله^(٣)، يعني أن تطيركم بي فتنة، وقيل: تختبرون بإرسالي إليكم^(٤).

٤٨. وقوله: ﴿وَكَاكَ فِي الْمَدِينَةِ﴾. قال ابن عباس والمفسرون: يريد المدينة التي كان فيها صالح، وهي: الحجر^(٥). ﴿سَعَةُ رَهْطٍ﴾: ذكرنا الكلام في تفسير الرهط عند قوله: ﴿أَرْهَطِي﴾ [هود: ٩٢]، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ [هود: ٩١]^(٦). ويجمع الرهط: أَرْهَطًا، وأَراهط، ومنه:

يَا بؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتُ أَرَاهَطَ فَاسْتَرَأُحُوا^(٧)

(١) ذكره عنه الثعلبي ٨/١٣٢، وهو في الوسيط ٣/٣٨٠، والوجيز ٢/٨٠٦ غير منسوب. وفي تنوير المقباس ٣١٩: تختبرون بالشدة والرخاء. وأخرج ابن أبي حاتم ٩/٢٨٩٩ عن قتادة: تبتلون بطاعة الله ومعصيته.

(٢) تفسير الثعلبي ٨/١٣٢.

(٣) تفسير الثعلبي ٨/١٣٢، وتفسير هود الهواري ٣/٢٥٨ بمعناه، ولم ينسبه.

(٤) ذكره الثعلبي ٨/١٣٢، ولم ينسبه، وكذا الزجاج ٤/١٢٣.

(٥) تفسير مقاتل ٦٠ ب. وأخرجه ابن جرير ١٩/١٧٢ عن ابن عباس ومجاهد، وتفسير الثعلبي ٨/١٣٢. الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى، بين المدينة والشام، وهي بيوت منحوتة في الجبال، وفيها البئر التي كانت ترددها الناقة. معجم البلدان: ٢/٢٥٥، ومراصد الإطلاع ١/٣٨١، وفي معجم العالم الجغرافية ٩٣: الحجر: رأس وادي القرى، وأهائه اليوم: قبيلة عنزة، وبه زراعة حسنة، وأهم ما هنالك عجائب آثار ثمود، وتبعد عن مدينة العلا ٢٢ كم شمالاً، والعُلا على ٣٢٢ كم على سكة الحديد، شمال المدينة النبوية، وأصبح وادي القرى يسمى وادي العلا.

(٦) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: قال أبو عبيد عن أبي زيد: النفر والرهط: ما دون العشرة من الرجال، وقال أبو العباس: المعشر والنفر والقوم والرهط معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم، وهذا للرجال من دون النساء، وقال الليث: الرهط عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة.

(٧) أنشدته الأزهرى ٦/١٧٦، من دون نسبة، وأنشده سيبويه مستدلًا به على إقحام اللام بين المضاف والمضاف إليه. الكتاب ٢/٢٠٧، ولم ينسبه، وكذا ابن جني في الخصائص ٣/١٠٦. وفي الحاشية: =

ولا واحد للرھط من لفظه^(١). فلذلك قيل : ﴿تَسْعَةُ رَهْطٍ﴾ ، والمراد به تسعة رجل ، وليس المراد به : رھط تسعة ، على أن يجمع الرھط فيبلغوا خمسين أو قدره .

قال ابن عباس : كانوا تسعة من أشرفهم ، وهم غواة قوم صالح^(٢) ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعملون فيها بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ لا يطيعون الله ، قاله مقاتل^(٣) ، وقال الكلبي : لا يدعون إلى توحيد الله^(٤) .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ : ﴿تَقَاسَمُوا﴾ لفظٌ يصلح أن يراد به مثال الماضي ، ويصلح أن يراد به مثال الأمر^(٥) .

وفي قوله : ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ ، و : ﴿لَنَقُولَنَّ﴾ وجهان من القراءة ؛ أحدهما : التاء وضم اللام من الفعلين على مخاطبة الجماعة^(٦) ، والثاني : النون وفتح اللام

هو سعد بن مالك البكري . والبيت من قصيدة له في الحرب التي نشبت بين بكر وتغلب لمقتل كليب بن تغلب ، وهو فيها يحضض على الحرب ، ويعرض بالحارث بن عباد البكري الذي كان اعتزل الحرب ، وقوله : وضعت ؛ أي حطت قوماً بالقعود عنها ، وأسقطتهم عن مرتبة الشرف ، فاستراحوا وآثروا السلامة كالنساء ، ولم يعانون أخطار المجد والسيادة . وعن ابن جني ذكره البغدادي في الخزانة ١١ / ١٤١ ، ولم ينسبه .

(١) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٥٠ وتهذيب اللغة (رھط) ٦ / ١٧٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٢١٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٠٠ ، وفيه ذكر أسمائهم ، وذكر أسماؤهم مقاتل ٦٠ ب ، والثعلبي ٨ / ١٣٢١ ، وهو مما لا دليل عليه . وقال الزجاج ٤ / ١٢٣ : هؤلاء عتاة قوم صالح .

(٣) تفسير مقاتل ٦٠ ب .

(٤) في تنوير المقباس ٣١٩ : لا يأمرن بالصالح ولا يعملون به . قال مالك بن دينار : فكم اليوم في كل قبيلة من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . تفسير ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٠٠ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٩٤ ، وفيه : (ألا ترى أنك تقول : تقاسموا أمس ، إذا أردت الماضي ، وتقاسموا غداً ، إذا أردت به الأمر) ، وذكر هذا القول الثعلبي ٨ / ١٣٢١ أ .

(٦) أي ضم التاء من : (لنبئنه) ، وضم اللام من : (لنقولن) .

على إخبار الجماعة عن أنفسهم^(١)؛ فمن قرأ بالتاء كان قوله: (تَقَاسَمُوا) أمراً، والمعنى: قال بعضهم لبعض: احلفوا لتهلكن صالحاً، وجعل: (لَبِيتَ) جواباً لتقاسموا؛ لأن هذه الألفاظ التي تكون من ألفاظ القسم تُتلقى بها تُتلقى به الأيمان، كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٩] و﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى﴾ [فاطر: ٤٢]، ومن قرأ: (لَبِيتَ) بالنون جاز أن يكون (تَقَاسَمُوا) أمراً، كأنهم قالوا: أقسموا لنفعلن كذا وكذا^(٢)، والذين أمروهم بالقسم داخلون معهم في الفعل، ألا ترى أنك تقول: قوموا نذهب إلى فلان، ويجوز على هذا الوجه من القراءة أن يكون قوله: (تَقَاسَمُوا) خبراً، والمعنى: قالوا متقاسمين لنفعلن كذا. وهذا قول الفراء، والزجاج، وأبي علي^(٣).

ومعنى: (لَبِيتَ) لنقتله (وَأَهْلَهُ) بياتاً، قاله ابن عباس^(٤). ومضى تفسير البيات عند قوله: ﴿إِذْ يَبْيُتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨]^(٥).

قوله: (وَأَهْلَهُ). قال ابن عباس: يريدون بني عبيد، وكانوا آمنوا معه^(٦).

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم بالنون في الموضعين، وقرأ حمزة والكسائي بالتاء في الموضعين. انظر السبعة في القراءات ٤٨٣، والحجة للقراء السبعة ٣٩٤/٥، والنشر في القراءات العشر ٣٣٨/٢. قال النحاس: وهذا أحسن ما قُرئ به هذا الحرف؛ لأنه يدخل فيه المخاطبون في اللفظ والمعنى. إعراب القرآن ٢١٥/٣.

(٢) (وكذا) في نسخة (ب).

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٢٩٦، ومعاني القرآن للزجاج ٤/١٢٣، والحجة للقراء السبعة ٥/٣٩٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/٢٩٠٢، وتفسير مقاتل ٦٠ ب.

(٥) أحال الواحدي في تفسير البيات عند هذه الآية على الآية رقم ٨١ من سورة النساء، وهي قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾، وفيها قال الواحدي في تفسير البيات: قال الزجاج: كل أمر فكر فيه، وخيض فيه بليل، فقد بيت، يقال: هذا أمر قد بيت بليل، ودبر بليل، بمعنى واحد.... وهو قول أبي عبيدة وأبي العباس، وجميع أهل اللغة.

(٦) قال الحسن: أهله: أمته الذين على دينه. تفسير الهواري ٣/٢٥٨.

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ . قال مقاتل : يعني : ذا رحم صالح ، إن سألونا عنه ^(١) .

وقال ابن عباس : يريدون قومه ولد عبيد ، وهم : نفر من ثمود ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ ما قتلناه وما ندري من قتل صالحاً وأهله ^(٢) . والمهلك يشمل أمرين : يجوز أن يكون إهلاك أهله ، ويجوز أن يكون الموضع ^(٣) .

وروى أبو بكر عن عاصم : (مَهْلِك) بفتح الميم واللام يريد : الهلاك ، يقال : هلك يهلك مهلكاً ، كما أن المصدر في : ضرب يضرب مَضْرَباً بفتح الراء ، ويكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ، كما تقول : هلاك أهله . وحكي أنه يقال : هلك بمعنى أهلك ، في لغة تميم ، فيكون المهلك على هذا مصدراً مضافاً إلى المفعول به ، وروى حفص بفتح الميم وكسر اللام ، ﴿مَهْلِك﴾ فيجوز أن يكون اسم المكان على : ما شهدنا موضع هلاكهم ، ومكانه فيكون المهلك كالمجلس في أنه يراد به موضع الجلوس ، ويجوز أن يريد به المصدر ؛ لأنه قد جاء المصدر من فَعَلَ يفعل على مَفْعَل ، كقوله : ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ [آل عمران : ٥٥] ، و﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، والأول أكثر ^(٤) .

(١) تفسير مقاتل ٦٠ ب .

(٢) تفسير مقاتل ٦٠ ب .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢١٥ / ٣ .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٣٩٥ / ٥ .

في قوله تعالى ﴿مَهْلِك﴾ ثلاث قراءات :

١- قرأ عاصم في رواية أبي بكر : (مَهْلِك) بفتح الميم واللام .

٢- قرأ عاصم في رواية حفص : ﴿مَهْلِك﴾ بفتح الميم وكسر اللام .

٣- قرأ الباقون : (مُهْلِك) بضم الميم وفتح اللام .

السبعة في القراءات ٤٣٨ ، قال ابن خالويه : فمن ضم جعله مصدراً من أهلك مُهْلِكاً ، مثل ﴿أَدْخَلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء : ٨٠] ، ومن كسر اللام أو فتحها جعله مصدر هلك ثلاثياً لا رباعياً . إعراب القراءات السبع وعللها ١٥٤ / ٢ .

قال أبو إسحاق : وكان هؤلاء النفر تحالفوا أن يبيتوا صالحاً ، ويقتلوه وأهله في بيّاتهم ، ثم ينكرون عند أولياء صالح أنهم شهدوا مهلكه ، ومهلك أهله ، ويحلفون إنهم لصادقون ، وكان هذا مكرّاً عزموا عليه ^(١) .

٥٠ . قال الله عز وجل : ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًّا ﴾ ؛ أي حين أرادوا قتل صالح ^(٢) .
﴿ وَمَكْرَنًا مَكَرًّا ﴾ : جازيناهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بمكر الله بهم .

٥١ . قوله تعالى : ﴿ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُمْ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ ﴾ :
وُفِّرَى : ﴿ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ ﴾ بالفتح ^(٣) . قال الفراء : مَنْ كَسَرَ اسْتَأْنَفَ ، وهو يُفَسِّرُ به ما كان قبله ، مثل قوله : ﴿ فَلْيَنْظِرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ ^(٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا [عبس : ٢٤ ، ٢٥] ^(٥) . ومن فتح رَدَّه على إعراب ما قبله ، فتكون (أَنَا) في موضع رفع بجعلها تابعة للعاقبة ^(٦) ، وإن شئت جعلتها نصباً من جهتين ؛ إحداهما : أن تردّها على موضع (كَيْفَ) ^(٧) ، والأخرى : أن تكون خبر (كَانَ) على معنى : كان عاقبة مكرهم تدميرنا إيّاهم ^(٨) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٢٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٠ ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٠٢ عن قتادة .

(٣) قرأ عاصم وحمة والكسائي بفتح الهمزة ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بكسر الهمزة . انظر السبعة في القراءات ٤٨٤ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٩٦ ، والنشر في القراءات العشر ٣٣٨ / ٢ .

(٤) الشاهد من الآية قراءة الكسر في : ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ﴾ ، قرأ بها ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر . انظر السبعة في القراءات ٦٧٢ ، والنشر في القراءات العشر ٢ / ٣٩٨ .

(٥) أي بدل كل ، كما سيأتي ذكره عن أبي علي .

(٦) على أن ﴿ كَيْفَ ﴾ مفعول به .

(٧) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٩٦ ، وفيه : (والأخرى أن تُكْرَرُ ﴿ كَانَتْ ﴾) . وفي الحاشية : أي تنوي تكرارها . قال النحاس عن هذا الوجه : وهذا متعسف ، ثم ذكر خمسة أوجه في فتح الهمزة ، وقال عن الوجه الأول : وهذا لا يحصّل ؛ لأن كيف للاستفهام ، و﴿ أَنَّا ﴾ غير داخل في الاستفهام .

قال أبو علي : من كسر (أَنَا) فهو استئناف وتفسير للعاقبة ، كما أن قوله : ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة : ٩] تفسير للوعد^(١) ، وتكون : كان ، التي بمعنى : وقع^(٢) ، والمعنى : فانظر : على أي حال وقع عاقبة مكرهم ؛ أي أحسنًا وقع عاقبة مكرهم^(٣) أم سيئًا ، ومن فتح جاز أن يكون : (كَانَ) على ضربيها ، فإن حملته على : وقع ، جاز في (أَنَا) أمران ؛ أحدهما : أن يكون بدلًا من قوله : ﴿عَقِبَهُ مَكْرِهِمْ﴾ ، والثاني : أن يكون محمولًا على مبتدأ مضمّر ، كأنه : هو أَنَا دمرناهم ، أو ذاك أَنَا دمرناهم . وإن حملت (كَانَ) على المقتضية الخبر جاز في : (أَنَا) أمران ؛ أحدهما : أن يكون بدلًا من اسم كان الذي هو العاقبة ، وإذا حملته على ذلك كان (كَيْفَ) في موضع خبر كان ، [والآخر : أن يكون خبرَ كان^(٤) ، ويكون موضعه نصبًا بأنه خبر كان]^(٥) كأنه كان عاقبة مكرهم تدميرهم ، ويكون : (كَيْفَ) في موضع حال^(٦) .

قال أبو إسحاق : من قرأها بالكسر كان المعنى : (فَانْظُرْ) أي شيء ﴿عَقِبَهُ مَكْرِهِمْ﴾ ، ثم فسر فقال : ﴿أَنَا دَمَرْنَاهُمْ﴾ فدل على أن العاقبة : الدمار ، ومن قرأ : ﴿أَنَا دَمَرْنَاهُمْ﴾ أضمر في الكلام شيئًا ، على تقدير : ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ ، العاقبة : أَنَا دمرناهم ، فتكون (أَنَا) في موضع رفع على هذا التفسير^(٧) .

إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١٥ .

(١) يعني به المذكور في صدر الآية ، وهو قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ؛ فجملة ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ جملة تفسيرية للوعد .

(٢) أي كان التامة التي لا اسم لها ولا خبر .

(٣) في نسخة ب : (أمرهم) .

(٤) أي جملة ﴿أَنَا دَمَرْنَاهُمْ﴾ التي كانت في الوجه الأول بدلًا من العاقبة .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٣٩٦/٥ بتصرف .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٢٤ .

واختلف قول المفسرين في كيفية هلاك هؤلاء النفر ، فقال ابن عباس :
أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه ، فأتى التسعة دار صالح
شاهرين^(١) سيوفهم ، فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ، ولا
يرون الملائكة فقتلتهم^(٢) ، وهذا قول الكلبي .

وقال قتادة : سلَّط الله عليهم صخرة فدمغتهم^(٣) .

وقال مقاتل : نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ؛ ليأتوا دار صالح
فجثم عليهم الجبل ، فأهلكهم^(٤) .

وقال السدِّي : خرجوا ليأتوا صالحاً ، فنزلوا جُرُفاً^(٥) من الأرض يكمنون
فيه فأنهار عليهم^(٦) .

وقوله : ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني : بصيحة جبريل^(٧) .

-
- (١) (شاهرين) في نسخة (ج) .
(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٢ ب ، ونسبه إلى ابن عباس ، وفيه : (أرسل الله - عز وجل - الملائكة ليلاً فامتألت بهم دار صالح) . وذكره الهواري ٣/ ٢٥٨ ، من دون نسبة ، ونحوه عند ابن جرير ١٩/ ١٧٣ من كلام ابن إسحاق .
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٢ ، واقتصر عليه الزَّجَّاج ٤/ ١٢٤ ، ولم ينسبه ، وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٣٢ ب .
(٤) تفسير مقاتل ٦٠ ب . وليس فيه ذكر سفح الجبل . وقد ذكره عنه بهذا اللفظ الثعلبي ٨/ ١٣٢ ب .
(٥) الجُرُف : ما ينجرف بالسيول من الأودية . غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٢ ، وضم الراء وكسرها وجهان ؛ وقد قرئ بها في قوله تعالى : ﴿عَلَى شَفَا جُرُفٍ﴾ . السبعة في القراءات ٣١٨ ، وكَمِنَ له ، كَنَصَرَ وسمع ، كُمُوناً : استخفى . القاموس المحيط (كمن) ١٥٨٤ .
(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٢ ب ، وفيه : (فنزلوا خرقاً) . أخرج نحوه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٣ عن عبد الرحمن بن زيد .
(٧) تفسير مقاتل ٦٠ ب .

٥٢. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ يُؤْتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾. قال الزَّجَّاج: نصب (خاوية) على الحال. المعنى: فانظر: إلى بيوتهم خاوية^(١)، وهذا كقوله: ﴿وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا﴾ [النحل: ٥٢]^(٢)، و﴿وَهَذَا بَعْلَى شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]، وقد مر^(٣).

قال ابن عباس: يريد ليس فيها داع ولا مجيب، وقال مقاتل: يعني خراباً ليس لها ساكن^(٤).

ومضى تفسير الخاوية في سورة البقرة^(٥).

قوله: ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾. قال ابن عباس ومقاتل: بما أشركوا^(٦)؛ أي بشركهم بالله أهلكتهم حتى صارت منازلهم خاوية.

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٢٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١٦.

(٢) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا﴾، الدين: الطاعة هاهنا، والواصب: الدائم، وهو قول ابن عباس وجميع المفسرين، يقال: وصب الشيء يصب وصوباً إذا دام، قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصفافات: ٩]. البسيط ٣/ ١٢٧، النسخة الأزهرية، ولم أجد فيه إعراب ﴿وَاصِبًا﴾.

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: قال أبو إسحاق: ﴿شَيْخًا﴾ منصوب على الحال، والحال هاهنا نصبه من لطيف النحو وغامضه؛ وذلك أنك إذا قلت: هذا زيد قائماً، فإذا كنت تقصد أن تخبر من لم يعرف زيدا أنه زيد لم يجز هذا؛ لأنه لا يكون زيدا إلا ما دام قائماً فإذا زال عن القيام فليس بزيد، وإنما تقول للذي يعرف زيدا: هذا زيد قائماً فيعمل في الحال التنبيه. المعنى: انتبه لزيد في حال قيامه، أو: أشير لك إلى زيد في حال قيامه.

(٤) تفسير مقاتل ٦٠ ب بلفظ: (خاوية ليس بها ساكن).

(٥) عند قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [٢٥٩]. قال الواحدي في تفسير الخاوية: قال أبو عبيد عن أبي زيد والكسائي: خوى الدار تخوي خويّاً إذا خلت. قال الكسائي: ويجوز خَوِيَت الدار. الأصمعي: خوى البيت فهو يخوي خواءً ممدود، إذا ما خلا من أهله. الخوى: خلو البطن من الطعام، وأصل معنى هذا الحرف الخلو.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٣ عن ابن عباس. وتفسير مقاتل ٦١.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ : يعني في هلاكهم ﴿لَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ : لعلبة لمن علم توحيد الله ^(١) وقدرته .

٥٣. ﴿وَأَنبَحْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدقوا صالحاً من العذاب ، ﴿وَكَانُوا يَنقُوتُ﴾ الشرك ، قاله مقاتل ^(٢) .

٥٤. قوله : ﴿وَلُوطًا﴾ . قال الزَّجَّاج : نصب لوط من جهتين ؛ على معنى : وأرسلنا لوطاً ، وعلى معنى : واذكر لوطاً ؛ لأنه قد جرت أقاصيص رسل فدخل معنى إضمار : اذكر هاهنا ^(٣) .

قوله : ﴿أَتَأْتُونَ الْفَلْحَشَةَ﴾ : يعني اللواط ، في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والجميع ^(٤) . ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد أنهم كانوا يدعون البصر بالدين ، والمعنى : وأنتم تدعون البصر بالدين فلم تأتون الفاحشة .

وقال الكلبي : وأنتم تعلمون أنها فاحشة ^(٥) ، وهو قول الفرَّاء والزَّجَّاج ^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٦١ أ .

(٢) تفسير مقاتل ٦١ أ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٢٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٢١٦ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٠٤ عن ابن عباس ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ومجاهد . وتفسير مقاتل ٦١ أ ، وتنوير المقياس ٣١٩ .

(٥) تنوير المقياس ٣١٩ ، وهو قول مقاتل ٦١ أ ، وذكره الهواري ٣ / ٢٥٩ ، ولم ينسبه .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢ / ٢٩٦ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٢٥ .

وإذا كانوا يعلمون أنها فاحشة فهو أعظم لذنوبهم ، فهذا من البصر الذي هو بمعنى العلم ، وقيل : يرى بعضكم بعضاً ، وكانوا لا يستترون عتواً وتمرداً^(١) .

وهذه الآيات التي في هذه القصة مُفسَّرة في سورة الأعراف^(٢) .

٥٥ . قوله عز وجل : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ . قال ابن عباس : تجهلون بالقيامة ، وعاقبة العصيان^(٣) .

٥٧ . قوله : ﴿ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَيْرِ ﴾ . [قال مقاتل : تركناها^(٤) ، والمعنى : جعلناها بتقديرنا من الغابرين^(٥)] ؛ أي قدرناها بما كتبنا عليها ، وقضينا أنها ﴿ مِنَ الْغَيْرِ ﴾ ؛ أي الباقيين في العذاب^(٦) .

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٣ غير منسوب . قال مجاهد : كان يجامع بعضهم بعضاً في المجالس . إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢١٦ ، ولم يرجع الواحدي شيئاً من هذه الأقوال ، ولعل الأقرب - والله أعلم - أن المراد : وأنتم تعلمون أنها فاحشة ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٠] ، ففعلهم لهذه الفاحشة كان عن إصرار ومكابرة ، ولم يكن لهم فيها شبهة ، ولما قال لهم نبي الله لوط عليه السلام : ﴿ هَذَا بَيْنَا وَهَذَا بَيْنَا هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ كان جوابهم : ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴾ [هود : ٧٩] . فما ذكره الواحدي عن ابن عباس من طريق عطاء لا يعول عليه إسناداً ولا متناً ، وأما القول الثالث فهو زيادة إيضاح للقول الأول ، فهم لا يرون في هذه الفاحشة بأساً ، فقد استباحوها وجأهروا بها ، وعاین بعضهم بعضاً ، ولم ينكر أحدهم على أحد ، والله أعلم .

(٢) الآيات : [٨٠-٨٤] .

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي ٦/ ١٨٣ .

(٤) تفسير مقاتل ٦١ .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٩٥ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٧) تفسير ابن جرير ٢٠/ ٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٠٥ عن ابن عباس ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٣ ، ولم ينسبه .

٥٨. وقوله : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ ؛ أي على شذاذها مطراً ، وهو الحجارة^(١) . ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ : مرّ تفسيره في سورة الشعراء ، الآية رقم : ١٧٣ .

٥٩. قوله : ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ : المفسرون على أن هذا خطاب لرسول الله ﷺ ، أمر أن يقول : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(٢) . قال مقاتل : على هلاك كفار الأمم الخالية^(٣) .

وقال الفرّاء : قيل للوط : ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك من هلك^(٤) ، والتقدير على هذا : وقلنا للوط : ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ، والمفسرون على ما ذكرنا .

قوله تعالى : ﴿وَسَلِّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾ . قال مقاتل : هم الأنبياء الذين اختارهم الله لرسالته^(٥) .

(١) هكذا في النسخ جميعها : (شذاذها) ، وكذا عند الثعلبي ٨ / ١٣٣ أ ، وهذا مبين في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَ أُنْمُرْنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُورٍ ﴿٨﴾ مُسَوِّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود : ٨٢ ، ٨٣] ، وقوله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر : ٧٤] .

(٢) تفسير ابن جرير ٢٠ / ٢ ، والثعلبي ٨ / ١١٣٣ . قال النحاس : وهذا أولى ؛ لأن القرآن منزل على النبي ﷺ .

(٣) تفسير مقاتل ٦١ أ ، وفي نسخة (ب) : (الماضية) .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٩٧ .

(٥) تفسير مقاتل ٦١ أ .

وقال ابن عباس في رواية أبي مالك : هم أصحاب محمد ﷺ^(١) ، وهو قول السدي ، وسفيان بن سعيد^(٢) .

وقال عطاء عنه : يريد الذين وحدوني وآمنوا بي^(٣) ، وعلى هذا هم جميع المؤمنين^(٤) .

وقال الكلبي : هم أمة محمد ﷺ ، اصطفاهم الله لمعرفة وطاعته^(٥) . ومعنى السلام عليهم : أنهم سلموا مما عاب به الكفار .

ثم قال : ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٦) . قال ابن عباس : ثم رجع إلى المشركين فقال : ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يا أهل مكة ، يريد : الذين جعلتموهم لي أنداداً .

(١) أخرجه ابن جرير ٢/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٠٦/٩ ، والثعلبي ١٣٣/٨ ، كلهم من طريق السدي عن أبي مالك ؛ وهو عبيد الله بن الأحنس النخعي ، أبو مالك الخزاز ، صدوق يخطئ كثيراً ، روى عن نافع وابن أبي مليكة وغيرهما ، وروى عنه يحيى بن القطان وغيره . انظر الجرح والتعديل ٣٠٧/٥ ، وتقريب التهذيب ٦٣٥ .

(٢) أخرجه عنهما ابن جرير ٢/٢٠ ، وسفيان بن سعيد ، هو الثوري . وقال ابن أبي حاتم ٢٩٠٦/٩ : وروي عن السدي ، وسفيان الثوري نحو ذلك . وأخرجه الثعلبي ١٣٣/٨ عن سفيان .

(٣) ذكره عنه من طريق عطاء ابن الجوزي ١٨٥/٦ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٠٦/٩ عن عبد الرحمن بن زيد . وهذا القول أحسن لعمومه ، فيدخل فيه الأنبياء والرسل وأتباعهم ، وذكر هذا القول الهواري ٢٦٠/٣ .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ١٣٣/٨ ، وهو في تنوير المقباس : ٣٢٠ .

(٦) قال الثعلبي ١٣٣/٨ ب : همزة ممدودة ، وكذا كل استفهام لقيته ألف وصل ، مثل ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنعام : ١٤٣ ، ١٤٤] ، و﴿الَّذِينَ﴾ [يونس : ٥١ ، ٩١] جعلت المدة علماً بين الاستفهام والخبر .

وقال مقاتل : أراد يشركون به ، يقول : الله أفضل أم الآلهة التي يعبدونها ، يعني كفار مكة ، قال : وكان النبي إذا قرأ هذه الآية قال : «بل الله خير وأبقى وأجلُّ وأكرم»^(١) .

وهذا مذهب أهل التفسير^(٢) .

وجعل الفرّاء هذه الآية من باب حذف المضاف ، فقال : يقول : أعبادة الله خير أم عبادة الأصنام^(٣) ، وأحسن من هذا أن يقال : الله خير لمن عبده أم الأصنام ، يدل على صحة هذا أن هذا ذكر بعد ذكر هلاك الكفار وسلامة المؤمنين ، إلزاماً للحجة على المشركين ، فقليل لهم بعد ما ذكر هلاك الكفار : الله خير أم الأصنام ، والمعنى : أن الله نجّى مَنْ عبده من الهلاك ، والأصنام لم تغن شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب ، وهذا معنى ما ذهب إليه المفسرون ، وإن لم يبينوا هذا البيان .

وقال أهل المعاني : يجوز في الخير الذي لا شر فيه ، والشر الذي لا خير فيه إذا كان يتوهم بعض الجهال الأمر على خلاف ما هو به أن يقال : هذا الخير خير من الشر ، فلمّا كان المشركون يتوهمون في الأصنام وفي عبادتها خيراً قليلاً لهم احتجاجاً عليهم : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٤) .

(١) تفسير مقاتل ٦١ أ . وذكره الثعلبي ٨ / ١٣٣ ب من غير سند ولا راوٍ ، كما قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٣ / ١٨ ، وقال فيه : قال البيهقي في شعب الإيمان ، في الباب التاسع : وقد روي في ختم القرآن حديث منقطع بسند ضعيف ، ثم ساقه بتمامه ، وفيه هذا اللفظ . وقد أعرض عن ذكره الواحدي في كتابه : الوسيط ، والوجيز . والحديث ذكره البيهقي في شعب الإيمان في حديث طويل ، في الباب التاسع عشر ، ولم أجده في الباب التاسع . شعب الإيمان ٢ / ٣٧٢ ، رقم الحديث ٢٠٨٢ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٠٦ عن السدي ، وهو قول الهواري ٣ / ٢٦٠ وابن جرير ٢٠ / ٢ ، والثعلبي ٨ / ١٣٣ ب .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢٩٧ .

(٤) ذكر معناه النحاس في إعراب القرآن ٣ / ٢١٧ ، وسبق الحديث عن هذه المسألة في سورة الفرقان عند قوله تعالى : ﴿قُلْ أَذِلَّةٌ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان ١٥] .

٦٠. قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(١) : تقدير الكلام : أما تتركون خير أم من خلق السموات والأرض ، فحذف ذكر الأول لقرب ذكره في قوله : ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ، وهذا معنى قول أبي حاتم^(٢) .

وقوله : (حَدَائِقُ) . قال الليث : الحديقة : أرض ذات شجر مثمر ، والحديقة من الرياض : كل روضة قد أحرق بها حاجز ، أو أرض مرتفعة ، وأنشد لطرفة :

تَرَبَّعتِ القُفَّينِ في الشَّوْلِ تَرعِي حَدَائِقَ مَوَالِي الأُسرةِ أعيد^(٣)
وكل شيء استدار بشيء فقد أحرق به^(٤) .

وقال أبو عبيدة : الحديقة والجنة في الدنيا مثل الحائط^(٥) .

قال الفرَّاء : إنما يقال حديقة لكل بستان عليه حائط ، وما لم يكن عليه حائط لا يقال له : حديقة^(٦) .

(١) قال الأخفش : مَنْ هاهنا ليست باستفهام على قوله : ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ، إنها هي بمنزلة الذي معاني القرآن ٦٥٠ / ٢ .

(٢) تفسير الثعلبي ١٣٣ / ٨ ب ، ونحوه في القطع والانتفاء ٥٠٣ / ٢ .

(٣) البيت من معلقة طرفة ، ومعنى : تربعت : أقامت زمن الربيع ، والقُفَّين : مثنى القف ؛ وهو حجارة مترادف بعضها إلى بعض ، لا يخالطها من اللين والسهولة شيء . والمراد هنا : موضع في نجد إذا أخصب ربعت العرب فيه لسعته واتساعه ، والشوْل عند الناقة : فترة تمتد من انتهاء إرضاعها إلى حملها التالي ، وهو فترة تنشط فيها الناقة ، والموالي : المكان الذي يصيبه السولي ؛ وهو المطر الثاني ، والأسرة : جمع السر ؛ وهي من الوادي أفضل مكان فيه ، وأعيد : النبات الأغيد ؛ هو الناعم المشني ، ويكون كذلك لنضرتة ووفرة الماء في منبته . أراد طرفة بهذا البيت أن يعلل قوة هذه الناقة بحسن تغذيتها . شرح ديوان طرفة ٩٣ .

(٤) العين (حدق) ٤١ / ٣ ، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ٣٤ / ٤ ، وليس فيها إنشاد هذا البيت .

(٥) لم أجده في كتاب المجاز ، وإنما فيه : أي جناناً من جنان الدنيا ، واحدها : حديقة . مجاز القرآن ٩٥ / ٢ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢ / ٢٩٧ ، وذكره ابن جرير ٣ / ٢٠ ، ولم ينسبه . وقال الزَّجَّاج ٤ / ١٢٨ : الحديقة : البستان ، وكذلك الحائط ، وقيل : القطعة من النخل .

وقال ابن قتيبة : إنما يقال حديقة ؛ لأنها يُحْدَق عليها ؛ أي يُحْظَر^(١) .

قال ابن عباس : يريد الأجنة والشجر^(٢) .

وقال مقاتل : يعني حيطان النخل والشجر^(٣) .

وقال الكلبي : الحدائق من البساتين : ما أحيط عليه حائط^(٤) .

قوله : ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ . قال الكلبي : ذات منظر حسن^(٥) .

وقال ابن عباس ومقاتل : ذات حُسْن^(٦) .

وقال قتادة : النخل الحسان^(٧) .

والبهجة : الحُسْن يبتهج به مَنْ رآه ؛ أي يُسَرُّ .

قوله : ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ ؛ أي ما ينبغي لكم ذلك ؛ لأنكم لا تقدرون عليها^(٨) .

(١) غريب القرآن ٣٢٦ بلفظ : (يحظر عليها حائط) . وفي الحاشية : أي يقام عليها حظيرة من قصب وخشب .

(٢) ذكره الزَّجَّاج ١٢٨/٤ ، ولم ينسبه .

(٣) هكذا في نسخة (ج) : (حيطان) ، وكذا عند مقاتل ٦١ أ ، وفي نسخة (أ) و(ب) : (حظار النخل والشجر) . وقال عكرمة : الحدائق : النخل . إعراب القرآن للنحاس ٣/٢١٧ .

(٤) ذكره الهوَّاري ٣/٢٦٠ عنه بلفظ قريب من قول مقاتل ، فقد قال : الحديقة : الحائط من الشجر والنخل . وفي تنوير المقياس : ٣٢٠ : بساتين ؛ ما أحيط عليها من النخل والشجر .

(٥) تنوير المقياس : ٣٢٠ ، وذكره ابن جرير ٣/٢٠ ، ولم ينسبه .

(٦) تفسير مقاتل ٦١ أ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/٢٩٠٧ عن الضحاك ، وهو قول ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٦ ، والزَّجَّاج ١٢٨/٤ .

(٧) أخرجه عبدالرزاق ٢/٨٥ ، وعنه ابن أبي حاتم ٩/٢٩٠٧ .

(٨) قال الثعلبي ٨/١٣٣ ب : (ما) : هي ما النفي ، بمعنى : ما قدر عليه .

ثم قال مستفهماً منكراً عليهم : ﴿أَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ﴾ ؛ أي هل معه معبود سواه أعانه على صنعه ^(١) ؟ ﴿بَلْ﴾ ؛ أي ليس معه إله . ﴿هُمْ قَوْمٌ﴾ : يعني كفار مكة . ﴿يَعْدِلُونَ﴾ : يشركون به غيره . هذا معنى قول المفسرين ^(٢) ، وقال أبو إسحاق : يعدلون عن القصد والحق ؛ أي يكفرون ^(٣) .

٦١ . وقوله : ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَدَرًا﴾ . قال مقاتل : مستقراً لا تميد بأهلها ^(٤) ، ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ في ما بينها ^(٥) ، ﴿أَنْهَدَرًا﴾ كقوله : ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهَا نَهْرًا﴾ [الكهف: ٣٣] .

﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ . قال ابن عباس : يريد الجبال الثوابت أثبت بها الأرض ^(٦) .

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ . قال : يريد قضاء من قضائه ، وسلطاناً من قدرته ، حجز بين العذب والمالح ، فلا المالح يغير العذب ، ولا العذب يغير المالح ، وهذا قول أكثر المفسرين ^(٧) . ومعنى الحجز في اللغة : المنع .

-
- (١) تفسير مقاتل ٦١ أ ، وتفسير الثعلبي ١٣٣/٨ ب ، ولم ينسبه .
 (٢) تفسير مقاتل ٦١ أ ، وتفسير الهواري ٢٦٠/٣ ، وتفسير ابن جرير ٣/٢٠ ، وتفسير الثعلبي ١٣٣/٨ ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٠٨/٩ عن مجاهد .
 (٣) معاني القرآن للزجاج ١٢٨/٤ .
 (٤) تفسير مقاتل ٦١ أ ، وتفسير الثعلبي ١٣٣/٨ ب ، ولم ينسبه .
 (٥) تفسير ابن جرير ٣/٢٠ ، وقال الثعلبي ١٣٣/٨ ب : وسطها .
 (٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٠٩/٩ عن قتادة ، وذكره الثعلبي ١٣٣/٨ ب ، ولم ينسبه .
 (٧) تفسير مقاتل ٦١ ب ، وتفسير الهواري ٢٦٠/٣ ، وتفسير ابن جرير ٣/٢٠ ، وتفسير الثعلبي ١٣٣/٨ ب . وظاهر الآية أنه حاجز بين البحرين ، ولم يقيد أحدهما بالعذب فيبقى على أصله ، ومثله في سورة الرحمن : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۚ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ ، وهو يختلف عن الحاجز المذكور في سورة الفرقان في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ . انظر : مجلة الإعجاز ٤٤ ، العدد الثالث ، ربيع الثاني ، ١٤١٨ هـ .

قال أبو إسحاق : حجز بينهما بقدرته ، فلا يختلط العذب بالملح ^(١) .

وقال أهل المعاني : ويكون ذلك بكف كل واحد منهما عن صاحبه ، وفيه دليل على أن الله تعالى قادر على كف النار عن الحطب حتى لا تحرقه ، ولا تسحقه ، كما كف الماء الملح عن العذب المجاور له أن يختلط به .

وقال السدي : قول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ هو البرزخ ، وهو الحجر المحجور ، وهو بحر الشام وبحر العراق والناس في ما بينهما ، وعلى هذا معنى الحاجز بين البحرين : الجزائر والأرض والبلاد كما بين بحر فارس وبحر الروم ^(٢) . والناس على القول الأول .

قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ لَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ توحيد ربهم وسلطانة وقدرته ، قاله ابن عباس ومقاتل ^(٣) .

وقال أهل المعاني : لا يعلمون ما لهم وما ^(٤) عليهم في العبادة إن أخلصوها أو أشركوا فيها ^(٥) .

(١) معاني القرآن للزجاج ١٢٧/٤ بلفظ : (العذب بالملح) ، وهو موافق لنسخة (ب) و(ج) ، وفي نسخة (أ) : «بالمالح» .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٨٠٩/٩ عن الحسن ، وذكره الثعلبي ١٣٣/٨ ب ، ولم ينسبه ، وصدره ب : قيل . وهذا مخالف لظاهر الآية ؛ فسياقها في بيان القدرة ، وهي في الاختلاط وعدم التمازج أظهر ، والله أعلم . وقد أثبتت الدراسات البحرية انتشار هذه الحواجز بين ملتقى الأبحر . انظر : مجلة الإعجاز ٤٤ ، العدد الثالث ، ربيع الثاني ١٤١٨ هـ . وبحر فارس هو الخليج العربي ، وسمي بذلك لسيطرة الإمبراطورية الفارسية عليه ، ويسمى بحر العراق . أطلس تاريخ الإسلام ٤٤ ، ٤٦ ، وبحر الروم هو البحر المتوسط ، سمي بذلك لسيطرة الإمبراطورية الرومانية عليه قبل ظهور الإسلام ، ويسمى بحر الشام . أطلس تاريخ الإسلام ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) تفسير مقاتل ٦١ ب .

(٤) (ما) ليست موجودة في النسخ الثلاث ، وزدتها لتتام المعنى .

(٥) لم أجده في كتب المعاني المتوفرة لدي .

٦٢. قوله عز وجل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾^(١). قال عطاء

عن ابن عباس: المضطر: المكروب، وعنه أيضاً: هو المجهود^(٢).
ومعنى المضطر في اللغة: المحوج الملجأ إلى الشيء، وقد مر^(٣).

قال أهل المعاني: ومعنى إجابة المضطر هو فعل ما دعا إليه، وهذا لا يكون إلا من قادر على الإجابة مختار لها؛ لأنها وقعت على حسب ما دعا به الداعي^(٤).

﴿وَيَكْثِفُ السُّوءَ﴾: الضر^(٥). ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾. قال
السدي: خلفاء من قبلكم من الأمم^(٦).

(١) عن أبي تيممة الهجيمي عن رجل من بلهجم قال: قلت: يا رسول الله إلام تدعو؟ قال: «أدعو إلى الله وحده الذي إن مسك ضر فدعوته كشف عنك، والذي إن ضللت بأرض كفر فدعوته رد عليك، والذي إن أصابتك سنة فدعوته أنبت عليك». قال: قلت: فأوصني. قال: «لا تسبن أحداً، ولا ترهدين في المعروف، ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وانتزر إلى نصف الساق، فإن أبيت فيلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار، فإن إسبال الإزار من المخيلة، وإن الله - تبارك وتعالى - لا يحب المخيلة». أخرجه الإمام أحمد ٣٥٩/٧، رقم ٢٠٦٦١، وإسناده صحيح. مرويات الإمام أحمد في التفسير ٣/٣٢٥، وقد سقت الحديث بطوله لمناسبته لهذه الآية.

(٢) تفسير الثعلبي ٨/١٣٣ ب باللفظ الثاني فقط، وعن السدي بلفظ: (المضطر).

(٣) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]: قوله: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾؛ أي فمن أحوج وألجئ، وهو افتعل من الضرورة. قال الأزهرى: معناه: ضيق عليه الأمر بالجوع، وأصله من الضرر، وهو: الضيق.

(٤) لم أجده في كتب المعاني المتوافرة لدي.

(٥) تفسير مقاتل ٦١. وتفسير الثعلبي ٨/١٣٣ ب، وأخرجه ابن جرير ٤/٢٠ عن ابن جريج.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/٢٨١٠.

وقال غيره : معناه : جعلكم خلفاء^(١) يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله ، وأهل كل عصر أهل العصر الأول^(٢) ، والمعنى : يهلك قرناً وينشئ آخرين^(٣) ، وهذا معنى^(٤) قول ابن عباس : يريد : أولادكم خلفاء منكم .

قوله عز وجل : ﴿ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : قليلاً ما تتعظون .

ومن قرأ بالياء فالمعنى : قليلاً يذكر هؤلاء المشركون الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى^(٥) .

٦٣ . وقوله : ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ ﴾ ؛ أي يرشدكم^(٦) . ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ أَلْبَرٍ وَالْبَحْرِ ﴾ . [قال ابن عباس : يريد إلى البلاد التي يتوجهون إليها في البر والبحر ، وهذا كقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ﴾]^(٧) [الأنعام : ٩٧] .

٦٤ . قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ . قال ابن عباس : يبدأ الخلق في الأرحام من نطفة ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ بعد الموت^(٨) .

(١) (خلفاء) في نسخة (ج) .

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم ٢٨١٠ / ٩ عن قتادة .

(٣) تفسير الثعلبي ١٣٣ / ٨ ب من دون نسبة .

(٤) (معنى) في نسخة (ج) .

(٥) قرأ أبو عمرو ، وهشام ، وروح بالياء ، وقرأ الباقر بالتاء . انظر السبعة في القراءات ٤٨٤ ، والحجة للقرء السبعة ٣٩٩ / ٥ ، والنشر في القراءات العشر ٣٣٨ / ٢ ، قال الأزهرى : من قرأ بالياء فللغيبة ، ومن قرأ بالتاء فللمخاطبة ، وكل جائز . معاني القراءات ٢٤٣ / ٢ .

(٦) تفسير مقاتل ٦١ ب .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٨) تنوير المقباس : ٣٢٠ .

وقال مقاتل : بدأ الخلق فخلقهم ولم يكونوا شيئاً ، ثم يعيدهم في الآخرة^(١) .

﴿وَمَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ : المطر ، ومن ﴿وَالْأَرْضِ﴾ : النبات^(٢) .

﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبٌ هَاطُوا بِرُهْنِكُمْ﴾ : حجتكم^(٣) أن لي شريكاً ، قاله ابن عباس^(٤) .

وقال مقاتل : هاتوا حجتكم بأنه صنع شيئاً من هذه الأشياء غير الله ،
﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأن مع الله آلهة كما زعمتم^(٥) .

٦٥ . وقوله : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ : يعني الملائكة . ﴿وَالْأَرْضِ﴾ : يعني
الناس^(٦) . ﴿الْغَيْبِ﴾ . قال مقاتل : يعني الساعة ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وحده ،
﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ : يعني كفار مكة^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٦١ ب .

(٢) تفسير مقاتل ٦١ ب ، وتفسير ابن جرير ٥ / ٢٠ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٣٣ ب .

(٣) حجتكم) في نسخة (ج) .

(٤) تنوير المقباس : ٣٢٠ .

(٥) تفسير مقاتل ٦١ ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨١٢ عن أبي العالية وقتادة ، وقال : روي عن مجاهد
والسدي نحو ذلك .

(٦) تفسير مقاتل ٦١ ب . قالت عائشة رضي الله عنها : ومن زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد
أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ . أخرجه مسلم
١ / ١٥٩ ، رقم ١٧٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩١٣ .

(٧) تفسير مقاتل ٦١ ب . والساعة من الغيب . قال ابن جرير ٥ / ٢٠ : ﴿الْغَيْبِ﴾ الذي استأثر الله بعلمه ،
وحجب عنه خلقه والساعة من ذلك . وجعل ابن جرير قوله تعالى : ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ عاماً ،
فقال : وما يدري من في السموات والأرض من خلقه ، متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة .

قال ابن عباس : يريد : هم ولا من اتخذوه من دوني أولياء ﴿أَيَّانَ يُعْتَوْنَ﴾ متى يكون البعث ^(١) . وهذا احتجاج عليهم بأن الله هو الذي يعلم ما غاب عن العباد ، وأنه هو الذي يعلم متى البعث ، لا غيره .

٦٦ . قوله تعالى : ﴿بَلِ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ : ﴿أَدْرَكَ﴾ معناه : تدارك ، فأدغم التاء في الدال لمقاربتها لها ، وكونها من حيزها ، فلما سكنت للإدغام اجتلبت لها همزة الوصل ، كما اجتلبت في قوله : ﴿فَأَدْرَأْتُمْ﴾ [البقرة : ٧٢] ، و﴿أَطَيَّرْنَا﴾ [النمل : ٤٧] ، ونحوه . ومنه قوله : ﴿حَتَّى إِذَا أَذَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف : ٣٨] ؛ أي تلاحقوا ^(٢) .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو : ﴿بَلِ أَدْرَكَ﴾ ^(٣) .

(١) تنوير المقباس : ٣٢٠ ، وهو في مجاز القرآن ٢ / ٩٥ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٦ ، وتفسير الهواري ٣ / ٢٦٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ١٢٧ ، ولم ينسبوه .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٠١ ، وتأويل مشكل القرآن ٤٠٤ ، وذكر نحوه النحاس في إعراب القرآن ٣ / ٢١٨ ، وابن جني في المحتسب ٢ / ١٤٣ ، قال ابن الجزري :
والطَّاءُ والدَّالُّ وتامنه ومنْ عَلِيَا الثَّنَايَا والصَّفِيرُ مستكنٌ
متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية ١٠ .

قوله : منه ؛ أي من طرف اللسان ، ومن أصول عليا الثنايا ، وهي الأسنان المتقدمة ؛ اثنتان فوق ، واثنتان تحت . وأما قوله : (والصفيير مستكن) ، فهو وصف لما ذكره بعد ذلك من الحروف . الدقائق المحكمة في شرح المقدمة لأبي زكريا الأنصاري ١٠ ، ويسمى : إدغام المتقاربين . منحة ذي الجلال في شرح تحفة الأطفال ٨٣ .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو : ﴿بَلِ أَدْرَكَ﴾ خفيفة بغير ألف ، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمة والكسائي : ﴿بَلِ أَدْرَكَ﴾ بالألف ممدودة ، وروى الفضل عن عاصم : ﴿بَلِ أَدْرَكَ﴾ مثل أبي عمرو ، وروى الأعشى عن أبي بكر عن عاصم : ﴿بَلِ أَدْرَكَ﴾ على وزن : افتعل . انظر السبعة في القراءات ٤٨٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٠٠ ، والنشر في القراءات العشر : ٢ / ٣٣٩ .

[ومعنى أدرك: ^(١) بلغ ولحق ، يقال : فلان أدرك الحسن ، إذا لحق أيامه .
وتقول على هذا : أدركه علمي ؛ أي بلغه ولحقه ^(٢) .

وقال شمر : أدرك ، وتدارك ، وأدارك ، وأدرك واحد ؛ يقال : أدركته ،
وتداركته ، وأداركته ، وأدركته ^(٣) ، وأنشد لزهير :

تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانًا بَعْدَمَا ^(٤)

وأنشد للطرماح :

فَلَمَّا أَدْرَكْنَاهُنَّ أَبْدَيْنَ لِلَّهِوَى ^(٥)

قال ابن عباس : يريد ما جهلوا في الدنيا ، وسقط علمه عنهم علموه في
الآخرة ^(٦) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ب) .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٤٠٠ / ٥ .

(٣) في تهذيب اللغة (درك) ١١٣ / ١٠ عن شمر : أدرك الشيء وأدركته وتدارك القوم ، وأداركوا ،
وأدركوا ، إذا أدرك بعضهم بعضاً ، ويقال : تداركته ، وأداركته ، وأدركته .

(٤) شطر بيت من معلقة زهير ، يقول : تلافيتما أمرهاتين القبيلتين بعدما أفنى القتال رجالهما ، ويعني بهما :
هرم بن سنان ، والحارث بن عوف . ديوان زهير ٧٩ ، وأنشد البيت الأزهري في تهذيب اللغة (درك)
١١٣ / ١٠ .

(٥) تهذيب اللغة (درك) ١١٣ / ١٠ ، وعجز البيت :

محاسنَ واستولَيْنَ دُونَ محاسنِ

وهو في ديوان الطرماح ٢٦٧ .

(٦) أخرج ابن جرير ٧ / ٢٠ عن ابن عباس من طريق عطاء الخراساني : بصرهم في الآخرة حين لم ينفعهم
العلم والبصر ، ومن طريق علي بن أبي طلحة بلفظ : (غاب علمهم) ، وأخرج عن ابن زيد : ضل
علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم ، واختار ابن جرير رواية عطاء ، وذكر الثعلبي ٨ / ١٣٤ عن
ابن عباس أنه قال : أي لم يدركه .

وقال مقاتل : يقول : بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا وعموا عنه في الدنيا^(١) .

وقال السدي : اجتمع عليهم يوم القيامة فلم يشكوا ولم يختلفوا^(٢) .

قال أبو معاذ النحوي : من قرأ : ﴿بَلْ أَدْرَاكَ﴾ أو قرأ : ﴿بَلْ أَدْرَاكَ﴾ فمعناها واحد ، يقول : هم علماء في الآخرة ، ومعناها عنده : علموا في الآخرة أن الذي^(٣) [الذي] ، كقوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم : ٣٨]^(٤) .

وروى^(٥) أبو تراب عن أبي سعيد الضير^(٦) أنه قال : أمّا أنا فأقرأ : ﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ ، ومعناها عنده : علموا في الآخرة أن الذي كانوا يوعدون حق^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٦١ ب .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩١٥ / ٩ .

(٣) هكذا في نسخة (أ) و(ب) ، وهو ساقط من نسخة (ج) ، ولعل ما بعده هو أن الذي كانوا يوعدون حق .

(٤) تهذيب اللغة (درك) ١١٢ / ١٠ ، ومعاني القراءات للأزهري ٢ / ٢٤٤ ، قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال قتادة : ذلك والله يوم القيامة ، سمعوا حين لم ينفعهم السمع ، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر . وقال الحسن : لئن كانوا في الدنيا صُمًّا عُمياً عن الحق ، فما أبصرهم وأسمعهم يوم القيامة . الوسيط ٣ / ١٨٤ .

(٥) في نسخة (ب) : (قال أبو تراب) .

(٦) أحمد بن خالد ، أبو سعيد البغدادي ، الضير ، اللغوي ، لقي ابن الأعرابي ، وأبا عمرو الشيباني ، قدم نيسابور ، وأقام بها ، وأملى فيها كتاباً في معاني الشعر والنوادر ، وأخذ عن ابن قتيبة . انظر إنباه الرواة على أنباه النحاة ٧٦ / ١ ، وبغية الوعاة ٣٠٥ / ١ .

(٧) تهذيب اللغة (درك) ١١٢ / ١٠ ، وفيه : (روى ابن الفرّج) ، ومعاني القراءات للأزهري ٢ / ٢٤٤ ، وليس فيه : (وروى أبو تراب) ، وهو قول الهواري ٣ / ٢٦٢ ، قال : أي علموا في الآخرة أن الأمر كما قال الله ، فآمنوا حين لم ينفعهم علمهم ، ولا إيمانهم .

وَأُنْشِدَ لِلْأَخْطَلِ :

وَأَذْرَكَ عِلْمِي فِي سِوَاءِ أَنَّهَا تُقِيمُ عَلَى الْأَوْتَارِ وَالْمَشْرِبِ الْكَدْرِ^(١)
أَيَّ أَحَاطَ عِلْمِي بِهَا أَنَّهَا كَذَلِكَ^(٢) .

وَأَمَّا الْفَرَّاءُ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسَرِينَ وَأَهْلُ الْمَعَانِي فَقَدْ تَجَبَطُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ ،
[وَذَهَبُوا إِلَى مَا لَا وَجْهَ لَهُ^(٣) . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَالْقَوْلُ فِي أَذْرَكَ ، وَادَّارَكَ ، فِي هَذِهِ
الْآيَةِ]^(٤) مَا قَالَ السَّدِّيُّ وَأَبُو مَعَاذٍ^(٥) . وَلَا مَعْنَى لِمَا قَالَ الْفَرَّاءُ ، وَلَمْ أَحْكِ قَوْلَهُ ،
وَلَا قَوْلَ مَنْ حَذَا حَذْوَهُ ، لِتَشْوِشِهِ وَاضْطِرَابِهِ . وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ : بَلْ
تَوَاطَأَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ^(٦) .

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَهَذَا يُوَافِقُ قَوْلَ السَّدِّيِّ ؛ لِأَنَّهُ مَعْنَى : تَوَاطَأَ تَحَقَّقَ وَاتَّفَقَ
حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ^(٧) .

(١) بيت من قصيدة له في هجاء قبائل قيس . سِوَاءَ : من قيس عيلان ، مراده أن بني سِوَاءَ يَرْضُونَ بِمَا قَدْ
يُصِيبُهُمْ مِنَ الذِّلِّ وَالْهَوَانِ . شَرَحَ دِيوَانَ الْأَخْطَلِ ١٥٦ ، وَذَكَرَ الْبَيْتَ الْأَزْهَرِيَّ فِي تَهْذِيبِ اللُّغَةِ (دَرْكُ)
١١٢/١٠ ، مِنْ إِنْشَادِ أَبِي سَعِيدِ الضَّرِيرِ .

(٢) تَهْذِيبُ اللُّغَةِ (دَرْكُ) ١١٢/١٠ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْأَزْهَرِيِّ ٢/٢٤٤ مِنْ إِنْشَادِ أَبِي سَعِيدِ الضَّرِيرِ .

(٣) قَالَ الْفَرَّاءُ ٢/٢٩٩ : مَعْنَاهُ : لَعَلَّهُمْ تَدَارَكَ عِلْمُهُمْ ، يَقُولُ : تَتَابَعَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، يَرِيدُ : بَعْلَمُ
الْآخِرَةِ أَنَّهَا تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ . وَذَكَرَ نَحْوَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ ٣٢٦ ، وَابْنُ جَرِيرٍ ٢٠/٦ ،
وَذَكَرَ الْهَوَّارِيُّ ٣/٢٦٢ عَنْ الْحَسَنِ : أَيُّ لَمْ يَبْلُغْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ؛ أَيُّ لَوْ بَلَغَ عِلْمُهُمْ أَنَّ الْآخِرَةَ كَائِنَةٌ
لَأَمْنُوا بِهَا فِي الدُّنْيَا كَمَا آمَنَ الْمُؤْمِنُونَ .

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعَقِّوفِينَ سَاقِطٌ مِنْ نَسْخَةِ (ج) .

(٥) تَهْذِيبُ اللُّغَةِ (دَرْكُ) ١١٢/١٠ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْأَزْهَرِيِّ ٢/٢٤٤ .

(٦) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ٢٠/٧ بِلَفْظٍ : (أَمْ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ مِنْ أَيْنَ يَدْرَكَ عِلْمُهُمْ) ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ
٩/٢٩١٤ بِلَفْظٍ : (لَمْ يَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ) . وَفِي تَفْسِيرِ مُجَاهِدٍ ٢/٤٧٥ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :
﴿بَلِ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ﴾ يَقُولُ اللَّهُ : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ .

(٧) تَهْذِيبُ اللُّغَةِ (دَرْكُ) ١١٣/١٠ .

وقال أبو إسحاق : من قرأ : ﴿بَلْ أَدْرَكَ﴾ ، وهو الجيد ، فعلى معنى : بل تدارك ؛ أي بل تكامل علمهم يوم القيامة بالبعث ، وبأن كل ما وعدوا حق ، قال : ومن قرأ : (بَلْ أَدْرَكَ) فهو على معنى التقرير والاستخبار ؛ كأنه قيل : لم يُدرك علمهم بالآخرة ؛ أي ليس يقفون في الدنيا على حقيقتها ، ثم بين ذلك في قوله : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ ، وقالوا في تفسير : (بَلْ أَدْرَكَ) أم أدرك . هذا كلامه ^(١) .

وقد فصل الزجاج بين القراءتين ، فجعل القراءة الثانية استفهاماً بمعنى الإنكار ، وحرف الاستفهام : (بل) ، الذي هو بمعنى : (أم) ، وبهذا قال جماعة ، وأنشدوا أبياتاً ، منها قوله :

أَمْ النُّومُ أَمْ كُلُّ إِلَيَّ حَيْبٌ ^(٢)

بمعنى : بل ، وقالوا : إن أحدهما يقوم مقام الآخر ^(٣) .

وإلى هذا ذهب أبو علي ، فقال : المعنى : إنهم لم يدركوا علم الآخرة ؛ أي لم يعلموا حدوثها وكونها . ومعنى قوله : ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ معنى الباء ؛ أي علمهم

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٢٧ ، وذكر نحوه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢١٨ .

(٢) أنشده القراء في معاني القرآن ٢/ ٢٩٩ كاملاً ، ولم ينسبه ، وصدره :

فوالله ما أدري أسلمت تفوكت

يقال : تفوكت المرأة : إذا تلونت . تهذيب اللغة (غال) ٨/ ١٩٣ ، وأنشده كذلك ابن جرير ٨/ ٢٠ ، وذكره الأزهري من إنشاد القراء . تهذيب اللغة (درك) ١٠/ ١١٢ ، ولم ينشده الزجاج عنده هذه الآية ، وأنشده الثعلبي ٨/ ١٣٤ ، ولم ينسبه .

ونسب إلى عتبة المضرب برواية :

فوالله ما أدري أسلمت تفوكت أم الحلم أم كل إلى حبيب

(٣) وهذا قول القراء في معاني القرآن ٢/ ٢٩٩ ، ورجحه ابن جرير ٨/ ٢٠ على قراءة : ﴿بَلْ أَدْرَكَ﴾ .

بالآخرة ، قال : وهذا كما تقول : أجئتني بالأمس ؛ أي لم تجئ ، والمعنى : لم يدرك علمهم بحدوث الآخرة^(١) .

وهذا الوجه غير ما حكينا عن مقاتل وابن عباس والسدي ، ولم يفصل أبو علي بين القراءتين - كما فصل أبو إسحاق - وأجراهما على الاستفهام الذي معناه الإنكار ، ويؤكد هذا الوجه قراءة ابن عباس : (بلى أَدَارَكَ) بالاستفهام^(٢) .

قال الأزهري : هو استفهام فيه ردٌّ وتهكم ، ومعناه : لم يدرك علمهم في الآخرة^(٣) .

وروى شعبة عن أبي حمزة^(٤) عن ابن عباس : (بلى أَدَارَكَ) بقطع الألف ؛ لأنه استفهام ، فحذف ألف الوصل^(٥) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٠٠ .

(٢) أخرج هذه القراءة ابن جرير ٦ / ٢٠ من طريق أبي حمزة ، وقال ابن جرير في ضبطها : وكان ابن عباس في ما ذكر عنه يقرأ بإثبات ياء في : بل ، ثم يتدئ : أَدَارَكَ ، يفتح ألفها على وجه الاستفهام ، وتشديد الدال ، ثم قال بعد ذلك : فأما القراءة التي ذكرت عن ابن عباس ، فإنها وإن كانت صحيحة المعنى والإعراب فخلاف ما عليه مصاحف المسلمين ؛ وذلك أن في : بلى زيادة ياء في قراءته ليست في المصاحف ، وهي مع ذلك قراءة لا نعلمها قرأ بها أحد من قراء الأمصار ، وقال عنها النحاس : إسنادها صحيح . إعراب القرآن ٣ / ٢١٨ ، وذكر هذه القراءة ابن خالويه ، ونسبها إلى ابن عباس ، وأبي حيو ، وكتبت هكذا : (بلى أَدَرَكَ) . شواذ القراءات ١١١ ، وذكرها أيضاً ابن جني في المحتسب ٢ / ١٤٢ ، وكتبت هكذا : (بلى أَدَرَكَ) ممدوداً .

(٣) تهذيب اللغة (درك) ١٠ / ١١٤ ، وقد كتبت القراءة عنده هكذا : بلى أَدَرَكَ . وأما عند القراء ٢ / ٢٩٩ ، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٣٤٥ ، فقد كتبت كما عند ابن جرير .

(٤) أبو حمزة ، عمران بن أبي عطاء الواسطي ، سمع ابن عباس ، ومحمد بن الحنفية ، وهو قليل الحديث ، صدوق له أوهام ، وحديث عنه سفيان ، وشعبة ، وأبو عوانة ، وغيرهم . انظر سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٨٧ ، وتقريب التهذيب ٧٥١ .

(٥) يعني أن أصل الفعل : أَدَارَكَ خماسي أوله همزة وصل ، ثم دخلت همزة الاستفهام فسقطت همزة الوصل لفظاً ورسماً .

قال الفراء : وهو وجه جيد ؛ لأنه أشبه بالاستهزاء بأهل الجحد ، كقولك للرجل تكذبه : بلى لعمرى لقد أدركت السلف ، فأنت تروي ما لا تروي ، وأنت تُكذِّبه^(١) ، فهذا وجهٌ عليه أهل المعاني ، والأول عليه أهل التفسير .

قال شمر : ورؤي لنا حرفٌ عن الليث ، ولم أسمع له غيره ، ذكر أنه يقال : أدرك الشيء إذا فني^(٢) ، فإن صح فهو في التأويل : فني علمهم عن معرفة الآخرة . هذا كلامه^(٣) . و ﴿ فِي الْآخِرَةِ ﴾ على هذا القول يكون أيضاً بمعنى : بالآخرة ، كما ذكره أبو علي . وقرأ عاصم في بعض الروايات : (أَدْرَكَ) على افتعل ، وهو بمعنى : أدرك وتدارك ، كما حكينا عن شمر .

قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ . [قال مقاتل : بل هم اليوم في الدنيا في شك منها]^(٤) يعني : من الساعة^(٥) .

وقال أبو علي : ﴿ مِنْهَا ﴾ من علمها ، وحدثها يعني : علم الآخرة^(٦) .

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٩ . قال ابن قتيبة عن هذه القراءة : وهذه القراءة أشد إيضاحاً للمعنى ؛ لأنه قال : وما يشعرون متى يبعثون ، ثم قال : بل تداركت ظنونهم في علم الآخرة ؛ فهم يحسدون ولا يدرون . تأويل مشكل القرآن ٣٥٤ .

(٢) العين (درك) ٥/ ٣٢٨ .

(٣) تهذيب اللغة (درك) ١٠/ ١١٤ ، وقال بعده الأزهري : وهذا غير صحيح ، ولا محفوظ عن العرب ، وما علمت أحداً قال : أدرك الشيء إذا فني ، ولا يعرج على هذا القول ، ولكن يقال : أدركت الثأر ، إذا انتهى نضجها .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٥) تفسير مقاتل ٦١ ب .

(٦) الحجة للقرء السبعة ٥/ ٤٠١ .

﴿بَلْ هُمْ مِّنْهَا﴾ من علمها^(١) ﴿عَمُونَ﴾ في الدنيا^(٢) . والعمي عن علم الشيء أبعد منه من الشاك فيه ؛ لأن الشك قد يعرض عن ضرب من النظر ، والعمي عن الشيء : الذي لم يدرك منه شيئاً^(٣) .

وقال الكلبي في قوله : ﴿بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ : يقول : هم جهلة بها^(٤) .

وقال المبرّد : ﴿عَمُونَ﴾ جمع عم ، وأكثر ما يستعمل في القلب ، وأنشد :

ولكنني عن علم ما في غدٍ عم^(٥)

قال ابن عباس في هذه الآية : أعمى قلوبهم عما أعدّ لأوليائه من النعيم ، وعما أعدّ لأعدائه من العذاب . والكلام في العمي قد تقدّم عند قوله : ﴿عَمِينَ﴾ في سورة الأعراف^(٦) .

٦٧ . وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفسّر في سورة المؤمنون^(٧) ، إلى قوله : ﴿قُلْ سِيرُوا﴾ [٦٩] ، والآية ظاهرة .

(١) تأويل مشكل القرآن ٣٥٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٦١ ب .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٤٠١/٥ .

(٤) ذكر الهواري ٢٦٢/٣ عن الكلبي : أي لا يدرون ما الحساب فيها وما العذاب .

(٥) البيت لزهير من معلقته ، وصدّره :

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله

ديوان زهير ٨٦ ، وأنشد البيت الأزهري ، ونسبه إلى زهير ، وليس فيه النقل عن المبرّد . تهذيب اللغة (عمى) ٢٤٥/٣ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [٦٤] . قال الواحدي : قال ابن عباس : عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته ، وشدة بطشه ، وقال الزجاج : أي قد عموا عن الحق والإيمان ، وقال الليث : يقال : رجل عم إذا كان أعمى القلب ، وقال أبو معاذ النحوي : رجل عم في أمره لا يبصره ، ورجل أعمى في البصر .

(٧) [المؤمنون : ٨١ ، ٨٣] .

٧٠. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾. قال مقاتل: يعني على كفار مكة إن تولوا عنك ولم يحبوك^(١) إلى الإيثار، والمعنى: على تكذيبهم إياك وإعراضهم عنك^(٢).

﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾ (ضَيْقٍ)^(٣)، وهما لغتان^(٤). قال ابن السكيت: يقال: في صدر فلان ضَيْقٌ وضَيْقٌ، ومكان ضَيْقٌ وضَيْقٌ^(٥)، وقد ضاق الشيء ضَيْقاً^(٦)، والنعت ضَيْقٌ^(٧) والاسم ضَيْقٌ.

وروى أبو عبيد عن أبي عمرو: الضَيْقُ: الشيء الضَّيِّقُ، والضَّيِّقُ المصدر^(٨).

وقال الفرّاء: الضَّيِّقُ: ما ضاق عنه صدرك، والضَّيِّقُ: ما يكون في الذي يتسع ويضيق، مثل: الدار والثوب، قال: وإذا رأيت الضَّيِّقَ قد وقع في موضع الضَّيِّقِ، كان على أمرين؛ أحدهما: أن يكون جمعاً للضَّيِّقَةِ، كما قال الأعشى:

كشَفَ الضَّيِّقَةَ عَنَّا وَفَسَحَ^(٩)

(١) تفسير مقاتل ٦٢ أ.

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٤ ب بنصه.

(٣) قرأ ابن كثير بكسر الضاد، وروى خلف عن المسيبي عن نافع مثله، وقرأ الباقر بالفتح. انظر السبعة في القراءات ٤٨٥، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٢، والنشر في القراءات العشر: ٢/ ٣٣٩.

(٤) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٣.

(٥) تهذيب اللغة (ضاق) ٩/ ٢١٧.

(٦) إصلاح المنطق ٣٢.

(٧) في نسخة (ب): (الضيق).

(٨) في تهذيب اللغة (ضاق) ٩/ ٢١٧ عن أبي عمرو: الضَّيِّقُ محرّكة الياء: الشك، والضَّيِّقُ بهذا المعنى أكثر وأقشى.

(٩) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١١٥، وأنشد البيت من دون نسبة، ونقله عنه الأزهرى ٩/ ٢١٨، وهو في ديوان الأعشى ٨٩ من قصيدة يمدح فيها إياس بن قبيصة الطائي، وصدّره:

فَلَيْتَ رَبُّكَ مِنْ رَحْمَتِهِ

والوجه الآخر : أن يكون مخففاً من ضَيْقٍ ، مثل : هَيْنَ وَلَيْنَ^(١) . وقد حصل من هذا : أن الضَّيْقَ بالتشديد : نعت ، ويجوز فيه التخفيف [في ما يتسع ويضيق ، ويكون لغة في الضيق .

قال أبو علي : والقراءة :^(٢) (الضَّيْقُ) بالفتح والتخفيف اسم ، وليس بنعت ، وهو ما يضيق عنه الصدر ، ويقال فيه بالكسر . والضيق بالكسر المصدر ، والاسم في ما يتسع ويضيق ، ويكون لغة في الضيق .

قال أبو علي : والقراءة بالوجهين يحمل على أنهما لغتان ، ولا يحمل الضيق بالفتح على التخفيف من ضيق ؛ لأنك إن حملته على ذلك أقمت الصفة مقام الموصوف ، ولا ينبغي أن يحمل على ذلك ما وجد مندوحة عنه^(٣) .

قوله تعالى : ﴿مَتَّامِكُرُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد أن مكرهم يبور ، ويرجع إلى الذل والقتل .

وقال مقاتل : يقول : لا يضيق صدرك بما يقولون^(٤) .

وهذه الآية مذكورة في آخر سورة النحل ، وقد مرّ تفسيرها^(٥) .

(١) معاني القرآن للقرّاء ٢ / ١١٥ عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ من سورة النحل ، الآية رقم ١٢٧ ، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (ضاق) ٢١٧ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٣) الحجة للقرّاء السبعة ٥ / ٤٠٣ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ أ .

(٥) وهي قوله تعالى : ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [١٢٧] .

٧١. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ الذي تعدنا يا محمد به من العذاب ^(١)
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأنه يكون ، وأن العذاب نازل بنا ، قاله مقاتل
 والكلبي ^(٢).

٧٢. قال الله تعالى : ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَّكُمْ﴾ : يقال : رَدِفَهُ يَرْدِفُهُ ^(٣) رَدْفًا
 إذا تبعه . قال أبو زيد : يقال : رَدِفْتُ الرجلَ وأردفته إذا ركبت خلفه ،
 وأنشد :

إذا الجوزاءُ أردفتِ الثُّريَّا ^(٤)

وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿يَأْتِي مِنَ الْمَلَكَةِ مُرْدِفِينَ﴾
 [الأنفال : ٩] ^(٥).

(١) تفسير الهواري ٣/ ٢٦٣ ، من دون نسبة .

(٢) تفسير مقاتل ٦٢ أ ، وتنوير المقباس : ٣٢١ .

(٣) (يردفه) في نسخة (ج) .

(٤) تهذيب اللغة (ردف) ٩٦/ ١٤ من إنشاد أبي زيد ، ونسب إلى خزيمة القضاعي ، وعجزه :

ظَنَنْتُ بِأَلِ فاطمةَ الظُّنُونَا

وأنشده في لسان العرب ٩/ ١١٥ ، ونسبه إلى خزيمة بن مالك بن نهد .

(٥) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : اختلف أهل اللغة في : ردف وأردف ، والأكثر على أنها بمعنى واحد وفصل آخرون بينهما ، فقال الرَّجَّاج : ردفت الرجل إذا ركبت خلفه ، وأردفته : أركبته خلفي ، وأردفت الرجل إذا جئت بعده . وقال شمر : ردفت وأردفت إذا فعلت ذلك بنفسك ، فإذا فعلت بغيرك : فأردفت لا غير .

قال ابن عباس في معنى ﴿رَدَفَ لَكُمْ﴾ : قرب لكم^(١) ، وهو قول مقاتل^(٢) ، وقال السدي : اقترب لكم^(٣) .

وقال قتادة : أزف لكم^(٤) ، وقال الكلبي : دنا لكم^(٥) . وهذه ألفاظ معناها واحد . قال الفرّاء : فكأن اللام دخلت إذ كان المعنى : دنا ، كما قال الشاعر :

فقلتُ لها الحاجاتُ يطرحنَ بالفتى
وهنَّ تعنّاني مُعَنّى ركائبه^(٦)

فأدخل الباء في الفتى ؛ لأن معنى : يطرحن : يرمين ، وأنت تقول : رميت بالشيء وطرحته . قال : وتكون اللام داخله ، والمعنى : ردفكم ، كما تقول العرب : نفذت له مائة ؛ أي نفذته^(٧) ، وهذا قول الأخفش والزجاج والمبرد ، قالوا : المعنى : ردفكم ، فزيدت اللام تأكيداً ، كما زادوها في : لا أبالك ، و : يا

(١) ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم بلفظ : (اقترب) . فتح الباري ٨ / ٥٠٤ ، ووصله ابن جرير ٩ / ٢٠٠ من طريق علي ابن أبي طلحة بلفظ : (اقترب لكم) .

(٢) تفسير مقاتل ٦٢ أ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٩ / ٢٠٠ عن الضحاك ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩١٧ عن مجاهد .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩١٧ عن مجاهد .

(٥) تنوير المقياس : ٣٢١ ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٣٤ ب ، ولم ينسبه .

(٦) أنشده الفرّاء ، ولم ينسبه . معاني القرآن ٢ / ٢٩٩ ، وأنشده كذلك ابن جرير ١٠ / ٢٠٠ ، وهو في لسان العرب ١٥ / ١٠٦ غير منسوب ، وفيه : (عانى الشيء : قاساه ، والمعاناة : المقاساة ، يقال : عاناه ، وتعناه ، وتعنى) .

(٧) في نسخة (ب) و(ج) : (نفذت) في الموضعين . وفي (ب) : (نفذت) وهو موافق لما عند الفرّاء ٢ / ٣٠٠ بلفظ : (نفذت له مائة) ، وهو يريد : نفذتها مائة . ولا ينبغي على هذا الفرق اختلاف في المعنى المقصود . ونقل هذا القول عن الفرّاء ، ولم يسمّه ، ابن جرير ٩ / ٢٠٠ ، واختاره .

بؤس للحرب^(١)، ومثله في كتاب الله : ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ﴾ [الزمر: ١٢]؛ أي أمرت أن أكون، وبأن أكون^(٢).

وقال أبو الهيثم يقال : رَدِفْتُ فلاناً ، ورَدِفْتُ لفلانٍ ؛ أي صرت له رِدْفاً ، قال : وتزيد العرب اللام مع الفعل الواقع في الاسم المنصوب فتقول : سمع له ، وشكر له ، ونصح له ؛ أي سمعته وشكره ونصحته^(٣).

وقد ذكرنا مثل هذا في قوله : ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]^(٤).

وقوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]^(٥).

وقال مجاهد في قوله : ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ : عجل لكم^(٦).

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٥١، والمقتضب ٢/ ٣٧، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ١٢٨، وليس فيها ذكر قول : لا أبا لك ، ويا بؤس للحرب .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٥١ .

(٣) تهذيب اللغة (ردف) ٩٦/ ١٤ .

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : واختلفوا في وجه دخول اللام في قوله : ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ ، فقال الكسائي : لما تقدّم المفعول على الفعل حسنت اللام ، قال : وهذا مما مات من الغريب ، وقد كان يقال : لك أكرمت ، ولك حدثت ، فمات ، ولو قلت : أكرمت لك ، تريد : أكرمتك كان قبيحاً ، وهو جائز ، كما تقول : هو مكرم لك ، وهو ضارب لك ، بمعنى : مكرمك ، وضاربك ، فحسن في موضع وقبح في آخر ، والأصل واحد . قال النحويون : لما تقدّم المفعول ضعف عمل الفعل فيه ، فصار بمنزلة ما لا يتعدى فأدخل اللام فعلى هذا اللام في قوله : ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ صلة وتأکید ، كقوله : ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ [النمل: ٧٢] ، وقال بعضهم : إنها لام أجل ، والمعنى : هم لأجل ربهم يَرْهَبُونَ لا رياء ولا سمعة .

(٥) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : فأما اللام في قوله : [الرُّؤْيَا] ، فقال أحمد بن يحيى : أراد : إن كنتم للرؤيا عابرين ، وإن كنتم عابرين للرؤيا ، تسمى هذه السلام لام التعقيب ؛ لأنها عقببت الإضافة . المعنى : إن كنتم عابري الرؤيا . وقال ابن الأنباري : دخلت اللام مؤكدة مفيدة معنى التأکید ، وقيل : إنها أفادت معنى : إلى ، وكأن ملخصها : إن كنتم توجهون العبارة إلى الرؤيا ، ثم أحال على سورة الأعراف في قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] .

(٦) تفسير مجاهد ٢/ ٤٧٥ . وأخرجه ابن جرير ١٠/ ٢٠ بلفظ : (أعجل لكم) ، وبلغظ : (أزف) ، وذكر

وعن ابن عباس : حضركم ^(١) ، وقال ابن قتيبة : تبعكم ^(٢) .

وقال الزَّجَّاج : معناه في اللغة : ركبكم ، وجاء بعدكم ^(٣) .

ومعنى الآية أن الله تعالى أمر نبيه - عليه السلام - أن يقول للذين يستعجلون العذاب : إن بعض ما تستعجلون من العذاب قد دنا لكم .

قال المفسرون : فكان بعض الذي دنا لهم القتل بيدر ، وسائر العذاب لهم في ما بعد الموت ^(٤) ، ثم ذكر فضله في تأخير العذاب ، فقال :

٧٣ . ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ . قال مقاتل : يعني على أهل مكة حين لا يعجل عليهم بالعذاب . ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ : يعني أكثر أهل مكة ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ الرب في تأخير العذاب عنهم ^(٥) .

٧٤ . وقوله : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ : تسر وتخفي صدورهم ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ^(٦) ، قال ابن عباس : يعني : من عداوتك والخلاف عليك في ما جئت به ^(٧) . والمعنى : إنه يعلم كل ذلك فيجازيهم به ^(٨) .

الهواري ٢٦٣/٣ عن مجاهد : اقترب لكم ، وأخرجه كذلك ابن أبي حاتم ٢٩١٧/٩ .

(١) تفسير الثعلبي ٨/١٣٤ ب .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٦ .

(٣) في مجاز القرآن ٩٦/٢ : (جاء بعدكم) .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ أنبصه ، وتفسير الثعلبي ٨/١٣٤ ب ، ولم ينسبه . وذكر الهواري ٢٦٣/٣ عن الحسن : بعض الذي تستعجلون من عذاب الله ، يعني : قيام الساعة التي يهلك الله بها آخر كفار هذه الأمة .

(٥) تفسير مقاتل ٦٢ أ . وظاهر الآية أعم ، وإن كان أهل مكة يدخلون فيه دخولاً أولياً ، والله أعلم .

(٦) تفسير مقاتل ٦٢ أ ، وتفسير الثعلبي ٨/١٣٤ ب .

(٧) تفسير الهواري ٢٦٤/٣ ، ولم ينسبه . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٩١٨/٩ عنه بلفظ : (يعلم ما عملوا بالليل والنهار) .

(٨) تفسير ابن جرير ١١/٢٠ .

٧٥. قوله تعالى: ﴿وَمِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. قال المفسرون: ما من شيء غائب وأمر يغيب عن الخلق في السماء والأرض ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ إِلَّا هُوَ بَيِّنٌ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ^(١).

قال مقاتل في هذه الآية: يريد علم ما تستعجلون من العذاب، متى يكون؟ هو مُبَيَّنٌ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ عِنْدَ اللَّهِ^(٢)، وإن غاب عن الخلق فلم يعلموه.

وقيل في دخول الهاء في الغائبة: إنها إشارة إلى الجماعة الغائبة، فهي تتضمن الإحاطة بجميع الغائبات، لا ببعضها دون بعض، ولا يبعد أن يقال: الغائبة هاهنا مصدر، كالخائنة والعاقبة، فتكون الغائبة بمنزلة: الغيب، كأنه قيل: وما من غيب في السماء والأرض؛ أي غائب^(٣).

٧٦. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. [قال ابن عباس: يريد: ما سقط عنهم من علم التوراة، وما حرفوا، وعلى هذا المعنى: يبيِّن لهم القرآن ما سقط من الأحكام من كتابهم واختلفوا فيه، وما حرفوه مما هم فيه مختلفون، وهذا معنى قول مقاتل: هذا القرآن يبيِّن لأهل الكتاب اختلافهم^(٤)].

(١) تفسير ابن جرير ١١/٢٠، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٢٩١٩/٩ عن ابن عباس ومجاهد. وتفسير الثعلبي ١٣٤/٨ ب.

(٢) تفسير مقاتل ٦٢ أ.

(٣) لم أجده في تهذيب اللغة (غاب).

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ أ.

وقال آخرون : ﴿يَقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ؛ أي يبين لليهود والنصارى أكثر الذي هم فيه مختلفون ؛^(١) ، وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى عليه السلام ، وغير ذلك من الأمور التي هم فيها مختلفون^(٢) .

وقال الكلبي عن ابن عباس : إن أهل الكتاب اختلفوا في ما بينهم فصاروا أحزاباً وشيعاً ، يطعن بعضهم على بعض ، ويتبرأ بعضهم من دين بعض ، فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أخذوا به لسلموا^(٣) .

٧٧ . ﴿وَلَئِنَّهُمْ﴾ : وَإِنَّ الْقُرْآنَ ﴿لَهْدَى﴾ من الضلالة ، ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب لمن آمن به^(٤) .

٧٨ . ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ . قال مقاتل : يعني بين بني إسرائيل^(٥) .

وقال الكلبي : بين أهل الكتاب .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

(٢) تفسير ابن جرير ١١ / ٢٠ .

(٣) بنصه في تفسير ابن الجوزي ١٨٩ / ٦ ، ولم ينسبه . وذكر نحوه الفراء ٣٠٠ / ٢ ، ولم ينسبه ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٢٩١٩ / ٩ عن قتادة .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ أ ، وتفسير ابن جرير ١٢ / ٢٠ .

(٥) تفسير مقاتل ٦٢ أ ، وتفسير ابن جرير ١٢ / ٢٠ .

وقيل : بين المختلفين^(١) ، وهذه أقوال متقاربة .

قال ابن عباس : يريد يوم القيامة يقضي بينهم بحكمه ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾
الغالب ، فلا يمكن ردُّ قضائه بما يحكم ، فهو يقضي بين المختلفين ، وبما لا يمكن
أن يُردَّ ، ولا يلتبس بغير الحق .

وقيل : ﴿الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من المبطلين ، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالحق من المختلفين^(٢) .

٧٩ . ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ . قال مقاتل : يقول : فثق بالله ، وذلك حين دُعي إلى
دين آبائه^(٣) ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ على الدين البين ، وهو الإسلام .
ثم ضرب لكفار مكة مثلاً ، فقال^(٤) :

٨٠ . ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِ﴾ . قال قتادة : أي كما لا تسمع الميت كذلك لا
تسمع الكافر^(٥) .

[وقال مقاتل : شبّه كفار مكة بالأموات ، يقول : كما لا يسمع الميت النداء
كذلك لا يسمع الكافر]^(٦) النداء^(٧) .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد بالموتى الأحياء الذين طبع الله على قلوبهم .

(١) تفسير الثعلبي ٨ / ١٣٤ ب ، ولم ينسبه .

(٢) تفسير ابن جرير ١٢ / ٢٠ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٢ أ ، ولفظه : (وذلك حين دُعي إلى ملة آبائه ، فأمره أن يثق بالله عز وجل) .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ أ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٢١ ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٣٤ ب ، ولم ينسبه .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ب) .

(٧) تفسير مقاتل ٦٢ أ .

يعني : ضرب لهم المثل بالموتى وشبّه حالهم في أنهم لا ينتفعون بها يسمعون بحال الموتى الذين لا يسمعون بتة^(١) .

(١) فهذا قولان في المراد بالموتى ؛ الأول : الميت الذي فارقه الروح ، والثاني : ميت القلب الذي لا ينتفع بها يسمع من الخير ؛ أي لا تُسمع الكفار الذين أَمَاتَ الله قلوبهم . وظاهر كلام الواحدي ميله إلى القول بأن الميت في الآية : الذي فارقه الروح ، واقتصر على هذا القول في تفسيره الوسيط ٣ / ٣٨٤ ، وأما في الوجيز ٢ / ٨٠٩ ، فقال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ الكفار ، ولم يزد على ذلك . والذي يظهر - والله تعالى أعلم - أن القول الثاني أقرب إلى الصواب ؛ وذلك لثبوت سماع الميت في قبره كما في قصة غزوة بدر ، وسماع الميت قرع نعال أصحابه إذا تولوا عنه ، وغير ذلك من الأحاديث . واقتصر ابن جرير ٢٠ / ١٢ على هذا القول ، فقال : يقول : إنك يا محمد لا تقدر أن تُفهم الحق مَنْ طَعَّ الله على قلبه فأَمَاتَهُ ؛ لأن الله قد ختم عليه ألا يفهمه ، وأحسن الشنقيطي تقرير هذا بأدلته وشواهده . أضواء البيان ٦ / ٤١٦ - ٤٣٩ .

ومن ذهب إلى أن النفي في الآية نفي سماع الميت جميع الكلام المعتاد : أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وقد رَدَّت فيه على من روى تكليم النبي ﷺ لصناديد قريش بعد أن قذف بهم في القليب ، وقد أخرج ذلك البخاري في صحيحه من طريق قتادة ، قال : ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقفذوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعُرْصَة ثلاث ليال ، فلَمَّا كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليه رحلها ، ثم مشى واتبعه أصحابه ، وقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شَفَةِ الرِّكِي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : « يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان : أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله ، فإنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، ؟ » . قال : فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمةً وحسرةً وندماً . أخرجه البخاري ، كتاب : المغازي ، رقم ٣٩٧٦ ، فتح الباري ٧ / ٣٠٠ ، ثم أخرج البخاري بعده إنكار عائشة - رضي الله عنها - لهذا ؛ حيث قالت : إنا قال النبي ﷺ : إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق ، ثم قرأت : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ [النمل : ٨٠] .

قال الإسماعيلي : كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه ، لكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله ، يدل على نسخه ، أو تخصيصه ، أو استحالة ، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبتته غيرها ممكن ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ لا ينافي قوله ﷺ : « إنهم الآن يسمعون » ؛ لأن الإِسْمَاع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع ، فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه ﷺ بذلك . فتح الباري ٧ / ٣٠٤ ، والصحيح أن الميت يسمع في قبره السماع المعتاد ، والمنفي عنه السماع الذي ينفعه ، وقد قرر هذا =

﴿وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ . قال قتادة : يقول : لو أن أصمَّ ولَّى مدبراً ثم ناديته لم يسمع ، كذلك الكافر لا يسمع ما يُدعى إليه من الإيمان ، ونحو هذا قال مقاتل ^(١) .

ومعنى الآية أنهم لفرط إعراضهم عما يُدعون إليه من التوحيد والدين ، كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه وإعلامه شيئاً ، وكالصم الذين لا يسمعون .

وقرأ ابن كثير : ﴿لَا يَسْمَعُ﴾ بالياء ﴿الصَّمَّ﴾ رفعاً ^(٢) ، وقراءة العامة أشبه بها قبله من قوله : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ﴾ ، ومعنى قراءة ابن كثير : إنهم لا يتقادون للحق لعنادهم ، وفرط ذهابهم عنه ، كما لا يسمع الأصم ما يُقال له ^(٣) .

ثم ضرب العمي أيضاً مثلاً لهم ، فقال :

٨١ . ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعُمَى عَنْ ضَلَلَتِهِمْ﴾ : فالعمي : هم ، و﴿ضَلَلَتِهِمْ﴾ كفرهم وجهالتهم . فالمعنى : ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى ، وأعمى قلبه عن الإيمان .

وقراءة العامة : ﴿بِهَدَى الْعُمَى﴾ على اسم الفاعل مضافاً ، واسم الفاعل للحال ، أو للآتي ، وإذا كان كذلك كانت الإضافة في نية الانفصال ^(٤) ، وقراءة حمزة :

بشواهد وأدلته شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فقد ردَّ على من نفى سماع الميت في قبره ، وحمل ابن تيمية النفي في الآية على السماع المعتاد الذي ينتفعون به ، أمّا سماع آخر فلا ينفى عنهم . مجموع الفتاوى ٤ / ٢٩٨ ، وهذا اختيار ابن كثير ، فقد قال : أي لا تسمعهم شيئاً ينفعهم ، فكذاك هؤلاء على قلوبهم غشاوة ، وفي آذانهم قر ، وهو الكفر . تفسير ابن كثير ٦ / ٢١٠ ، والقول بأن الموتى في الآية : الكفار نفى الله عنهم سماع التدبر ، تفسير ظاهر لا يرد عليه هذا الإشكال ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه عن قتادة ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٢١ ، وهو في تفسير مقاتل ٦٢ أ .

(٢) السبعة في القراءات ٤٨٦ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٠٣ ، والنشر في القراءات العشر : ٢ / ٣٣٩ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٠٣ .

(٤) هكذا (الانفصال) في نسخة (أ) و(ب) ، وهو موافق لما في الحجة ، وفي نسخة (ج) : (الانفصال) .

﴿تَهْدِي أَلْعُمَى﴾^(١) على الفعل ، وحجته قوله : ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي أَلْعُمَى﴾ . ومعنى الآية : إنك لا تهديهم لشدة عنادهم ، وفُطِرَ إعراضهم ، فإذا كان كذلك كان وجه القراءة : وما أنت تهدي العمي^(٢) .

قال أحمد بن موسى : وكتب ﴿يَهْدِي أَلْعُمَى﴾ في هذه السورة بياء ، وكتب الذي في الروم بغير ياء^(٣) .

قال أبو علي : الوقف على : ﴿هَادٍ﴾ و﴿وَالٍ﴾ و﴿وَاقٍ﴾^(٤) ونحوه ، فيه لغتان : الأكثر أن تقف بغير ياء ؛ وذلك أنه كان في الوصل متحركاً بالكسر ، فإذا وقفت حذفت الحركة ، كما تحذفها من سائر المتحركات ، وقوم يقفون بالياء ؛ لأن حذفها إنما كان لأجل التنوين ؛ لأنها ساكنان ، فلما حذفت التنوين في الوقف عادت الياء ، وحكى سيبويه اللغتين جميعاً ، فعلى هذا حذفت الياء في موضع ، وإثباتها في آخر ، على أن تكون كتبت [على اللغتين جميعاً ، أو يكون أريد]^(٥) ﴿يَهْدِي﴾ الإضافة فلم ينون ، فإذا لم ينون لم يلزم أن تحذف الياء ، أو يكون أريد بـ : تهدي تفعل ، ولم يُرد به اسم الفاعل ، فإذا أريد : تفعل ثبتت الياء في الوصل

(١) السبعة في القراءات ٤٨٦ ، والحجة ٥ / ٤٠٤ ، والنشر ٢ / ٣٣٩ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٠٤ .

(٣) في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ أَلْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ [الروم : ٥٣] . أحمد بن موسى ، هو أبو بكر ابن مجاهد . السبعة في القراءات ٤٨٦ ، وذكره عنه أبو علي . الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٠٤ ، وذكر ذلك الداني في المقنع ٩٦ .

(٤) كلمة هاد (بالكسر) وردت في قوله تعالى : ﴿وَلِئِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج : ٥٤] ، ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ أَلْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ [الروم : ٥٣] . وكلمة والٍ ، وردت في قوله تعالى : ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد : ١١] ، وكلمة واقٍ وردت في قوله تعالى : ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [الرعد : ٣٤] ، ﴿مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد : ٣٧] ، ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [غافر : ٢١] .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

والوقف ، ولعل حمزة في قراءته : ﴿ تَهْدَى ﴾ اعتبر ذلك إذ كان في الخط مكتوباً بغير ألف^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ تُسْمِعْ ﴾ ؛ أي ما تسمع^(٢) ، [وتأويل ما تُسمع : ما يسمع منك]^(٣) فيعي ويعمل ﴿ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ﴾^(٤) . قال ابن عباس : إلا من خلقته للسعادة ، وكان في سابق علمي من المهتدين^(٥) .

وقال مقاتل : إلا من صدق بالقرآن أنه من الله ، ﴿ فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ؛ أي مخلصون بتوحيد الله^(٦) .

٨٢. قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾^(٧) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٥ . قال الداني : في بعض المصاحف : ﴿ تَهْدَى أَلْعَى ﴾ بالتاء بغير ألف ، وفي بعضها (بهادي) بألف وياء بعد الدال . المقنع ٩٦ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٢ أ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٢٩ .

(٥) ذكره عنه القرطبي ١٣/ ٢٣٣ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢١ عن زهير بن محمد ، وعن ابن عباس بلفظ : (موحدون) ، وهو قول مقاتل ٦٢ أ .

(٧) خروج الدابة علامة من علامات الساعة الكبرى التي ذكرها النبي ﷺ عندما اطلع على أصحابه وهم يتذكرون ، فقال : « ما تذكرون ؟ » ، قالوا : نذكر الساعة . قال : « إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليهما السلام ، ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف ؛ خسف بالشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » . أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٢٥ ، كتاب : الفتن ، رقم ٢٩٠١ ، والترمذي ٤/ ٤١٤ ، كتاب : الفتن ، رقم ٢١٨٣ .

قال ابن عباس : حق العذاب عليهم^(١) ، وقال مقاتل : وإذا نزل العذاب بهم^(٢) ، ونحو هذا قال جماعة المفسرين^(٣) .

قال الفرّاء معناه : وجب السَّخَطُ عليهم . وذكرنا وقع بمعنى وجب^(٤) ، وهذا كقوله : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾^(٥) [القصص : ٦٣ ، الأحقاف : ١٨] .

والمعنى : حق ووجب أن ينزل بهم ما قال الله ، وحكم به من عذابه وسخطه عليهم . والكنية في : ﴿ عَلَيْهِمُ ﴾ للكفار الذين تخرج عليهم الدابة ، وجازت الكناية عنهم ؛ لأن ذكر الكفار قد سبق ، وهؤلاء من جنس أولئك .

وقوله : ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ . قال ابن عمر وعطية : وذلك حين لا يأمرهم بمعروف ، ولا ينهاهم عن منكر^(٦) .

(١) أخرجه ابن جرير ١٣/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٢٢/٩ ، كلاهما عن مجاهد .

(٢) تفسير مقاتل ٦٢أ .

(٣) تفسير مجاهد ٢/٤٧٥ ، وتفسير الهواري ٣/٢٦٥ ، وأخرج ابن جرير ١٣/٢٠ عن قتادة : وجب القول عليهم .

(٤) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصْبٌ ﴾ [الأعراف : ٧١] : يقال : وقع القول والحكم إذا وجب ، ومنه قوله : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ [النمل : ٨٢] معناه : إذا وجب ، ومثله : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْسُ ﴾ [الأعراف : ١٣٤] ؛ أي أصابهم ونزل بهم ، وأصله من الوقوع بالأرض ، يقال : وقع بالأرض مطر ، ووقعت الإبل إذا بركت .

(٥) معاني القرآن ٢/٣٠٠ من دون قوله : وذكرنا وقع بمعنى . وذكره الثعلبي ٨/١١٣٥ ، ولم ينسبه . وأخرج ابن أبي حاتم ٢٩٢٢/٩ عن مقاتل بن حيان في قوله تعالى : ﴿ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ ، قال : السخط ، وقال ابن قتيبة : وجبت الحجة . غريب القرآن ٣٢٧ .

(٦) أخرجه عبد الرزاق ٢/٨٥ ، وابن أبي حاتم ٢٩٢١/٩ ، كلاهما عن عطية بن سعد عن ابن عمر ، وأخرجه ابن جرير ١٤/٢٠ عن ابن عمر وعطية ، وكذا الثعلبي ٨/١١٣٥ .

وروي عن حفصة بنت سيرين^(١) أنها سألت أبا العالية عن هذه الآية ، فقال لها مجيباً : ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]^(٢) .

قال مغلد بن الحسين^(٣) راوي^(٤) هذا الحديث : يعني أنه لا تخرج الدابة حتى لا يبقى أحد يريد أن يؤمن^(٥) .

قال ابن عمر : وتخرج الدابة من صدع في الصفا^(٦) ، وهو قول أكثر المفسرين ، قالوا : تخرج الدابة من أرض مكة^(٧) .

-
- (١) حفصة بنت سيرين ، أم الهذيل الفقهية ، الأنصارية ، البصرية ، ثقة ، روت عن أم عطية ، وأم الرائح ، وعن مولاها أنس بن مالك ، وعن أبي العالية ، وروى عنها أخوها محمد ، وقتادة ، وأيوب ، وابن عون ، وغيرهم . ماتت بعد المائة . انظر سير أعلام النبلاء ٥٠٧ / ٤ ، وتقريب التهذيب ١٣٤٩ .
- (٢) أخرجه عبد الرزاق ٨٣ / ٢ ، وابن جرير ١٣ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٢٢ / ٩ ، وليس في أسانيد الثلاثة مغلد بن الحسين .
- (٣) مغلد بن الحسين ، الأزدي ، أبو محمد البصري ، ثقة فاضل ، حدث عن موسى بن عقبة ، وهشام بن حسان ، ويونس ابن زيد ، والأوزاعي ، وغيرهم ، وحدث عنه الحسن بن الربيع ، وموسى بن أيوب ، وغيرهما ، توفي سنة ١٩١ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٢٣٦ / ٩ ، وتقريب التهذيب ٩٢٧ .
- (٤) هكذا في نسخة (ج) ، وفي نسخة (أ) و(ب) : (رأي) .
- (٥) ذكر نحو هذا النحاس في إعراب القرآن ٢٢١ / ٣ ، ولم يذكر قول مغلد بن الحسين . وهذا مثال على نقل الواحد من النحاس .
- (٦) أخرجه ابن جرير ١٤ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٢٥ / ٩ ، والثعلبي ١٣٦ / ٨ . قال مقاتل ٦٢ : أخرج من الصفا الذي بمكة .
- (٧) أخرج ذلك عبد الرزاق ٨٤ / ٢ عن حذيفة بن اليمان ، وإبراهيم النخعي ، وابن جرير ١٤ / ٢٠ عن حذيفة ، وعبد الله بن عمرو ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٢٥ / ٩ عن عبد الله بن عمرو ، ولا تعارض بين القولين ؛ فإن الصفا من أرض مكة ، والله أعلم .

قوله تعالى: ﴿تَكَلَّمْتُمْ﴾ . [قال مقاتل: تكلمهم]^(١) بالعربية^(٢) . فتقول: ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ يعني: أهل مكة^(٣) ﴿كَانُوا يَتَّيَّنَاتَا﴾ . قال ابن عباس: بالبعث^(٤) والشواب والعقاب ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ ، وقيل: تُخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٢) تفسير مقاتل ٦٢أ . واقتصر عليه الواحد في الوسيط ٣/ ٣٨٥ ، والوجيز ٨٠٩ ، وتخصيص مقاتل كلامها باللغة العربية ؛ لأنه قيد الناس بأهل مكة . وظاهر الآية أعم من ذلك .
وعن ذهب إلى أن المراد في الآية تحدثهم ، ولم يقيده بلغة : السمرقندي ٢/ ٥٠٥ ، أخرج ابن جرير ١٦/ ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٢٦ عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة : تحدثهم ، وكذا عن قتادة .

وذكر ابن جرير قراءة: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ ، ونسبها إلى أبي زرعة بن عمرو ، ثم قال : والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك ما عليه عامة قراء الأمصار . ولعل من هذا جزم ابن كثير ٦/ ٢١٠ أن القول بأن الدابة تكلمهم فتقول لهم: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَّيَّنَاتَا لَا يُوقِنُونَ﴾ اختيار ابن جرير ، ثم قال ابن كثير بعد ذلك : وفي هذا القول نظر لا يخفى ، والله أعلم .
وقال ابن عباس في رواية : «تجرحهم» ، وعنه رواية : (قال : كلا ، تفعل يعني : هذا وهذا) ، وهو قول حسن ، ولا منافاة ، والله أعلم .

ونسب قراءة: ﴿تَكَلَّمْتُمْ﴾ ابن خالويه وابن جني إلى ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجاحدي وأبي زرعة . انظر الشواذ لابن خالويه ١١٢ ، والمحتسب ٢/ ١٤٤ .

ويشهد لهذه القراءة قول النبي ﷺ : «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ، ثم يعمرون فيكم حتى يشترى الرجل البعير ، فيقال : ممن اشتريته ؟ ، فيقول : من أحد المخرطين» . أخرجه الإمام أحمد ٨/ ٣٠٧ ، رقم ٢٢٣٧١ ، والبخاري في مسند ابن الجعد ٤٢٧ ، رقم ٢٩١٩ ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٥٧٦ ، رقم ٣٢٢ ، فتلخص من هذا أن الدابة تفعل هذا وهذا ، ولا معارضة ، والله أعلم .

(٣) جعل الهواري ٣/ ٢٦٦ لفظ الناس عاماً في المشركين كلهم ، وهو أولى .

(٤) (بالبعث) في نسخة (ج) .

واختُلف في قوله : ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ ، فُقرئ بالفتح والكسر^(١) ؛ فمن فتح أراد :
تكلّمهم الدابة بأن الناس^(٢) ، ومن كسر فلأن معنى : ﴿تَكَلَّمُهُمْ﴾ تقول لهم :
﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ ، والكلام قول ، فكأن القول قد ظهر^(٣) .

وقال مقاتل والكلبي في قوله : ﴿بَيَّأَيْنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ يعني بخروج الدابة ؛ لأن
خروجها من آيات الله^(٤) .

قال مقاتل : هذا قول الدابة : ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا﴾ بخروجي لا يوقنون^(٥) .

٨٣ . قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بَيَّأَيْنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ .
قال أبو علي الفارسي : الظرف هاهنا بمنزلة : إذا ، ومن ثم أجيب
بالفاء في قوله : ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ كما يجاب إذا بها ؛ لأنه ليس قبله
عامل يعمل فيه ، وليس العامل أيضاً ﴿نَخْشُرُ﴾ لأنه فعل مستقبل ،
فإذا لم يكن في هذا الكلام فعل ظاهر يتعلق به الظرف ، تعلق بما دل
عليه قوله : ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ، كما أن قوله : ﴿أَءَاذًا مِنَّا وَكُنَّا نُزَابًا وَعَظْمًا إِئِنَّا
لَمُبْعُوثُونَ﴾ [الصفات : ١٦ ، ٨٢ ، الواقعة : ٤٧] ، الظرف فيه متعلق بما دل عليه

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالكسر ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالفتح . انظر السبعة

في القراءات ٤٨٧ ، والحجة للقراء السبعة ٤٠٦/٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٦٤/٢ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٣٠٠/٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ٦٥١/٢ ، والحجة للقراء السبعة ٤٠٦/٥ ،
وفيه وجه آخر ذكره أبو عبيد : موضعها نصب بوقوع الفعل عليها ؛ أي تخبرهم أن الناس . انظر :
إعراب القرآن للنحاس ٢٢٢/٣ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٣٠٠/٢ ، والحجة للقراء السبعة ٤٠٦/٥ ، قال أبو حاتم : من قرأ بفتح
﴿أَنَّ﴾ فالوقف على ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ ، ومن كسر ﴿أَنَّ﴾ فالوقف على ﴿تَكَلَّمُهُمْ﴾ ، وهو من الكلام .
معاني القراءات للأزهري ٢٤٧/٢ .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٥ من دون نسبة ، وتنوير المقياس : ٣٢٢ .

(٥) تفسير مقاتل ٦٢ ب . وقد أطال الثعلبي ٨/ ١٣٥ في ذكر الأخبار الواردة في شأن الدابة مما لا دليل
عليه ، وقد أحسن الواحد في إعراضه عنها .

﴿إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ، كأنه قيل : أنبعث إذا متنا ، وذكر مثل هذا في قوله :
﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ﴾ [الإسراء: ٧١]^(١) ، فكأن التقدير في هذه الآية :
إذا حشرناهم وزعوا .

والفوج : الجماعة من الناس كالزمرة^(٢) . وأما تخصيص الفوج من الأمة
المكذبة ، فيحتمل أنه أريد بهم الرؤساء حشروا وجمعوا لإقامة الحجة عليهم ،
وهي ما ذكر في الآية الثانية .

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ . قال ابن عباس : يدفعون^(٣) ، وقال مقاتل : يساقون^(٤) .

وذكرنا الكلام مستقصى في هذا الحرف في هذه السورة^(٥) .

٨٤ . قوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا﴾ ؛ أي موقف الحساب وعَرْصَةِ القيامة^(٦) ،
قال الله لهم : ﴿أَكْذَبْتُمْ بَيِّنَاتِي﴾ . قال ابن عباس : كذبتهم أنبيائي ،

(١) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمْعَمِهِ﴾ : قال أبو إسحاق :
يعني به يوم القيامة ، وهو منصوب على معنى : اذكر يوم ندعو ، قال : ويجوز أن يكون منصوباً بمعنى
يعيدكم الذي فطركم يوم يدعو . قال أبو علي الفارسي : الظرف هاهنا بمنزلة إذا ؛ لأنه لا يجوز أن
يكون العامل فيه ما قبله من قوله : ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ﴾ ؛ لأنه فعل ماضٍ ، وليس العامل أيضاً يدعو ؛
لأنه فعل مستقبل ، فإذا لم يكن في هذا الكلام فعل ظاهر يتعلق به الظرف تعلق بها دل عليه قوله :
﴿وَلَا يُظْلَمُونَ قَبِيلًا﴾ ، كما أن قوله : ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَّعِظْمًا﴾ [المؤمنون: ٨٢]
على تقدير : إذا متنا بعثنا ، كذلك هاهنا يجعل الظرف بمنزلة إذا ، فيصير التقدير : إذا دُعي كل أناس
لم يُظلموا .

(٢) مجاز القرآن ٩٦/٢ ، وأخرجه ابن جرير ١٧/٢٠ عن مجاهد .

(٣) تفسير الثعلبي ١٣٦/٨ ب .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ ب .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿وَحَشِيرٌ لِّسُلَيْمَانَ جُودَةٌ مِنَ الْإِنِّ وَالْأَطْيَرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧] .

(٦) العَرْصَةُ : الأرض الواسعة ليس فيها بناء . تهذيب اللغة (عرض) ٢٠/٢ ، واللسان ٥٢/٧ .

وجحدتم فرائضي وحدودي^(١) . وهذا استفهام يتضمن الإنكار عليهم ، والتهكم بهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَازَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . [قال ابن عباس : ولم تختبروا حتى تفهموا وتسمعوا ، وقال مقاتل : ﴿ وَلَمْ يُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ﴾]^(٢) أنها باطل^(٣) ، ومعنى هذا : كذبتكم بآياتي غير عالين بها ، يعني : ولم تتفكروا في صحتها ، بل كذبتكم بها جاهلين غير مستدلين لا عن خبرة ولا عن معرفة ببطلانها ، ﴿ أَمَازَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا فيها . هذا مذهب أهل التفسير في هذه الآية^(٤) .

وذكر صاحب النظم وجهاً آخر ، فقال : قوله : ﴿ وَلَمْ يُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ﴾ منسوق^(٥) على قوله : ﴿ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي ﴾ ، والاستفهام واقع عليه ، إلا أن معنى الفصلين والاستفهامين مختلفان ؛ لأن قوله : ﴿ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي ﴾ تبكيت وإنكار ، بمعنى : لم كذبتكم بآياتي ، وقوله : ﴿ وَلَمْ يُحِيطُوا ﴾ [بمنزلة : أو لم تحيطوا بها علماً]^(٦) ؛ أي بالآيات ، وتأويله : وقد أحطتم بها علماً ، كما قال عز وجل : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ؛ أي قد شرحنا ، فيكون التأويل : لم كذبتكم بآياتي وقد أحطتم بها علماً ، فلما كان ﴿ لَمْ ﴾ استفهاماً احتمل أن يوضع موضعه ألف الاستفهام ، ثم بين - عز وجل - كيف أحاطوا بالآيات علماً فصار ذلك تأييداً لمذهبنا هذا ، وهو قوله من بعده : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ ﴾ [النمل : ٨٦] ، وقد تضع العرب الاستفهام

(١) تنوير المقباس : ٣٢٢ بلفظ : (بكتابي ورسولي) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٣) تفسير مقاتل ٦٢ ب .

(٤) تفسير الثعلبي ١٣٦/٨ ب .

(٥) أي معطوف .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) ، وفي نسخة (ب) : (بمنزلة : أو لم تحيطوا) ، وفي نسخة (أ) بمنزلة : (لم تحيطوا) ، ويوجد طمس في الحرف الذي قبل : لم .

في غير موضعه إذا كان متصلاً بلفظ يتصل به في المعنى ، مثل قوله : ﴿ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] قد وقع الاستفهام هاهنا على قوله : إن مت في الظاهر ، وهو في الباطن واقع على قوله : ﴿ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ ؛ لأن تأويله : ﴿ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ إن مت ^(١) ، ومثله قوله : ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] . والاستفهام في الظاهر واقع على الموت والقتل ^(٢) ، وهو في الحقيقة واقع على الانقلاب ^(٣) .

٨٥ . قوله تعالى : ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ ووجب العذاب عليهم ، قاله ابن عباس والمفسرون ^(٤) . قال الحكم ^(٥) عن السدي : كل شيء في القرآن : ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ ﴾ [معناه : العذاب] ^(٦) .

(١) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : ﴿ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] موضع الاستفهام قوله : ﴿ فَهُمْ ﴾ ، ولكنه قدّم إلى أول الكلام .

(٢) (والقتل) في نسخة (ج) .

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : ألف الاستفهام دخلت على حرف الشرط ، ومعناه : الدخول على الجزاء . المعنى : أنتقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قتل ، إلا أن شرط الجزاء معلق أحدهما بالآخر ، فانعقدت جملة واحدة ، وخبراً واحداً ، فدخلت ألف الاستفهام على الشرط ، وأنبأت عن معنى الدخول على الجزاء .

(٤) تفسير ابن جرير ١٨/٢٠ ، والثعلبي ١٣٦/٨ ب ، ومجاز القرآن ٩٦/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٢٧/٩ ، عن قتادة .

(٥) الحكم بن عتيبة ، أبو محمد الكندي ، مولا هم الكوفي ، من كبار علماء الكوفة من أقران النخعي ، ثقة ثبت ، فقيه ، وربما دلس ، روى عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وحديث عنه : الأعمش ، وشعبة ، والأوزاعي ، وغيرهم ، توفي سنة ١١٥ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء ٢٠٨/٥ ، وتقريب التهذيب ٢٦٢ .

(٦) وردت جملة : ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ ﴾ في موضعين في القرآن الكريم من سورة النمل : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ [النمل : ٨٢] ، و ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَظْفِقُونَ ﴾ . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٧٥٧ ، وذكر ابن جرير أن معنى ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ ﴾ : حق العذاب ، عن مجاهد ، وقتادة ، وابن جريج .

وقال مقاتل : نزل العذاب ^(١) ، وقال الكلبي : ووقع القول ^(٢) عليهم بالسَّخْطَة ^(٣) .

﴿يَمَاطِلُمُوا﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : بما أشركوا ^(٤) ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد أنه لم يكن عند القوم جواب ، وقال الكلبي : ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ بحجة عن أنفسهم ^(٥) ، وهذا معنى قول ابن عباس ، وقيل : ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ ؛ لأن أفواههم مختومة ^(٦) .

ثم احتج عليهم بقوله :

٨٦. ﴿الْمَرِيرُوا أَنَّا جَعَلْنَا أَلَيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ ؛ أي يبصر فيه ، كما يقال : ليل فلان نائم إذا نام ، ونهار فلان صائم إذا صام بالنهار ^(٧) ؛ وذلك أن الفعل لما كان يحصل في الظرف جاز أن يسند إليه ، كما قال :

فنام ليلى وتجلّى همي

ومعنى ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ لبيتغى فيه الرزق ، ﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ﴾ ؛ أي في ما جعلنا ﴿لَا يَنْتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

(١) تفسير مقاتل ٦٢ ب .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٣) تنوير المقباس : ٣٢٢ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ ب ، وتفسير الثعلبي ١٣٦/٨ ب ، ولم ينسبه .

(٥) تفسير ابن جرير ١٨/٢٠ ، ولفظه : (بحجة يدفعون بها عن أنفسهم) . وذكره الثعلبي ١٣٦/٨ ب ، ولم ينسبه .

(٦) تفسير الثعلبي ١٣٦/٨ ب ، ولم ينسبه .

(٧) مجاز القرآن ٩٦/٢ .

٨٧. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَجَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١). قال بعض النحويين: تقديره: واذكر يوم ينفخ في الصور فينفزع^(٢). والماضي هاهنا يراد به الاستقبال.

وقال الفرّاء: جعل: فعل مردوداً على: يَفْعَل؛ لأن المعنى: إذا نفخ في الصور فنفزع، ألا ترى أن قولك: أقوم يوم تقوم، كقولك: أقوم إذا تقوم، فأجبت بفعل؛ لأن فعل ويفعل تصلحان مع: إذا، فإن قلت: إذا قدرت هذا التقدير، فأين جواب إذا؟ قلت: قد يكون في فعل مضمر مع الواو، كأنه قيل: وذلك يقع يوم ينفخ في الصور، وإذا نفخ في الصور يعني وقوع القول عليهم، وإن شئت قلت: جوابه متروك كقوله: ﴿وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ﴾ [سبأ: ٥١]^(٣). وهذا كما ذكرنا في قوله: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ [النمل: ٨٣]. قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى^(٤).

(١) عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «قَرَن يُنْفَخ فيه». أخرجه الترمذي ٥٣٦/٤، كتاب: صفة القيامة، رقم ٢٤٣٠، وقال: حديث حسن، وأبو داود ١٠٧/٥، كتاب: السنة، رقم ٤٧٤٢، وهو في صحيح سنن أبي داود ٨٩٨/٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٢٢/٣.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٣٠١/٢، وذكره ابن جرير ٢٠/٢٠، ولم ينسبه.

(٤) تفسير الثعلبي ١٣٦/٨ ب، ولم ينسبه، ثم قال: وعلى هذا أكثر المفسرين. ونفخة الفزع هي النفخة الأولى، ثم بعد ذلك نفخة الصعق، وهو الموت، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين؛ فعلى هذا هي ثلاث نفخات، ذهب إلى هذا البغوي ١٨١/٦، وتبعه على ذلك ابن كثير ٢١٦/٦، والصواب - والله تعالى أعلم - أنها نفختان؛ الأولى: نفخة الفزع والصعق، والثانية: نفخة القيام لله تعالى، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، ورجح هذا القول القرطبي ٢٤٠/١٣، قال: الصحيح في النفخ في الصور أنها نفختان لا ثلاث، وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لا زمان لهما؛ أي فزعوا فزعاً ماتوا منه... والسنة الثابتة من حديث أبي هريرة وحديث عبدالله بن عمرو تدل على أنها نفختان لا ثلاث.

ويعني به حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «ما بين النفختين أربعون». قالوا: يا رسول الله، أربعون يوماً؟ قال: «أَيُّتُ». قال: أربعون سنة؟ قال: «أَيُّتُ»، قال: أربعون شهراً؟ قال: «أَيُّتُ» =

قوله : ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : فهات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من شدة الخوف والفرع^(١) . وفزع لا تكون في اللغة بمعنى مات ، ولكن قد يبلغ الفرع من الإنسان غايته حتى يموت فزعاً ، والدليل على أن المراد بالفزع هاهنا الموت بالفزع قوله عز وجل : ﴿وَيُفَيِّخُ فِي الْأُصُورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] ؛ أي مات .

قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ . قال ابن عباس : يريد : الشهداء لا يموتون ، فهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وروي ذلك عن النبي ﷺ مرفوعاً في حديث أبي هريرة^(٢) .

وقال الكلبي ومقاتل : يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت^(٣) .

وبيل كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه . أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، رقم ٤٨١٤ ، فتح الباري ٨ / ٥٥١ ، وأخرجه مسلم ٤ / ٢٢٧٠ ، كتاب : الفتن وأشرط الساعة ، رقم ٢٩٥٥ .

(١) تفسير مقاتل ٦٢ ب ، وتنوير المقياس ٣٢٢ .

(٢) يعني به حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سأل جبريل - عليه السلام - عن هذه الآية : ﴿وَيُفَيِّخُ فِي الْأُصُورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مَنْ الذين لم يشأ الله أن يصعقهم ؟ قال : «هم الشهداء متقلدون سيوفهم حول العرش» . أخرجه الواحدي في الوسيط ٣ / ٥٩٣ من طريق إسماعيل بن عياش ، عن عمر بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي هريرة يرفعه ، وأخرجه ابن جرير ١٨ / ٢٠ ، بسياق آخر مطولاً من طريق إسماعيل بن رافع ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة يرفعه ، ومن الطريق نفسه رواه الطبراني في الأحاديث الطوال ٢٦٦ ، رقم ٣٦ ، وأخرجه أيضاً ابن جرير ١٩ / ٢٠ من طريق إسماعيل بن رافع موقوفاً على أبي هريرة ، وأخرجه مطولاً من الطريق نفسه الثعلبي ٨ / ١٣٧ أ ، وصححه ، وقال عنه : حديث صحيح جامع . فمدار الحديث على إسماعيل بن رافع بن عويمر الأنصاري ، القاص ، وهو ضعيف الحفظ . تقريب التهذيب ١٣٩ ، رقم ٤٤٦ ، وقال الذهبي : ضعفه جداً ، وقال الدار قطني : متروك . المغني في الضعفاء للذهبي ١ / ١٣٢ ، فلعل الصواب وقف هذا الحديث على أبي هريرة ، كما أخرجه من طريق إسماعيل بن رافع موقوفاً على أبي هريرة ، ابن جرير ١٩ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٣٠ ، والله أعلم .

(٣) تفسير مقاتل ٦٢ ب ، وتنوير المقياس ٣٢٢ .

﴿وَكُلٌّ﴾ ؛ أي من الأحياء الذين ماتوا ثم أحيوا ﴿أَتَوْهُ﴾ يأتون الله يوم القيامة . وقرأ حمزة : ﴿أَتَوْهُ﴾^(١) على الفعل وهم فعلوه من الإتيان ، وحجته قوله : ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ﴾ [الزخرف : ٣٨] ، فذكر بلفظ الفعل . وحجة قراءة العامة قوله : ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم : ٩٥] ، فكما أن ﴿ءَاتِيهِ﴾ فاعله حمل على لفظ كل ، كذلك : ﴿أَتَوْهُ﴾ فاعله محمول على معنى كل^(٢) .

وقوله : ﴿دَخِرِينَ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : صاغرين^(٣) ، وذكرنا تفسيره عند قوله : ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل : ٤٨]^(٤) ، وقال مقاتل : يعني بكل : البر ، والفاجر ﴿أَتَوْهُ﴾ في الآخرة صاغرين^(٥) .

٨٨ . وقوله : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾^(٦) . قال مقاتل : تحسبها مكانها^(٧) . ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ حتى تقع على الأرض فتستوي بها^(٨) .

(١) قرأ حمزة وحفص عن عاصم : (أَتَوْهُ) مقصورة مفتوحة التاء ، وقرأ الباقر : (أَتَوْهُ) ممدودة مضمومة التاء على معنى : جاءوه ، وفي رواية أبي بكر عن عاصم كذلك مثل الباقرين . انظر السبعة في القراءات ٤٨٧ ، والحجة للقراء السبعة ٤٠٦/٥ ، والنشر في القراءات العشر ٣٣٩/٢ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٤٠٧/٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٠/٤ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق : ٢/٨٦ عن قتادة ، وأخرجه ابن جرير : ٢٠/٢٠ عن ابن عباس ، وفتادة ، وابن زيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم : ٩/٢٩٣٢ ، عن ابن عباس ، وابن زيد وقال : روي عن الحسن ، وفتادة والثوري مثل ذلك . مجاز القرآن : ٢/٩٦ .

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قوله تعالى : ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ : أي صاغرون ، وهذا لفظ المفسرين . يقال : دَخَرَ يَدْخُرُ دُخُورًا ؛ أي صَغَرَ يَصْغُرُ صَغَارًا ، وهو الذي يَفْعَلُ مَا تَأْمُرُهُ شَاءَ أَوْ أَبَى . قال الزَّجَّاج : هذه الأشياء مجبولة على الطاعة .

(٥) تفسير مقاتل ٦٢ ب .

(٦) قال النحاس : من رؤية العين ، ولو كانت من رؤية القلب لتعدت إلى مفعولين . إعراب القرآن ٢٢٣/٣ .

(٧) تفسير مقاتل ٦٢ ب . وأخرج ابن أبي حاتم ٢٩٣٣/٩ عن ابن عباس : قائمة ، وعن قتادة : تحسبها ثابتة في أصولها لا تحرك وقال الهواري ٢٦٨/٣ : ساكنة .

(٨) تفسير الثعلبي ١٣٨/٨ .

وقال ابن عباس : حتى تكون لا شيء ، مثل قوله : ﴿وَسَيَرَبِ الْجِبَالِ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا : ٢٠] ^(١) .

قال عبدالله بن مسلم في هذه الآية : يريد أنها تجمع وتُسَيَّر ، فهي لكثرتها كأنها ﴿جَامِدَةٌ﴾ واقفة في رأي العين ، وهي تسير سير السحاب ، وكذلك كل جمع كثير

(١) ذكر البخاري عن ابن عباس معلقاً بصيغة الجزم : ﴿جَامِدَةٌ﴾ قائمة ، ووصله ابن جرير ٢٠ / ٢١ من طريق علي بن أبي طلحة . قال ابن كثير ٦ / ٢١٧ : أي تزول عن أماكنها ، كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۚ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور : ٩ ، ١٠] ، وقال تعالى : ﴿وَيَتَلَوْنَكَ عَنْ الْجِبَالِ فَعَلَّ يَبْسُفُهَا رَبِّي دَسْفًا ۚ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۚ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه : ١٠٥ - ١٠٧] . وجمع القرطبي ١٣ / ٢٤٢ الآيات الواردة في شأن الجبال وزوالها ، وجعلها تمر بسة أحوال ، وصدر ذكرها بقوله : ويقال : إن الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها إلى تفريغ الأرض منها ، وإبراز ما كانت تواريه .

قال الشنقيطي : بعض الناس زعم أن قوله تعالى : ﴿وَرَى الْجِبَالُ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ يدل على أن الجبال الآن في دار الدنيا يحسبها رائيها جامدة ؛ أي واقفة ساكنة غير متحركة ، وهي تمر مر السحاب ، ثم نقض هذا القول من وجهين ؛ الأول : وجود القرينة الدالة على عدم صحته ، وهو قوله تعالى : ﴿وَرَى الْجِبَالُ﴾ معطوف على قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُفْعَخُ فِي الصُّورِ فَيَفْزَعُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل : ٨٧] ؛ أي ويوم ينفخ في الصور فيفزع من في السموات ، وترى الجبال . فدللت هذه القرينة القرآنية الواضحة على أن مر الجبال مر السحاب كائن يوم ينفخ في الصور لا الآن . الثاني : إن جميع الآيات التي فيها حركة الجبال كلها في يوم القيامة . أضواء البيان ٦ / ٤٤٢ .

وذكر الألوسي عن بعض علماء الفلك - ولم يسمه - أن هذا صفة للجبال في الدنيا ، وذكر وجوهاً عدةً يتمتع بها حمل الآية على أن ذلك في يوم القيامة ، ثم ذكر كلام المرجاني في مقدمة كتابه : وفيه الأسلاف ، وتحية الأخلاف ، ذكر أن هذه الآية صريحة في دلالتها على حركة الأرض ومرور الجبال معها ، وأنه لا يمكن حمل الآية على أن ذلك يقع في النشأة الآخرة ، وذكر أدلة لفظية وسياقية في الآية تدل على ذلك ، ولم يعترض عليه الألوسي . روح المعاني ١٣ / ٨٩ - ٩٢ ، ومن ذهب إلى هذا القول واختاره ابن عاشور ٢٠ / ٤٨ ؛ حيث قال : وليس في كلام المفسرين شفاء لبيان اختصاص هذه الآية بأن الرائي يحسب الجبال جامدة ، ولا بيان وجه تشبيه سيرها بسير السحاب ، ولا توجيه التذييل بقوله تعالى : ﴿سَمِعَ اللَّهُ أَلْذَى أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ؛ فلذلك كان لهذه الآية وضع دقيق ، ومعنى بالتأمل خليق . . . ثم ذكر معنى الآية على هذا القول ، وفصله تفصيلاً حسناً . ولا مانع من حمل الآية على المعنيين ؛ إذ لا تعارض بينهما ، والله أعلم .

يقصر عنه البصر ، كأنه في حسابان الناظر واقف ، وهو يسير ، وإلى هذا المعنى ذهب الجعدي في وصف جيش ، فقال :

بَارِعَنَ مِثْلَ الطُّودِ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ وَقُوفٌ لِحَاجٍ وَالرَّكَّابُ تُهْمَلُجُ^(١)
 وقوله : ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ . قال الزَّجَّاجُ : هو نصب على المصدر ؛ لأن قوله :
 ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ دليل على الصنعة ، كأنه قيل : صَنَعَ
 الله ذلك صُنْعاً^(٢) .

وقال غيره : هو نصب على الإغراء ، على معنى : وأبصروا وانظروا ﴿صُنِعَ اللَّهُ
 الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٣) . قال ابن عباس : أتقن ما خلق^(٤) .

(١) تأويل مشكل القرآن ٦ ، وذكر الثعلبي ١٣٨ / ٨ ب قول ابن قتيبة ، وصدَّره بقوله : قال القتيبي ،
 ويظهر أن الواحدي نقل قول ابن قتيبة من الثعلبي لتطابق الكلام ، ومن مواضع الاختلاف بين
 ما في كتاب ابن قتيبة ، وما نقله عنه الثعلبي ، قوله : وكل جيش غص الفضاء به لكثرتة ، ويُعد ما
 بين أطرافه ، فقصر عنه البصر ، فكأنه في حُسابان الناظر واقف وهو يسير . وأنشد البيت ابن جرير
 ٢١ / ٢٠ . وفي الحاشية : الأرعن يريد به الجيش العظيم ، شبهه بالجبل الضخم ذي الرعان ، والرعن :
 الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً ، وقيل : الأرعن : المضطرب لكثرتة ، والطود : الجبل العظيم ،
 والحاج : جمع حاجة ، وتهملج : تمشي الهملجة ، والهملجة : سير حسن في سرعة . والبيت شاهد على
 أن الشيء الضخم تراه وهو يتحرك فتحسبه ساكناً ، مع أنه مسرع في سيره جداً . والبيت في ديوان
 الجعدي ١٨٧ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٣٠ / ٤ ، وهو قول المبرد في المقتضب ٢٠٣ / ٣ ، وأبي علي في المسائل الحلييات
 ٣٠٣ ، ونسبه النحاس إلى الخليل وسيبويه في إعراب القرآن ٢٢٤ / ٣ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٢٤ / ٣ ، وتفسير الثعلبي ١٣٨ / ٨ ب ، ولم ينسبها .

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١ / ٢٠ من طريقين بلفظ : (أحكم كل شيء) ، و : (أحسن كل شيء خلقه
 وأوثقه) . وباللفظين رواه ابن أبي حاتم ٢٩٣٣ / ٩ ، ٢٩٣٤ ، وقال : روي عن الحسن وعطاء
 والثوري مثل ذلك ، ورواه عن الحسن عبدالرزاق ٨٦ / ٢ .

وقال مجاهد : أترص^(١) وأبرم وأحكم وأحسن . كل هذه الألفاظ مروية عنه^(٢) .

وقال الكلبي والسدي ومقاتل : أحسن^(٣) .

ومعنى الإتقان في اللغة : الإحكام للأشياء . قال الفراء : يقال رجل تقن : حاذق بالأشياء ، ويقال : الفصاحة من تقنه ؛ أي من سوسه^(٤) .

قال الأزهري : الأصل في هذا : ابن تقن ، وهو رجل من عاد ، لم يكن يسقط له سهم^(٥) ، وفيه قيل :

لأَكْلَةٍ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ أَلَيْنُ مَسًّا فِي حَوَايا الْبَطْنِ
مَنْ يَثْرِبِيَاتٍ قِذَاذٍ خَشْنٍ يرمى بها أَرْمَى مِنْ ابْنِ تِقْنٍ^(٦)

[ثم قيل لكل حاذق بالأشياء : تقن ، ومنه يقال : أتقن فلان عمله ، إذا أحكمه .]^(٧)

(١) هكذا في نسخة (أ) و(ب) ، وفي نسخة (ج) : (فرض) . ومعنى : أترص : أحكم وقوم . مجمل اللغة ١٤٦/١ ، واللسان (ترص) ١٠/٧ .

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٠/٢١ بلفظ : (أوثق كل شيء وسوى) ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/٢٩٣٤ بلفظ : (أبرم كل شيء) . وفي تفسير مجاهد ٢/٤٧٦ : أترص كل شيء ؛ أي أحسن وأبرم .

(٣) تفسير الهواري ٣/٢٦٩ ، ولم ينسبه . ولفظ مقاتل ٦٢ ب : (أحكم) ، وكذا في تنوير المقباس ٣٢٢ .

(٤) ذكره عنه الأزهري في تهذيب اللغة (تقن) ٩/٦٠ ، ولم أجده عند الفراء في تفسير هذه الآية .

(٥) تهذيب اللغة (تقن) ٩/٦٠ ، ونسبه إلى ابن السكيت ، ثم قال الأزهري بعد ذلك : الأصل في التقن : ابن تقن هذا ، ثم قيل لكل حاذق في عمل يعمله ، عالم بأمره : تقن ، ومنه يقال : أتقن فلان أمره ، إذا أحكمه .

(٦) أنشده الأزهري عن ابن السكيت ، ولم ينسبه . تهذيب اللغة (تقن) ٩/٦٠ ، وهو في اللسان ١٣/٧٣ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) ، وهو في تهذيب اللغة (تقن) ٩/٦٠ .

قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد بما يفعل أولياؤه وبما يفعل أعداؤه . وقُرئ : ﴿يَفْعَلُونَ﴾ بالياء والتاء^(١) ؛ [فمن قرأ بالتاء]^(٢) فلأن ذكر الغيبة قد تقدّم في قوله : ﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ ذَخِيرَةٍ﴾ ، ومن قرأ بالتاء فهو خطاب للكافة ، وقد يدخل الغيب في الخطاب ، ولا يدخل الخطاب في الغيب^(٣) .

٨٩ . قوله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ . قال ابن عباس : يريد : شهادة أن لا إله إلا الله ، وهو قول ابن مسعود وسفيان ومجاهد وأبي مجلز وأبي صالح والحسن والسدي ومقاتل وإبراهيم وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء ، كلهم قالوا : الحسنة : كلمة الإخلاص ؛ شهادة أن لا إله إلا الله^(٤) .

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالياء ، وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي بالتاء . انظر السبعة في القراءات ٤٨٧ ، والحجة للقراء السبعة ٤٠٧/٥ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٤٠٨/٥ ، ومعاني القراءات للأزهري ٢٤٨/٢ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ ب . وأخرجه عبدالرزاق ٨٦/٢ عن الحسن ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/٢٢ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء ، وإبراهيم النخعي ، وعكرمة ، وأخرجه عنهم كذلك ابن أبي حاتم ٩٤/٢٩٣ ، وتفسير مجاهد ٢/٤٧٦ ، وتفسير الثعلبي ٨/١٣٨ ب . وأخرجه الحاكم عن عبدالله بن مسعود . المستدرک ٢/٤٤١ ، رقم ٣٥٢٨ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وأما الهواري فقد زاد على ذلك : وعمل صالحاً وعمل جميع الفرائض . تفسير الهواري ٣/٢٦٩ ، وهذا بناءً على مذهبه الإباضي ، ولذا لما ذكر حديث جابر بن عبدالله في صحيح مسلم ١/٩٤ : كتاب : الإبان ، رقم ٩٤ ، «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» ورد عنده بهذا اللفظ : «من مات لا يشرك بالله شيئاً وعمل بفرائض الله دخل الجنة» . ويشهد لدخول الجنة لمن حقق التوحيد حتى لو كان متلبساً ببعض المعاصي حديث أبي ذرّ . عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قُلْتُ : وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى ؟ قَالَ : وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى» . أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، رقم ٧٤٨٧ ، فتح الباري ١٣/٤٦١ ، ومسلم ١/٩٤ ، كتاب : الإبان ، رقم ٩٤ ، وانظر : تعليق محقق تفسير الهواري ١/٣٨٨ ، فصاحب الكبيرة أمره إلى الله تعالى ، إن شاء غفر له ، وعفا عنه ، وإن شاء عذبه على قدر ذنوبه ، لكنه لا يخلد في النار ، والله أعلم .

والمعنى : من وافى يوم القيامة بالإيمان^(١) ، وكلمة الإخلاص ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ .
والخير يحتمل الاسم من غير تفضيل ، ويحتمل التفضيل إذا قلت : خير من كذا .
والمذهبان في الآية رُويَا عن المفسرين ، والأكثر على أنه اسم من غير تفضيل .

قال ابن عباس : يريد : فله منها خير^(٢) ، وهو : الجنة^(٣) .

وقال مقاتل : فيها تقديم ، يقول : له منها خير^(٤) .

قال ابن عباس : أي فمناها يصل إليه الخير^(٥) .

وقال الحسن مثل قول مقاتل^(٦) .

وقال عكرمة وابن جريج : ليس شيء خيراً من : لا إله إلا الله ، ولكن له منها
خير^(٧) ، والمعنى على هذا القول : له من تلك الحسننة خير يوم القيامة ، وهو :
الثواب والأمن من العذاب والجنة^(٨) ، فهذا أحد المذهبين .

والمذهب الآخر : إن خير أيراده التفضيل . روي عن ابن عباس : ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾
يعني الثواب ؛ لأن الطاعة : فعل العبد ، والثواب : فعل الله سبحانه وتعالى .

(١) تفسير الثعلبي ٨ / ١٣٨ ب .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٣٥ .

(٣) ويشهد لهذا حديث جابر رضي الله عنه ، قال : أتى النبي ﷺ رجل فقال : يا رسول الله ، ما الموجبتان ؟
فقال : «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار» . أخرجه
مسلم ١ / ٩٤ ، كتاب : الإيمان ، رقم ٩٣ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ ب ، وهو مذهب الهواري ٣ / ٢٦٩ .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ٢٣ .

(٦) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ٢٣ ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٣٩ أ .

(٧) أخرجه عنها ابن جرير ٢٠ / ٢٣ .

(٨) (والجنة) . في نسخة (ج) .

وقيل : ﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ يعني رضوان الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة : ٧٢] .

وقال القرظي وابن زيد : ﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ يعني الأضعاف يعطيه الله بالواحدة عشرًا فصاعداً ، وهذا خير منها ، وعلى هذا الذي قالوا ، يجب أن يكون تفسير الحسنة : الفعلة الحسنة من صلاة وصدقة وتسبيحة ، فيضعفها الله تعالى حتى تكتب أضعاف ما عمل ، فيكون الإضعاف خيراً مما عمل .

قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ : قرئ بالإضافة ، وبالتنوين في ﴿ فَرْعٍ ﴾ ^(١) . واختار أبو عبيد الإضافة ، قال : لأنه أعم التأويلين ، وهو أن يكون الأمن من جميع فرع ذلك اليوم . وإذا قال : ﴿ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ ﴾ صار كأنه فرع دون فرع . واختار الفراء الإضافة أيضاً ، قال : لأنه فرع معلوم ، ألا ترى أنه قال : ﴿ لَا يَخْزِيهِمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] فصيرَه معرفة ، وإذا أضفته كان معرفة ، فهو أعجب إليَّ ^(٢) .

قال أبو علي : إذا نون ﴿ فَرْعٍ ﴾ يجوز أن يُعنى به : فرع واحد ، ويجوز أن يُعنى به : كثرة ؛ لأنه مصدر ، والمصادر تدل على الكثرة ، وإن كانت منفردة الألفاظ ، كقوله : ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصَوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان : ١٩] ، وكذلك إذا أضاف يجوز أن يُعنى به : مفرد ^(٣) ، ويجوز أن يُعنى به : كثرة ^(٤) ؛ وعلى هذا : القراءتان سواء لا فضل بينهما . قال : ومن نَوَّن قوله : ﴿ مِّنْ فَرْعٍ ﴾ كان في انتصاب يوم ثلاثة أوجه ؛

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر : ﴿ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ ﴾ بالإضافة ، وقرأ عاصم وحمة والكسائي : ﴿ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ ﴾ بالتنوين . انظر السبعة في القراءات ٤٨٧ ، والحجة للقراء السبعة ٤٠٨/٥ ، والنشر في القراءات العشر ٣٤٠/٢ .

(٢) معاني القرآن للقراء ٣٠١/٢ ، وهو اختيار ابن جرير ٢٣/٢٠ .

(٣) في نسخة (أ) و(ب) : (منفرد) .

(٤) الحجة للقراء السبعة ٤٠٩/٥ .

أحدها : أن يكون منتصباً بالمصدر ، كأنه : وهم من أن يفزعوا يومئذٍ ، والآخر : أن يكون صفة لفزع ؛ لأن أسماء الأحداث توصف بأسماء الأزمان ، كما يخبر عنها بها ، وفيه ذكر للموصوف ، وتقديره في هذا الوجه أن يتعلق بمحذوف ، كأنه : من فزع يحدث يومئذٍ ، والثالث : أن يتعلق باسم الفاعل كأنه : آمنون يومئذٍ من فزع . وأمّا القول في إعراب (يوم) ، وبنائه إذا أضيف إلى (إذ) ، فقد ذكرناه في ما تقدّم^(١) .

فأمّا تفسير الفزع في هذه الآية فإن أريد به الكثرة فهو شامل لكل فزع ، وهو الأولى ، وإن أريد به واحد فتفسيره ما ذكرنا في قوله : ﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] .

وقال الكلبي عن ابن عباس في هذه الآية : إذا أطبقت النار على أهلها فزع أهل النار فزعة لم يفزعوا مثلها ، وأهل الجنة آمنون من فزعهم^(٢) .

٩٠ . وقوله : ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ : كلهم قالوا : يعني الشرك^(٣) . ﴿فَكُتِبَتْ جُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ . قال الكلبي : أُلْقِيَتْ^(٤) ، وقال الضحاك : طرحت ،

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٠٩ ، رجعت إلى كلام الواحدي في البسيط في أكثر المواضع المتقدمة التي وردت فيها كلمة : ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ، فلم أجده فيحتمل أن يكون ذكر ذلك في سورة النساء ، الآية رقم : ٤٢ ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، وهو من القسم المفقود كما أفاد محقق سورة النساء د . المحميد . وأمّا إعرابها ، فيوم : ظرف زمان منصوب ، وإذ : اسم ظرفي في محل جر مضاف إليه ، والتونين تونين العوض عن جملة محذوفة . الجدول في إعراب القرآن ٢/ ٣٦٦ .

(٢) تنوير المقباس : ٣٢٢ بنحوه .

(٣) تفسير مقاتل ٦٢ ب ، والثعلبي ٨/ ١٣٩ أ . وسبق ذكر من قال به عند تفسير الحسنه ، بقول : لا إله إلا الله .

(٤) ذكره الثعلبي ٨/ ١٣٩ أ عن ابن عباس . وفي تنوير المقباس : ٣٢٢ بلفظ : (قلبت) .

وقال أبو العالية : قلبت ^(١) . يقال : كَبَبْتُ الإِنَاءَ إِذَا قَلَبْتَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَكَبَبْتُ الرَّجُلَ إِذَا أَلْقَيْتَهُ لَوَجْهِهِ فَانْكَبَ ، وَأَكْبَبْتُ إِذَا انْتَكَسَ ^(٢) .

[قوله : ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ ﴾ ؛ أي وقيل لهم : هل تجزون ؟ قال مقاتل : تقول لهم خزنة جهنم :] ^(٣) ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ ﴾ ؛ أي إلا جزاء ما كنتم ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا من الشرك ، قاله ابن عباس والكلبي ^(٤) .

٩١ . وقوله : ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا ﴾ : كأنه قيل للنبي ﷺ : قل للمشركين : ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : يريد مكة ^(٥) ، ﴿ الَّتِي حَرَّمَهَا ﴾ جعلها حرماً آمناً من القتل فيها والسبي والظلم ، فلا يصاد صيدها ، ولا يَحْتَلَى خِلاَهَا ^(٦) ، وَحَدُّ مَا حُرِّمَ مِنْ أَرْضِ مَكَّةَ مَعْلُومٌ بِالْأَمْيَالِ حَوْلَهُ وَالْعَلَامَاتِ ، وَذَلِكَ الْقَدَرُ يَحْرِمُ صَيْدَهُ وَكَسْرَ أَشْجَارِهِ وَقَلْعَهَا وَخَبْطَهَا ، وَلَكِنْ تَحْشَى حَشّاً رَقِيقاً ، وَكَذَلِكَ حَرَمُ الْمَدِينَةِ كَحَرَمِ مَكَّةَ ^(٧) .

(١) ذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٣٩ أ .

(٢) قال الأصمعي : كَبَّ الرَّجُلُ إِذَا نَاءَهُ يَكْبُهُ كَبّاً ، وَأَكْبَبَ الرَّجُلُ يُكْبِبُ إِكْبَاباً ، إِذَا مَا نَكَسَ . تهذيب اللغة (تقن) ٩/ ٤٦٢ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ ب . وذكره ابن جرير ٢٠/ ٢٤ ، ولم ينسبه . وهو في تنوير المقباس ٣٢٢ بلفظ : (تعملون في الدنيا يا محمد) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٣٦ عن ابن عباس ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ٢٤ عن قتادة . وتفسير مقاتل ٦٢ ب . وذكره الهواري ٣/ ٢٦٩ ، ولم ينسبه . وتفسير الثعلبي ٨/ ١٣٩ أ .

(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٩ ب .

(٧) الدليل على هذا التحريم حديث عبدالله بن عباس - رضي الله تعالى عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال يوم افتتح مكة : « لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا ، فإن هذا بلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض ، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعصده شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلي خلأها » . قال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم =

وكذلك وَجَّ الطائف في تحريم الصيد، وتحريم كسر الأشجار^(١)، إلا أن

وليبوتهم . قال : قال : «إلا الإذخر» . أخرجه البخاري ، كتاب : جزاء الصيد ، رقم ١٨٣٤ ، فتح الباري ٤/ ٤٦ ، ومسلم ٢/ ٩٨٦ ، كتاب : الحج ، رقم ١٣٥٣ .
وتحريم المدينة دليله حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : «أن إبراهيم حرم مكة ودعا لها وحرمت المدينة ، كما حرم إبراهيم مكة ، ودعوت لها في مدها وصاعها ، مثل مادعا إبراهيم - عليه السلام - لمكة» . أخرجه البخاري ، كتاب : البيوع ، رقم ٢١٢٩ ، فتح الباري ٤/ ٣٤٦ ، ومسلم ٢/ ٩٩١ ، كتاب : الحج ، رقم ١٣٦١ .

(١) وَجَّ : قيل : هي بلد بالطائف ، وقيل : هي الطائف . تهذيب اللغة (وجج) ١١/ ٢٣٧ ، ولسان العرب ٢/ ٣٩٧ ، ومعجم البلدان ٤/ ١٠ ، هكذا ضُبَط بفتح الواو ، وأما أهل الطائف فينطقونه بالكسر ، وهو وادي الطائف الرئيس ، وقد عُمر اليوم جانباه بأحياء من مدينة الطائف ، فإذا تجاوز الطائف كانت عليه قرى ومزارع كثيرة ، وأما سكانه ففي أعلاه هذيل ، وعند الطائف الأشراف ذوو غالب .
معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ٣٣١ .

ما ذكره الواحدي واقتصر عليه من تحريم الصيد ، وكسر الأشجار في وادي وج ، هو مشهور مذهب الشافعية . قال الشيرازي : يحرم صيد وج ؛ وهو وادٍ بالطائف . لما روي أن النبي ﷺ نهى عن قتل صيد وج ، فإن قتل فيه صيداً لم يضمنه بالجزاء ؛ لأن الجزاء وجب بالشرع ، والشرع لم يرد إلا في الإحرام والحرم . المذهب مع المجموع النووي ٧/ ٤٠٤ ، قال النووي : وقال الشافعي في الإماء : أكره صيد وج ، وللاصحاب فيه طريقان ؛ أحدهما عندهم القطع بتحريمه ، والثاني يكرهه . المجموع ٧/ ٤٠٨ ، قال شيخ الإسلام : وج : وادٍ بالطائف ، فإن هذا روي فيه حديث ، رواه أحمد في المسند ، وليس في الصحاح ، وهذا حرم عند الشافعي ؛ لاعتقاده صحة الحديث ، وليس حراماً عند أكثر العلماء ، وأحمد ضَعَّف الحديث المروي فيه فلم يأخذ به . مجموع الفتاوى ٢٧/ ١٥ .

والحديث الوارد فيه هو حديث الزبير بن العوام ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إن صيد وَجَّ ، وعِصَاهُ حَرَمٌ مُحَرَّمٌ لله ، وذلك قبل نزوله وحصاره الطائف» . أخرجه الإمام أحمد ٣/ ١٠ ، رقم ١٤١٦ ، تحقيق : أحمد شاكر ، وأخرجه من الطريق نفسه أبو داود ٢/ ٥٢٨ ، كتاب : المناسك ، رقم ٢٠٣٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٢٠٠ ، وضعَّف إسناده محققو المسند ، ط . الرسالة ٣/ ٣٢ ؛ لضعف محمد بن عبدالله بن إنسان ، وضعَّفَه أيضاً الألباني . ضعيف سنن أبي داود ١٩٨ ، رقم ٤٤١ .

قال ابن القطان عن هذا الحديث : هو حديث لا يصح ؛ فإنه من رواية محمد بن عبدالله بن إنسان عن أبيه عن عروة ، ومحمد بن عبدالله بن إنسان ، قال فيه أبو حاتم : ليس بالقوي ، في حديثه نظر ، وذكر له البخاري هذا الحديث ، وقال : لا يُتابع عليه . وذكر ابن أبي خيثمة عن ابن معين ، قال : ليس به بأس ، فأما أبوه عبدالله بن إنسان فلا يعرف روى عنه غير ابنه محمد . قال البخاري : لا يصح حديثه .
ومن ضَعَّف الحديث النووي في المجموع ٧/ ٤٠٥ ، وابن حجر في التلخيص الحبير ٢/ ٢٨٠ .

الصيد في حرم مكة مضمون بالجزاء ، وفي الحرمين الآخرين غير^(١) مضمون بالجزاء^(٢) .

وقوله : ﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ ؛ لأنه خالقه ومالكه . ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ . قال ابن عباس : من الموحد^(٣)ين .

وقال مقاتل : ﴿ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ من المخلصين لله بالتوحيد^(٤) .

٩٢ . وقوله : ﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ﴾ : يعني تلاوة الدعوة إلى الإيمان . قال ابن عباس : يريد قراءته عليهم^(٥) .

وقال مقاتل : وأمرت ﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ﴾ عليكم يا أهل مكة^(٦) .

﴿ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ ﴾ : له ثواب اهتدائه ، ﴿ وَمَنْ ضَلَّ ﴾ عن الإيمان بالقرآن^(٧) ، [وأخطأ طريق الهدى^(٨)] ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ ؛ أي من المخوفين بالقرآن^(٩) فليس عليّ إلا البلاغ .

ومع ذلك فقد صحّ الحديث الشيخ أحمد شاكراً في تحقيقه للمسند ؛ لذكر ابن حبان لمحمد بن عبدالله بن إنسان الثقفي ، في الثقات . وهذا لا يكفي ؛ فإن ابن حبان من المتساهلين في التوثيق ، كما هو معروف عند أهل العلم ، إضافة إلى أن محمد قد تكلم فيه الحفاظ ، ولم يوجد للحديث متابعات تشهد له ، والله أعلم .

(١) (غير) في نسخة (ج) .

(٢) (بالجزاء) في نسخة (أ) و(ب) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٣٦/٩ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٢ ب .

(٥) تنوير المقباس : ٣٢٢ .

(٦) تفسير مقاتل ٦٢ ب .

(٧) تفسير مقاتل ٦٢ ب .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٣٦/٩ عن مقاتل بن حيان : ﴿ وَمَنْ ضَلَّ ﴾ يقول : أخطأ .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

قال المفسرون : كان هذا قبل أن أمر بالقتال^(١) .

٩٣ . قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ أَيُّ احْمَدَهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ .

﴿ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ۚ ﴾ . قال الكلبي : وقد أراهم إياها ، وكان منها الدخان وانشقاق القمر^(٢) .

(١) تفسير الثعلبي ١٣٩/٨ ب ، وفيه : (نسختها آية القتال) ، وهذا ليس بصواب ، بل الآية محكمة يعمل بها في أوقاتها المناسبة ، وقد سبق بيان نظير هذه الآية في سورة الفرقان : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ۚ ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

(٢) تنوير المقباس : ٣٢٢ بلفظ : (علامات وحدانيته وقدرته بالعذاب يوم بدر) . ذهب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إلى أن الدخان قد مضى ووقع لأهل مكة ، عن مسروق قال : بينما رجل يحدث في كنسلة ، فقال : يحيى دخان يوم القيامة فيأخذ بأسباع المنافقين وأبصارهم ، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ، ففرعنا فأثبت ابن مسعود وكان متكئاً ، فغضب فجلس ، فقال : من علم فليقل ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم : لا أعلم ، فإن الله قال لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص : ٨٦] ، وإن قريشاً أبطؤوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ ، فقال : اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها ، وأكلوا الميتة والعظام ، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان ، فجاءه أبو سفيان فقال : يا محمد جئت تأمرنا بصلوة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله ، فقرأ : ﴿ فَأَرْقُبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَالِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٠ ، ١٥] أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ؟ ثم عادوا إلى كفرهم فذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ [الدخان : ١٦] يوم بدر ، و﴿ لِرَأْمَا ﴾ [الفرقان : ٧٧] يوم بدر ﴿ أَلَمْ ۖ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴾ إلى ﴿ سَاقِلُونَ ﴾ [الروم : ٣] ، والروم قد مضى . أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، رقم ٤٧٧٤ ، فتح الباري ٥١١/٨ ، ومسلم ٢١٥٥/٤ ، كتاب : صفات المنافقين ، رقم ٢٧٩٨ ، قال ابن كثير ٢٤٧/٦ : وقد وافق ابن مسعود على تفسير الآية بهذا ، وأن الدخان مضى ، جماعة من السلف ، كمجاهد ، وأبي العالية ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، وعطية العوفي ، وهو اختيار ابن جرير ، وقال آخرون : لم يمضِ الدخان بعد ، بل هو من أمارات الساعة ، ثم ساق الأحاديث الواردة في ذلك ، ورجح ابن كثير هذا القول ، وقال : وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن ، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين ، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما ، التي أوردناها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة ، مع أنه ظاهر القرآن .

وأما انشقاق القمر فإنه أمر قد وقع . قال ابن كثير ٤٧٢/٦ : قوله : ﴿ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] =

وقال مجاهد: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ في أنفسكم وفي السماء والأرض والرزق^(١).

وقال مقاتل: يعني العذاب في الدنيا، والقتل ببدر^(٢)، كقوله في سورة [الأنبياء: ٣٧]: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾^(٣) وهذا القول يجب أن يكون الصحيح؛ لأنه قال: ﴿فَنَعْرِفُونَهَا﴾، [وقد أراهم تلك الآيات التي ذكرها الكلبي ومجاهد، فلم يعرفوها]^(٤)، ولم يقرؤا بها^(٥).

وقوله: ﴿وَمَارَبُّكَ يُغَفِّلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم.

قال مقاتل: فعذبهم الله بالقتل ببدر، وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار^(٦). وقرئ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء^(٧)؛ فالتاء للخطاب؛ لأن قبله ﴿سَيُرِيكُمْ﴾، والياء؛ لأنه وعيد للمشركين^(٨).

قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وهو أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمن النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات. ثم ساق الأحاديث في ذلك، ومنها حديث أنس بن مالك أن أهل مكة سألو رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين، حتى رأوا جراً بينهما. أخرجه البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، رقم ٣٨٦٨، فتح الباري ٧/ ١٨٢، وعن أنس أيضاً أن ذلك وقع مرتين. أخرجه مسلم ٢١٥٩/ ٤، كتاب: صفات المنافقين، رقم ٢٨٠٢.

(١) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ٢٦، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٣٧، وتفسير مجاهد ٢/ ٤٧٦، وذكره الثعلبي ٨/ ١٣٩ ب.

(٢) تفسير مقاتل ٦٢ ب.

(٣) تفسير الثعلبي ٨/ ١٣٩ ب.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج).

(٥) جعل الهواري ٣/ ٢٦٠ ذلك في يوم القيامة؛ أي الوعد والوعيد، ولا مانع من حل الآية على العموم، والله أعلم.

(٦) تفسير مقاتل ٦٣ أ.

(٧) قرأ عاصم في رواية حفص ونافع وابن عامر بالتاء، وقرأ الباقر بالياء. انظر السبعة في القراءات ٤٨٨، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤١٠، والنشر في القراءات العشر: ٢/ ٢٦٣.

(٨) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤١٠.

تفسير

سورة القصص (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢-١ . ﴿طَسَمَ ١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ : قد تقدّم ما ذكر في هذا (٢) ،
و﴿الْمُبِينِ﴾ يجوز أن يكون من : أبان إذا أظهر ، ومن بان : إذا ظهر .

قال قتادة في هذه الآية : (مبين) والله بركته وهده ورشده (٣) .

وقال مقاتل : بين ما فيه (٤) . وهذا من أبان المطاوع .

وقال أبو إسحاق : (مبين) الحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، ومبين
قصص الأنبياء (٥) . وهذا من أبان الواقع .

(١) سورة القصص مكية ، وعدد آياتها ثمان وثمانون آية . تفسير الثعلبي ١٣٩ / ٨ ب . وقد أورد الواحدي في كتابه الوسيط ٣ / ٣٨٩ ، في صدر هذه السورة ، حديث أبي بن كعب في فضائل السور ، وهو حديث موضوع ، سبق الحديث عنه في أول سورة الفرقان . وقد تبع الواحدي في ذلك الثعلبي ١٣٩ / ٨ ب .

(٢) في أول سورة الشعراء .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ٢٦ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٣ أ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٣١ .

٣. ﴿تَتْلُوا عَلَيْكُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد : نوحى إليك ﴿مِنْ نَّبَأٍ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾ ؛ أى من خبرهما وحديثهما ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذى لا ريب فيه ، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بالقرآن^(١) . يعنى أن^(٢) صدق هذا الكتاب لمن آمن به وصدقه ، فأما من لم يؤمن به^(٣) فليس عنده بحق .

٤. قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ . قال الليث : العلو : العظمة والتجبر ، يقال : علا الملك علواً إذا تجبر^(٤) ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾^(٥) [الفصص : ٨٣] . قال المفسرون : استكبر وتجبر وبغى وتعظم وطغى ، كل هذا من ألفاظهم^(٦) .

وقوله : ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ يعنى : أرض مصر^(٧) . ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ يعنى : أحزاباً وفرقاً^(٨) ، كقوله : ﴿أَوْ يَلِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام : ٦٥] ، وقد مر^(٩) ، والمعنى :

-
- (١) تفسير مقاتل ٦٣ أ .
 (٢) حرف (أن) ساقط من نسخة (ج) .
 (٣) (به) في نسخة (ج) .
 (٤) في نسخة (ب) : (إذا تكبر وتجبر) .
 (٥) كتاب العين (علو) ٢ / ٢٤٥ بنحوه .
 (٦) تفسير مقاتل ٦٣ أ بلفظ : (تعظم) ، وابن جرير بلفظ : (تجبر) . تاريخ الطبري ١ / ٣٨٨ ، وأخرجه في التفسير ٢٠ / ٢٧ عن السدي بلفظ : (تجبر في الأرض) ، وعن قتادة بلفظ : (بغى في الأرض) . وذكره الثعلبي ٨ / ١٣٩ ب عن ابن عباس بلفظ : (استكبر) ، وعن السدي بلفظ : (تجبر) .
 (٧) تفسير الثعلبي ٨ / ١٣٩ ب ، ولم ينسبه .
 (٨) تفسير مقاتل ٦٣ أ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٩٧ ؛ أي فرق بني إسرائيل فجعلهم خولاً للقيط . وضح البرهان ٢ / ١٤٥ ، وأخرج ابن جرير ٢٠ / ٢٧ نحوه عن قتادة . خولاً : عبيداً . تهذيب اللغة (خال) ٧ / ٥٦٤ .
 (٩) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : الشيع : جمع شيعة ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، والجمع : شيع وأشيع ، قال الله عز وجل : ﴿كَأَفْعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾ [سبا : ٥٤] ، وأصله من الشيع وهو التبع ، ومعنى الشيعة : الذين يتبع بعضهم بعضاً .

جعلهم فرقاً وأصنافاً في الخدمة^(١)، والتسخير^(٢) ﴿يَسْتَزِعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ .
قال ابن عباس : وهم أسباط النبوة ، يعني : بني إسرائيل^(٣) .

ثم فسّر ذلك الاستضعاف ، فقال : ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ . قال
المفسرون : يقتل أبناءهم ، ويترك بناتهم فلا يقتلن^(٤) ؛ وذلك لأن بعض الكهنة
قال له : إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك^(٥) .

قال أبو إسحاق : والعجب من حق فرعون ؛ إن كان هذا الكاهن عنده
صادقاً فلا ينفع القتل ، وإن كان كاذباً فما معنى القتل^(٦) .

وقوله : ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ؛ أي بالعمل في الأرض بالمعاصي ، قاله
ابن عباس ومقاتل^(٧) ، وقال الكلبي : من المفسدين بالقتل^(٨) .

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٨ .

(٢) تفسير الثعلبي ١٣٩/٨ ب ، ولم ينسبه . وأخرج ابن جرير ٢٧/٢٠ عن قتادة في قوله تعالى :
﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ ؛ أي فرقاً ، يذبح طائفة منهم ، ويستحي طائفة منهم ، ويعذب طائفة ،
ويستعبد طائفة .

(٣) تفسير الثعلبي ١٣٩/٨ ب ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٨ ، ولم ينسبه . وأخرجه ابن جرير
٢٧/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٣٩/٩ عن السدي في خبر طويل .

(٤) تفسير مقاتل ٦٣ أ . وأخرجه ابن جرير ٢٧/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٣٨/٩ عن السدي .

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٨٧/٢ عن قتادة . وتفسير مقاتل ٦٣ أ ، وتاريخ الطبري ٣٨٧/١ عن ابن إسحاق .

(٦) معاني القرآن للزجاج ١٣٢/٤ .

(٧) تفسير مقاتل ٦٣ أ ، وتفسير الطبري ٢٨/٢٠ ، ولم ينسبه .

(٨) تنوير المباس ٣٢٣ ، وما ذكره الواحدي هنا أمثلة لإفساد فرعون . قال ابن جرير ٢٨/٢٠ : إنه كان
من يفسد في الأرض بقتله من لا يستحق القتل ، واستعباده من ليس له استعباده ، وتحجره في الأرض
على أهلها ، وتكبره على عبادة ربه .

٥. قوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ﴾ لفظ استقبال أريد به حكاية حال قد مضت .
وقد ذكرنا هذا عند قوله : ﴿فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ﴾^(١) [يوسف : ١١٠] ، وهو
أيضاً حكاية حال .

قوله : ﴿أَنْ تَمُنَّ﴾ . قال مقاتل : نُنعم ﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ﴾
مصر ، وهم بنو إسرائيل^(٢) . ﴿وَنَجْعَلُهُمْ أُيُمَةً﴾ . قال ابن عباس : يريد في الهدى ،
ونحوه^(٣) .

قال مقاتل : يُقْتَدَى بهم في الخير^(٤) .

وقال قتادة : ولاية ملوكاً^(٥) ، وهو اختيار أبي إسحاق ، قال : نجعلهم ولاية
يؤتم بهم^(٦) .

وقال مجاهد : دعاة إلى الخير^(٧) . ﴿وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ لملك فرعون ، يرثون
ملكه ، ويسكنون مساكنهم ، ويرثون ما يترك فرعون ويخلف بعده^(٨) .

(١) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال أبو علي : هو حكاية حال ، ألا ترى أن القصة في ما مضى ، وإنما
حكى فعل الحال على ما كانت كما أن قوله : ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوٍّ﴾ [القصص : ١٥] أشار
إلى الحاضر والقصة ماضية ؛ لأنه حكى الحال .

(٢) تفسير مقاتل ٦٣ أ . وأخرجه ابن جرير ٢٠ / ٢٨ عن قتادة . وتفسير الثعلبي ٨ / ١٣٩ ب .

(٣) ذكره الثعلبي ٨ / ١٣٩ ب عن ابن عباس بلفظ : (قادة في الخير يقتدى بهم) .

(٤) تفسير مقاتل ٦٣ أ .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ٢٨ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٤١ ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٣٩ ب .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٣٢ .

(٧) ذكره الثعلبي ٨ / ١٣٩ ب عن مجاهد .

(٨) تفسير الثعلبي ٨ / ١٣٩ ب ، بنحوه . وأخرج ابن جرير ٢٠ / ٢٨ عن قتادة : يرثون الأرض بعد
فرعون وقومه .

٦. وقوله: ﴿وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾. قال ابن عباس: نملكهم ما كان يملك فرعون . يقال: مكنته ومكنت له ، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٠: (١)] ، وقال: ﴿مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ [الأنعام: ٦] ، وقد مرَّ (٢) .

﴿وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [القصص: ٦] ؛ أي مولود بني إسرائيل الذي يذهب ملكهم على يده ، ويهلك القبط بسببه . وقرأ حمزة والكسائي: ﴿وَنَرَىٰ﴾ بـالياء ﴿فِرْعَوْنَ﴾ وما بعده رفعا ، على معنى أنهم يرونه إذا أروه ، والاختيار قراءة العامة ؛ ليكون الكلام من وجه واحد (٣) .

٧. قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا مُّوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ . قال قتادة: أي قذفنا في قلبها ، وليس بوحى إرسال (٤) .
وقال مقاتل: أتاها جبريل بذلك (٥) .

(١) لم يتكلم الواحدي في تفسير هذه الآية عن دخول اللام في مكن ، بل اقتصر على قوله: قال الزجاج: معنى التمكين في الأرض: التملك والقدرة . وهو قول ابن عباس قال: يريد: ملكناكم في الأرض ، يريد: ما بين مكة إلى اليمن ، وما بين مكة إلى الشام .

(٢) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: قوله تعالى ﴿مَكَّنَّاكُمْ﴾ ، ثم قال: ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ ، ولم يقل: نمكنكم ، وهما لغتان ، تقول العرب: مكنته ، ومكنت له ، كما تقول: نصحتة ، ونصحت له . قال صاحب النظم: العرب تتسع في الأفعال التي تتعدى بحروف الصفات ، فربما عدوها بغيرها كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦] . المعنى: فإلى أين تذهبون . . . اهـ . حروف الصفات هي: حروف المعاني .

(٣) السبعة في القراءات ٤٩٢ ، والحجة للقراء السبعة ٤١١ / ٥ ، ولم يذكر هذا الاختيار ، وإعراب القراءات السبع ١٦٨ / ٢ ، والنشر ٣٤١ / ٢ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٨٧ / ٢ ، وابن جرير ٢٩ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٤١ / ٩ ، واقتصر عليه ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٢٨ ، وقال: ومثله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ [المائدة: ١١١] .

(٥) تفسير مقاتل ٦٣ ب .

قال أبو إسحاق : قيل : إن الوحي هاهنا إلهام ، والآية تدل على أنه وحي إعلام ، وهو قوله : ﴿ إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ وَجَّاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، وجائز أن يُلقى الله في قلبها أنه مردود إليها ، وأنه يكون مرسلًا ، ولكن أن يكون الوحي هاهنا إعلامًا أبين ^(١) .

قال الكلبي ومقاتل ^(٢) : لما ولدته أَرْضَعته ثلاثة أشهر ، فلما خافت أن يسمع الجيران بكاء الصبي اتخذت لها تابوتًا من بَردي وقَيَّرته ^(٣) ، ووضعت فيه موسى ثم أَلْقَتْه في نيل مصر ، وذلك قوله : ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ ^(٤) ، ونحو هذا قال ابن جريج : إنها أَلْقَتْه في اليم بعد أن أَرْضَعته أشهرًا ^(٥) .

وقال السدِّي : أُمِرَت أن تَرْضِعَه بعد ولادها ، وتلقيه في اليم ^(٦) . والقول الأول أَلِيقَ بنظم الآية ؛ للفصل بين الإلقاء والإرضاع بالخوف ^(٧) ، وخوفها ما ذكروا أنها خافت أن يسمع الجيران بكاء الصبي ^(٨) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٣٢ ، وقيل : إنه كان رؤيا منام . وضع البرهان ٢/ ١٤٥ .

(٢) ومقاتل في نسخة (ج) .

(٣) البردي (يفتح الباء) : نبات معروف ، واحدته : بردية ، ترتفع ساقه إلى نحو متر ، أو أكثر ، ينمو بكثرة في منطقة المستنقعات بأعالي النيل . لسان العرب ٣/ ٨٧ ، والمعجم الوسيط (برد) ١/ ٤٨ . قيرته : مأخوذ من القار ، أو القير ، كل شيء يطل به ، وهو مادة سوداء تطل بها السفن لمنع الماء أن يدخل . تهذيب اللغة (قرى) ٩/ ٢٧٧ ،

(٤) تفسير مقاتل ٦٣ ب ، وتاريخ الطبري ١/ ٣٨٩ ، واليم : النيل في قول السدِّي أيضاً ، أخرجه ابن جريج ٢٠/ ٣٠ .

(٥) أخرجه ابن جريج ٢٠/ ٣٠ ، وفيه تحديد الأشهر بأربعة .

(٦) أخرجه ابن جريج ٢٠/ ٣٠ .

(٧) قال ابن جريج ٢٠/ ٣٠ : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله - تعالى ذكره - أمر أم موسى أن ترضعه ، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنسه أن تلقيه في اليم ، وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادتها إياه ، وأي ذلك كان ، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه ، ولا خبر قامت به حجة ، ولا فطرة في العقل لبيان أي ذلك كان .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٤٢ عن ابن عباس .

قوله : ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ . قال مقاتل : قالت المرأة : رب إني قد علمت أنك قادر على ما تشاء^(١) ، ولكن كيف لي أن ينجو صبي صغير من عمق البحر ، وبطون الحيتان ؟ فأوحى الله إليها : ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه الضيعة ، فإني أوكل به ملكاً يحفظه في اليم^(٢) ، ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾ لتمام رضاعه لتكوني أنت ترضعيه ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إلى أهل مصر^(٣) .

٨. قوله تعالى : ﴿فَالنَّقْطَةُءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ ؛ أي من البحر ، والالتقاط إصابة الشيء من غير طلب^(٤) . والمراد بآل فرعون هاهنا : جواري امرأته اللاتي أخذن تابوت موسى من البحر على ما ذكره المفسرون^(٥) .

﴿يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ وَحَرْنَا﴾ : وقُرئ : ﴿وَحَزْنَا﴾^(٦) ، وهما لغتان ، [مثل السَّقَمِ والسُّقَمِ ، والعَرَبِ والعُرْبِ ، وبابه^(٧) .

(١) قدرة الله تعالى إذا ذكرت على أنها صفة فلا تقيد بالمشيئة ؛ حتى لا يوهم التقييد اختصاصها بما يشاؤه الله تعالى فقط ، قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٠] ، وإذا ذكرت المشيئة لتقرير أمر واقع فلا مانع من تقييدها بالمشيئة ؛ لأن الواقع لا يقع إلا بالمشيئة . المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين ١١٨/١ باختصار .

(٢) تفسير مقاتل ٦٣ ب .

(٣) تفسير مقاتل ٦٣ ب . في هذه الآية خبران ، وأمران ، ونهيان ، وبشارتان . وضع البرهان ١٤٦/٢ .

(٤) تهذيب اللغة (لقط) ٢٤٩/١٦ . ويطلق الالتقاط على الأخذ فجأة . وضع البرهان ١٤٦/٢ .

(٥) أخرجه ابن جرير ٣١/٢٠ عن السدي ، وذكر قولين آخرين : ابنة فرعون ، أعوان فرعون . قال ابن جرير : ولا قول في ذلك عندنا أوّل بالصواب مما قال الله عز وجل : ﴿فَالنَّقْطَةُءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ .

وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٤٣/٩ عن أبي عبد الرحمن الحلي ، وذكره في خير مطول الثعلبي ٨/ ١٤٠ أ . قرأ حمزة والكسائي : (وَحَزْنَا) بضم الحاء ، وتسكين الزاي ، وقرأ الباقر بنفتح الحاء والزاي . انظر

السبعة في القراءات ٤٩٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤١٢ ، والنشر في القراءات العشر : ٢/ ٣٤١ .

(٧) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤١٢ .

قال الفراء : وكان الحُزْنُ الاسم ، وكان الحَزَنَ مصدر ، وهما بمنزلة : العُدْم ، والعَدَم . معاني القرآن ٣٠٢/٢ .

قال أبو إسحاق :^(١) ﴿لِيَكُونُ لَهُمْ﴾ ؛ أي ليصير الأمر إلى ذلك ، لا أنهم طلبوه وأخذوه لهذا ، كما تقول للذي كسب مالاً فأداه ذلك إلى الهلاك : إنما كسب فلان لحتفه ، وهو لم يطلب المال طلباً للحتف ، ومثله :

فللموت ما تلدُ الوالدة^(٢)

وهي لم تلد طلباً أن يموت ولدها ، ولكن المصير إلى ذلك^(٣) . قال مقاتل : ليكون لهم عدواً في الهلاك ، وغيظاً في قلوبهم^(٤) ، ثم أخبر عنهم فقال : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ إلى قوله : ﴿خَطِيعٌ﴾ ؛ أي عاصين آثمين^(٥) .

٩ . وقوله : ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ . قال ابن عباس : أتت جوارى امرأة فرعون يستقين فوجدن التابوت ، فذهبن بالتابوت إليها ، فلما فتحت امرأة فرعون التابوت فإذا موسى فيه ، فألقى الله له المحبة من جميعهم ، فحملته حتى أدخلته على فرعون ، فهو قوله : ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾^(٦) .

(١) ما بين المعقوفين زيادة من نسخة (ج) .

(٢) عجز بيت لشتيم بن خويلد ، يرثي أولاده الثلاثة ، وصدره :

فإن يكن الموت أفتأهم

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٣٣ ، وتفسير ابن جرير ٢٠ / ٣٢ ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٤١ أ بمعناه . وفي الدر المنصون ٨ / ٦٥١ : في اللام الوجهان المشهوران : العلية المجازية بمعنى أن ذلك لما كان نتيجة فعلهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفعل لأجله ، أو الصيرورة .

(٤) تفسير مقاتل ٦٣ ب . قال ابن جرير ٢٠ / ٣٣ : عدواً في دينهم ، وحزناً على ما ينالهم منه من المكروه .

(٥) تفسير ابن جرير ٢٠ / ٣٣ .

(٦) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ٣٥ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٤٤ ، والثعلبي ٨ / ١٤٠ أ ، وهو جزء من حديث الفتون الذي أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٦ / ٣٩٦ ، رقم ١١٣٢٦ ، وقال عنه ابن كثير بعد أن ساقه بطوله في تفسير سورة طه : هكذا رواه النسائي في سننه الكبرى ، وأخرجه أبو جعفر بن جرير ، وابن أبي حاتم في تفسيريهما ، كلهم من حديث يزيد بن هارون به ، وهو موقوف من كلام ابن عباس ، وليس منه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس - رضي الله عنهما - مما أبيع نقله =

قال الفراء والمبرد والزجاج : رفعت ﴿قُرْتُ عَيْنٍ﴾ بإضمار : هو ، أو : هذا الصبي قرّة عين لي ولك يا فرعون^(١) . قال أبو إسحاق : ويقبح رفعه على الابتداء ، وأن يكون الخبر ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ فيكون كأنها عرفت أنه قرّة عين لها . ويجوز ذلك على بُعد على معنى : إذا كان قرّة عين لي ولك فلا تقتله^(٢) .

قال مقاتل : قالت لفرعون : لا تقتله فإن الله أتنا به من أرض أخرى ، وليس من بني إسرائيل ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ فنصيب منه خيراً^(٣) .

﴿أَوْتَحِذْهُ وَلَدًا﴾ . قال المفسرون : وكانت لا تلد ، فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها^(٤) .

قوله : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . أكثر المفسرين على أن هذا ابتداء من كلام الله تعالى ، أخبر أنهم لا يشعرون أن هلاكهم في سببه ، وهذا قول قتادة ومجاهد ومقاتل^(٥) .

وقال آخرون : هذا من تمام كلام المرأة ، ومعنى : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني بني إسرائيل لا يدرون أننا التقطنا ، هذا قول محمد بن قيس^(٦) .

من الإسرائيليات عن كعب الأحبار ، أو غيره ، والله أعلم . وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضاً . تفسير ابن كثير ٢٩٣ / ٥ .

- (١) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٠٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ١٣٣ .
- (٢) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٣٣ ، والإشارة في قوله : ويجوز ذلك ؛ أي رفعه على الابتداء .
- (٣) تفسير مقاتل ٦٣ ب .
- (٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٦ / ٣٩٧ ، وهو جزء من حديث الفتون الذي سبق الحديث عنه قريباً . وأخرجه ابن جرير ٣١ / ٢٠ عن السدي .
- (٥) أخرجه عبد الرزاق ٢ / ٨٧ عن قتادة ، وابن جرير ٢٠ / ٣٤ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٤٥ عن قتادة ومجاهد . وتفسير مقاتل ٦٣ ب . ورجحه ابن جرير ٢٠ / ٣٥ .
- (٦) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ٣٥ ، والثعلبي ٨ / ١٤١ عن محمد بن قيس ، وهو الأسدي ، والوالي ، الكوفي ، روى عن الشعبي ، وأبي الضحى ، وروى عنه شعبة ، وأبو نعيم ، وثقه ابن حجر ، وقال عنه الذهبي : صدوق . انظر الكاشف ٣ / ٨١ ، وتقريب التهذيب ٨٩٠ .

وقال الكلبي : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا أنه ولدنا^(١) .

١٠ . وقوله : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا﴾ . قال أكثر المفسرين : ﴿فَرِغًا﴾ من كل شيء من هم الدنيا والآخرة إلا هم موسى وذكره ، وهذا قول ابن عباس في جميع الروايات ، ومجاهد ومقاتل وعكرمة وقتادة والحسن وسعيد بن جبير والكلبي^(٢) ، واختيار الفراء وأبي إسحاق . قال الفراء : ﴿فَرِغًا﴾ لهم موسى ، فليس يخلط هم موسى شيء^(٣) .

وقال محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد : ﴿فَرِغًا﴾ من الوحي الذي أوحى الله إليها ، والعهد الذي عهده إليها أن يردّه عليها ؛ وذلك أنها لما رأت موسى يرفعه موج ، ويخفضه آخر جزعت ، وأتاها الشيطان فوسوس لها ، وقال : لو قتله فرعون كان للآخرة ، وقد توليت قتله بالإلقاء في اليم . ثم لما أتاها الخبر بأن موسى وقع في يد آل فرعون^(٤) ، قالت : قد وقع في يد عدوه الذي فررت به منه ، فأنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله إليها ، وهذا أيضاً قول مرضي .

(١) ذكره عنه الثعلبي ١٤١ / ٨ ب ، وذكر الوجهين الفراء في معاني القرآن ٣٠٣ / ٢ ، وفي تنوير المقباس ٣٢٤ : بنو إسرائيل لا يعلمون أنه ليس منّا ، ويقال : وهم لا يشعرون أن هلاكهم على يديه . والقول الأول الذي عليه أكثر المفسرين هو الأقرب ، والله أعلم .

(٢) نسب الثعلبي ١٤١ / ٨ ب هذا القول إلى أكثر المفسرين ، وذكره البخاري عن ابن عباس معلقاً بصيغة الجزم ٥٠٦ / ٨ ، وأخرجه عنه الحاكم ٤٤١ / ٢ ، رقم ٣٥٢٩ ، وأخرجه عبد الرزاق ٨٨ / ٢ عن قتادة وأبي عمران الجوني ، وهو في تفسير مقاتل ٦٣ ب ، وتنوير المقباس : ٣٢٣ ، وأخرجه أبو يعلى ١٢ / ٥ من طريق سعيد بن جبير ، وهو جزء من الحديث الطويل حديث الفتون الذي سبق الحديث عنه قريباً .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٠٣ / ٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٤ / ٤ ، واختاره ابن الأنباري في كتابه الأضداد ٢٩٩ .

(٤) أخرجه عنها وعن الحسن ابن جرير ٣٦ / ٢٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٤٦ / ٩ عن ابن إسحاق فقط ، وذكره عن الحسن وأبو إسحاق وابن زيد الثعلبي ١٤١ / ٨ ب .

وقال أبو عبيدة: ﴿فَرِعًا﴾ من الحزن، لعلمها أنه لم يقتل، ولم يغرق^(١).

قال ابن قتيبة: وهذا من أعجب التفسير، كيف يكون فؤادها فارغاً من الحزن في وقتها ذاك، والله تعالى يقول: ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهَا﴾، وهل يربط إلا على قلب الجازع المحزون؟ قال: والعرب تقول للجبان والخائف: فؤاده هواء؛ لأنه لا يعي عزمًا، ولا صبرًا، وقد خالفه المفسرون إلى الصواب، فقالوا: ﴿فَرِعًا﴾ من كل شيء إلا من أمر موسى، كأنها لم تهتم بشيء مما يهتم به الحي إلا أمر ولدها. انتهى كلامه^(٢).

ووجه قول المفسرين ما ذكر، وهو أن قلبها صار فارغاً من الصبر والعزم، وإنما قال المفسرون: إلا^(٣) من ذكر موسى، لدلالة باقي الآية عليه، وهو قوله عز وجل: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: كادت تخبر أن هذا^(٤) الذي وجدتموه في التابوت هو ابني.

وقال في رواية عكرمة، وسعيد بن جبير: كادت تقول^(٥): وابناه، من شدة وجدها به^(٦).

(١) مجاز القرآن ٢/ ٩٨، وذكر هذا القول ابن الأنباري في الأضداد ٢٩٨ عن بعض أهل اللغة، ولم يسمه، وجعل هذا الاختلاف مما يفسر من القرآن تفسيرين متضادين، وذكر القولين النيسابوري، وضح البرهان ٢/ ١٤٦، وصدر القول الثاني ب: قيل.

(٢) غريب القرآن ٣٢٨، ويشهد له ما ذكره الفراء بإسناده عن فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - أنه قرأ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِعًا﴾ من الفزع. معاني القرآن ٢/ ٣٠٣، وذكر هذه القراءة ابن جرير ٢٠/ ٣٧، ورد قول أبي عبيدة بقوله: وهذا لا معنى له؛ لخلافه قول جميع أهل التأويل.

(٣) كلمة (إلا) ساقطة من نسخة (ب).

(٤) (هذا) ساقطة من نسخة (ب).

(٥) (تقول) ساقطة من نسخة (ب).

(٦) رواية عكرمة أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٤٧، والثعلبي ٨/ ١٤١ ب، ورواية سعيد بن جبير أخرجه ابن جرير ٢٠/ ٣٧، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٤٧، والحاكم ٢/ ٤٤١، رقم ٣٥٢٩، ولم أجد رواية عطاء.

وقال مقاتل : خشيت عليه الغرق ، وكادت تصيح شفقة عليه ، فذلك قوله : ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ تقول : إن همت لتشعر أهل مصر بموسى أنه ولدها^(١) .

وعن مُعَيْثِ بْنِ سُمَيٍّ : كادت تقول : أنا أمه^(٢) .

وقال أبو إسحاق : إن كادت لتظهر أنه ابنها^(٣) .

وقال الفرّاء : ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ يعني : باسم موسى أنه ابنها ؛ وذلك أن صدرها ضاق بقول آل فرعون : هو ابن فرعون ، فكادت تبدي به ؛ أي تظهره^(٤) .

وهذا معنى قول الكلبي^(٥) ، فالكنية من ﴿بِهِ﴾ تعود على اسم موسى على قول هؤلاء ، وهو الصحيح . وسبب الإبداء مختلف فيه ؛ فعند بعضهم : وجداً به ، وعند مقاتل : شفقة عليه من الغرق ، وعند الكلبي ضيق صدرها^(٦) بما تسمع من قولهم : موسى بن فرعون^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٦٣ ب .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٤٧/٩ .

معيث بن سُمَيٍّ ، الأوزاعي ، أبو أيوب الشامي ، ثقة ، روى عن عمر - رضي الله عنه - رسالة ، وروى عن ابن عمر وطائفة ، وروى عنه زيد بن واقد ، وعبد الرحمن بن يزيد ، وغيرهما . انظر الكاشف ١٤٧/٣ ، وتقريب التهذيب ٩٦٤ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٣٤/٤ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٣٠٣/٢ ، وتفسير ابن جرير ٣٨/٢٠ .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ١٤١/٨ ب ، وهو في تنوير المقياس : ٣٢٣ .

(٦) في النسخ الثلاث : (ضيق صدر) .

(٧) ذكره عنه الثعلبي ١٤١/٨ ب .

ويقال أبدى الشيء ، ودخلت الباء هاهنا ؛ لأنه أريد بالإبداء : الإخبار والإشعار ، يدل على هذا ما روي في حرف عبدالله : إن كادت لتشعر به ^(١) . ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قُلُوبِنَا﴾ بالصبر واليقين والإيمان ، قاله ابن عباس ومقاتل و قتادة ^(٢) .

قال الزَّجَّاج : ومعنى الربط على القلب : إلهام الصبر وتشديده وتقويته ^(٣) ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَلَيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنفال : ١١] ^(٤) .

وقوله : ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ؛ أي من المصدقين بوعد الله حين قال لها : ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ، قاله مقاتل والمفسرون ^(٥) .

١١ . قوله : ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ : لأخت موسى . ﴿قُصِّيه﴾ : اتبعي أثره ^(٦) . يقال : قصصت الشيء إذا تتبعته أثره شيئاً بعد شيء قصاً وقصصاً .

قال المبرِّد : فلان يقص أثر الجيش ؛ أي يتبعه متعرفاً ^(٧) .

(١) ذكر هذه القراءة الفراء ٢/ ٣٠٣ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٨٨ عن قتادة ، وكذا ابن جرير ٢٠/ ٣٨ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٤٧ ، وتفسير مقاتل ٦٣ ب .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٣٤ ، وذكره القاضي عبد الجبار في متشابه القرآن ٥٤٣ .

(٤) قال الواحدي : معنى الربط في اللغة : الشد ، ذكرنا ذلك في قوله : ﴿وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ، ويقال لكل من صبر على أمر : ربط قلبه ، كأنه حبس قلبه عن أن يضطرب ، ويقال : رجل رابط الجأش ، قال الأصمعي : هو الذي يربط نفسه يكفها بجرأته وشجاعته .

(٥) تفسير مقاتل ٦٣ ب . وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ٣٨ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٤٧ عن سعيد بن جبير والسدي . وتفسير الثعلبي ٨/ ١٤٢ .

(٦) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٤١ ، رقم ٣٥٢٩ عن ابن عباس . ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٩٨ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٤٢ ، ووضح البرهان ٢/ ١٤٧ .

(٧) لم أجده في التهذيب (قص) ، وفي الكامل ٢/ ١٠١٨ : نقصه . تتبعه . قال الله عز وجل : ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه﴾ ؛ أي اتبعي أثره .

وقد ذكرنا هذا الحرف في القصاص والقصص^(١).

قال ابن عباس : تريد : اطلبي أثره ، وانظري أين وقع ، وإلى من صار^(٢) .
وقال مجاهد : اتبعي أثره كيف يصنع به^(٣) .

وقال مقاتل : قصي أثره حتى تعلمي علمه من يأخذه^(٤) .

وقال ابن إسحاق : انظري ماذا يفعلون به^(٥) . هذا قول المفسرين . ودلّ كلامهم على أن القصص : تتبع الأثر مع التعرف ، كما قال المبرّد .

قوله : ﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ﴾ . قال ابن عباس : أبصرت^(٦) .

قال المبرّد : بصرت بالشيء ، وأبصرت واحد في المعنى^(٧) . والفصل بينهما مع اجتماعهما في المعنى أن : بصرت به ، معناه : صرت بصيراً بموضعه . وهكذا

(١) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿وَكُنْكُمْ فِي الْقَصَاصِ حَيَّةً يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩] : القصاص في اللغة : المائلة ، وأصله من قولهم : قصصت أثره إذا تتبعته ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١] .

(٢) ذكره البخاري عن ابن عباس معلقاً بصيغة الجزم ٥٠٦/٨ بلفظ : اتبعي أثره . وباللفظ الذي ذكره الواحدي هنا أخرجه ابن جرير ٣٨/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٤٨/٩ ، وفي رواية عندهما عن ابن عباس : قصي أثره واطلبيه ، هل تسمعين له ذكراً ؟ أحيي ابني أم أكلته الدواب ؟ ونسيت ما كان الله وعدّها به .

(٣) أخرجه ابن جرير ٣٨/٢٠ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٣ ب . واقتصر الأخفش على قول : قصي أثره . معاني القرآن ٦٥٢/٢ ، وكذا قتادة ، تفسير عبد الرزاق ٨٨/٢ ، وهو كذلك في تاريخ الطبري ٣٨٩/١ .

(٥) في نسخة (أ) و(ب) : (أبو إسحاق) . وخبر ابن إسحاق أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٤٨/٩ ، وأخرجه ابن جرير ٣٩/٢٠ عن قتادة .

(٦) أخرجه ابن جرير ٣٩/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٤٨/٩ ، كلاهما بمعناه .

(٧) في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٨/٢ : هما لغتان ، ولم أجد قول المبرّد في التهذيب . وذكر قول المبرّد الشوكاني في فتح القدير ١٥٦/٤ .

فعلت ، معناه : انتقلت إلى تلك الحال . قوله تعالى : ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ ؛ أي عن بُعد^(١) ، وهو مصدر ، ثم وصف به . وكذلك قالوا : رجل جنب ، ورجال جنب ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء : ٣٦] ، وقد مر^(٢) .

وقال المبرد : وقد يجمع أجنباً ، كما تقول^(٣) في شغل ، وهو مصدر مثله : أشغال . قالت الخنساء ترثي^(٤) :

فابكي أخاك لأيتامٍ وأرملةٍ وابكي أخاك إذا جاورت أجنباً^(٥)

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ ، قال : عن جانب^(٦) ، [وقال مجاهد : عن بُعد^(٧) ، وقال عكرمة وقتادة : بصرت به وهي مجانبة لم تأته^(٨)] ^(٩) .

وقال مقاتل : ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ كأنها مجانبة له ترقبه ، وعينها إلى التابوت وهي معرضة عنه بوجهها^(١٠) . وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء : أبصرته من شق عينها اليمنى .

(١) ذكره البخاري عن ابن عباس معلقاً بصيغة الجزم ٥٠٦/٨ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٨/٢ ، وحكاه عنه ابن الأنباري في كتابه الزاهر ٤٣٠/١ ، وتفسير الثعلبي ٨/١٤٢ أ .

(٢) قال الواحدي في تفسير الجنب في سورة النساء : الجُنُب نعت على : فُعِلَ ، مثل : أُخِذَ . . . وأصله من الجنبانة ضد القرابة ، وهو البعد . . . ورجل جنب إذا كان غريباً متباعداً عن أهله .

(٣) (كما تقول) ساقط من نسخة (ج) .

(٤) (ترثي) في نسخة (ج) .

(٥) ديوان الخنساء ٧ ، تخاطب في هذا البيت عينها . واستشهد به المبرد في الكامل ٩٠٤/٢ على أنه يجمع : جُنُب : أجنب .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٤٨/٩ ، وذكره الثعلبي ١١٤٢ أ .

(٧) أخرجه ابن جرير ٣٩/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٤٨/٩ .

(٨) أخرجه عبدالرزاق ٨٨/٢ عن قتادة ، وكذا ابن جرير ٣٩/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٤٨/٩ .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(١٠) تفسير مقاتل ٦٣ ب .

وقال أبو إسحاق : ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ ؛ أي عن بُعد ، بُصْرَه ، ولا تُوْهم أنها تراه^(١) .

وقال ابن قتيبة : ﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ﴾ من بُعد منها عنه ، وإعراض لثلاثا يفتنوا^(٢) ، والمجانبة من هذا^(٣) ، وقال الفراء : يقول : كانت على شاطئ البحر حين رأت آل فرعون قد التقطوه^(٤) . ولم يذكر الفراء ما ذكره غيره من أنها تجتنب أن يفتنوا بها ، واقتصر من تفسير قوله : ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ على البُعد فقط . وليس المعنى في قوله : ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ بُعد المسافة كما توهمه ، وإنما هو : التباعد والمجانبة أن يعلموا بحالها ، وأنها ترقبه ، كما ذكره المفسرون ، وأهل المعاني ، ولا تستعمل الجنب والجنابة في بُعد المسافة ، ألا ترى إلى قول علقمة بن عبدة :

فَلَا تَحْرِمْنِي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ فَإِنِّي أَمْرُؤٌ وَسَطُ الْقِبَابِ غَرِيبٌ^(٥)

أراد بُعد النسب لا بُعد المسافة . فمعنى قوله : ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ ؛ أي عن تجنب منها وتباعد أبصرته .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٣٤ ، ونحوه في وضح البرهان ٢/ ١٤٧ .

(٢) (لها) غير موجودة في النسخ الثلاث .

(٣) غريب القرآن ٣٢٩ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠٣ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٩٨ ، ونسبه إلى علقمة بن عبدة ، وكذا المبرد في الكامل ٢/ ٩٠٣ ، وقال : جنابة : غربة وبُعد . وأنشده الزجاج ٤/ ١٣٤ ، ولم ينسبه ، ونسبه إلى علقمة الأزهري ١١/ ١٢٣ ، وهو في ديوان علقمة ٣٠ ، آخر بيت من قصيدة له يمدح فيها الحارث بن جبلة الغساني ، وكان قد أسر أخاه فرحل إليه يطلبه فيه ، يقول : لا تحرمني العطاء بعد غربة وبُعد عن ديار ، فإنني امرؤ غريب . حاشية الديوان .

قوله تعالى : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . قال ابن عباس : وهم لا يعلمون أنها أخته^(١) .

وقال مقاتل : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها ترقبه^(٢) .

وقال ابن إسحاق : لا يعرفون أنها منه بسبيل^(٣) .

١٢ . قوله عز وجل : ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [القصص : ١٢] . ﴿الْمَرَاضِعَ﴾ : يجوز أن يكون جمع امرأة مُرْضِعَةٍ^(٤) ، أو مُرْضِع : ذات ولد رضيع ، ويجوز أن يكون جمع مَرْضِع بمعنى : الإرضاع ، ويجوز أن يكون جمع : مَرْضِع من قولهم : رَضَعَ يَرْضَع بمعنى : المصدر . ذكر ذلك المفضل والمبرد^(٥) . وكلام المفسرين أيضاً يدل على نحو ما ذكرنا . قال ابن عباس في رواية عطاء : إن امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد له مرضعة تأخذه منها ترضعه ، فكلما أتوه بمرضعة لم يأخذ ثديها . وقال في رواية سعيد بن جبير : لا يؤتى بمرضع فيقبلها^(٦) .

وقال محمد بن إسحاق : جمعوا له المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه ، فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها^(٧) . فهذا يدل على أن المراضع ذوات الإرضاع .

(١) أخرجه ابن جرير ٤٠ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٤٩ / ٩ عن السدي ، وأخرجه ابن جرير في التاريخ ٣٨٩ / ١ عن السدي ، عن ابن عباس ، وابن مسعود ، وذكره الفراء ٣٠٣ / ٢ ، ولم ينسبه .

(٢) تفسير مقاتل ٦٤ أ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٤٠ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٤٩ / ٩ .

(٤) في نسخة (ج) : (راضعة) .

(٥) لم أجد قول المبرد والمفضل في التهذيب (رضع) ، ولا في لسان العرب .

(٦) أخرجه ابن جرير ٤٠ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٤٩ / ٩ .

(٧) أخرجه ابن جرير ٤١ / ٢٠ ، وأخرجه الحاكم ٤٤١ / ٢ ، رقم ٣٥٢٩ عن ابن عباس .

وقال مجاهد ومقاتل : لم يقبل موسى ثدي امرأة^(١) .

وقال قتادة : كان لا يقبل ثدياً^(٢) .

وقال الفرّاء : يقول معناه : من قبول ثدي إلا ثدي أمه^(٣) ، وهذا يدل على أن المراد بالمرضع : [المرضعات ، أو يراد : رضاعات .

وأما ابن قتيبة فقال : ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾^(٤) معناه : أن يرَضَعَ ، والمرضع : جمع مُرَضِع^(٥) ، يعني : الإرضاع . والمراد بالتحريم هاهنا تحريم المنع ، وليس هناك نهي ، ولكنه منع بالتبغيض ، كالمنع بالنهي ، وهذا كما يقال : حَرَّمَ فلانٌ على نفسه كذا بالامتناع بالأكل منه كالامتناع بالنهي^(٦) .

قوله : ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ . قال المفسرون : من قبل أمه ، ومن قبل أن تأتيه أمه ، ومن قبل أن نردّه على أمه^(٧) ، وذلك أن الله تعالى أراد أن يردّه إلى أمه فبَغَضَ المرضع إليه حتى يُؤْتَى بأمه .

وقال صاحب النظم : قوله : ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ ؛ أي من قبل أن يولد في القضاء والقدر السابق ، حرّمنا عليه المرضع ، وكان تحريم إرضاعهن عليه أن لا يقبل ثدي امرأة . والقول ما قال المفسرون ؛ لأن المرضع لو حرمت عليه في القضاء السابق لحرم عليه رضاع أمه أيضاً ؛ لعموم اللفظ ، ولكن المعنى : حرّمنا عليه

(١) تفسير مقاتل ٦٤ أ . وأخرجه ابن جرير ٢٠ / ٤٠ عن مجاهد .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٨٨ / ٢ ، وأخرجه بمعناه ابن جرير ٢٠ / ٤١ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٠٣ .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من نسخة (ج) .

(٥) غريب القرآن ٣٢٩ .

(٦) قال النيسابوري : تحريم منع لا شرع . وضع البرهان ٢ / ١٤٧ .

(٧) تفسير ابن جرير ٢٠ / ٤٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ١٣٥ بمعناه .

المراضع قبل إرضاع أمه ؛ وذلك أنه إذا رُدَّ إلى أمه فأرضعته يجوز أن يقبل ثدي مرضعة غير الأم .

وقوله : ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾ . قال المفسرون : لما تعذر عليهم رضاعه ، ورأت حرصهم على ذلك ، قالت : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾ ؛ أي يكفلون لكم رضاعه ، ويضمنون لكم القيام به ^(١) .

قال ابن عباس : قالوا لها : مَنْ ؟ قالت : أُمِّي ، قالوا : ولأُمِّك لبن ؟ قالت : نعم ، لبن هارون . وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها صبي ، فقالوا لها ^(٢) : صدقتِ والله .

وقوله : ﴿ وَهُمْ لَهُ نَصِیحُونَ ﴾ . قال مقاتل : هم أشفق عليه ، وأنصح له من غيره ^(٣) . وقال السدي وابن جريج : لما سمعوا قولها : ﴿ وَهُمْ لَهُ نَصِیحُونَ ﴾ قالوا : قد عرفتِ أهلَ هذا الغلام فدلينا على أهلِهِ ، فقالت : لا أعرف ، ولكنني عَنِيتُ : وهم للملك ناصحون ^(٤) ، فدلتهُم على أم موسى ، فدفع إليها تربيته لهم ^(٥) ، فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها ^(٦) ، وأتم الله لها ما وعدّها .

١٣ . قوله : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ . قال ابن إسحاق : بلغ لطف الله له ولها أن ردَّ عليها ابنها ، وعطفَ عليه بقلب فرعون

(١) أخرجه ابن جرير ٤١/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٤٩/٩ عن ابن إسحاق . وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٥/٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٩/٢ ، وتفسير الثعلبي ١١٤٢/٨ .

(٢) (لها) زيادة من نسخة (ب) .

(٣) تفسير مقاتل ٦٤ أ .

(٤) رواه ابن جرير ٤١/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٤٩/٩ ، وذكره عنهما الثعلبي ١١٤٢/٨ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١٣٥/٤ .

(٦) تفسير مقاتل ٦٤ أ ، من قوله : فلما وجد الصبي ، وتفسير الثعلبي ١١٤٢/٨ .

وأهل بيته ، مع أمانها عليه^(١) من القتل الذي يُتخوف على غيره ،
وكأنهم كانوا من بيت آل فرعون في الأمان والسعة^(٢) ؛ فذلك قوله :
﴿ كَيْ نَقْرَ عَيْنُهَا ﴾ ؛ أي بولدها ﴿ وَلَا تَحْزَنْ ﴾ على فراقه^(٣)
﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴾ برّد ولدها إليها ﴿ حَقٌّ ﴾ .

قال صاحب النظم : هي كانت عالمة بأن وعد الله حق قبل أن ردّها إليها ولدها ،
لقوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ أي المصدقين
بوعد الله ، فهي مصدقة بوعد الله بربط الله على قلبها ، ومعنى : ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ لتعلم كون ذلك ووقوعه مع علمها بأن الله منجزها ما وعدها .
وهذا الفرق بين العيان والخبر ، وهو مثل قوله : ﴿ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن
لِّيُطْمِئِنَّ قُلُوبُ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ؛ لأن للمعينة من ثلج اليقين ما ليس لغير المعينة ،
وإن كان يقيناً^(٤) .

قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ : يعني أهل مصر لا يعلمون أن
الله وعدها رده إليها^(٥) .

(١) (عليه) ساقطة من نسخة (ج) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٥٠ .

(٣) في النسخ الثلاث : (فراقها) .

(٤) ثَلَجَتْ نفسي بالأم : إذا اطمأنت إليه وسكنت وثبت فيها ووثقت به . تهذيب اللغة (ثلج) ١١ / ٢١ ،
ولسان العرب ٢ / ٢٢٢ .

(٥) تفسير الثعلبي ٨ / ١٤٢ أ .

١٤. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَايَتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. قال مقاتل: يعني لثماني عشرة سنة إلى أربعين سنة^(١)، واستوى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وهذا قول الكلبي^(٢).

وقال مجاهد: ولما بلغ أشده: ثلاثاً وثلاثين سنة، واستواؤه: أربعين سنة^(٣)، وهو قول ابن عباس وقتادة^(٤).

وقوله: ﴿ءَايَتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. قال مجاهد: الفقه والعقل والعلم قبل النبوة^(٥).

قال محمد بن إسحاق: آتاه الله علماً وفقهاً في دينه، ودين آبائه، وعلماً بما في دينه من شرائعه، وحدوده^(٦)، وكانت له من بني إسرائيل شيعة يسمعون منه، ويقتدون به، ويجمعون إليه. وقال أبو إسحاق: فعلم موسى -عليه السلام-

(١) تفسير مقاتل ٦٤ أ بلفظ: (ولما بلغ موسى أشده، يعني: لثماني عشرة سنة، واستوى يعني: أربعين سنة).

(٢) تنوير المقياس: ٣٢٤، وذكره عنه الثعلبي ٨/ ١٤٢ أ بلفظ: (الأشد: ما بين ثمان عشرة سنة إلى ثلاثين سنة).

(٣) في نسخة (ج): (واستوى وهو ابن أربعين سنة). وخبر مجاهد أخرجه ابن جرير ٤٢/ ٢٠، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٥١، ونسب الثعلبي ٨/ ١٤٢ أ هذا القول إلى سائر المفسرين بعد أن ذكر قول الكلبي.

(٤) أخرج عبد الرزاق ٨٨/ ٢ عن قتادة، روايتين؛ أربعون سنة، وأخرجها كذلك عن مجاهد، والثانية: ثلاث وثلاثون. وأخرج الرواية عن ابن عباس ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٥١، والثعلبي ٨/ ١٤٢ ب. قال أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي في هذه الآية: هو منتهى شبابه وكماله واستقراره، فلا يكون فيه زيادة قبل أن يأخذ في النقصان. اشتقاق أسماء الله الحسنى ٣٣٤، ويشهد لتمام الأشد أربعين سنة قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥].

(٥) أخرجه ابن جرير ٤٢/ ٢٠، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٥٢، وذكره الثعلبي ٨/ ١٤٢ ب.

(٦) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ٤٣ في موضعين، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٥٢. وأصل الكلام في النسخ الثلاث: وعلماً في دينه من شرائعه. وأثبت الزيادة من المرجعين السابقين.

وحكم^(١) قبل أن يُبعث^(٢) . والعالم الحكيم من استعمل علمه ، ومن لم يعمل بعلمه فهو جاهل .

وقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ . قال مقاتل : يقول : هكذا نجزي من أحسن ؛ أي من آمن بالله^(٣) .

وقال الكلبي : ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول : الموحيدين^(٤) .

قال الزَّجَّاج : جعل الله إيتاء العلم والحكمة إِيَّاه مجازاة على الإحسان ؛ لأنها يؤدِّيَان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين^(٥) ، وهذه الآية مُفسَّرة في سورة يوسف^(٦) .

١٥ . قوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ . اختلفوا في هذه المدينة ، وفي سبب دخول موسى المدينة ؛ فقال السدِّي : دخلها متبعاً أثر فرعون ؛ لأن فرعون ركب وموسى غير شاهد ، فلما جاء موسى

(١) (وحكم) في نسخة (ج) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٣٦/٤ .

(٣) هكذا في تفسير مقاتل ١٦٤ ، وفي نسخة (ج) : أي (آمن بالله) .

(٤) تنوير المقياس : ٣٢٤ بلفظ : (المحسنين : النبيين بالفهم والنبوة ، ويقال : الصالحين بالعلم والحكمة) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٣٦/٤ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص : ١٤] .

قال الواحدي في تفسيرها : ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ؛ أي مثل ما وصفنا من تعليم يوسف ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد : نفعل بالموحيدين ، وقال أبو روق عن الضحاك : يعني الصابرين على النوائب ، كما صبر يوسف .

قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب في أثره ، فأدركه المقيّل بأرض يقال لها : مَنْف^(١) ، فهو قوله : ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾^(٢) .

وقال ابن إسحاق : بل دخلها مستخفياً من فرعون وقومه ؛ وذلك أنه كان قد خالفهم في دينهم ، وعاب عليهم ما كانوا عليه ، وأنكر عليهم ذلك ، حتى أخافوه وخافهم ، حتى كان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفاً مستخفياً فدخلها يوماً على حين غفلة من أهلها^(٣) . وعلى هذا القول المدينة : مدينة فرعون التي كان يسكنها .

وقال مقاتل : هي قرية على رأس فرسخين من مصر تدعى : خانين^(٤) .

وقوله : ﴿عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ . قال ابن عباس : في الظهيرة ، عند المقيّل^(٥) . وهو قول سعيد بن جبير ومقاتل والسدي ، قالوا : دخلها نصف النهار ، وليس في طُرقها أحد^(٦) . وروى عطاء عن ابن عباس : بين^(٧) المغرب والعشاء^(٨) ، وهو قول القرظي^(٩) .

(١) أخرجه ابن جرير في التاريخ ١ / ٣٩٠ عن السدي . (مَنْف) بالفتح ثم سكون : اسم مدينة فرعون بمصر ، قال القضاعي : أصلها بلغة القبط : مافه ، فعربت ، فقيل : منف . معجم البلدان ٥ / ٢٤٧ ، وهي الآن جنوب الجيزة ، والجيزة تقابل القاهرة من جهة الغرب .

(٢) أخرجه ابن جرير ٤٣ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٥٢ ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٤٢ ب .

(٣) أخرجه ابن جرير ٤٣ / ٢٠ ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٤٢ ب .

(٤) تفسير مقاتل ٦٤ ، ولم أجد معلومات عن هذه المدينة .

(٥) أخرجه ابن جرير ٤٤ / ٢٠ .

(٦) أخرجه ابن جرير ٤٣ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٥٢ عن السدي ، وابن عباس ، وقتادة ، وأخرجه عبدالرزاق ٢ / ٨٩ عن قتادة . وتفسير مقاتل ٦٤ ، ووضح البرهان ٢ / ١٤٨ ، ولم ينسبه .

(٧) (بين) ساقطة من نسخة (ج) .

(٨) أخرجه ابن جرير ٤٤ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٥٣ ، والمراد به عطاء الخراساني كما صرح به ابن جرير .

(٩) ذكره عنه الثعلبي ٨ / ١٤٢ ب .

وعلى قول ابن إسحاق : تعمّد موسى الدخول على غفلتهم عنه ؛ لأنه كان خائفاً مستخفياً . وقال ابن زيد : لما كبر موسى وأنكر على فرعون وقومه دينهم ، أمر فرعون بإخراجه من مدينته ، فخرج منها ، ولم يدخل عليهم إلا بعد الكبر ، فدخلها عليهم وقد نسوا خبره وأمره ؛ لبعد عهدهم به ^(١) ، وعلى هذا المدينة : مصر ^(٢) ، وغفلتهم عنه : نسيانهم إياه لطول العهد ، وهذا القول لا يليق بسياق القصة ؛ لأن عود موسى إليهم بعد طول العهد إنما كان بعد الوحي والنبوة ، ونبوته كانت بعد ما ذكر الله تعالى من قصته مع شعيب في هذه السورة . قال الفرّاء : أراد على غفلة من أهلها ، فأدخل ﴿ حِينَ ﴾ فضلة في الكلام ، ولو لم يكن ﴿ حِينَ ﴾ فضلة ، لقليل : ودخل المدينة حين غفلة من أهلها ^(٣) .

(١) أخرجه بنحوه ابن جرير ٢٠/٤٤ ، وابن أبي حاتم ٩/٢٩٥٣ ، وذكره الثعلبي ٨/١٤٢٠ .

(٢) (مصر) ساقطة من نسخة (أ) و(ب) .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/٣٠٣ ، لم أجد هذه المسألة عند الزخشري ، ولا ابن عطية ، ولا أبي حيان ، ولا أبي السعود . وأما النحاس فقال : يقال في الكلام : دخلت المدينة حين غفل أهلها ، ولا يقال : على حين غفل أهلها ، ودخلت على في هذه الآية ؛ لأن الغفلة هي المقصودة ، فصار هذا كما تقول : جئت على غفلة ، وإن شئت قلت : جئت على حين غفلة ، فكذا الآية . إعراب القرآن للنحاس ٣/٢٣١ ، وكلامه تقرير لكلام الفرّاء ، والأولى أن يقال : دخلت ﴿ حِينَ ﴾ لتأكيد معنى الدخول على غفلة ، فإن وقت القائلة وما بين العشاءين قد لا يُغفل فيه ، و﴿ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ في موضع الصفة لغفلة ، وما في النظم الكريم أبلغ من غفلة أهلها ، بالإضافة لما في التنوين من إفادة التفضيم . روح المعاني ٢٠/٥٣ .

قال ابن عاشور ٢٠/٨٨ : ويتعلق ﴿ عَلَى حِينَ غَفَلَةٍ ﴾ بـ ﴿ دَخَلَ ﴾ وعلى للاستعلاء المجازي ، كما في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة : ٥] ، فإعراب ﴿ عَلَى حِينَ ﴾ حال من المدينة ، أو حال من الفاعل . إملاء ما من به الرحمن للعكبري ٢/١٧٧ ، والسدر المصون ٨/٦٥٦ ، والجدول في إعراب القرآن الكريم ١٠/٢٣٣ .

قوله تعالى : ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّ﴾ . قال ابن عباس : يريد : بأن أحدهما من بني إسرائيل ، والآخر قبطي ، وهو قول الجماعة^(١) .

قال ابن إسحاق : ﴿هَذَا مِنْ شِيعَةِ﴾ مسلم ، وهذا من دين آل فرعون كافر^(٢) .

قال أبو إسحاق : المعنى فوجد فيها رجلين ؛ أحدهما من شيعة ، والآخر من عدوه ، وقيل فيهما : (هَذَا) (وَهَذَا) ، وهما غائبان على جهة الحكاية للحضرة ؛ أي فوجد فيها رجلين إذا نظر إليهما الناظر قال : هذا من شيعة ، وهذا من عدوه^(٣) .

وقال أبو علي : (هَذَا) يشار به إلى الحاضر ، والقصة ماضية ولكنها حكاية حال^(٤) ، وقد ذكرنا مثلها في قوله : ﴿فَنُجِّيَ مِنْ نَشْءٍ﴾ [يوسف : ١١٠]^(٥) .

(١) أخرجه أبو يعلى ١٦/٥ عن ابن عباس ، وأخرجه ابن جرير ٤٥/٢٠ عن ابن عباس ، وسعيد ابن جبير ، وقتادة ، والسدي ، وابن أبي حاتم ٢٩٥٤/٩ عن ابن عباس ، وقتادة ، والسدي . وتفسير مقاتل ١٦٤ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٢٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير ٤٥/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٥٤/٩ ، وقد خالف في ذلك مقاتل ، فقال : ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ﴾ كافرين . تفسير مقاتل ١٦٤ ، وهو أقرب ؛ لأن نبي الله موسى - عليه السلام - لم يبعث بعد . وقد ذكر هذا القول الواحد بعد ذلك ، ورجح قول مقاتل ، والله أعلم .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٣٦/٤ .

(٤) كتاب الشعر لأبي علي ٢٣٦/١ .

(٥) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال أبو علي : هو حكاية حال ، ألا ترى أن القصة في ما مضى ، وإنما حكى فعل الحال على ما كانت كما أن قوله : ﴿هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّ﴾ [القصص : ١٥] أشار إلى الحاضر والقصة ماضية لأنه حكى الحال .

وقوله : ﴿ فَاسْتَعْنَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ ؛ أي استنصر موسى الإسرائيلي على القبطي ^(١) . ﴿ فَوَكَرَهُ مُوسَى ﴾ : الوكر : الضرب بجمع الكف في الصدر ^(٢) .

قال الفرّاء : يريد : فلكزه ، وفي قراءة عبدالله : (فَنَكَرَهُ) ، وكلُّ سواء ^(٣) .

قال المفسرون : وكزه موسى وكزة بجمع كفه فقتله ، وهو قوله : ﴿ فَاقْتُلْهُ عَلَيْهِ ﴾ ؛ أي قتله ، قاله ابن عباس والمفسرون ^(٤) .

قال أبو عبيدة : كل شيء فرغت منه ، فقد قضيت عليه وقضيته ^(٥) .

قال المبرّد : قضى عليه كقولك : أتى عليه ؛ أي صادف أجله ، ومنه قول جرير :

أَيَفَايُشُونَ وَقَدْ رَأَوْا حُفَّائَهُمْ قَدْ عَصَّه فَقَضَى عَلَيْهِ الْأَشْجَعُ ^(٦)

(١) معاني القرآن للزجاج ١٣٦/٤ ، ١٣٧ ، وتفسير الثعلبي ١١٤٣/٨ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٣٦/٤ ، ١٣٧ ، وتفسير الثعلبي ١١٤٣/٨ .

(٣) معاني القرآن ٣٠٣/٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٠ ، وذكر قراءة عبدالله الثعلبي ١١٤٣/٨ . وفي الدر المنصون ٦٥٧/٨ : والفرق بين الوكر واللكز أن الأول بجمع الكف ، والثاني بأطراف الأصابع ، وقيل : بالعكس . والنكر كاللكز .

(٤) أخرجه أبو يعلى ١٦/٥ عن ابن عباس . وتفسير مقاتل ٦٤أ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣٠٣/٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٠ ، وتفسير الثعلبي ١١٤٣/٨ ، ووضح البرهان ١٤٨/٢ .

(٥) تفسير الثعلبي ١١٤٣/٨ أبنصه ، ولم ينسبه ، وكذا عند ابن قتيبة في غريب القرآن ، وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٩/٢ ؛ أي فقتله وأتى على نفسه .

(٦) ديوان جرير ٢٧٠ من قصيدة يهجو فيها الفرزدق ، ومعنى الفياش : المفاخرة . لسان العرب ٣٣٣/٦ ، واستشهد بيت جرير على ذلك . والحفاث : حية عظيمة . لسان العرب (حفت) ١٣٨/٢ .

أي قتله . قال المفسرون : كان موسى شديد البطش ، قد أوتي بسطة في الخلق ، وشدة في البطش ، ضَبَّتْ^(١) بعدوه فوكزه وكزة قتله منها ، وهو لا يريد قتله ، ف ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾^(٢) ؛ أي هذا القتل من تسبب الشيطان ، هيج غضبي حتى ضربت هذا ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ﴾ لابن آدم ، ﴿مُضِلٌّ﴾ له ، ﴿مُيِّنٌ﴾ عداوته . قال المفسرون : لما قتله موسى ندم على القتل ، وقال : لم أؤمر بذلك ، ف ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾^(٣) .

قال أبو إسحاق : هذا يدل على أن قتله كان خطأ ، وأنه لم يكن أمر موسى بقتل ولا قتال^(٤) ، ثم استغفر الله ، فقال :

١٦ . ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتلي نفساً لم أؤمر بقتلها ، ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ ؛ أي استر عليّ هذا الذنب ، ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٥) .

١٧ . ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ ؛ أي مننت عليّ إذ غفرت لي قتل هذه النفس^(٦) . قال مقاتل : أنعمت عليّ بالمغفرة^(٧) ، ولا أدري كيف علم

(١) الضَبَّتْ : قبضك بكفك على الشيء . تهذيب اللغة (ضبت) ٧/١٢ .

(٢) أخرجه ابن جرير ٤٥/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٥٥/٩ عن ابن إسحاق ، وأخرجنا نحوه عن قتادة ، وأخرج نحوه عن ابن عباس ابن أبي حاتم ٢٩٥٤/٩ ، وتفسير الثعلبي ٨/١٤٣ أ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٥٥/٩ عن ابن عباس . والثعلبي ٨/١٤٣ ، ولم ينسبه .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/١٣٧ .

(٥) تفسير ابن جرير ٤٧/٢٠ ، وأخرج عن قتادة ، قال : عرف المخرج ، فقال : ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ .

(٦) في تفسير الثعلبي ٨/١٤٣ أ : أنعمت عليّ بالمغفرة فلم تعاقبني .

(٧) تفسير مقاتل ٦٤ أ .

موسى أن الله قد غفر له ، وكان هذا قبل الوحي ^(١) . وقوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ . قال ابن عباس : عوناً للكافرين ^(٢) .

قال الأخفش : قوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ﴾ معناه : فلا أكونن ^(٣) . وهذا خبر في معنى الدعاء ، كأنه قال : فلا تجعلني ظهيراً ، ونحو هذا ذكر الفراء ، واحتج ^(٤) بأن في حرف عبدالله : (فلا تجعلني ظهيراً) على الدعاء ^(٥) . ومذهب المفسرين أن هذا خبر وليس بدعاء ، أخبر عن نفسه أنه لا يكون ظهيراً للمجرمين بعد ذلك ^(٦) .

قال ابن عباس : لم يستثن فابتلي ^(٧) . يعني : ما وقع له من غد ذلك اليوم ، وهو قوله : ﴿ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرْتَهُ بِآلَائِمِيسَ تَصَرَّحُ ﴾ . وقال قتادة : لم يستثن - عليه السلام - حين قال : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ فابتلي كما تسمعون ^(٨) . قال مقاتل : إنما قال ذلك ؛ لأن الذي نصره موسى كان كافراً ^(٩) . وقد حكينا عن ابن إسحاق أنه كان مسلماً ^(١٠) .

(١) قال ابن عطية ٢٧٦/١١ : ثم قال - عليه السلام - معاهداً ربه عز وجل : رب بنعمتك عليّ ويسبب إحسانك فأنا ملتزم ألا أكون معيناً للمجرمين . هذا أحسن ما تؤول . وقال ابن كثير ٢٢٥/٦ : ﴿ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ ؛ أي بما جعلت لي من الجاه والعزة والمنعة . وعلى هذا لا يرد الاعتراض الذي أورده الواحدي .

(٢) ذكره عن ابن عباس ابن الجوزي في زاد المسير ٢٠٩/٦ ، ثم قال بعده : وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً . وذكره ابن الأنباري في الأضداد : ٢٢٥ ، ولم ينسبه .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/٦٥٢ .

(٤) (واحتج) ساقطة من نسخة (ب) .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٣٠٤ .

(٦) تفسير مقاتل ٦٤ أ . وأخرجه عبدالرزاق ٨٩/٢ عن قتادة .

(٧) ذكره عنه الفراء في معاني القرآن ٢/٣٠٤ ، والثعلبي ٨/١٤٣ أ .

(٨) أخرجه ابن جرير ٢٠/٤٧ .

(٩) تفسير مقاتل ٦٤ أ .

(١٠) سبق ذكره في تفسير قول الله تعالى : ﴿ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص : ١٥] .

وسياق اللفظ يدل على صحة قول مقاتل . ومعنى الظهير في اللغة : المعين ^(١) ، وقد مرّ تفسيره ^(٢) .

١٨ . قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ . قال مقاتل : أصبح موسى من الغد في المدينة خائفاً أن يُقتل ﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾ ينتظر الطلب ^(٣) ، وقال ابن عباس : يتوقع ^(٤) ، وقال قتادة : ينتظر ما الذي يحدث به ^(٥) ، وقال الكلبي : ينتظر متى يؤخذ به ^(٦) . قال سعيد بن جبير : يتلفت ^(٧) .

وقال ابن قتيبة : ينتظر سوءاً يناله منهم ^(٨) . والترقب : انتظار المكروه ^(٩) . ﴿ فَإِذَا الَّذِي اٰسْتَنْصَرُّهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ . قال المفسرون : فإذا صاحبه الإسرائيلي الذي استنقذه بالأمس يقاتل فرعونياً يريد أن يسخره ، وهو يستغيث بموسى ^(١٠) .

والاستصراخ : الاستغاثة والاستنصار ^(١١) . وأمس : اسم لليوم الماضي الذي هو قبل يومك ، وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين .

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٩/٢ .

(٢) عند قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ [الفرقان ٥٥] .

(٣) تفسير مقاتل ٦٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٩/٢ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٤٧/٢٠ بلفظ : (يتربح أن يؤخذ) .

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٨٩/٢ .

(٦) تنوير المقباس : ٣٢٤ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٥٧/٩ .

(٨) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٠ .

(٩) الترقب : تنتظر الشيء وتوقعه . كتاب العين (رقب) ١٥٤/٥ ، وتهذيب اللغة ١٢٨/٩ .

(١٠) تفسير مقاتل ٦٤ بمعناه ، وتفسير ابن جرير ٤٨/٢٠ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٠ .

(١١) معاني القرآن للزجاج ١٣٧/٤ .

وقال الكسائي: بُني على الكسر؛ لأنه فعل سُمِّي به، وهو عنده مأخوذ من قولهم: أَمَسَ، فتركت السين على كسرتها، وهو اسم مبني ومعرفة بغير: (ألف)، ولا: (لام)، نحو هُنَيْدَة، وشُعُوب^(١)، ونحو ذلك من المبنيات المعرفة بغير اللام. ومن العرب من بينه على الفتح، كقول الشاعر:

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَباً مُذْ أَمَسَا عجائزاً مثلَ الأفاعي خمساً^(٢)

فإذا أضفته أو نكرته أو أدخلت عليه الألف واللام أجريته بالإعراب، تقول: كان أَمَسُنَا طيباً، ورأيت أَمَسَنَا المبارك، وسرت بأَمَسِنَا، وتقول: مضى الأَمَسُ بما فيه^(٣).

قال الفرّاء: ومن العرب من يخفض الأَمَسَ وإن أدخل عليه الألف واللام، وأنشد:

وَإِنِّي قَعَدْتُ الْيَوْمَ وَالْأَمَسَ قَبْلَهُ وأقعدُ غداً إن تأخروا في الأجلِ^(٤)

(١) قال الأصمعي: هُنَيْدَة: مائة من الإبل معرفة لا تنصرف، ولا يدخلها الألف واللام، ولا تجمع، ولا واحد لها من جنسها. تهذيب اللغة (هند) ٢٠٤/٦، وشُعُوب: المنية؛ يقال: شَعَبَتْهُ شُعُوبٌ فأشعب؛ أي مات. تهذيب اللغة (شعب) ٤٤٣/١، والقاموس المحيط ١٣٠،

(٢) أنشده سيبويه في الكتاب ٢٨٥/٣، وأبو زيد في النواذر ٥٧. وفي حاشية الكتاب: هو للعجاج. والشاهد فيه: إعراب أَمَسَ مع منعها من الصرف للعلمية والعدل عن الأَمَس. و(مذ) يرفع ما بعدها ويخفض أيضاً كما هنا. وهو في ديوان العجاج ٤٠٠، وأنشده في اللسان (أَمَس) ١٠/٦ مقتصراً على صدره، ولم ينسبه.

(٣) تهذيب اللغة (أَمَس) ١١٨/١٣، من قوله: فإذا أضفته . . . ونسبه إلى الكسائي، ولم أجد فيه ما قبله من الكلام، ولا بيت الشعر.

(٤) لم أجده في معاني القرآن عند تفسير هذه الآية، وقد نقله الأزهري في تهذيب اللغة (أَمَس) ١١٨/١٣، ولم ينسبه، وأنشده في اللسان في موضعين (أَمَس) ١٠/٨، ونسبه إلى نُصَيْب. والبيت بتمامه كما في اللسان، في الموضع الثاني:

وَإِنِّي حُبِسْتُ الْيَوْمَ وَالْأَمَسَ قَبْلَهُ بِيَابِكَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ

وفي الموضع الأول: (وقفت) (بدل: حبست)، وفي الدر المصون ٦٥٩/٨: ﴿يَا لَأَمَسٍ﴾ معرب؛ لأنه =

قال موسى للذي نصره بالأمس : ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾^(١) . قال ابن عباس : يريد : لمضل بين الضلالة .

قال مقاتل : يقول : إنك لمضل بين ، قتلت أمس في سببك^(٢) رجلاً ، وتدعوني اليوم إلى آخر^(٣) .

والغوي هاهنا : فعيل من : أغوى يغوي ، بمعنى مغوي ، كالوجيع والأليم ، ويجوز أن يكون الغوي بمعنى الغاوي ، فيكون المعنى : إنك لغوي في قتالك من لا يطيق دفع شره عنك^(٤) .

وقال الحسن : إنما قال للفرعوني : ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ يعني بالتسخير والظلم^(٥) .

ثم أقبل موسى إليهما ، وهما أن يبطش الثانية بالقبطي ، وهو قوله :

٢٠-١٩ . ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ ؛ أي بالقبطي الذي هو عدو لموسى والإسرائيلي ، [ظن الإسرائيلي]^(٦) أن موسى يريد أن يبطش

متى دخلت عليه أل أو أضيف أعرب ، ومتى عري منها فحال معروف ؛ الحجاز تبنيه ، والتميميون يمنعونوه الصرف ، كقوله : لقد رأيت عَجَباً مُدَّ أَمْساً .

على أنه قد بينى مع أل ندوراً ، كقوله :

وإني حُسْتُ اليوم والأمس قبله إلى الشمس حتى كادت الشمس تغرب

(١) معاني القرآن للزجاج ١٣٧ / ٤ .

(٢) في نسخة (ج) : (سيبك) .

(٣) ذكر نحوه الفراء في معاني القرآن ٣٠٤ / ٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٠ ، ولم أجده في تفسير مقاتل .

(٤) لم أجده في تهذيب اللغة (غوى) ، ونقله بنصه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٠٩ / ٦ ، ولم ينسبه .

(٥) ذكره الثعلبي ١٤٣ / ٨ ب ، ولم ينسبه ، وصوب القول الأول ، وجعله أليق بنظم الآية ، وهو أن هذا موجّه إلى الإسرائيلي ، وليس إلى القبطي ، وهو كذلك ، والله أعلم .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

به لقوله له^(١) : ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ ، فقال : ﴿يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ ، وهذا قول جميع المفسرين^(٢) .

قال ابن عباس والكلبي : ولم يكن أحد أطلع ولا علم أن موسى هو الذي قتل القبطي بالأمس ، حتى أفشى عليه الإسرائيلي أنه هو القاتل بالأمس ، وسمع القبطي ذلك فعلم به ، وأتى فرعون فأخبره^(٣) .

والذي قاله المفسرون : إنه لم يستثن فابتي ، هو هذا ، وهو أنه وقع من الغد في مثل ما وقع بالأمس ، وهمم بالبطش حتى فشيت عليه قصته الواقعة بالأمس ، حتى احتاج إلى الهرب .

قوله تعالى : ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ ؛ أي ما تريد إلا أن تكون جباراً . قال المفسرون : قتلاً بالظلم^(٤) .

قال أبو إسحاق : الجبار في اللغة : المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله ، والقاتل بغير حق : جبار^(٥) .

وقوله : ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ . قال أبو إسحاق : أي ما هكذا يكون الإصلاح^(٦) . قالوا : فلما سمع القبطي هذا من قول الإسرائيلي خلاه في يد موسى ،

(١) (له) من نسخة (أ) و(ب) .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٨٩/٢ عن قتادة ، وأخرجه ابن جرير ٤٨/٢٠ عن ابن عباس . وتفسير مقاتل ١٦٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٧/٤ ، وتفسير الثعلبي ١٤٣/٨ ب ، ووضح البرهان ١٤٨/٢ .

(٣) أخرجه أبو يعلى ١٧/٥ عن ابن عباس ، وأخرجه ابن جرير ٤٩/٢٠ عن محمد بن إسحاق .

(٤) تفسير مقاتل ١٦٤ . وأخرجه ابن جرير ٤٩/٢٠ عن قتادة وابن جريج ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٥٩/٩ عن أبي عمران الجوني وقاتدة . انظر : تفسير الثعلبي ١٤٣/٨ ب .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١٣٧/٤ ، والجبار له معاني متعددة ، أوصلها ابن الأنباري إلى ستة ، منها : القتال ، واستدل عليه بهذه الآية . الزاهر ٨٠/١ .

(٦) أخرجه ابن جرير ٥٠/٢٠ .

وجاء القبط^(١) فأخبرهم بأن موسى هو^(٢) القاتل ، فأمر فرعون بقتله ، وعلم بذلك رجل من شيعة موسى فأثاه ، وأخبره بذلك^(٣) ، وهو قوله : ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ . قال ابن عباس : اسمه حزقيل ، وهو الرجل المؤمن من آل فرعون ، هذا قول أكثر المفسرين^(٤) .

وقال ابن إسحاق : يقال له : سَمْعَان ، ولم يذكر أنه المؤمن من آل فرعون^(٥) . ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ ؛ أي من آخرها وأبعدها ﴿يَسْعَى﴾ . قال مقاتل : على رجله^(٦) ، وقال ابن عباس : يشد .

﴿قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ الْمَلَأَ﴾ : يريد الأشراف ، يعني : أشراف قوم فرعون^(٧) ﴿يَأْتِمُرُونَ بِكَ﴾ . قال أبو عبيدة : يتشاورون فيك ليقتلوك . واحتج بقول ربيعة بن جُعشم التَّمْرِي^(٨) :

أَحَارُ بْنُ عَمْرِو كَأَنِّي خَمْرٌ وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمُرُ^(٩)

(١) في نسخة (ج) : (القطبي) .

(٢) (هو) ساقطة من نسخة (أ) و(ج) .

(٣) أخرجه أبو يعلى ١٨/٥ عن ابن عباس ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/٥٠ عن ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، وذكر نحوه مقاتل ١٦٤ . وتفسير الثعلبي ٨/١٤٤ .

(٤) تفسير مقاتل ١٦٤ . وأخرجه عبدالرزاق ٨٩/٢ عن قتادة من دون ذكر الاسم ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٥٩/٩ عن ابن عباس بلفظ : (من شيعة موسى) ، ولم يذكر الاسم ، ولا الصفة . قال الثعلبي ٨/١٤٤ : قال أكثر أهل التأويل : هو حزقيل بن صبورا .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠/٥١ ، وابن أبي حاتم ٢٩٥٩/٩ ، وذكره الثعلبي ٨/١٤٤ ، ولم ينسبه . وهذا خلاف لا فائدة فيه ، ولا ثمرة ترجى من ورائه ، والإعراض عنه أولى .

(٦) تفسير مقاتل ١٦٤ .

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/١٣٨ .

(٨) في النسخ الثلاث : (النميري) .

(٩) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٠٠ ، ونسب البيت إلى ربيعة بن جُعشم النمري ، وعنه ابن قتيبة في غريب

القرآن ٣٣٠ ، والأزهري في تهذيب اللغة (أمر) ١٥/٢٩٤ ، وأنشده البغدادي ١/٣٧٤ ، ونسبه إلى =

قال ابن قتيبة : وهذا غلط بيِّن لمن تدبر ، ومضادةٌ للمعنى ، كيف يعدو على المرء ما شاور فيه ، والمشاورة بركة وخير ؟ وإنما أراد : يعدو عليه ما يهيم به من الشر ، قال : وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمَلَأُ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ ؛ أي يَهْمُونَ بك ، يدلُّك على ذلك قول النَّمِر بن تَوْلَب ^(١) :

اعْلَمَنْ أَنَّ كُلَّ مُؤْتَمِرٍ مُخْطِئٌ فِي الرَّأْيِ أحياناً ^(٢)

يقول : كُلُّ من ركب هواه ، وفعل ما يفعل بغير مشاورة أخطأ أحياناً . وكذلك قوله تعالى : ﴿وَأَتِمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق : ٦] لم يُرد : تَشاوروا ، إنما أراد : هُمُّوا به ، واعتزموا عليه ، ولو كان كما قال أبو عبيدة لقال : يتآمرون فيك ^(٣) .

وقال الزَّجَّاج في قوله : ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ^(٤) .

امرئ القيس ، وهو في ديوانه ١١١ . قال البغدادى : وأثبت هذه القصيدة له أبو عمرو الشيباني ، والمفضل ، وغيرهما ، وزعم الأصمعي في روايته عن أبي عمرو بن العلاء أنها لرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له : ربيعة بن جُعْشَم ، وفيه : (أحارُ : مرخم : يا حارث ، كأني خمر : الخمار بقية السكر) .

وهو قول ابن جرير ٥٢ / ٢٠ ، قال : يتآمرون بقتلك ، ويتشاورون ، ويرتثون فيك . وذكر هذا القول من دون البيت النيسابوري في وضع البرهان ١٤٩ / ٢ .

(١) النمر بن تولب بن زهير ، شاعر جواد ، كان يسمى الكَيْسَ لحسن شعره ، قدم على النبي ﷺ ، وأسلم . انظر الإصابة في معرفة الصحابة ٢٥٣ ، والشعر والشعراء ١٩٥ .

(٢) أنشده ونسبه ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٣٠ ، وذكر بعده بيتاً آخر ، هو :

فإِذَا لَمْ يَصْبُ رَشِداً كَانَ بَعْضُ اللُّومِ تُنْيَاناً

وعن ابن قتيبة ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة ٢٩٤ / ١٥ ، ولم ينسبه .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٠ مختصراً ، ونقل قول ابن قتيبة الأزهرى في تهذيب اللغة (أمر) ٢٩٤ / ١٥ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٣٨ / ٤ ، ووضح البرهان ١٤٩ / ٢ .

قال الأزهري : يقال : ائتمر القوم ، وتأمروا : إذا أمر بعضهم بعضاً^(١) ، كما يقال : اقتتل القوم وتقاتلوا ، واختصموا وتخاصموا . ومعنى : ﴿يَأْتِمُرُونَ بِكَ﴾ يؤامر بعضهم بعضاً بقتلك ، وهذا أحسن من قول القتيبي إنه بمعنى : يَهْمُونَ بك ، وقول الله تعالى : ﴿وَأْتِمُرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ ليأمر بعضكم بعضاً بمعروف . وجائز أن يقال : ائتمر فلان رأيه ، إذا شاور عقله في الأمر الذي يأتيه . وقد يصيب الذي يأتمر رأيه مرة ، ويخطئ أخرى ، وهذا معنى قوله : اعلمن أن كل مؤتمر .

أي من ائتمر رأيه في ما ينوبه يخطئ أحياناً . انتهى كلامه^(٢) . ومعنى الائتثار في كلام العرب : المشاورة ، وهو يعود إلى أن يأمر بعضهم بعضاً^(٣) كما ذكره الزَّجَّاج .

قال شمر : يقال : ائتمرت فلاناً في ذلك الأمر إذا شاورته ، وائتمر القوم إذا تشاوروا . ثم الائتثار يكون مرة مع ذوي العقل والرأي من الناس ، وهو المحمود المسنون ، [ومرة يكون مع النفس والهوى ، وهو المذموم الذي ذم في قوله : ويعدو على المرء ما يأتمر]^(٤) ، ومرة يكون مع العقل والرأي ، وهو الذي يخطئ مرة ويصيب مرة ، وقد ذكره النمر في قوله ، ومنه المثل : (لا يدري المكذوب كيف يأتمر) ؛ أي كيف يرى رأياً ويشاور نفسه^(٥) .

(١) في نسخة (ب) زيادة (بقتلك) ، وهي غير موجودة في التهذيب .

(٢) تهذيب اللغة (أمر) ٢٩٥ / ١٥ .

(٣) في نسخة (أ) و(ب) : (بعضكم بعضاً) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٥) تهذيب اللغة (أمر) ٢٩٥ / ١٥ بتصرف . وقد ذكر المثل ولم يتكلم عليه ، وهو في مجمع الأمثال ٢ / ٢٧٧

بلفظ : «لا يدري الكذوب كيف يأتمر» ؛ أي كيف يمثل الأمر ويتبعه .

وقول أبي عبيدة والزجاج في تفسير: ﴿يَأْتِمُرُونَ﴾ هو الصحيح ، وقولهما قريب من السواء ، وقول ابن قتيبة لا أصل له في اللغة ، ولا يقال : ائتمر بالشيء إذا همَّ به ، ولم أر للمفسرين لفظاً في تفسير الائتار .

قوله : ﴿لِيقْتُلُوكَ﴾ ؛ أي بالقبطي الذي قتله بالأمس ، قاله ابن عباس ومقاتل^(١) ، ﴿فَأَخْرَجَ﴾ من القرية ﴿إِنِّي لَكُمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ؛ أي في أمري إياك بالخروج^(٢) .

٢١ . ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ : قد مرَّ تفسيره .

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي قُوَّةً وَآخِرًا﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يعني المشركين ، أهل مصر^(٣) .

٢٢ . قال ابن إسحاق : ذكر أنه خرج على وجهه ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ما يدري أي وجه يسلك ، فهيأ الله له الطريق إلى مدين^(٤) ، وهو قوله : ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدِينَةٍ﴾ ؛ أي قصدها^(٥) ، ونحو هذا قال ابن قتيبة : أي تجاه مدين ونحوها ، وأصله : اللقاء ، زيدت فيه التاء ، وأنشد :

فاليومَ قَصَّرَ عَنْ تَلَقَّائِكَ الْأَمْلُ

أي عن لقاءك^(٦) .

(١) أخرجه ابن جرير ٥٠ / ٢٠ عن ابن عباس . وتفسير مقاتل ٦٤ .

(٢) تفسير ابن جرير ٥٢ / ٢٠ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٤ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٥٣ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٦٠ / ٩ .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٩٠ / ٢ عن قتادة .

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٢ ، ولم ينسب البيت ، وأنشده كاملاً سيبويه ٨٤ / ٤ ، ونسبه إلى الراعي ، وهو في ديوانه ١١٢ ، وصدره :

أُمِّلْتُ خَيْرَكَ هَلْ تَأْتِي مَوَاعِدُهُ

وقال أبو إسحاق : معنى : ﴿تَلَقَّاءَ مَدِينٍ﴾ ؛ أي سلك في الطريق التي يلقي مدين فيها^(١) .

قال محمد بن إسحاق ، وغيره : خرج موسى من مصر إلى مدين بغير زاد ، ولا حذاء ، ولا ظهر ، وبينهما مسيرة ثمانية أيام^(٢) .

[قال ابن عباس :]^(٣) وليس له بالطريق علمٌ إلا حسن ظنه بربه ، فإنه ﴿قَالَ عَسَىٰ رَيْتَ أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٤) .

قال مقاتل : توجه نحو مدين بغير دليل ، وخشي أن يضل الطريق ، فقال : عسى ربي يرشدني قصد الطريق إلى مدين^(٥) .

ومعنى ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ : قصد السبيل في الاستواء^(٦) .

٢٣ . قوله : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ جماعة من الناس^(٧) ، وهم : الرعاة يسقون مواشيهم وأنعامهم^(٨) . ﴿وَوَجَدَ

(١) أخرجه ابن جرير ٥٣/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٦٠/٩ بنحوه .

(٢) أخرجه ابن جرير في التاريخ ٣٩٧/١ عن ابن عباس وسعيد بن جبير ، وأخرجه عن محمد بن إسحاق ابن جرير ٥٣/٢٠ ، وذكر العدد في خبر سعيد بن جبير الذي أخرجه ابن جرير أيضاً ، وقال مقاتل ٦٤ : عشرة أيام ، وذكره الثعلبي ٨/١٤٤ أ ، ونسبه إلى المفسرين .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٤) أخرجه ابن جرير ٥٣/٢٠ .

(٥) تفسير مقاتل ٦٤ ب ، وتأويل مشكل القرآن ٤٤٣ ، وتفسير الثعلبي ٨/١٤٤ أ .

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠١/٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/١٣٨ ، وأخرجه ابن جرير ٥٤/٢٠ عن قتادة والحسن .

(٧) تفسير مقاتل ٦٤ ب ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/١٣٩ ، وابن الأنباري في الزاهر ١/١٤٩ ، وقد أوصل معاني الأمة إلى ثمانية .

(٨) أخرجه ابن جرير ٥٤/٢٠ عن ابن إسحاق ، وذكره الثعلبي ٨/١٤٤ أ ، ولم ينسبه .

مِنْ دُونِهِمْ ﴿١﴾ ؛ أَي من سوى الأمة ﴿أَمْرَاتَيْنِ﴾ ، وهما : ابنتا شعيب ، في قول أكثر المفسرين ^(١) .

﴿تَذَوْدَانِ﴾ : تحبسان غنمهما ، هذا قول أكثر المفسرين : الكلبي ، ومقاتل ، وسعيد ابن جبير ، والسدّي ، وغيرهم ^(٢) .

قال مقاتل : حابستين الغنم ، لتسقى الغنم فضل الرّعاء ^(٣) .

وقال السدّي : تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا ، ويخلوا لهم البئر ^(٤) .

وقال عبدالله بن مسلم : أي تكفان غنمهما ، وحذف الغنم اختصاراً ^(٥) .

ومعنى الذود في اللغة : الكف والطرْد ^(٦) ، ومعنى ﴿تَذَوْدَانِ﴾ : تدفعان وتكفان . ولم يُذكر في الآية عن أي شيء تدفعان الغنم ، فذهب أكثر أهل التفسير

(١) تفسير مقاتل ٦٤ ب . وجزم الواحدي هنا باسم أبيهما ، تابع فيه ما اشتهر عند أكثر المفسرين ، وقد وقع الخلاف في اسمه ، وهل هو النبي شعيب - عليه السلام - أم غيره ؟ وحكى أنه شعيب الثعلبي ١٥٣/٨ عن : مجاهد والضحاك والسدّي والحسن . قال ابن جرير : وهذا مما لا يُدرك علمه إلا بخبر ، ولا خبر في ذلك تجب حجته ، فلا قول في ذلك أوّل بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه . وساق ابن كثير ٦/٢٢٨ الخلاف في هذا الرجل ، واستبعد كونه نبي الله شعيباً عليه السلام ، ثم قال : وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده ، كما سنذكره قريباً إن شاء الله . ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه : ثبرون ، والله أعلم .

(٢) معاني القرآن للقرّاء ٢/٣٠٥ غير منسوب . وأخرجه ابن جرير ٢٠/٥٥ ، وابن أبي حاتم ٩/٢٩٦٢ عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والسدّي ، وأبي مالك . وتفسير الثعلبي ٨/١٤٤ أ ، وذكره في ١٥٣ عن قتادة وابن إسحاق ، ورجح هذا القول الثعلبي .

(٣) أخرجه أبو يعلى ١٨/٥ عن ابن عباس . وتفسير مقاتل ٦٤ ب .

(٤) أخرجه ابن جرير ٢٠/٥٥ ، وابن أبي حاتم ٩/٢٩٦٢ عن أبي مالك ، باللفظ نفسه ، وأما لفظ السدّي عندهما فهو : تحبسان غنمهما . وهذا يدل على أن قوله : قال السدّي خطأ ؛ لذكره قبل ذلك ، فعله يعني به أبا مالك ، والله أعلم .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٢ .

(٦) تهذيب اللغة (ذاد) ١٤/١٥٠ ، ولسان العرب ٣/١٦٧ .

إلى أنها كانتا تدفعانها عن الماء ، وهو قول من قال : تحبسان ؛ لأن دفعها عن الماء حبس لها عنه . واختاره أبو إسحاق ، قال : ﴿تَذُودَانِ﴾ غنمهما عن أن تقرب موضع الماء ؛ لأنها تطردها عن الماء مَنْ هو على السقي أقوى منهما^(١) .

وقال الحسن : تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس^(٢) .

وقال قتادة : ﴿تَذُودَانِ﴾ الناس عن شائهما^(٣) .

وقال الفراء : تحبسانها عن أن تشذ وتذهب ، قال : ولا يجوز أن يقال : ذدت الرجل إذا حبسته ، وإنما كان الذياد حبساً للغنم ؛ لأن الغنم إذا أراد شيء منها أن يشذ ويذهب فردته فذلك : ذود ، وهو : الحبس^(٤) . والقول هو الأول ؛ لقوله : ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾^(٥) . قال محمد بن إسحاق : ما شأنكما لا تسقيان^(٦) .

وقال أبو إسحاق : أي ما أمركما^(٧) ؟ ومعناه : ما تخطبان ؟ أي ما تريدان بذودكما غنمكما عن الماء^(٨) ؟ فلو لا أنها كانتا تحبسان غنمهما عن الماء في وقت السقي

(١) معاني القرآن للزجاج ١٣٩ / ٤ .

(٢) ذكره عنه الثعلبي ١٥٣ / ٨ ب .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٩٠ / ٢ ، وابن جرير ٥٦ / ٢٠ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٣٠٥ / ٢ ، وقد تعقبه ابن جرير ٥٥ / ٢٠ بأنه قد روي عن النبي ﷺ أنه قال : «أنا عند عُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ عَنْهُ النَّاسُ لِأَضْرِبَهُمْ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ» ، فقد جعل النبي ﷺ الذود في الناس . والحديث أخرجه ابن حبان ، كتاب : التاريخ ، رقم ٦٤٥٥ ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٣٦٧ / ١٤ ، وقال المحقق : إسناده صحيح على شرط مسلم . ومعنى يرفض : يسيل ، وعُقْر الحوض : موضع الشاربة منه . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٧١ / ٣ .

(٥) وقد سبقه إلى هذا الترجيح ابن جرير ٥٦ / ٢٠ ، قال : لدلالة قوله : ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ .

(٦) تفسير الثعلبي ١٥٣ / ٨ ب ، ولم ينسبه .

(٧) معاني القرآن للزجاج ١٣٩ / ٤ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٢ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ١٣٩ / ٤ .

ما سألهما موسى عن شأنهما ، ألا ترى أن في جوابهما دليلاً على أنه سألهما عن السبب في ترك السقي مع الناس ، وهو قوله : ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ وُقُرى : ﴿يُصْدِرَ﴾^(١) من : صَدَرَ ، وهو ضد : وَرَدَ . قال الله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشُنَانًا﴾ [الزلزلة : ٦] . ومعنى ﴿يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ يرجعوا من سقيهم .

ومن قرأ : ﴿يُصْدِرَ﴾ أراد : حين يصدروا مواشيهم من وردهم^(٢) . قال ابن عباس : فيخلوا لنا الموضع^(٣) ، ولكنه حذف المفعول ، ومثله كثير ، و﴿الرِّعَاءُ﴾ : جمع راع ، كما يقال : تاجر وتجار ، وصاحب وصحاب ، ويجمع أيضاً على : الرعاة ، كالبكاة ، والغزاة ، والدعاة^(٤) .

قال مقاتل : ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ بالغنم راجعة من الماء إلى الرعي فنسقي فضلهم^(٥) .

وقال ابن إسحاق : ﴿قَالَتَا﴾ نحن امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال ، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر على أن يغني ذلك من نفسه ، وأن يسقي ماشيته ،

(١) قرأ أبو عمرو وابن عامر : ﴿يَصْدُرُ﴾ بفتح الباء ، وضم الدال ، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وحمة والكسائي : ﴿يُصْدِرَ﴾ بضم الباء ، وكسر الدال . انظر السبعة في القراءات ٤٩٢ ، والحجة للقراء السبعة ٤١٢/٥ ، والنشر ٣٤١/٢ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٤١٢/٥ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٢ ، ووضح البرهان ١٤٩/٢ .

(٣) أخرجه بنحوه ابن جرير ٥٧/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٦٤/٩ .

(٤) كتاب العين (رعو) ٢/٢٤٠ ، وفي تهذيب اللغة (رعى) ٣/١٦٢ : ويجمع الرعي : رعاة ورعياناً ، وأكثر ما يقال : رعاة للولاة ، والرعيان لجمع راعي الغنم .

(٥) تفسير مقاتل ٦٤ ب . وأخرجه عبدالرزاق ٩٠/٢ عن قتادة .

فنحن ننتظر الناس حتى^(١) إذا فرغوا سقينا ثم انصرفنا^(٢)، وهذا معنى قوله : ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ . [قال مقاتل : لا يستطيع أن يسقي الغنم من الكبر^(٣) .

وقال أبو إسحاق : الفائدة في قولهما : ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾^(٤) ؛ أي لا يمكنه أن يرد ويسقي ، فلذلك احتجنا ونحن نساء أن نستقي^(٥) .

وقال الكلبي : قالتا : ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ، وليس له عون يعينه غيرنا^(٦) . فأتى موسى أهل الماء فسألهم دلواً من ماء ، فقالوا له : إن شئت ائت الدلو فاستق بها ، قال : نعم ، وكان يجتمع على الدلو أربعون رجلاً حتى يخرجوه من البئر ، فأخذ موسى الدلو فاستقى به وحده ، وصب في الحوض ، ودعا بالبركة ، ثم قرَّب غنمهما فشربت حتى رويت^(٧) .

وقال ابن إسحاق^(٨) : أخذ موسى دلوها ، ثم تقدَّم إلى السقاة بفضل قوته ، فراحم القوم عن الماء حتى أخرهم عنه ، ثم سقى لهما^(٩) .

(١) (حتى) من نسخة (ج) .

(٢) أخرجه ابن جرير ٥٧/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٦٤/٩ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٤ ب .

(٤) ما بين المعقوفين من نسخة (ج) .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١٣٩/٤ .

(٦) تنوير المقباس : ٣٢٥ .

(٧) معاني القرآن للقرآء ٣٠٥/٢ بمعناه . وأخرجه نحوه عبد الرزاق ٩٠/٢ عن قتادة ، وكذا عند مقاتل

٦٤ ب ، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم ٢٩٦٤/٩ عن السدي .

(٨) في نسخة (أ) و(ب) : (أبو إسحاق) ، وهو خطأ .

(٩) أخرجه ابن جرير ٥٨/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٦٤/٩ .

وقال مقاتل : قال لهما موسى : أين الماء ؟ فانطلقتا به إلى الماء ، فإذا هو بحجر على رأس البئر لا يزيله إلا عصابة من الناس ، فرفعه موسى بيده وحده ، ثم أخذ الدلو فأدلى دلواً واحداً ، فأفرغه في الحوض ، ثم دعا بالبركة فسقى الغنم ، فرويت^(١) .

٢٤ . فذلك قوله : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ ؛ أي فسقى أغنامهما لهما ، يعني : لأجلهما . فحذف مفعول السقي . قال أبو إسحاق : أي فسقى لهما من قبل الوقت الذي كانتا تسقيان فيه^(٢) .

وقوله : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ . قال السدي : ظل شجرة^(٣) ، وقال مقاتل : ثم انصرف إلى ظل شجرة فجلس تحتها من شدة الحر وهو جائع^(٤) . ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ . قال ابن عباس : يريد طعاماً يأكله ، يقول : إني إليه محتاج^(٥) .

وقال مجاهد : ما سأل إلا طعاماً يأكله^(٦) .

وقال إبراهيم : ما كان مع موسى رغيف ولا درهم^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٦٤ ب .

(٢) أخرجه ابن جرير ٦٠ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٦٥ / ٩ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٥٨ / ٢٠ ، وذكره الثعلبي ١٥٣ / ٨ ب .

(٤) تفسير مقاتل ٦٤ ب .

(٥) أخرجه ابن جرير ٥٨ / ٢٠ .

(٦) أخرجه ابن جرير ٥٩ / ٢٠ ، وفي نسخة (ج) : (سأل طعاماً يأكله) .

(٧) أخرجه ابن جرير ٥٩ / ٢٠ .

وروى سعيد بن جبير [عن ابن عباس]^(١)، قال : لقد قال موسى هذا ، وهو أكرم خلقه عليه ، ولقد افتقر إلى شق تمرة^(٢) .

وعن سعيد بن جبير قال : ما سأل إلا شُبْعَه^(٣) . واللام في قوله : ﴿لِمَا أَنْزَلْتَ﴾ معناها : إلى ما أنزلت ، قال الأخفش : يقال : هو فقير له وإليه ، ومحتاج له وإليه ، وأوحي إليه وأوحي له^(٤) ، كل يقال مما يقوم بعض مقام بعض ، ونحو هذا قال قطرب^(٥) .

قال محمد بن إسحاق : فرجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان فيها ، فأنكر شأنهما وسألهما ، فأخبرتا الخبر^(٦) ، فقال لإحديهما^(٧) : اعجلي عليّ به ، فأتته ﴿عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ﴾ ، فقالت : ﴿إِنِّي يَدْعُوكَ﴾^(٨) .

٢٥ . وقال مقاتل : فرجعت المرأتان إلى أبيهما ، فقال : ما أعجلكما اليوم ؟ فأخبرتا ، فقال : بئس ما صنعتما لجئتني به ، فرجعت الكبرى إلى موسى لتدعوه ، فذلك قوله تعالى : ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ يعني : الكبرى ﴿تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ﴾^(٩) . قال عمر رضي الله عنه : مستتره بكم

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٤٠ غير منسوب ، ولم أجده بهذا اللفظ عند ابن جرير ، ولا ابن أبي حاتم ، والله أعلم .

(٣) أخرجه ابن جرير ٥٩ / ٢٠ عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير .

(٤) لم أجده عند الأخفش في كتابه المعاني ، وذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ١٢٣ ، ولم ينسبه ، ونسبه الشوكاني ٤ / ١٦٠ إلى الزجاج .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٨ / ١١٥٤ .

(٦) (الخبر) ساقطة من نسخة (ج) .

(٧) هكذا في نسخة (أ) و(ب) ، وعند الثعلبي ٨ / ١١٥٤ ، وفي نسخة (ج) : (لإحداهما) .

(٨) أخرجه ابن جرير ٦١ / ٢٠ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١١٥٤ .

(٩) تفسير مقاتل ٦٤ ب .

درعها ، لم تكن بسَلْفَع من النساء ، خَرَّاجَةٌ وَلَاجَةٌ ، قاتلة بيدها على وجهها ، يعني : واضعة^(١) .

قال أبو إسحاق : أي تمشي مشي من لم تعتد الدخول والخروج ، متحفزة مستحيية^(٢) .

قوله تعالى : ﴿قَالَتْ إِنَّكَ أَبَى دَعْوِكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ ؛ أي ليقضيك ؛ من جزى يجزي إذا قضى ، قاله المبرّد . قال مقاتل : فقام يمشي معها ، ولولا الجوع الذي أصابه ما تبعها ، وكان بين موسى وبين أبيها ثلاثة أميال ، ثم أمرها أن تمشي خلفه ، وتدله بصوتها على الطريق كراهية أن ينظر إليها^(٣) .

وقال عمر : قال لها : امشي خلفي ، وانعتي لي الطريق ، فإنّا^(٤) لا ننظر إلى أدبار النساء^(٥) .

قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ . قال مقاتل : فلما أتى موسى شعبياً ، ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ يعني : أمره أجمع ؛ من أمر القوابل اللاتي قتلن أولاد بني إسرائيل ، وحين وُلد ، وحين قُذِف في التابوت ، وفي اليم ، وقتل الرجل القبطي ، وأنهم

(١) أخرجه الحاكم ٤٤١/٢ ، رقم ٣٥٣٠ ، وقال : على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن جرير ٦٠/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٦٥/٩ ، وصحّح إسناده ابن كثير ٢٢٨/٦ ، السلفع من النساء : البديّة الفحّاشة القليلة الحياء ، ورجل سلفع : قليل الحياء . والذكر والأنثى فيه سواء ، يقال : رجل سلفع ، وامرأة سلفع . تهذيب اللغة (سلفع) ٢٩٩/٣ ، ٣٣٩ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٤٠/٤ . متحفزة : مأخوذ من قول : إذا صلّت المرأة فلتحتفز ؛ أي تتضام وتجتمع . تهذيب اللغة (حفز) ٣٧٢/٤ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٥ أ . وأخرج نحوه أبو يعلى ١٩/٥ عن ابن عباس .

(٤) في نسخة (ب) : (فإننا) .

(٥) أخرجه الحاكم ٤٤١/٢ ، ٣٥٣٠ ، وأخرجه ابن جرير ٦١/٢٠ عن ابن إسحاق .

يطلبونه ليقتلوه^(١)، قال له شعيب: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي لا سلطان له بأرضنا، ولسنا في مملكته^(٢).

٢٦. ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾. قال مقاتل: وهي الكبرى التي تزوجها موسى^(٣) ﴿يَتَأَبَّى اسْتَجِرُّهُ﴾؛ أي اتخذه أجيراً، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾؛ أي خير من استعملت مَنْ قوي على عملك، وأدى الأمانة فيه^(٤).

قال عمر -رضي الله عنه- وجميع المفسرين: قال شعيب: من أين علمت قوته؟ قالت: كان الحجر لا يطيقه إلا عشرة فرفعه، فقال: من أين عرفت أمانته؟ قالت: قال لي: لا تمشي أمامي فيصفك الريح لي، ولكن امشي خلفي فدليني^(٥).

(١) تفسير مقاتل ٦٥ أ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٦٥ عن ابن عباس، وتفسير ابن جرير ٢٠/ ٦١، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ١٤٠، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٥٤.

(٣) تفسير مقاتل ٦٥ أ. أخرج ابن مردويه في تفسيره من طريق سليمان بن داود الشاذكوني عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «قال لي جبريل: يا محمد إن سألك اليهود: أي الأجلين قضى موسى؟ فقل: أوفاهما. وإن سألك: أيها تزوج؟ فقل: الصغرى منهما». تخريج أحاديث الكشف للزيلعي ٣/ ٣٠. قال ابن حجر: سليمان الشاذكوني: متروك، من التاسعة. تقرب التهذيب ١٣١٥، رقم ٨٥٨٣، فهو لم يلق أباً هريرة، فالطبقة التاسعة هي الطبقة الصغرى من أتباع التابعين. تقرب التهذيب ٨٢، وقد ذكر ابن جرير ٢٠/ ٦٢ اختلاف الروايات في أسماء المرأتين، وهو مما لا دليل عليه، وقد أحسن الواحدي في إعراضه عنه.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٤٠ بنصه.

(٥) تفسير مقاتل ٦٥ أ. وأخرج نحوه عبدالرزاق ٢/ ٩٠ عن قتادة، وأخرج نحوه أبو يعلى ٥/ ١٩ عن ابن عباس، وأخرج هذا القول بالفاظ متقاربة ابن جرير ٢٠/ ٦٣ عن ابن عباس، ومجاهد، وعمر بن ميمون، وقاتادة، وغيرهم، وأخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٦٧ عن هؤلاء، وعن عمر -رضي الله عنه- من طريق عمرو بن ميمون. تفسير الثعلبي ٨/ ١٥٤.

قال مجاهد : رفع صخرة لا يرفعها إلا فتام من الناس ، وغض طرفه عنهما حين سقى لهما^(١) .

٢٧ . فصدرتا وقد عرفتا قوته وأمانته ، فلما ذكرت المرأة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبة فيه ، فقال : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنَكِّحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ ؛ أي أزوجهما ﴿ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجٍ ﴾ ؛ أي تكون أجيراً لي ثمانى سنين^(٢) .

وقال الفرّاء : يقول أن تجعل ثوابي أن ترعى عليّ غنمي ﴿ ثَمَنِي حَجَجٍ ﴾^(٣) ، وقال ابن قتيبة : أي تجازيني من التزويج ، والأجر من الله : الجزاء على العمل^(٤) ، وقال مقاتل : على أن تأجرني نفسك ﴿ ثَمَنِي حَجَجٍ ﴾^(٥) .

قال الأخفش : وهي لغة للعرب ؛ منهم من يقول : أَّجَرْتُ^(٦) غلامي أجراً فهو مأجور ، وأَجَرْتُهُ إيجاراً فهو مؤَجَّر ، وأَجَرْتُهُ ، على : فاعلته ، فهو : مؤَاجِر^(٧) .

وقال المبرّد : ويقال : أَّجَرْتُ داري ومملوكي ، غير ممدود ، وأَّجَرْتُ ممدود^(٨) ، والأول أكثر : إيجاراً وإجارة . والإجارة : اسم لما فعلت ، والمصدر : الإيجار^(٩) .

(١) أخرجه ابن جرير ٦٣ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٧٦ / ٩ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٤١ / ٤ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٣٠٥ / ٢ .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٢ .

(٥) تفسير مقاتل ٦٥ أ .

(٦) هكذا في النسخ الثلاث : (أجرت) ، وعند الأخفش : (أجر) .

(٧) معاني القرآن للأخفش ٦٥٢ / ٢ .

(٨) قوله : (وَأَجَرْتُ ممدود) ساقط من نسخة (ج) . وذكر قول المبرّد الشوكاني ١٦٣ / ٤ .

(٩) ذكر نحوه الأزهرى ١٨٠ / ١١ عن أبي زيد ، ولم يذكر قول المبرّد .

﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ ؛ أي ذلك تفضل منك ليس بواجب عليك^(١) . ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ في العشر^(٢) . ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ . قال مقاتل : من الراقين بك^(٣) . وعن عمر ؛ أي في حسن الصحبة ، والوفاء بها قلت^(٤) .

٢٨ . قال موسى : ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ . قال أبو إسحاق : ﴿ذَلِكَ﴾ رفع بالابتداء وخبره : ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ ، ومعناه : ذلك^(٥) الذي وصفت ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ ؛ أي ما شرطت عليّ فلك ، وما شرطت لي من تزويج أحدهما^(٦) فلي ، كذلك الأمر بيننا^(٧) . وتم الكلام هاهنا .

ثم قال : ﴿أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ﴾ ؛ أي من الثمان والعشر^(٨) ﴿قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ ؛ أي لا ظلم عليّ ، أكون منصفاً في أيهما قضيت . وأيّ ، في معنى الجزاء ، منصوبة بـ ﴿قَضَيْتُ﴾ ، وما زائدة مؤكدة ، وجواب الجزاء : ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾^(٩) .

(١) معاني القرآن للزجاج ١٤١ / ٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٥ أ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٥ أ .

(٤) أخرجه الحاكم ٤٤٢ / ٢ ، رقم ٣٥٣٠ ، وقال : على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن جرير ٦٥ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٦٩ / ٩ عن ابن إسحاق .

(٥) (ذلك) ساقط من نسخة (ج) .

(٦) في (أ) : (إحديهما) .

(٧) معاني القرآن للزجاج ١٤١ / ٤ ، وليس فيه ذكر الإعراب .

(٨) تفسير مقاتل ٦٥ أ .

(٩) قوله : زائدة ، يراد به : من ناحية الإعراب فقط . قال الفراء : فجعل (ما) ، وهي صلة ، من صلوات الجزاء مع : (أي) . معاني القرآن ٣٠٥ / ٢ .

ومعنى ﴿فَلَا عُذْرَكَ عَلَيَّ﴾ على ما ذكر أبو إسحاق : لا أوصف بظلم في قضاء أيهما كان من الأجلين^(١) .

فإن قيل : العدوان غير موهوم في قضاء العشر ، فما معنى قوله : ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُذْرَكَ عَلَيَّ﴾ ، قال : المعنى راجع إلى أقصى الأجلين ، وإن كان اللفظ شاملاً لهما جميعاً ، على أن ابن عباس قال : ﴿فَلَا عُذْرَكَ عَلَيَّ﴾ في ما بقي ؛ أي لا سبيل علي بأن تعتدي بإلزامي أكثر من الأجلين ، وتطالبني بالزيادة على الأجل الذي قضيت^(٢) .

وهذا القول أشبه باللفظ ؛ لأن معنى : ﴿فَلَا عُذْرَكَ عَلَيَّ﴾ لا أظلم ولا يُعتدى عليّ ، ويبعد أن يقال : معناه : لا ظلم مني^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : شهيد في ما بيني وبينك^(٤) .

فإن قيل : المهر يكون للمرأة ، فكيف جعل مهر هذه المرأة إجارة موسى نفسه من أبيها يعمل له ؟

(١) معاني القرآن للزجاج ١٤٢/٤ بمعناه .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٢ بمعناه من دون نسبة ، ولم أجده عند ابن جرير ، ولا ابن أبي حاتم .

(٣) هذا القول اختيار مقاتل ١٦٥ ، قال : فلا سبيل عليّ .

(٤) تفسير مقاتل ١٦٥ . وأخرجه ابن جرير ٦٦/٢٠ عن مجاهد . وتنوير المقباس ٣٢٥ .

قيل : يجوز أن تكون الغنم للمرأة ، فيكون العمل لها ، ولكن الأب عقد الإجارة عنها لها^(١) ، ويجوز : أن يكون الأب يعطيها عوضاً من ذلك ، على أن هذا إخبار عن شرع مَنْ قبلنا ، فلا يلزمنا العمل به^(٢) .

٢٩ . وقوله : ﴿ فَلَمَّا فَصَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ . قال أبو عمران الجوني : بلغني أن جبريل أتى النبي ﷺ ، فقال : إن سألك أي الأجلين قضى موسى ؟ فقل : « أكثرهما وأفضلهما » . وأَيَّ الجاريتين تزوج ؟ فقال : « الصغرى منهما »^(٣) .

وقال القرظي : سُئِلَ رسول الله ﷺ : أَيُّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : « أوفاهما وأتمهما »^(٤) .

(١) وهو قول النيسابوري في وضع البرهان ١٤٩/٢ .

(٢) اختلف أهل العلم في شرع من قبلنا إذا لم يصرَّح شرعنا بنسخه على قولين ؛ الأول : إنه شرع لنا ، والثاني : ليس بشرع لنا . قال ابن قدامة بعد أن ذكر أدلة الفريقين : الواجب الرجوع إلى ما ثبت منها بشرعنا ، كآية القصاص ، والرجم ، ونحوهما ، وهو مما تضمنه الكتاب والسُّنة فيكون منهما ؛ فلا يجوز العدول عنه ، والله أعلم . روضة الناظر ٥٢٤/٢ ، والإحكام للآمدي ١٣٧/٤ .

قال عبد القاهر البغدادي : في قصة شعيب وموسى -عليهما الصلاة والسلام- دلالة لمن أجاز كون منافع الحر مهراً ، وبه قال الشافعي ، ولذلك أجاز أن يكون تعليم القرآن مهراً ، وأجاز الإجارة على الأذان ، وأبو حنيفة منع من ذلك . الناسخ والمنسوخ ٨٨ .

(٣) هذا حديث مرسل ، ولم ينه الواحدي على ذلك ، وذكره الثعلبي ١٤٦/٨ ب ، وصدَّره بقوله : روي ، ثم قال : فإن صح هذا الخبر فلا نعدل عنه . ذكر مقاتل في تفسيره ٦٥ أن موسى -عليه السلام- قد تزوج الكبرى منهما ، وهذا كله مما لا دليل عليه ، ولا يترتب على العلم به فائدة .

(٤) وهذا أيضاً حديث مرسل . انظر : ترجمة القرظي في جامع التحصيل للعلاني ٣٢٩ ، رقم ٧٠٧ ، قال الزيلعي عن هذا الحديث : هذا حديث لا يصح . تخريج أحاديث الكشاف ٣٠/٣ .

وقال سعيد بن جبير : قال لي يهودي وأنا أتجهز للحج : يا سعيد إني أراك رجلاً تَتَّبِعُ العلم^(١) ، أخبرني : أيُّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : قلت : لا علم لي ، وأنا قادم على حبر العرب^(٢) ، يعني : ابن عباس ، فسأله عن ذلك ، فلمَّا قدمْتُ مكةَ سألت ابن عباس عن ذلك ، وأخبرته بقول اليهودي ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما : عشرًا ؛ إن النبي إذا وعد لم يخلف ، قال سعيد : فقدمْتُ العراقَ فلقيت اليهودي ، فأخبرته بقول ابن عباس ، فقال : صدق ، وما أنزل على موسى ، هذا والله العالم^(٣) .

وقال مجاهد ومقاتل : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ عشر سنين^(٤) ، ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ وذلك أنه استأذن صهره^(٥) في العود إلى مصر ، لزيارة والدته وأخيه ، فأذن له ، فسار بأهله . وهذه الآية مُفسَّرة في سورتي : طه ، والنمل^(٦) .

-
- (١) التَّبَعُ : أن يَتَّبِعَ في مهلة شيئاً بعد شيء ، وفلان يَتَّبِعُ مَدَاقَ الأمور . تهذيب اللغة (تبع) ٢ / ٢٨٢ .
- (٢) حبر (بفتح الحاء ، وكسر ها) لغتان ؛ أي الرجل العالم . تهذيب اللغة (حبر) ٥ / ٣٣ .
- (٣) أخرجه البخاري ، كتاب : الشهادات ، رقم ٢٦٨٤ ، فتح الباري ٥ / ٢٩٠ ، وأخرجه ابن جرير ٢٠ / ٦٨ ، والثعلبي ٨ / ١٤٤ ، وفيه : (والله العالم) .
- (٤) تفسير مقاتل ٦٥ أ . وأمَّا خبر مجاهد فهو يدل على أنه مكث عشرًا أخرى زيادة ، أخرج ذلك عنه ابن جرير ٢٠ / ٦٨ ، والثعلبي ٨ / ١٤٦ ب . ولفظه : (مكث بعد ذلك عند صهره عشرًا أخرى ، يعني : عشرين سنة) ، وظاهر الآية لا يؤيد هذا المعنى .
- (٥) يقال : ختن الرجل : صهره ، والمتزوج فيهم : أصهار الختن ، والصهر : زوج بنت الرجل ، وزوج أخته ، والختن : أبو امرأة الرجل ، وأخو امرأته . ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم . تهذيب اللغة ٦ / ١٠٧ ، واللسان (صهر) ٤ / ٤٧١ .
- (٦) عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ﴾ [طه : ١٠-١٢] . و[النمل : ٧-١٠] .

قوله تعالى : ﴿أَوْ جَذَوْفٌ﴾ فيها ثلاث قراءات : فتح الجيم ، وضمها ، وكسرها ، وهي كلها لغات ^(١) . قال أبو عبيدة : الجذوة مثل : الجذمة ؛ وهي القطعة الغليظة من الخشب ، ليس فيها لُحْب ، وأنشد قول ابن مُقْبِل :

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلٍ يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزَلَ الْجَذَا غَيْرَ حَوَارٍ وَلَا دَعِرٍ ^(٢)

وقال المبرد والزجاج : الجذوة : القطعة الغليظة من الحطب ^(٣) ، وقال ابن قتيبة : ﴿أَوْ جَذَوْفٌ مَرَبُّ النَّارِ﴾ ؛ أي قطعة منها ، قال : وفي التفسير : الجذوة : عود قد احترق ^(٤) ، قاله مقاتل ^(٥) .

وقال ابن عباس : قطعة حطب فيها نار ^(٦) .

وقال مجاهد في قوله : ﴿جَذَوْفٌ﴾ قال : أصل ^(٧) .

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي : ﴿جَذَوْفٌ﴾ بكسر الجيم ، وقرأ عاصم : ﴿جَذَوْفٌ﴾ بفتح الجيم ، وقرأ حمزة : (جَذَوْفٌ) بالضم . انظر السبعة في القراءات ٤٩٣ ، والحجة للقراء السبعة ٤١٣/٥ ، والنشر في القراءات العشر : ٣٤١/٢ .

(٢) مجاز القرآن ١٠٢/٢ ، ونسب البيت إلى ابن مقبل ، وأنشده عن أبي عبيدة الأزهري ١٦٧/١١ ، ولم ينسبه ، وأنشده ونسبه المبرد في الكامل ٦٨٢/٢ ، وعنه أبو علي الحجة ٥٤١٤/٥ ، وأنشده ونسبه ابن جرير ٦٩/٢٠ ، والثعلبي ١٤٦/٨ ب ، وهو في ديوان ابن مقبل ٨٠ ، وفي حاشية الدر المنصور ٦٦٨/٨ : الجزل : الحطب اليابس وما عظم منه ، والحوار : الضعيف ، والدعر : الكثير الدخان .

(٣) الكامل للمبرد ٦٨٢/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٤٢/٤ .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٢ من دون نسبة .

(٥) قال مقاتل ٦٥ أ : يعني : شعلة ، وهو عود قد احترق بعضه .

(٦) أخرجه ابن جرير ٧٠/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٧٢/٩ عنه بلفظ : (يقول : شهاب) ، وعن ابن زيد بلفظ : (العود من الحطب الذي فيه النار) .

(٧) أخرجه ابن جرير ٧٠/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٧٢/٩ بلفظ : (أصل شجرة) .

وقال قتادة : أصل الشجرة في طرفها النار ^(١) .

وقال الكلبي : شعلة من النار ^(٢) .

٣٠ . قوله تعالى : ﴿ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ ﴾ . قال أبو عبيدة : شاطئ الوادي ، وشطُّ الوادي : عِدْوَتاه ^(٣) .

وقال الليث : شاطئ الوادي : جانبه ، هكذا من غير فعل ، وإن ثني وجمع قيل : شاطئان وشواطئ ^(٤) .

وقال أبو خيرة ^(٥) : شاطئ الوادي : شَفْتُهُ ، وجمعه : شُطَّانٌ وشواطئ ^(٦) .

وقال مجاهد : ﴿ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾ عن يمين موسى ^(٧) .

(١) أخرجه عبدالرزاق ٩١ / ٢ ، وابن جرير ٧٠ / ٢٠ عن قتادة ، وفيه : (الشجرة والنار ، معرفتان بالألف

واللام) ، واتفقت النسخ الثلاث على تعريف الشجرة ، وانفردت نسخة (ج) بتكثير النار .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٩٠ / ٢ عن الكلبي .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٣ / ٢ ، عدوة الوادي وعدوته : جانبه . تهذيب اللغة (عدا) ١١٠ / ٣ .

(٤) كتاب العين (شطأ) ٢٧٦ / ٦ بلفظ : شاطئ الوادي : شَفْتُهُ ، اسم من غير فعل ، وليس فيه ذكر التثنية ، ولا الجمع ، ولم أجد قول الليث في التهذيب .

(٥) أبو خيرة ، نهشل بن زيد ، أعرابي بدوي من بني عدي ، دخل الحاضرة ، وأفاد وأخذ عنه الناس ، وصنّف في الغريب كتباً . إنباه الرواة على أنباه النحاة ١١٧ / ٤ ، وبغية الوعاة ٣١٧ / ٢ .

(٦) تهذيب اللغة (شطأ) ٣٩٢ / ١١ ، قال الأخفش : جماعة الشاطئ : الشواطئ ، وقال بعضهم : شَطٌّ ، والجماعة : شُطُوط . معاني القرآن ٦٥٣ / ٢ .

(٧) أخرجه ابن جرير ٧١ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٣ / ٩ .

وقال مقاتل : عن يمين الجبل ^(١) .

وقوله : ﴿الْبُقْعَةُ الْمُبْرَكَةُ﴾ : البُقْعَةُ : القطعة من الأرض ^(٢) ، ويقال أيضاً : بُقْعَةٌ ، بالفتح .

قال أبو إسحاق : فمن قال بُقْعَةٌ : فجمعها : بِقَاعٌ ، مثل : ^(٣) قَصْعَةٌ وَقِصَاعٌ ، ومن قال : بُقْعَةٌ فَأَجُودٌ ، الجمع : بُقْعٌ ، مثل : غُرْفَةٌ وَغُرْفٌ ، ويجوز في جمع بُقْعَةٍ : بِقَاعٌ ، مثل : حُفْرَةٌ وَحِفَارٌ ^(٤) .

﴿الْمُبْرَكَةُ﴾ : سُمِّيتْ مباركة ؛ لأن الله كلَّم موسى فيها ، وبعثه نبياً ، قاله مقاتل والزَّجَّاج ^(٥) .

وقال ابن عباس : يريد : المقدسة .

وقوله : ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ . قال المفسرون : من ناحية الشجرة ^(٦) .

وقال قتادة : من عند الشجرة ^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٦٥ ب .

(٢) تهذيب اللغة (يقع) ٢٨٥ / ١ .

(٣) في نسخة (أ) : زيادة (حفرة ، وحفار) ، وهي تكرار لما ذكره الزَّجَّاج في آخر كلامه ؛ إذ لا يستقيم إيراد حُفْرَةٌ مثلاً على الفتح ، والله أعلم .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٤٣ / ٤ .

(٥) تفسير مقاتل ٦٥ ب ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١٤٣ / ٤ .

(٦) تفسير الثعلبي ١٤٦ / ٨ ب .

(٧) أخرجه ابن جرير ٧١ / ٢٠ .

قال ابن عباس : وهي العُنَّاب^(١) .

وقال مقاتل : وهي : عَوْسَجَة ، وهو قول قتادة^(٢) .

وقال ابن مسعود : كانت سَمُرة^(٣) .

وقال الكلبي : شجرة العوسج^(٤) .

٣١ . وقوله : ﴿إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ ؛ أي من أن ينالك منها مكروه^(٥) .

٣٢ . وقوله : ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ . قال مجاهد : اضمم إليك يدك من الفرق^(٦) ، وهذا قول جميع المفسرين ، قالوا : لَمَّا أَلْقَى موسى عصاه فصارت جَانًّا رَهَبَ وَفَرَعَ ، فأمره الله أن يضم إليه جناحه ليذهب عنه الْفَرَعُ^(٧) .

(١) نسبه إلى ابن عباس ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٢١٨ ، العُنَّاب : شجر شائك ، يبلغ ارتفاعه ستة أمتار ، ويطلق العُنَّاب على ثمره أيضاً ، وهو : أحمر حلو لذيق الطعم . المعجم الوسيط (عنب) ٢/٦٣٠ ، لم يذكر في التهذيب ٣/٦ ، واللسان ١/٦٣٠ ، إلا أنه من الثمر ، وأنه معروف . والعُنَّاب بالفتح : بائع العنب . اللسان ١/٦٣٠ ، والقاموس المحيط ١٥٢ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٥ ب ، أخرجه ابن جرير ٢٠/٧١ عن قتادة ، وذكره عنه الثعلبي ٨/١٤٧ . والعوسج شجر كثير الشوك ، وهو أنواع منها ما يثمر ، ومنها ما لا يثمر . تهذيب اللغة ١/٣٣٨ ، واللسان ٢/٣٢٤ ، والمعجم الوسيط (عسج) ٢/٦٠٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٠/٧١ ، وذكره عنه الثعلبي ٨/١٤٧ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/٩١ عن الكلبي .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/١٤٣ .

(٦) أخرجه ابن جرير ٢٠/٧٣ ، وابن أبي حاتم ٩/٢٩٧٥ ، وأخرجه أيضاً عن قتادة وابن زيد .

(٧) أخرجه عبدالرزاق ٢/٨٩ عن قتادة . تفسير الثعلبي ٨/١٤٧ .

قال مجاهد : كل من فرع فضم جناحه إليه ذهب عنه الفرع ، وقرأ هذه الآية^(١) . قال الزَّجَّاج : والمعنى في جناحك هاهنا : العضد . ويقال : اليد كلها جَنَاح^(٢) .

وقال الفرَّاء : الجَنَاح ما بين أسفل العَضُد إلى الرُّفْع ، وهو : الإِبْط^(٣) .

وُقُرى : (الرُّهْب) و(الرَّهْب)^(٤) ، ومعناها جميعاً واحد ، مثل : الرُّشْد والرَّشْد^(٥) .

قال أبو علي : قال أبو عبيدة : جناحا الرجل : يده^(٦) ، وقال غيره في الآية : إنه العضد^(٧) . وقول أبي عبيدة آيين عندنا ، قال : وقد جاء الاسم المفرد يراد به التثنية ، وأنشد أبو الحسن :

يداك يدٌ إحداهما الجودُ كُلُّهُ وراحتك الأخرى طِعَانٌ تغامرُهُ^(٨)

(١) تفسير الثعلبي ١٤٧/٨ أ. ولم ينسبه ، ونسبه إلى مجاهد ابن الجوزي ٢٢٠/٦ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٤٣/٤ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٣٠٦/٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٣ ، الرُّفْعُ ، والرُّفْعُ : لغتان ، وهي : الأباط ، والمغابن من الجسد . تهذيب اللغة (رفع) ١٠٨/٨ .

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو : ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ بفتح الراء والهاء ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وحمة والكسائي : ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ بضم الراء وسكون الهاء . انظر السبعة في القراءات ٤٩٣ ، والحجة ٥/٤١٤ ، والنشر ٢/٣٤١ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٤٣/٤ .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥/٤١٤ بنصه . وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٤/٢ : ﴿جَنَاحَكَ﴾ ؛ أي يدك .

(٧) الحجة للقراء السبعة ٥/٤١٨ غير منسوب ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١٤٣/٤ ، ولم ينسبه ، ثم قال : ويقال : اليد كلها جناح .

(٨) الحجة للقراء السبعة ٥/٤١٨ من إنشاد أبي الحسن . والبيت للفرزدق ١/٢٧٦ من قصيدة يمدح فيها أسد بن عبد الله القسري ، ورواية الديوان مختلفة :

يداك يدٌ إحداهما التُّبْلُ والنَّدَى وراحتُها الأخرى طِعَانٌ تعاوَرُهُ

قوله : وراحتك الأخرى : جعل الراحة موضع اليد ، والطعان مصدر : طاعن ، وليس بجمع طعنة ، =

المعنى : يداك يدان بدلالة قوله : إحداهما ؛ ولأنك إن جعلت قوله : (يدٌ) مفرداً ، بقي لا يتعلق به شيء ، ويجوز أن يراد بالإنفراد : التثنية ، كقوله :

وَعَيْنٌ لَهَا حَذْرَةٌ بَذْرَةٌ شُقَّتْ مَاقِيَهُمَا مِنْ أُخْرٍ^(١)

فيجوز على هذا القياس في قوله : ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ أن يراد بالإنفراد : التثنية ، كما أريد بالتثنية : الأفراد ، في قوله :

فإن ترجراني يا ابن عَفَّانَ انزجر^(٢)

ومن الناس من يحمل قوله : ﴿أَلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤] على ذلك . انتهى كلامه^(٣) . وقد جاء من هذا أن قوله : ﴿جَنَاحَكَ﴾ معناه : يداك ، و﴿الرَّهْبِ﴾ : الخوف^(٤) . والمعنى ما ذكره مجاهد ، ونحو ذلك قال ابن عباس في ما روى عنه عطاء ، قال : يريد : اضمم يدك إلى صدرك من الخوف ، ولا خوف عليك . والمعنى على هذا أن الله أمره أن يضم يده إلى صدره ، فيذهب الله عنه

= وتغامره فاعله : الراحة ؛ أي تغامر الراحة الطعان ، وتكون أنت أيها المخاطب تغامر الطعان . والشاهد فيه : يد ، فإنه وإن أفردتها لكن المراد بها : التثنية ، كأنه قال : يداك يدان إحداهما . شرح الأبيات المشككة لأبي علي ٢٠٩ / ١ .

(١) الحجة للقراء السبعة ٤١٨ / ٥ من إنشاد أبي الحسن ، ونسبه أبو علي إلى امرئ القيس . شرح الأبيات المشككة ٢١١ / ١ . حذرة بدره ؛ أي مكتنزة صلبة ضخمة ، وبدره : يبدو بالنظر ، وشقت ماقيها : تفتحت فكأنها انشقت ، وقوله : من آخر ؛ أي من مآخير العين . شرح الأبيات المشككة ، وحاشيته . والبيت في ديوان امرئ القيس ١١٦ يصف فرساً . وأنشده البغدادي في الخزانة ١٩٧ / ٥ ، ولم ينسبه . الحجة للقراء السبعة ٤١٩ / ٥ ، وفي الحاشية : صدر بيت لسويد بن كراع ، وعجزه :

وإن تدعاني أحمر عرضاً ممنعاً

وأنشده البغدادي في الخزانة ١٧ / ١١ ، ولم ينسبه ، وأنشده ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٩١ ، ولم ينسبه . وفي حاشيته : كان سويد قد هجا بني عبدالله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان بن عفان ، فقال سويد قصيدته .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٤١٩ / ٥ ، من قوله : وقول أبي عبيدة أبيين عندنا .

(٤) تفسير الثعلبي ٨ / ١٤٧ ، ولم ينسبه .

ما ناله من الخوف عند معاينة الحية^(١) . وتقدير الآية على هذا المعنى : ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ معالجاً من الرُّهْبِ ، أو ما أشبه هذا من التقدير ؛ لأنه أمر بضم الجناح إليه ليذهب عنه الفزع ، ويعالج بذلك ما ناله من الفزع .

وقال الفرّاء في تفسير الجناح في هذه الآية : إنه العصا^(٢) .

وقال مقاتل : يعني عصاك مع يدك^(٣) .

هذا الذي ذكرنا قول المفسرين .

وقال أبو علي الفارسي في هذه الآية : ذكر لموسى الخوف في مواضع من التنزيل ، كقوله : ﴿فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١] ، و﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥] ، وقال : ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [الشعراء: ١٢] ، وقال : ﴿لَا تَخَافُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ [طه: ٤٦] ، ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا﴾ [طه: ٤٥] ، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه: ٦٧] ، وقال : ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧] . فلما أضاف - عليه السلام - الخوف في هذه المواضع إلى نفسه ، أو نُزِّلَ منزلة من أضافه إلى نفسه ، قيل له : ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ فأمر بالعزم على ما أريد له مما أمر به ، وحُضِرَ على الجدِّ فيه ؛ لئلا يمنعه من ذلك الخوفُ والرهبةُ التي قد تغشاه في بعض الأحوال^(٤) ، وألاً يستشعر ذلك فيكون مانعاً له مما أمر بالمضي فيه . وليس يراد

(١) تفسير الثعلبي ٨/ ١٤٧ أ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٣٠٦ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٥ ب .

(٤) في نسخة (أ) و(ب) : (والرهبة والذي قد يغشاه في بعض الأحوال) .

بضم الجناح هاهنا : الضم المُنزِل للفُرْجَة والخصاصة^(١) بين الشَّيْئَيْن ، كقول الشاعر :

أَشْدُّ حَيَازِيْمَكَ لِمَوْتٍ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَأَقْيَكَ^(٢)

ليس يريد به الشد الذي هو الربط والضم ، وإنما يريد : تأهب له واستعد للقاءه حتى لا تهاب لقاؤه ، ولا تجزع من وقوعه . هذا كلامه^(٣) . والمعنى على هذا : فشمّر واستعد ، والتقدير : ﴿ وَأَضْمَمْتُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ خارجاً من الرهب .

وذكر الأزهري قال : قال^(٤) مقاتل في قوله : ﴿ مِنْ أَلَرْهَبِ ﴾ : أراد كَمَّ مِدْرَعَتَهُ^(٥) .

(١) الخصاصة : الخلل ، خصاص المنخل ، والباب ، والبرقع : خلّله ، واحدته : خصاصة . تهذيب اللغة (خصص) ٥٥١/٦ .

(٢) الحجة ٤١٦/٥ ، ولم ينسب البيت . وأنشده المبرد مع بيت آخر ، هو :
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك
ونسبهما إلى علي رضي الله عنه ، قالهما بعد أن أتي بابن ملجم ، وقيل له : إننا سمعنا من هذا كلاماً ولا نأمن قتله لك ، فقال : ما أصنع به ، ثم قال هذين البيتين . الكامل ١١٢١/٣ ، وأنشد البيت الأول في اللسان (حزم) ١٣٢/١٢ ، وقال : حيازيمك جمع الحيزوم : وهو الصدر ، وقيل : وسطه . وهو في ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٤٠ ، مع عدد من الأبيات .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٤١٥/٥ .

(٤) هكذا في النسخ جميعها : (وذكر الأزهري قال : قال مقاتل) ، يعني أن الأزهري قد ذكر قول مقاتل .

(٥) تهذيب اللغة (رهب) ٢٩٢/٦ ، ولم أجده في تفسير مقاتل . ولم ترد كلمة : ﴿ أَلَرْهَبِ ﴾ في كتاب الله - عز وجل - إلا في هذا الموضع . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٣٢٥ ، وذكره الثعلبي ٨/١٤٦ ، ونسبه إلى أهل المعاني . المدرعة : نوع من الثياب التي تلبس ، ولا يكون إلا من صوف . تهذيب اللغة (درع) ٢٠١/٢ .

وروى ثعلب عن عمرو^(١) عن أبيه قال : يقال لَكُمْ القميص : القُنُّ والرُّدْنُ والخِلاف . وحكى عن ابن الأعرابي : أَرْهَبَ الرجلُ : إذا أطال رَهْبَهُ ؛ وهو : كُفَّهِ .

قال الأزهري : وأكثر المفسرين ذهبوا في قوله : ﴿وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ أنه بمعنى الرهبة^(٢) ، ولو وجدت إماماً من أهل التفسير يجعل الرهب كُفّاً لذهبت إليه ؛ لأنه أشبه بالتفسير ، وأليق بمعنى الكلام ، والله أعلم بما أراد . هذا كلامه^(٣) . وهو متناقض ؛ لأنه حكى عن مقاتل أنه قال في الرهب : إنه كُفٌّ مِدْرَعَتِهِ . ثم قال : لو وجدت إماماً من أهل التفسير يجعل الرهب كُفّاً لذهبت إليه^(٤) .

ثم قال : لأنه أشبه بالتفسير ، وليس الأمر على ما ذكر ، كيف يكون أشبه ولا معنى لقولك : واضمم إليك جناحك من الكُفِّ ، وكيف يكون ما ذكر أشبه بالتفسير ، وقد قال مفسر في قوله : ﴿أَسْلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ ، إنما قيل : في جيبك ؛ لأنه لم يكن له كُفٌّ ، كانت زُرْمَانِقَةٌ^(٥) .

(١) عمرو بن أبي عمرو الشيباني .

(٢) ذكر ذلك أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢ / ١٠٤ ، ولم ينسبه .

(٣) تهذيب اللغة (رهب) ٦ / ٢٩٢ ، وفيه قال الأزهري : ولو وجدت إماماً من السلف .

(٤) وصف الواحد للأزهري بالتناقض بإيراده قول مقاتل لعله غير وجيه ؛ لأن الأزهري قال : إماماً من السلف ، ولم يقل : إماماً في التفسير ، كما نقل الواحدي ، فلهذا يعني بذلك : إماماً من الصحابة والتابعين ، ومقاتل من أتباع التابعين ، توفي سنة ١٥٠ هـ ، ويعد أن يكون الأزهري يجهل قول مقاتل ؛ إذ إن ذكره لقوله قريب جداً ، والله أعلم .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٨٥٠ في تفسير سورة النمل ، عن ابن عباس ، من طريق مفسر ، وليس فيها : زرمانقة ، بل : جبة من صوف . والزرمانقة : جبة صوف . تهذيب اللغة (زرمانق) ٩ / ٤٠٢ .

وذكر المفسرون أن موسى كانت عليه تلك الليلة مِدرعة من صوف مُصَرَّبة ، لا كُم لها^(١) . وإذا صح هذا فكيف يجوز أن^(٢) يحمل الرهب على الكُم ؟ مع أَنَّا لو ارتكبنا هذا لم يخرج للكلام معنى صحيح . وروى حفص عن عاصم ﴿الرَّهْبُ﴾ بفتح الراء وجزم الهاء^(٣) ، وهو لغة في : الرَّهْب الذي هو بمعنى : الكُم^(٤) .

وقوله : ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ : يعني اليد والعصا ، حجتان من الله تعالى لموسى على صدقه^(٥) . وقرئ : ﴿فَذَانِكَ﴾ بتخفيف النون وتشديده^(٦) .

قال أبو عبيد : كان أبو عمرو يخص هذا الحرف بالتشديد [من بين إخوانه . ويحكى أن التشديد لغة قريش^(٧) . قال أبو إسحاق : التشديد]^(٨) يشبه ذلك ، والتخفيف يشبه ذاك ، جعل بدل اللام في ذلك تشديد النون في : (ذَانِكَ)^(٩) ، وهذا قول الأخفش ، قال : أدخلوا التثقيل للتأكيد ، كما أدخلوا اللام في ذلك^(١٠) . وهذا مما قد تقدّم القول فيه في سورة النساء^(١١) .

(١) أخرجه ابن جرير ١٣٨/٢٠ عن مجاهد وابن مسعود . الضريبة : الصوف يضرب بالمطرق ، ويطلق على الصوف أو الشعر ينفش ثم يدرج ليغزل . تهذيب اللغة (ضرب) ١٩/١٢ ، ٢٠ .

(٢) (يجوز أن) زيادة من نسخة (ج) .

(٣) السبعة في القراءات ٤٩٣ ، والحجة للقراء السبعة ٥/٤١٤ .

(٤) تهذيب اللغة (رهب) ٦/٢٩٢ .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٣ ، والطبري ٧٣/٢٠ ، وتفسير الثعلبي ٨/١٤٧ أ .

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو : (فَذَانِكَ) مشددة النون ، وقرأ الباقر : ﴿فَذَانِكَ﴾ بالتخفيف . انظر السبعة ٤٩٣ ، والحجة ٥/٤١٩ ، والنشر ٢/٣٤١ .

(٧) تفسير ابن جرير ٧٤/٢٠ ، ولم يذكر أبا عبيد .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

(٩) معاني القرآن للزجاج ٤/١٤٣ .

(١٠) معاني القرآن للأخفش ٢/٦٥٣ ، قال المبرد : تبدل من اللام نوناً ، وتدغم إحدى النونين في الأخرى .

المقتضب ٣/٢٧٥ ، وذكر ذلك أيضاً ابن جني في سر صناعة الإعراب ٢/٤٨٧ .

(١١) ذكره في تفسير الآية رقم ١٦ : ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾ .

وروى شبل عن ابن كثير : (فَذَانِكَ) خفيفة النون بياء^(١) ، كأنه أبدل من الثانية الياء كراهية التضعيف ، كما أنشد أبو زيد :

فَالَيْتُ لَا أَشْرِيهِ حَتَّى يَمْلَنِي بشيءٍ ولا أملاه حَتَّى يُفَارِقَا^(٢)

يريد : لا أمله حتى ، فأبدل من التضعيف : الألف ، كما أبدل من الأول : الياء^(٣) . والإبدال من التضعيف كثير ، ومنه قوله : ﴿يَتَمَطَّى﴾ [القيامة : ٣٣] إنها هو : يتمطط ، ومثله : التقصي ، والتظني^(٤) .

وقوله : ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَيْنَاهُ﴾ . قال أبو إسحاق : أي أرسلناك إلى فرعون وملئه بهاتين الآيتين^(٥) . ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ : عاصين ، قاله ابن عباس ومقاتل^(٦) .

٣٤ . قوله : ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ . قال المفسرون : أي أحسن بياناً^(٧) .

-
- (١) السبعة ٤٩٣ ، والحجة ٤١٩/٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٧٤/٢ .
 (٢) الحجة للقراء السبعة ٤٢٠/٥ ، ونسبه إلى أبي زيد ، وهو في النوادر ٤٤ ، مع بيتين قبله منسوباً إلى الأسود بن يعفر النهشلي بلفظ :
 فأقسمتُ لا أشريه حَتَّى أَمْلُهُ بشيءٍ ولا أملاه حَتَّى يُفَارِقَا
 وفيه : أشريه : أبيعه ، ولا أملاه ؛ أي لا أَمْلُهُ .
 (٣) يعني من قوله تعالى : ﴿فَذَانِكَ﴾ على قراءة الياء .
 (٤) الحجة للقراء السبعة ٤٢٠/٥ باختصار . التظني : إعمال الظن ، وأصله : التظنن ، أبدل من إحدى النونات ياء . اللسان ٢٥٧/١٣ ، والقاموس ١٥٦٦ .
 (٥) معاني القرآن للزجاج ١٤٤/٤ .
 (٦) تفسير مقاتل ٦٥ ب ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٧٦/٩ عن سعيد بن جبير .
 (٧) تفسير ابن جرير ٧٤/٢٠ ، وتفسير الثعلبي ١٤٧/٨ ب .

قال ابن عباس : وكان في لسان موسى عُقدة ، من قَبْلِ النار ^(١) ، فذلك قول
فرعون : ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف : ٥٢] ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّنْ
لِّسَانِي﴾ [طه : ٢٧] ^(٢) .

قال أهل اللغة : الفصح من الكلام : ما لا لحن فيه ولا خطأ . وأصل
الكلمة : ظهور الشيء وصفائه . يقال : أفصح الصبح إذا بدا وظهر ، وأفصح
اللبن إذا زالت الرُّغوة عنه ، وبدا صريحه ^(٣) . وإذا كان الكلام صافياً من اللحن ،
خالصاً عما يوجب اللبس من جَلَجَةٍ أو مَجْمَعة ^(٤) شُبّه باللبن الخالص من الرُّغوة
فُسِّمَ : فصيحاً ^(٥) .

وقوله : ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ . قال المفسرون : عوناً ومعيناً ^(٦) . قال النضر :
يقال فلان رِدْءٌ لفلان ؛ أي يَنْصُرُهُ وَيَشُدُّ ظَهْرَهُ ، وأصله من قولهم : ردأت الحائط
أردأه ، إذا دعمته بخشب أو لَبَنٍ يدفعه أن يسقط .

(١) تفسير الثعلبي ٨ / ١٤٧ ب .

(٢) ذكر الواحدي في تفسير هذه الآية أن العقدة : الربطة في الحبل والخيط ، وأراد بالعقدة هاهنا رثة كانت
في لسانه تمنعه من الانطلاق في الكلام . قال سعيد بن جبير وهو قول العامة : عجمة من جرة أدخلها
في فيه . والقصة في ذلك معروفة . وفي الحاشية نقد لهذه القصة . وسبق بيان أن القول بأن العلة كانت
بسبب الجمرة ليس بصحيح ، في تفسير سورة الشعراء الآية رقم : ١٣ .

(٣) الصريح : المحض الخالص من كل شيء ، ويقال لِلْبَنِّ : صريح ، إذا لم تكن له رغوة . تهذيب اللغة
(صرح) ٤ / ٢٣٧ .

(٤) اللجلجة : أن يتكلم الرجل بلسان غير بيّن . تهذيب اللغة (لج) ١٠ / ٤٩٥ ، والمجمعة : يقال : مجمع
بي : إذا ذهب بك في الكلام مذهباً على غير الاستقامة ، وردك من حال إلى حال . تهذيب اللغة (مجمع)
١٠ / ٥٢٣ ، وفي اللسان ٢ / ٣٦٣ : مجمع الرجل في خبره : إذا لم يبينه .

(٥) تهذيب اللغة (فصح) ٤ / ٢٥٣ بنحوه .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢ / ٩١ عن قتادة ، وأخرجه ابن جرير ٢٠ / ٧٤ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٧٧ عن
مجاهد وقاتدة . وتفسير مقاتل ٦٥ ب ، والأضداد لابن الأنباري ٢٠٨ ، وغريب القرآن لابن قتيبة
٣٣٣ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٤٧ ب . وأخرج ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٧٧ عن مسلم بن جندب أنه قال :
﴿رِدْءًا﴾ ؛ أي زيادة .

وقال يونس : أردأت الحائط بهذا المعنى .

وقال الليث : رَدَأْتُ فلاناً بكذا ؛ أي جعلته قوة له وعماداً ، وأردأتُ فلاناً ؛ أي ردأته ^(١) .

ابن السكيت : أردأتُ الرجلَ إذا أعنته ^(٢) .

أبو عبيدة : أردأته على عدوه ، وعلى ضيعته ؛ أي أعنته ^(٣) .

وقرأ نافع : (ردأ) بغير همز ^(٤) ، خفف الهمزة وألقى حركتها على الساكن الذي قبلها ، نحو : ﴿الْحَبَّاءُ﴾ [النمل: ٢٥] في من خفف ^(٥) . وقد جاء ^(٦) في بعض القوافي : في ^(٧) الردء الرد ^(٨) ؛ وذلك على أنه وقف بعد التخفيف على الحرف فشددّه ، كما ثَقُلَ : هذا فَرَجٌ ، وهذا خَالِدٌ ، فَضَعَّفَ الحرف للوقف ، ثم يُطلق كما أطلق نحو : سبَسَبًا والقَصَبَا ^(٩) .

(١) كتاب العين (ردء) ٦٧/٨ .

(٢) تهذيب اللغة (ردأ) ١٦٧/١٤ ، من بداية قول النضر بن شميل .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٤/٢ ، ونقله عنه أبو علي في الحجة ٤٢٠/٥ .

(٤) قرأ نافع وحده : (ردأ) مفتوحة الدال ، منونة غير مهموزة ، وقرأ الباقون : ﴿رَدَّءًا﴾ ساكنة الدال مهموزة . انظر السبعة في القراءات ٤٩٤ ، والحجة للقراء السبعة ٤٢٠/٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٧٥/٢ ، والنشر في القراءات العشر ٣٤١/٢ ، وقراءة نافع يُعَبَّرُ عنها بالنقل . قال السمين الحلبي : وقرأ نافع : (ردأ) بالنقل ، وأبو جعفر كذلك إلا أنه لم ينونه كأنه أجرى الوصل مجرى الوقف ، ونافع ليس من قاعدته النقل في كلمة إلا هنا ، وقيل : ليس فيه نقل ، وإنما هو من أردى على كذا . الدر المصون ٦٧٧/٨ . وفي الحاشية : النقل : نقل حركة الهمزة إلى الدال ثم حذف الهمزة .

(٥) سبق ذكر هذه القراءة في تفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ﴾ [النمل: ٢٥] .

(٦) (وقد جاء) ساقطة من نسخة (ج) .

(٧) (في) ساقطة من نسخة (ب) .

(٨) لم يذكر الواحدي مثلاً على ما جاء في بعض القوافي ، وبحث عن ذلك فلم أجد .

(٩) هاتان الكلمتان من قول رؤية بن العجاج ١٦٩ ، من قصيدة له يصف فيها الجراد في انتشاره ، وسرعة مره كالسيل إذا امتد ، وكالحريق ؛ أي النار في القصب أو التبن . حاشية المسائل العسكرية ٢٢٤ ، وفيه =

وقال أبو الحسن : هو فعل من رَدَدْتُ ؛ أي يَرُدُّ عني ^(١) .

قوله : ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ : قُرِئَ بالرفع ، والجزم ^(٢) ؛ فمن رفع فهو صفة للنكرة ، وتقديره : ردءاً مصداقاً ، وسأل ربه إرساله بهذا الوصف . ومن جزم كان على معنى الجزاء ؛ أي إن أرسلته صدقني ، وهو جيد في المعنى ؛ لأنه إذا أرسله معه صدقه ^(٣) . والتصديق لهارون في قول الجميع ، وقال مقاتل : لكي يصدقني فرعون ^(٤) ، والقول هو الأول .

٣٥ . وقوله : ﴿قَالَ﴾ ؛ أي قال الله لموسى : ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ ؛ أي سنعينك ونقويك به ^(٥) .

وَشَدُّ العَضُدِ مَثَلٌ فِي التَّقْوِيَةِ وَالْإِعَانَةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ قَوَّيْتِ عَضُدَهُ فَقَدْ أَعْتَنَهُ .

ذكر أبيات رؤبة . وأما أبو علي في المسائل العسكرية فقد ذكر الشطر الآتي ، ولم ينسبه : مثل الحريق وافق القصبة . وذكر الكلمة الأولى : سبباً سيويه في الكتاب ١٦٩ / ٤ . وفي الحاشية : إشارة إلى قول العجاج :

تترك ما أبقى الدُّبَى سَبَبًا

وفي حاشية الحجة ٦٥ / ١ ذكر البيت كاملاً ، وصدده :

وهبَّتِ الرِّيحُ بِمُورِ هَبًا

ثم قال : المور بضم الميم : الغبار ، والسبب : القفر ، والدُّبَى بتشديد الدال المفتوحة : الجراد . والشاهد في هذا كله : تضعيف الباء للضرورة . قال أبو علي : ويضطر الشاعر فيجري الوصل بهذه الإطلاقات في القوافي مجرى الوقف ، وقد جاء ذلك في النصب أيضاً ، ثم ذكر بيت رؤبة ، ثم قال : وهذا لا ينبغي أن يكون في السعة . المسائل العسكرية ٢٢٤ .

(١) الحجة للقراء السبعة ٤٢٠ / ٥ .

(٢) قرأ عاصم وحمزة : ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بضم القاف ، وقرأ الباقر : ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بجزم القاف . انظر السبعة في القراءات ٤٩٤ ، والحجة للقراء السبعة ٤٢١ / ٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٧٥ / ٢ ، والنشر في القراءات العشر ٣٤١ / ٢ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٤٢١ / ٥ ، وهو قول الأخفش في معاني القرآن ٦٥٣ / ٢ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٥ ب .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٤ / ٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٤٤ / ٤ ، وتفسير الثعلبي ١٤٧ / ٨ ب .

قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْ لَكُمَا سُلْطٰنًا﴾ . قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل : أي حجة تدل على النبوة^(١) .

قال أبو إسحاق : أي حجة نيرة ، والسلطان أبين الحجج ، ولذلك قيل للزيت : السليط ؛ لأنه يستضاء به^(٢) .

وقوله : ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ ؛ أي بقتل ولا بسوء ولا أذى ؛ وذلك أنها خافا من فرعون أن يقتلهما ، وهو قوله : ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ [طه : ٤٥]^(٣) .

وقوله : ﴿بِأَيِّنَّا﴾ . قال المبرد : فيه تقديم وتأخير ، المعنى : سلطاناً بأيأتنا ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾^(٤) .

وذكر أبو إسحاق وجهين آخرين ؛ أحدهما : أن يكون ﴿بِأَيِّنَّا﴾ من صلة : ﴿يَصِلُونَ﴾ ، كأنه قال : ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ تمتنعان منهم بأيأتنا . والثاني : أن يكون ﴿بِأَيِّنَّا﴾ مبيناً عن قوله : ﴿أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ أَغْلِبُونَ﴾ ؛ أي تغلبون بأيأتنا^(٥) ، وهذا معنى قول ابن عباس ، يريد : قد أعطيتك آيات تقوى بها على جميع الخلق ، فلا يصل إلى أذاك أحد .

(١) أخرجه ابن جرير ٧٦ / ٢٠ عن مجاهد والسدي ، وتفسير مقاتل ٦٥ ب ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٣ ، ولم ينسبه .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٤٤ .

(٣) استدلل بهذه الآية على هذا المعنى مقاتل ٦٥ ب .

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٢٢ ، ولم ينسبه .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٤٤ ، ولم ينسبه .

٣٦. قوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾ ؛ أي ما هذا الذي جئنا به إلا سحر افتريته من قبل نفسك ؛ أي لم يأتوا بحجة يدفعون بها ما أظهر من الآيات إلا أن قالوا : إنها سحر .

والإشارة في قوله : ﴿ مَا هَذَا ﴾ تعود إلى ما ذكرنا ، كأنهم قالوا : ما هذا الذي جئنا به إلا سحر ^(١) .

٣٧. ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبِّيْ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ ﴾ ؛ أي هو أعلم بالمحق منّا ، ومن الذي جاء بالبيان من عنده ^(٢) .

قال مقاتل : أي فأنا الذي جئت بالهدى من عند الله ^(٣) . وقوله : ﴿ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ ﴾ ؛ أي وهو أعلم بمن تكون له الجنة ^(٤) . ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ لا يسعد من أشرك بالله ، قاله ابن عباس ^(٥) . وهذه القطعة مفسرة في سورة : الأنعام ^(٦) .

٣٨. وقوله : ﴿ فَأَوْفِدْنِيْ يَهْمَنُّ عَلَى الطِّينِ ﴾ . قال مقاتل : يقول : أوقد النار على الطين ، حتى يصير اللبن آجراً . وكان فرعون أول من طبخ

(١) تفسير ابن جرير ٧٦/٢٠ بمعناه .

(٢) تفسير ابن جرير ٧٦/٢٠ بمعناه ، وتفسير الثعلبي ١٤٧/٨ ب .

(٣) تفسير مقاتل ٦٦ أ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٦ أ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٧٨/٩ من طريق الضحاك ، ولفظه : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ يقول : الكافرون .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [١٣٥] . قال الواحدي : موضع (مَنْ) نصب بوقوع العلم عليه ، ويجوز أن يكون رفعا على معنى : تعلمون أينما تكون له عاقبة الدار ، كقوله : ﴿ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّ الْأَعْيُنِ [الكهف : ١٢] ، والوجهان ذكرهما الفراء . قال ابن عباس : ﴿ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ ﴾ يعني : الجنة ، إلى آخر كلامه ، فانظره هناك .

الآجر^(١) . [ونحو هذا قال قتادة : إنه أول من طبخ الآجر^(٢) . وقال أبو إسحاق : أي اعمل لي الآجر^(٣)]^(٤) .

﴿فَلْيَجْعَلْ لِّي صَرْحًا﴾ : يعني قصرًا طويلًا عاليًا مرتفعًا ، قاله ابن عباس والمفسرون^(٥) .

وتفسير الصرح المذكور في سورة النمل^(٦) .

﴿لَعَلِّي أَطْلُعَ إِلَهَ إِلَهٍ مُّوسَى﴾ . قال ابن عباس : أصعد إليه^(٧) . وهذا إيهام من فرعون للناس أن الذي يدعوه إليه موسى يجري مجراه في الحاجة إلى المكان والجهة^(٨) ، حيث قال : ﴿لَعَلِّي أَطْلُعَ إِلَهَ إِلَهٍ مُّوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ؛ أي في ادّعائه إلهًا غيري ، وأنه رسوله^(٩) .

- (١) تفسير مقاتل ٦٦أ ، وتفسير الثعلبي ١٤٧/٨ ب ، ولم ينسبه .
- (٢) أخرجه عبدالرزاق ٩١/٢ ، وابن جرير ٧٧/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٧٩/٩ .
- (٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .
- (٤) معاني القرآن للزجاج ١٤٥/٤ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٣ ، والأجُرُّ ، والأجُرُّ ، والآجرُّ ، والآجرُّ : طبخ الطين ، وهو الذي يبنى به . لسان العرب (أجر) ١١/٤ .
- (٥) تفسير مقاتل ٦٦أ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٤٥/٤ ، وتفسير الثعلبي ١٤٧/٨ ب .
- (٦) عند قوله تعالى : ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ [النمل : ٤٤] .
- (٧) أخرجه ابن جرير ٧٨/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٧٩/٩ عن السدي . وتنوير المقباس ٣٢٧ .
- (٨) لفظ الجهة والمكان لم يرد في الكتاب ولا في السنة ، ولم يتكلم به سلف الأمة ، وإنما الذي ورد وصف الله تعالى بالعلو على خلقه واستوائه على عرشه ، وأنه تعرج إليه الملائكة والروح ، ويصعد إليه الكلم الطيب . قال شيخ الإسلام : فيقال لمن نفى : أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق فالله تعالى ليس داخلًا في المخلوقات ، أم تريد بالجهة ما وراء العالم فلا ريب أن الله فوق العالم مبين للمخلوقات . وكذلك يقال لمن قال : الله في جهة : أتريد بذلك أن الله فوق العالم ، أو تريد : أن الله تعالى داخل في شيء من المخلوقات ، فإن أردت الأول فهو حق ، وإن أردت الثاني فهو باطل . وكذلك يقال في المكان . التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ١٦٨ ، ومختصر العلو للعلي الغفار للذهبي ٦٨ .
- (٩) تفسير الثعلبي ١٤٨/٨ أ .

قال أبو إسحاق : قد اعترف بأنه شاكُّ لم يتيقن أن موسى كاذب . وفي هذا بيان أنه كفرَ بموسى على غير تيقن أنه ليس بنبي^(١) .

وقال مقاتل : يقول : إني لأحسب موسى من الكاذبين في ما يقول : إن في السماء إلهاً^(٢) .

قال الكلبي : يقول : إني لأظن موسى كاذباً ، ما في السماء من شيء^(٣) .
وهذان القولان يوهمان التشبيه والقول بالجهة^(٤) .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ﴾ ؛ أي تعظموا عن الإيمان ، ولم ينقادوا للحق ، ولما دعاهم إليه موسى ﴿فِ الْأَرْضِ﴾ في أرض مصر .
﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٥) . قال ابن عباس : بالباطل والظلم والعدوان ، وقال مقاتل : بالمعصية^(٦) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٤٥ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٦ أ .

(٣) تنوير المقياس : ٣٢٧ .

(٤) هذا الكلام من الواحدي - عفا الله عنه - تلميح لنفي صفة العلو . قال شيخ الإسلام : والمقصود هنا أن أهل السنة متفقون على أن الله ليس كمثله شيء ؛ لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، لكن لفظ التشبيه في كلام الناس لفظ مجمل ، فإن أراد بلفظ التشبيه ما نفاه القرآن ودل عليه العقل فهذا حق ، فإن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات ، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته ، وإن أراد بالتشبيه أنه لا يُثَبَّتَ لله شيء من الصفات ، فلا يقال : له علم ولا قدرة ولا حياة ؛ لأن العبد موصوف بهذه الصفات ، فلزمه ألا يقال له : حي عليم قدير ؛ لأن العبد يسمى بهذه الأسماء ، وكذلك في كلامه وسمعه وبصره ورؤيته وغير ذلك . منهاج السنة ٢ / ١١٠ .

(٥) ولا يفهم من هذه الآية أن الاستكبار قد يكون بحق ، فإن هذا غير مراد ، وهو كقوله تعالى : ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ، وأفضل ما يحمل عليه المعنى : دفع أدنى شبهة لهم في الاستكبار ، فهم تكبروا من دون أدنى شبهة ، أو اشتباه في الأمور ، وكذا في قتل الأنبياء فإن أولئك قد قتلوا الأنبياء من دون أدنى شبهة يتعلقون بها ، والله أعلم . القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي ، القاعدة ٢٥ : ٨٢ .

(٦) تفسير مقاتل ٦٦ أ .

٤٠. قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلْنَاهُمْ فِي آلِيهِ﴾ . قال ابن عباس : يريد : في البحر المالح ؛ بحر القلزم^(١) .

وقال قتادة : هو بحر من وراء مصر غرقهم الله فيه^(٢) .

وقال مقاتل : يعني : بحر النيل الذي بمصر^(٣) . والمعروف أنه غرق في بحرٍ غير النيل^(٤) .

٤١. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ . قال ابن عباس : يريد أئمة ضلالة^(٥) .

وقال الكلبي ومقاتل : قادة في الكفر والشرك^(٦) . جعل فرعون وملأه قادة في الشرك ، فاتَّبِعَهُمْ أهل مصر .

ومعنى الإمام في اللغة : المقدم للإتباع^(٧) . ورؤساء الضلالة قُدِّمُوا في المنزلة ؛ لأنهم يُتَّبَعُونَ في ما يَدْعُونَ إليه .

(١) القلزم : مأخوذ من القلزمة ؛ وهي ابتلاع الشيء ، وسُمِّي بحر القلزم بهذا لالتهامه من ركه . معجم البلدان : ٤٣٩ / ٤ . قال ياقوت : وهو البحر الذي غرق فيه فرعون . وفي المعجم الوسيط ٧٥٤ / ٢ : القلزم : بلد قديم بني في موضعه : السويس ، وبحر القلزم : البحر الأحمر .

(٢) أخرجه ابن جرير ٧٨ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٨٠ / ٩ ، وذكره عنه الثعلبي ٨ / ١١٤٨ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٦ أ .

(٤) الذي يظهر أن لا دليل على شيء مما ذكر ، ولا ينافي حصول هذه الآية الاختلاف في تحديد مكانه ، وظاهر الآيات المرححة بالبحر كقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء ٦٣] تدل على أنه البحر المالح ، والله أعلم .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٨٠ / ٩ .

(٦) تفسير مقاتل ٦٦ أ ، وتنوير المقباس : ٣٢٧ .

(٧) الإمام : كل من ائتمَّ به قوم كانوا على الصراط المستقيم ، أو كانوا ضالين . تهذيب اللغة (أم) ٦٣٨ / ١٥ .

وقوله : ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْتَارِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يدعون إلى الشرك بالله ^(١) ، فمن أطاعهم ضل ودخل النار ، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ لا يمنعون من العذاب ^(٢) .

٤٢ . وقوله : ﴿وَاتَّبَعَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ مفسر في موضعين من سورة : هود ^(٣) . قال مقاتل في هذه الآية : يعني الغرق ^(٤) .

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ ؛ أي من المبعدين الملعونين ^(٥) ؛ من القُبْح ، وهو : الإبعاد .

قال الليث : يقال : قَبَحَ الله ؛ أي نَحَاهُ من كل خير ^(٦) .

وقال أبو زيد : قَبَحَ الله فلاناً قُبْحاً وقُبُوحاً ؛ أي أقصاه وباعده من كل خير ، كقبوح الكلب والخنزير . قال الجعدي :

وَلَيْسَتْ بِشَوْهَاءَ مَقْبُوحَةٍ تُوَافِي الدِّيارَ بِوَجْهِ غَيْرِ
قال أبو عبيدة : ﴿مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المهلكين ^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٦٦ أ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٨٠ عن مجاهد بلفظ : (يدعون إلى المعاصي) .

(٢) تفسير مقاتل ٦٦ أ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [٦٠] ، وقوله تعالى : ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُنُ الرَّقْدُ الْمَرْفُودُ﴾ . قال الواحدي في تفسير هذه الآية : أي أوردوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم ، هذا معنى الإتياع ، وهو أن يتبع الثاني الأول ليتصرف معه بتصرفه . ومعنى اللعنة : الإبعاد من رحمة الله ومن كل خير .

(٤) تفسير مقاتل ٦٦ أ .

(٥) أخرج ابن جرير ٧٩ / ٢٠ عن قتادة : لعنوا في الدنيا والآخرة .

(٦) كتاب العين (قيح) ٥٣ / ٣ ، ونقله عنه الأزهري ٤ / ٧٥ .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١٠٦ ، وقال الثعلبي ٨ / ١٤٨ أ : الممقوتين ، وكذا في وضح البرهان ١٥٢ / ٢ .

وقال ابن عباس : يريد : تسوّدُ وجوههم ، وتزرُقُ أعينهم ، ويشوّه خلقهم^(١) .

وقال الكلبي : يعني : سواد الوجه ، وزرقة العين^(٢) ، وهذا يوجب أن يكون ﴿مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ بمعنى : المقبّحين .

وقد روى أبو عبيد عن أبي عمرو : قَبِّحْتُ له وجهه ، مخففة ، بمعنى : قَبِّحْتُ^(٣) . وأهل اللغة في : ﴿الْمَقْبُوحِينَ﴾ على القول الأول^(٤) .

قال أبو علي الفارسي في إعراب هذه الآية : يحتمل أن يكون : ﴿وَأَتَّبَعْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ ولعنة يوم القيامة ، فحذف المصدر ، وأقيم ﴿يَوْمَ﴾ مقامه ، فانصب انتصاب المفعول به ، ويكون ﴿هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ جملة استغني عن حرف العطف فيها بما تضمنت من ذكرهم ، كما استغني عنه بذلك في قوله : ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف : ٢٢] ، ولو كانت الواو لكان ذلك حسناً كما قال : ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ﴾ [الكهف : ٢٢] ، قال : ويجوز أن يكون : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ محمولاً على موضع : في هذه الحياة الدنيا ، كما قال الشاعر :

إذا ما تلاقينَا من اليومِ أو غداً^(٥)

(١) ذكره عنه الثعلبي ٨ / ١٤٨ أ .

(٢) تنوير المقياس : ٣٢٧ .

(٣) تهذيب اللغة (قيح) ٤ / ٧٥ .

(٤) المراد به : ﴿الْمَقْبُوحِينَ﴾ المبعدين .

(٥) أنشده كاملاً سيبويه ١ / ٦٨ ، ونسبه إلى كعب بن جعيل ، وصدره :

ألا حيّ ندماني عمير بن عامرٍ

الندمان ، ومثله النديم : الذي يجالسك ويشاربك . وفي الحاشية : شاهده عطف : غداً ، على محل : اليوم ؛ لأنه مسبوق بمن الزائدة . وأنشده المبرد في المقتضب ٤ / ١١٢ ، وابن جني في المحاسب ٢ / ٣٦٢ ، ولم ينسبها . وهو في الإنصاف ١ / ٣٣٥ غير منسوب ، قال : فنصب : غداً ، حملاً على موضع : من اليوم ، وموضعها نصب .

ويشهد لهذين الوجهين قوله : ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ٢٣] ، وقوله : ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [هود: ٦٠] ، ويكون قوله : ﴿هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ على ما ذكرنا في الوجه الأول ، قال : ويجوز أن يكون العامل فيه : ﴿مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ لأن فيه معنى فعل ، وإن كان الظرف متقدماً ، كأنه قيل : ويوم القيامة يقبحون ، كما أجاز سيبويه : كل يوم لك ثوب .

٤٣ . وقوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ . قال مقاتل : يعني قوم نوح وعاد وثمود ، وغيرهم ، كانوا قبل موسى ^(١) .

وقال رسول الله ﷺ : «ما أهلك الله - عز وجل - قوماً بعداب من السماء منذ أنزل الله سبحانه التوراة ؛ غير القرية التي مسخوها قردة ، ألم تر أن الله - عز وجل - قال : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾» ^(٢) .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد من بعد ما غرق فرعون وقومه ، وخسف بقارون ^(٣) ، والقول هو الأول .

وقوله : ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ . قال أبو إسحاق : المعنى : ولقد آتينا موسى الكتاب بصائر ؛ أي هذه حال ايتائنا إياه الكتاب مبيناً للناس ^(٤) .

(١) تفسير مقاتل ٦٦ أ .

(٢) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٤٢ ، رقم ٣٥٣٤ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه من هذا الطريق الثعلبي ٨/ ١٤٨ ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ٨٠ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٨١ موقوفاً على أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) ذكره القرطبي ١٣/ ٢٩٠ ، ولم ينسبه ، وصدره ب : قيل .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٤٦ .

وقال مقاتل : ﴿بَصَايِرَ لِلنَّاسِ﴾ في هلاك الأمم الخالية ، بصيرة لبني إسرائيل وغيرهم^(١) ، وعلى هذا التقدير : أهلكناهم بصائر للناس ؛ ليتبصروا ويعتبروا وبهلاكهم . والقول ما قاله أبو إسحاق ؛ لأن المعنى : آتينا موسى الكتاب بصائر للناس ؛ ليتبصروا به ، فدل على صحة هذا قوله : ﴿وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ ، وهو من صفة الكتاب ، يعني : التوراة هدى من الضلالة ، لمن عمل به ، ورحمة لمن آمن به من العذاب^(٢) .

٤٤ . وقوله : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ . قال قتادة والسدي ومقاتل : يعني جبلاً غربياً^(٣) ، وهو اختيار أبي إسحاق^(٤) ؛ أي وما كنت بجانب الجبل الغربي .

وقال أبو علي الفارسي : هذا على جانب المكان الغربي ، لا يكون على غير ذلك ، يعني أنه لا يكون الجانب مضافاً إلى الغربي ؛ لأنه هو الغربي^(٥) .

وقال الكلبي : بجانب الوادي الغربي^(٦) .

قال ابن عباس : يريد : حيث ناجى موسى ربه .

(١) تفسير مقاتل ٦٦ أ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٦ أ بنصه .

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٢ / ٩١ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٨٢ عن قتادة ، وقد تصحفت فيه كلمة : غربياً ، إلى : قريباً ، وهذه الطبعة للكتاب مليئة بأخطاء كثيرة جداً ؛ في : الآيات ، والأحاديث ، والأقوال ، فلم تحظ بأدنى قسط من التحقيق . وقول مقاتل في تفسيره ٦٦ أ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٤٦ .

(٥) قال السمين الحلبي : قوله : ﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ يجوز أن يكون من حذف الموصوف وإقامة صفته مقامه ؛ أي بجانب المكان الغربي ، وأن يكون من إضافة الموصوف لصفته ، وهو مذهب الكوفيين . الدر المصون ٨ / ٦٨٠ .

(٦) ذكره عنه الشوكاني ٤ / ١٦٩ ، وفي تنوير المقياس ٣٢٧ : الجبل .

وقوله : ﴿إِذْ فَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ . قال مقاتل : إذ عهدنا إلى موسى الرسالة إلى فرعون وقومه ، وهو قول المفسرين ^(١) . وقال عطاء عن ابن عباس : إذ أخبرناه أن أمة محمد ﷺ خير الأمم ^(٢) .

قوله : ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك الأمر ^(٣) . وقال ابن عباس : لم تحضر ذلك ^(٤) . وقال الكلبي : لم تشاهد ما هنالك ^(٥) .

قال صاحب النظم : ليس للحضور هاهنا معنى ؛ لأن قوله : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرِيقِ﴾ قد أغنى عنه ، وهو من الشهادة على الشيء ، يعني : لم تُشهدك على ما جرى هنالك .

٤٥ . قوله : ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ ؛ أي خلقنا أئماً من بعد موسى . ﴿فَنُطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ﴾ ؛ أي طالت عليهم المهلة ، فنسوا عهد الله ، وتركوا أمره ^(٦) .

قال ابن عباس : مثُلُ قوله في الحديد : ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد : ١٦] ^(٧) .

قال صاحب النظم : قوله : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرِيقِ﴾ كلام لا يقال إلا لرجل قد كان جرى له ذكر في موضع بخير أو شر ، فهو إعلام من الله تعالى لنبيه ﷺ

(١) تفسير مقاتل ٦٦ ب ، وتفسير ابن جرير ٢٠ / ٨٠ بمعناه .

(٢) نسبه القرطبي ١٣ / ٢٩١ إلى ابن عباس .

(٣) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٤) قال الثعلبي ٨ / ١٤٨ : الحاضرين ، ولم ينسبه .

(٥) تنوير المقباس : ٣٢٧ بلفظ : (من الحاضرين هناك) .

(٦) تفسير الثعلبي ٨ / ١٤٨ أ .

(٧) تفسير الثعلبي ٨ / ١٤٨ أ ، ولم ينسبه إلى ابن عباس .

أنه أجرى ذكره في هذا الموضع لمعنى ؛ إلا أنه غير موقوف على حقيقته ، فلمّا قال : ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ دلّ ذلك على أنه قد عهد إلى قوم موسى عهداً ، فلمّا طال عليهم العمر نسوها ، وتركوا الوفاء بها . وطول العهد والعمر ينسي العهد والوفاء بها ، ألا ترى أن موسى لما عاتب قومه في اتخاذ العجل قال لهم : ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ [طه : ٨٦] ، وذكر الله - عز وجل - في مواضع ما عهده إلى قوم موسى في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ ، فلم يحتمل أن يكون هذا الذي أومئ إليه في هذا الموضع إلا العهد الذي ذكره في مواضع ، فالذي خلص من تأويل هذا الفصل على ما درجنا أنه - عز وجل - ذكر امتنانه على نبينا محمد ﷺ أنه لما بعث موسى نبياً ورسولاً إلى فرعون أعلمه في ذلك الوقت أنه يبعث من ولد إسماعيل نبياً ، وأنه أخذ بعد ذلك على أمته عهداً أن يؤمنوا به ، وأن العلة في كفرهم به بعد أخذ العهد إنشاؤه منهم قرناً بعد قرن ، فتطاول العمر عليهم حتى نسوا ذلك ، وتهاونوا به فلم يؤمنوا .

وقوله : ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ ؛ أي مقيماً في أهل مدين^(١) ، كمقام موسى وشعيب فيهم . ﴿تَنَلُّوا عَلَيْهِمْ أَيْنِنَا﴾ : تذكّرهم بالوعد والوعيد .

قال مقاتل : يقول : لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ، ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أرسلناك إلى أهل مكة^(٢) ، وأنزلنا عليك هذه الأخبار ، ولولا ذلك لما علمتها .

قال أبو إسحاق : المعنى أنك لم تشاهد قصص الأنبياء ، ولا ثلّيت عليك ، ولكنّا أوحيناها إليك ، وقصصناها عليك^(٣) .

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٠٧ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٣ ، وتفسير ابن جرير ٨١/ ٢٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ١٤٦ ، وتفسير الثعلبي ٨/ ١٤٨ . وقال مقاتل ٦٦ ب : شاهداً .

(٢) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٤٧ .

٤٦. قوله : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ . قال مقاتل : يعني : بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليماً^(١) . ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ . قال ابن عباس : إن الله - تعالى وتبارك - نادى : يا أمة محمد ، أجبتمكم قبل أن تدعوني ، وأعطيتمكم قبل أن تسألوني ، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ، ورحمتكم قبل أن تسترحموني ، ونحو هذا روي عن أبي زُرعة بن عمرو بن جرير موقوفاً عليه^(٢) ، وروي عنه عن أبي هريرة مثل ما ذكرنا عن ابن عباس^(٣) .

قال وهب : وذلك أن موسى لما ذكر الله له فضل محمد وأمته ، قال : يا رب أرينيهم ، قال الله : إنك لن تدركهم ، وإن شئت ناديت أمته فأسمعتك صوتهم ، قال : بلى يا رب ، فقال الله تعالى : يا أمة محمد ، فأجابه من أصلاب آبائهم ، ثم قال الله تعالى : قد أجبتمكم قبل أن تدعوني^(٤) ، كما ذكر ابن عباس .

(١) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٩١/٢ عن الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي مدرك ، عن أبي زُرعة بن عمرو ابن جرير ، رفع الحديث هكذا في تفسير عبدالرزاق ، وأخرجه ابن جرير ٨١/٢٠ ، والثعلبي ١٤٨/٨ من كلام أبي زُرعة . وأبو زُرعة ، قيل اسمه : هرم ، وقيل : عمرو ، وقيل غير ذلك ، ابن عمرو بن جرير بن عبدالله البجلي ، الكوفي ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، كالحسن وابن سيرين ، ثقة . انظر سير أعلام النبلاء ٨/٥ ، وتقريب التهذيب ١١٤٨ ، ولا يصح رفع هذا الحديث كما هي رواية عبدالرزاق ؛ لأنه يرفعه يكون الحديث مرسلأ ، والصواب : وقفه ، كما قال الواحدي ، والله أعلم .

(٣) أخرجه النسائي في تفسيره ١٤٣/٢ ، رقم ٤٠١ ، موقوفاً على أبي هريرة من طريق أبي زُرعة ، وكذا الحاكم ٤٤٣/٢ ، رقم ٣٥٣٥ ، وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي . ومن طريق أبي زُرعة أخرجه ابن جرير ٨١/٢٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) تفسير الثعلبي ١٤٨/٨ ب من كلام وهب بن منبه .

وقال مقاتل بن حيان : ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ أمتك وهم في أصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك إذا بُعثت^(١) .

وقال السدي : ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى^(٢) ، ونحو هذا قال مقاتل بن سليمان^(٣) ، فعلى هذا المنادى موسى .

وقوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ : ولكن رحمتك رحمة بإرسالك ، والوحي إليك^(٤) .

قال الزجاج : المعنى : فعلنا ذلك للرحمة ، كما تقول : فعلت ذلك ابتغاء الخير ، فهو مفعول له^(٥) .

وقال مقاتل : يقول : ولكن كان^(٦) القرآن رحمة من ربك ، يعني : نعمة ، يعني : النبوة حين اختصت بها ، وأوحينا إليك أمرهم ليعرف كفار مكة نبوتك ، فذلك قوله : ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٧) يعني : أهل مكة^(٨) . ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ . قال ابن عباس : يتعظون^(٩) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٨٣/٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٨٤/٩ عن قتادة .

(٣) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٤) قال الأخفش : فنصب ﴿رَحْمَةً﴾ على : ولكن رحمتك رحمة . معاني القرآن ٦٥٣/٢ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١٤٧/٤ .

(٦) (كان) ساقطة من نسخة (ج) .

(٧) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٨) تفسير الثعلبي ١٤٨/٨ ب .

(٩) تنوير المقباس : ٣٢٧ .

٤٧. قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ . قال مقاتل : يعني العذاب في الدنيا ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المعاصي ، يعني : كفار مكة ^(١) ، ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ﴾ : هَلَّا أَرْسَلْتَ إلينا رسولا ^(٢) ، ﴿فَنَنْتِجَ أَعْيُنَكَ﴾ يعني القرآن ، ﴿وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بتوحيد الله ^(٣) . والمعنى : لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة لكفرهم . وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف تقديره ما ذكرنا ^(٤) .

وقال مقاتل في تقدير الجواب : لأصابتهم مصيبة ^(٥) .

قال الزَّجَّاج : أي لولا ذلك لم نحتج إلى إرسال الرسول ، ومواترة الاحتجاج ^(٦) .

٤٨. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ . قال ابن عباس : جاءهم محمد ﷺ ^(٧) . قال مقاتل : يعني القرآن ^(٨) .

قال أبو إسحاق : أي فلما جاءت الحجة القاطعة التي كان يجوز أن يعتلوا بتأخرها عنهم ﴿قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ﴾ ؛ أي هَلَّا أَوْفَىٰ محمد من الآيات مثل ما أوفى موسى من العصا واليد ، وغير ذلك ، قاله ابن عباس ^(٩) .

(١) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٧/٢ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٤) قال الثعلبي ١٤٨/٨ ب : جواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف ؛ أي لعاجلناهم بالعقوبة .

(٥) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٦) هكذا في النسخ الثلاث ، وكذا في معاني القرآن للزَّجَّاج ١٤٧/٤ ؛ أي متابعة الاحتجاج ، والله أعلم .

(٧) تفسير ابن جرير ٨٣/٢٠ ، والثعلبي ١٤٨/٨ ب ، ولم ينسبها .

(٨) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٤٧/٤ ، ولم ينسبه . أخرج ابن جرير ٨٣/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٨٤/٩ عن مجاهد : يهود تأمر قريشاً أن تسأل محمداً مثل ما أوفى موسى .

وقال مقاتل : هَلَّا أُعْطِيَ مُحَمَّدُ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾^(١) التوراة جُمْلَةً وَاحِدَةً^(١) .

قال الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ ؛ أي أو لم يكفروا بما أُوتِيَ موسى من التوراة^(٢) قبل القرآن ، يعني : كفار مكة احتج الله عليهم لما قالوا : هَلَّا أُوتِيَ مُحَمَّدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ؟ بكفرهم بما أُوتِيَ موسى ؛ أي فقد كفروا بآيات موسى ، كما كفروا بآيات محمد ، و﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ . قال الكلبي : وذلك أنهم بعثوا رهطاً إلى يهود المدينة يسألونهم عن بعث محمد وشأنه ! فقالوا : إِنَّا نَجِدُهُ فِي التَّوْرَةِ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ ، فرجع الرهط إليهم ، وأخبروهم بقول اليهود ، فقالوا عند ذلك : ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾^(٣) .

وَقُرَيْشٍ : (سَاحِرَانِ)^(٤) وهو اختيار أبي عبيد ؛ لقوله : ﴿تَظَاهَرَا﴾ ؛ أي تعاونوا ، والمعاونة إنما تكون في الحقيقة للساحرين ، لا للسحرين^(٥) ، والتظاهر

(١) تفسير مقاتل ٦٦ ب ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٤٨ ب ، ولم ينسبه . والتأويل الأول أقرب ؛ لأنهم سألو معجزات مادية محسوسة ، كما ذكر الله عنهم في آخر سورة الإسراء : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُفْعَرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ الآيات [٩٠-٩٣] .

(٢) في نسخة (أ) و(ب) : (أي أو لم يكفروا بتوراة موسى) .

(٣) ذكره الثعلبي ٨ / ١٤٩ أ عن الكلبي . وظاهر هذا أن الآية خطاب لكفار قريش ، وفيها التشنيع عليهم بكفرهم بموسى عليه السلام ، وهذا بعيد ، والأقرب ما أخرجه ابن جرير ٨٣ / ٢٠ عن مجاهد في تفسير هذه الآية : يقول الله لمحمد ﷺ : قل لقريش : يقولوا لهم ؛ أي لليهود : أو لم يكفروا بما أُوتِيَ موسى من قبل .

(٤) قرأ عاصم وحزة والكسائي : ﴿سِحْرَانِ﴾ ليس قبل الحاء ألف ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر : (سَاحِرَانِ) بألف قبل الحاء . انظر السبعة في القراءات ٤٩٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٢٣ ، والنشر في القراءات العشر ٢ / ٣٤١ .

(٥) ذكر هذا التوجيه أبو علي في الحجة ٥ / ٤٢٣ ، ولم ينسبه إلى أبي عبيد ؛ وإنما نسبته إليه الثعلبي ٨ / ١٤٩ أ .

بالناس وأفعالهم أشبهه . قال ابن عباس : يريدون : موسى وهارون ، وهو قول سعيد بن جبير ^(١) .

وروى مسلم بن يسار عن ابن عباس قال : يعنون : موسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم ، وهو قول الحسن ^(٢) . ومن قرأ : ﴿سِحْرَانِ﴾ أراد : الكتابين ^(٣) .

قال مقاتل : يعنون التوراة والقرآن ^(٤) ، وهو قول عكرمة والكلبي ^(٥) ، وعلى هذا معنى : ﴿تَظَاهَرَا﴾ تعاونا على الضلالة ^(٦) ؛ كأن المعنى : كل سحرٍ منهما يقوّي الآخر ، ويتفقان ، فنسب التظاهر إلى السحرين على الاتساع ^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُمْ لَكَافِرُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريدون : الذي جئت به ، والذي جاء به موسى ^(٨) .

وقال مقاتل : بالتوراة والقرآن كافرون لا تؤمن بهما ^(٩) .

-
- (١) أخرجه ابن جرير ٨٤/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٨٥/٩ عن مجاهد وسعيد بن جبير .
- (٢) أخرجه ابن جرير ٨٣/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٨٥/٩ عن ابن عباس من طريق مسلم بن يسار ، وأخرجه عبدالرزاق ٩٢/٢ عن الكلبي ، وذكره الفراء من دون نسبة ، وصدّره بـ : يقال . معاني القرآن ٣٠٦/٢ ، واقتصر عليه النيسابوري في وضع البرهان ١٥٣/٢ .
- (٣) الحجة للقراء السبعة ٤٢٣/٥ .
- (٤) تفسير مقاتل ٦٦ ب . وذكره الثعلبي ١١٤٩/٨ ، ولم ينسبه .
- (٥) أخرجه عبدالرزاق ٩٢/٢ عن الكلبي ، وهو في تنوير المقباس : ٣٢٨ ، وأخرج عبدالرزاق ٩٢/٢ رواية تخالف ما ذكر عن عكرمة ؛ فعن مجاهد قال : سألت ابن عباس وهو بين الركن والباب ، في الملتزم ، وهو متكئ على يد عكرمة مولاه ، فقلت : أسحران ، أم ساحران ؟ قال : فقلت ذلك مراراً ، فقال عكرمة : ساحران ، اذهب أيها الرجل ، أكثرت عليه . وأخرج القول بأن المراد بهما : القرآن والتوراة ، ابن جرير ٨٤/٢٠ عن ابن عباس وابن زيد .
- (٦) تفسير مقاتل ٦٦ ب ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٧/٢ .
- (٧) الحجة للقراء السبعة ٤٢٣/٥ .
- (٨) أخرجه نحوه ابن جرير ٨٥/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٨٦/٩ عن مجاهد وابن زيد .
- (٩) تفسير مقاتل ٦٦ ب . وأخرجه ابن جرير ٨٦/٢٠ عن ابن عباس .

قال الله لنبيه عليه السلام : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

٤٩ . ﴿ قُلْ ﴾ لكفار مكة ^(١) : ﴿ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ ﴾ . قال ابن عباس : يريد : من القرآن والتوراة ^(٢) ، يقول : أنا أتبعه إن جئتم بأفضل مما جئتُ به إليكم ، والذي جاء به موسى . وهذا دليل لقراءة من قرأ : ﴿ سِحْرَانِ ﴾ ؛ وذلك أنهم لما قالوا : القرآن والتوراة ﴿ سِحْرَانِ ﴾ قيل لهم : ﴿ فَأَتُوا بِكِتَابٍ ﴾ ﴿ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا ﴾ ، ومن قال : (سَاحِرَانِ) قال : المعنى : هو أهدى من كتابيهما ، فحذف المضاف . ذكر ذلك أبو إسحاق وأبو علي ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . قال مقاتل : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ بأنهما ﴿ سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ﴾ ^(٤) .

٥٠ . ﴿ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾ . قال مقاتل : فإن لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن ^(٥) ، وقال عطاء عن ابن عباس : فإن لم يؤمنوا بها جئتُ به ، والأول أظهر .

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّمَا يُنْعِمُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ . قال أبو إسحاق : أي فاعلم أن ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه ، وإنما آثروا فيه الهوى ، وقد علموا أن الذي أتيت به الحق ^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٢) أخرجه ابن جرير ٨٦/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٨٦/٩ عن ابن زيد .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٤٨/٤ ، والحجة للقراء السبعة ٤٢٣/٥ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٥) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٦) معاني القرآن للزجاج ١٤٨/٤ .

ثم ذمهم فقال : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ ؛ أي لا أحد أضل^(١) ممن يتبع هواه بغير رشاد ، ولا بيان جاءه من الله . ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ : لا يجعل جزاء المشركين الجاحدين آياته أن يهديهم إلى دينه .

٥١ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ . قال الفرّاء : أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضاً^(٢) .

وقال أبو عبيدة : أتممنا^(٣) كوصل الشيء بالشيء .

وقال المبرّد : تأويله : بَيَّنَّا ، وإنما هو من وصل بعضه ببعض ، والثقل يدل على المبالغة .

وقال الزّجاج : أي فصلناه بأن وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى بعضها ببعض^(٤) .

وقال ابن قتيبة : أي أتبعنا بعضه بعضاً فاتصل عندهم ، يعني القرآن^(٥) . هذا قول أهل المعاني وألفاظهم ، وهي مأخوذة من ألفاظ المفسرين ، قال مجاهد : فصلنا القول لقريش^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٣٠٧/٢ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٨/٢ .

(٤) معاني القرآن للزّجاج ١٤٨/٤ .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٣ .

(٦) أخرجه ابن جرير ٨٧/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٨٧/٩ .

وقال الكلبي : بَيَّنَّا لهم القول في القرآن^(١) ، وهو قول السدِّي ومقاتل وسفيان بن عيينة^(٢) . ومن فَسَّرَ التوصيل بالتفصيل أراد به البيان ؛ فإن القول يفصِّل للبيان ، ويُوَصِّل بعضه ببعض للبيان .

قال قتادة : وَصَّلَ لهم القول في هذا القرآن يُخبرهم كيف صَنَعَ بمن مضى^(٣) .

وقال الكلبي : فصل لهم القرآن بما يدعوهم إليه مرة بعد مرة ، وقال ابن زيد : ﴿ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ في الخبر عن أمر الدنيا والآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا^(٤) .

وقال مقاتل : يقول لقد بَيَّنَّا لكفار مكة بما في القرآن من خبر الأمم الخالية^(٥) كيف عذبوا بتكذيبهم^(٦) . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴾ : لكي يتعظوا ويخافوا فيؤمنوا^(٧) .

٥٢ . قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ من قبل القرآن^(٨) . قال ابن عباس والسدِّي : نزلت في عبدالله بن سلام ، وابن يامين ، ومن أسلم من اليهود^(٩) .

(١) تنوير المقياس : ٣٢٨ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٨٧/٩ عن السدِّي ، وتفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٣) أخرجه ابن جرير ٨٧/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٨٨/٩ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٨٨/٢٠ ، وذكره الثعلبي ٨/١٤٩ أ .

(٥) في نسخة (ج) : (الماضية) .

(٦) تفسير مقاتل ٦٦ ب . وفي مرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ قولان ؛ ذكر الواحد أحدهما ، وهو : رجوعه لفريش ، والثاني : يرجع لليهود ، أخرجه ابن جرير ٨٨/٢٠ عن رفاعه القرظي رضي الله عنه ، قال : نزلت هذه الآية في عشرة ، أنا أحدهم ، ولا تعارض بين القولين ، والله أعلم .

(٧) تفسير مقاتل ٦٦ ب .

(٨) قال الثعلبي ٨/١٤٩ أ : ﴿ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ ؛ أي من قبل محمد ﷺ . وبين القولين تلازم .

(٩) أخرجه ابن جرير ٨٩/٢٠ عن ابن عباس ، وابن أبي حاتم ٢٩٨٨/٩ عن ابن عباس والسدِّي ، وفي خبر السدِّي ذكر قصة عبدالله بن سلام لما أسلم ، وأخرج ابن جرير ٨٩/٢٠ عن مجاهد : هم مسلمة أهل الكتاب .

وقال قتادة: كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَنَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، كَانُوا عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ يَأْخُذُونَ بِهَا وَيَنْتَهُونَ إِلَيْهَا ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ ، فَأَمَنُوا وَصَدَّقُوا^(١) .

وقال ابن عباس: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْإِنْجِيلِ^(٢) ، وَهُوَ قَوْلُ مُقَاتِلٍ ، قَالَ : نَزَلَتْ فِي مُسْلِمِي أَهْلِ الْإِنْجِيلِ ، كَانُوا مُسْلِمِينَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَكَانُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا ؛ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ مِنَ الْحَبَشِ قَدِمُوا مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمَدِينَةَ ، وَثَمَانِيَةَ نَفَرٍ قَدِمُوا مِنَ الشَّامِ ، فَنَعَتَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ^(٣) .

٥٣ . قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ ﴾ : يَعْنِي الْقُرْآنَ^(٤) . ﴿ قَالُوا أَمَّا بَيْنَا وَبَيْنَكَ ﴾ : صَدَّقْنَا بِالْقُرْآنِ . ﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ﴾^(٥) ؛ وَذَلِكَ أَنْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ مَكْتُوبًا عَنْدهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، فَلَمْ يَعَانِدْ هَؤُلَاءِ ، وَآمَنُوا وَصَدَّقُوا ، وَقَالُوا لِلْقُرْآنِ : ﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾^(٦) . قَالَ مُقَاتِلٌ : إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ مُخْلِصِينَ لِلَّهِ بِالْتَّوْحِيدِ^(٧) .

(١) أخرجه ابن جرير ٨٩/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٩٠/٩ عن قتادة ، وفيه : منهم : سلمان ، وعبدالله بن سلام .

(٢) أخرجه ابن جرير ٨٩/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٨٨/٩ عن ابن عباس بلفظ : (من آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب) .

(٣) تفسير مقاتل ٦٧أ . أخرج ابن أبي حاتم ٢٩٨٨/٩ عن سعيد بن جبيرة أن المراد بهذه الآية : النصراني الذين قدموا على النبي ﷺ ، من الحبشة فأمنوا .

(٤) تفسير الثعلبي ١١٤٩/٨ .

(٥) تفسير مقاتل ٦٧أ ، وتفسير ابن جرير ٨٩/٢٠ .

(٦) تفسير ابن جرير ٨٩/٢٠ .

(٧) تفسير مقاتل ٦٧أ .

وقال الكلبى : يقولون : إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِينَا مُحَمَّدٌ مُؤْمِنِينَ بِهِ أَنَّهُ سَيَكُونُ^(١) .

وقال السدّي : يقولون : كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَتِلْكَ الْأُمَمُ كَانُوا عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ^(٢) .

٥٤ . ثُمَّ أَتَى اللَّهَ عَلَيْهِمْ خَيْرًا ، فَقَالَ : ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ : أَجْرًا بَتَمْسِكِهِمْ بِدِينِهِمْ حَتَّى أَدْرَكُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَأَمَنُوا بِهِ ، وَأَجْرًا بِإِيْمَانِهِم بِالنَّبِيِّ ﷺ ، قَالَهُ مُقَاتِلُ^(٣) ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ عَلَى دِينِ عِيسَى ، وَآمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ^(٤) .
وقال قتادة : ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ عَلَى الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، وَالْكِتَابِ الثَّانِي^(٥) .

(١) تنوير المقباس : ٣٢٨ ، وهو قول الفراء ، قال : وذلك أنهم يجدون صفة النبي ﷺ في كتابهم فصَدَّقُوا به ، فذلك إسلامهم ، وقال أيضاً : ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ هذه الهاء للنبي ﷺ ، ولو كانت الهاء كناية عن القرآن لكان صواباً ؛ لأنهم قد قالوا : ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ فالهاء هاهنا أيضاً تكون للقرآن ، ولمحمد ﷺ . معاني القرآن ٢ / ٣٠٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٨٩ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٧ أ . أخرجه ابن جرير ٢٠ / ٩٠ عن مجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٩١ عن الضحاك . وكان الأولى بالواحدى - رحمه الله تعالى - أن يورد هنا حديث أبي هريرة المتفق عليه ؛ أن النبي ﷺ قال : «ثلاثة يؤتون أجراً مرتين ؛ الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ، ويؤدها فيحسن أدبها ، ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران ، ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمناً ، ثم آمن بالنبي ﷺ ، فله أجران ، والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده» . أخرجه البخاري ، كتاب : الجهاد ، رقم ٣٠١١ ، فتح الباري ٦ / ١٤٥ ، ومسلم ١ / ١٣٤ ، كتاب : الإيمان ، رقم ٢٤١ ، وقد أهمل الواحدى إيراده في كتابيه ؛ الوسيط ، والوجيز .

(٤) هذا على أن المراد بأهل الكتاب : النصارى ، كما سبق أن سعيد بن جبير جعل الآية في النصارى الذين قدموا من الحبشة فأمنوا . أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٨٨ .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ٨٩ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٩٠ .

قال مقاتل : فلما تبعوا النبي ﷺ شتمهم المشركون فصفحوا عنهم ، وردوا معروفاً ، فأنزل الله فيهم : ﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ الْسَّيِّئَةَ ﴾ ^(١) ؛ أي يدفعون ما يسمعون من الأذى بالصفح والعفو ^(٢) .

وقال ابن عباس : يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك ^(٣) .

قال أبو إسحاق : يدفعون بما يعملون من الحسنات ما تقدم لهم من السيئات ^(٤) . ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ من الأموال ﴿ يُفْقُونَ ﴾ في طاعة الله ^(٥) .

قال ابن عباس : يتصدقون على أهل دينهم ^(٦) .

٥٥ . ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ ﴾ . قال الكلبي : يعني الباطل ^(٧) ، وهو ما قال لهم المشركون من الأذى والشتم ، ونحو هذا قال مقاتل ^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ ؛ أي عن اللغو ، فلم يردُّوا عليهم مثل ما قيل لهم ^(٩) .

(١) تفسير مقاتل ٦٧ أ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٨/٢ بمعناه .

(٣) تنوير المقباس ٣٢٨ بلفظ : (يدفعون بالكلام الحسن ؛ بلا إله إلا الله الكلام القبيح ؛ الشرك من غيرهم) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٤٩/٤ .

(٥) تفسير مقاتل ٦٧ أ .

(٦) أخرج نحوه ابن جرير ٩٠/٢٠ عن قتادة ، ومعاني القرآن للزجاج ١٤٩/٤ بلفظ : (يتصدقون) ، ولم ينسبه .

(٧) تنوير المقباس : ٣٢٨ . وأخرجه ابن جرير ٩٠/٢٠ عن قتادة .

(٨) تفسير مقاتل ٦٧ أ . وأخرجه الطبري ٩١/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٩٢/٩ عن مجاهد .

(٩) تفسير مقاتل ٦٧ أ .

وقال أبو إسحاق : إذا سمعوا ما لا يجوز ، وينبغي أن يلغى لم يلتفتوا إليه ^(١) .

﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ . قال مقاتل : لنا ديننا ولكم دينكم ، وذلك حين عيروهم بترك دينهم ^(٢) ، وقال ^(٣) غيره : لنا ما رضينا به لأنفسنا ، ولكم ما رضيتم به لأنفسكم ^(٤) .

﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ . قال السدي : لما أسلم عبدالله بن سلام جعل اليهود يشتمونه ، وهو يقول : ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْنِئِ الْجَاهِلِينَ﴾ ^(٥) ، ومعناه : أمنة لكم من أن تسمعوا منا ما لا تحبون .

قال أبو إسحاق : ولم يريدوا بقولهم : ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ التحية ، والمعنى أنهم قالوا : بيننا وبينكم المtarكة والتسليم ، وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال ^(٦) .

(١) معاني القرآن للزجاج ١٤٩/٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٧ أ .

(٣) في نسخة (أ) و(ب) : (وقالوا) .

(٤) تفسير ابن جرير ٩١/٢٠ بنصه .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٩٣/٩ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ١٤٩/٤ . يعني أن هذه الآية منسوخة بآية الجهاد والقتال ، وقد سبق الحديث عن نسخ هذه الآية وما شابهها في سورة الفرقان ، عند قوله تعالى : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ . قال مكي بن أبي طالب : والذي عليه أهل النظر - وهو الصواب - أن الآية محكمة غير منسوخة ، وأن معنى السلام فيها : المtarكة والمداراة من الكفار ، وليس من السلام الذي هو التحية ؛ لأن السلام عليهم محظور بقوله تعالى : ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه : ٤٧] . الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٧٥ .

وقوله تعالى: ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ . قال مقاتل : لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه ^(١) ، وقال الكلبي : لا نحب دينكم الذي أنتم عليه ^(٢) ، وعلى هذا يكون التقدير : لا نبتغي دين الجاهلين ^(٣) .

وقيل : لا نبتغي محاورة الجاهلين ^(٤) .

وقال أبو علي : لا نبتغي مجاراتهم ولا الخوض معهم في ما يخوضون فيه ؛ فالمضاف محذوف .

٥٦ . قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ . قال ابن عباس : يريد أبا طالب ^(٥) ، وقال الكلبي : كان رسول الله ﷺ حريصاً على أن يسلم عمه أبو طالب ، فنزل : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ^(٦) .

وقال مجاهد في هذه الآية : قال محمد ﷺ لأبي طالب : «قل كلمة الإخلاص أجادل بها عنك يوم القيامة» ، قال : يا ابن أخي : ملة الأشياخ ^(٧) .

وقال السدي : نزلت في أبي طالب حين قال له : «قل : لا إله إلا الله ، أشهد لك بها يوم القيامة» ، قال : لولا أن يقولوا : جَزَعَ عمك عند الموت لقلتها ^(٨) .

(١) تفسير مقاتل ٦٧ .

(٢) تنوير المقباس : ٣٢٨ بلفظ : (لا نطلب دين المشركين بالله) .

(٣) هذا بنصه كلام الكلبي : (لا نبتغي دين الجاهلين) . تفسير الثعلبي ٨ / ١٤٩ أ .

(٤) تفسير ابن جرير ٢٠ / ٩١ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٤٩ أ ، ولم ينسبها .

(٥) تفسير ابن جرير ٢٠ / ٩١ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٤٩ أ .

(٦) تنوير المقباس : ٣٢٨ .

(٧) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ٩٢ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٩٤ .

(٨) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ٩٢ عن أبي هريرة .

وقال مقاتل : قال رسول الله ﷺ لعنه أبي طالب : أريد منك كلمة واحدة ، فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا ؛ أن تقول : لا إله إلا الله ، أشهد لك بها عند الله ، قال : يا ابن أخي : قد علمت أنك صادق ، ولكن أكره أن يقال : جزع عند الموت ، ولولا أن يكون عليك وعلى بني أخيك غضاضة ^(١) ومسبة بعدي لقلتُها ، ولأقررت بها عينك عند الفراق ، لما أرى من شدة حرصك ونصيحتك ، ولكن سوف أموت على ملة الأشياخ : عبد المطلب ، وهاشم ، وعبد مناف ، فأنزل الله هذه الآية ^(٢) ، ونحو هذا قال قتادة والحسن والشعبي وابن عمر ^(٣) .

قال أبو إسحاق : أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب ^(٤) .

وقد حدثنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم رحمه الله ، قال : حدثنا الحسن بن أحمد الشيباني ^(٥) ، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ ^(٦) ، حدثنا عبد الرحمن بن بشر ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن كيسان ، حدثني أبو حازم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ لعنه : « قل : لا إله إلا الله ،

(١) يقال : ما أردت بذا غضيضة فلان ، ولا مغضته ، كقولك : ما أردت نقيصته ، ومنقصته . تهذيب اللغة (غض) ٣٦/١٦ .

(٢) تفسير مقاتل ١٦٧ . وأخرجها النسائي في كتاب : التفسير ١٤٤ / ٢ ، رقم ٤٠٣ عن سعيد بن المسيب عن أبيه ، وكذا الثعلبي ١٤٩ / ٨ ب .

(٣) أخرجه ابن جرير ٩٢ / ٢٠ عن أبي هريرة ، وسعيد بن المسيب عن أبيه ، وابن عمر ، ومجاهد ، وقاتادة ، وأخرجه النسائي في التفسير ١٤٥ / ٢ عن ابن عمر .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٤٩ / ٤ .

(٥) الحسن بن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن مخلد بن شيبان المخلدي ، النيسابوري ، سمع أبا العباس السراج ، ومؤمل بن الحسن ، وابن الشرقي ، وحدث عنه الحاكم ، ويعقوب الصيرفي ، وغيرهما . قال الحاكم : هو صحيح السماع والكتب ، ومتقن في الرواية ، مُحدث عصره ، توفي سنة ٣٨٩ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٦ / ٥٣٩ ، وشذرات الذهب ٤٧٧ / ٤ .

(٦) أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري ، أبو حامد ، ابن الشرقي ، حافظ خراسان ، سمع محمد بن يحيى الذهلي ، وعبد الرحمن بن بشر بن الحكم ، وغيرهم ، حدث عنه أبو علي النيسابوري ، وأبو عبد الله الهروي ، وغيرهما . انظر سير أعلام النبلاء ١٥ / ٣٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٤١ / ٣ .

أشهدُ لك بها يوم القيامة» ، قال : لولا أن تعيرني نساء قريش ، يقلن : إنه حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(١) .

قال الزَّجَّاج : ابتداء نزولها بسبب أبي طالب ، وهي عامة ؛ لأنه لا يهدي إلا الله عز وجل ، ولا يرشد ولا يوفق إلا هو ، وكذلك هو ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢) .

وقال الفراء : ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ يكون على جهتين ؛ إحداهما : من أحبته للقرابة ، والثانية : من أحبت أن يهتدي ، كقولك : إنك لا تهدي من تريد^(٣) . قال مقاتل : إنك لا تهدي للإسلام ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(٤) ولكن الله يهدي ويرشد^(٥) من يشاء لدينه ، قاله ابن عباس .

(١) هذا الحديث ساقه الواحدي بسنده عن شيخه الثعلبي أحمد بن محمد بن إبراهيم . تفسير الثعلبي ١٤٩/٨ . وأخرجه هذا اللفظ من طريق يحيى بن سعيد ، عن يزيد ابن كيسان ، مسلم في صحيحه ٥٥/١ ، كتاب : الإيمان ، رقم ٢٥ ، وأصل الحديث في الصحيحين ، من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة ، دخل عليه النبي ﷺ ، وعنده أبو جهل ، فقال : «أي عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله» ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب : ترغب عن ملة عبد المطلب فلم يسز الا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به : على ملة عبد المطلب ، فقال النبي ﷺ : «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» ، فنزلت : ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة : ١١٣] ، ونزلت : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ . أخرجه البخاري في مناقب الأنصار ، رقم ٣٨٨٤ ، فتح الباري ١٩٣/٧ ، ومسلم ٥٤/١ في الإيمان ، رقم ٢٤ ، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول ٣٣٨ ، وذكر تخريج مسلم له ، وأخرجه ابن جرير ٩٢/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٩٤/٩ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٤٩/٤ ، وذكر الواحدي قول الزَّجَّاج في أسباب النزول ٣٣٨ بإسناده .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٠٧/٢ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٧ .

(٥) (ويرشد) ساقطة من نسخة (أ) و(ب) .

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ . يقول : هو أعلم بمن قدر له الهدى ، قاله مجاهد ومقاتل^(١) .

٥٧ . قوله : ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنَخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ . قال الكلبي ومقاتل والمفسرون : نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف^(٢) ، قال للنبي ﷺ : إِنَّا لنعلم أن الذي تقول حق ، ولكن يمنعنا من ذلك أن العرب تخطفنا من أرضنا ، يعني : من مكة ، فإنها نحن أكلة رأس^(٣) ، والعرب على ديننا ، ولا طاقة لنا بهم ، فأنزل الله هذه الآية^(٤) .

وقوله : ﴿نُنَخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ . قال المبرد : التخطف : الانتزاع بسرعة ، كما يتخطف البازي ، ولا يكون الخطف إلا بسرعة^(٥) ، وقد مرَّ في قوله : ﴿يَخْطَفُ أَبْصَرُهُمْ﴾ [البقرة : ٢٠]^(٦) .

-
- (١) أخرجه ابن جرير ٩٣/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٩٥/٩ عن مجاهد . وتفسير مقاتل ٦٧ ب .
- (٢) الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي ، من زعماء قريش في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقد قُتل يوم بدر كافراً ، قتله خبيب بن عدي رضي الله عنه ، ثم أُسر خبيب يوم الرجيع فابتاعه بنو الحارث بن عامر ليقتلوه بأبيهم ، وقصته في ذلك مشهورة . السيرة النبوية لابن هشام ٣/١٨٠ .
- (٣) أكلة رأس : مثل يضرب لقلة العدد ، فكأنهم لو اجتمعوا على أكل رأس لكان كافياً لهم . الزاهر في معاني كلمات الناس ١٤/٢ ، ومجمع الأمثال ٨٤/١ .
- (٤) تفسير مقاتل ٦٧ ب ، وفيه : (الحارث بن نوفل بن عبد مناف) ، وذكر نحوه الزجاج ٤/١٥٠ ، ولم ينسبه ، وأخرجه ابن جرير ٩٤/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٩٥/٩ ، والنسائي ، كتاب : التفسير ٢/١٤٦ ، رقم ٤٠٥ ، وذكره الثعلبي ٨/١٤٩ ب ، والواحدي في أسباب النزول ٣٣٨ ، وفيه : (الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف) .
- (٥) يقال : خَطَفْتُ الشيء ، واختطفته : إذا اجتذبتَه بسرعة . تهذيب اللغة (خطف) ٧/٢٤١ ، ولم يذكر قول المبرد .
- (٦) لم أجد في هذا الموضع إلا قوله : ومعنى الآية : يكاد ما في القرآن من الحجيج يخطف قلوبهم من شدة إزعاجها إلى النظر في أمر دينهم .

قال الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ : يعني ذا أمن يأمن فيه الناس . قال المفسرون : كانت العرب في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ، ويقتل بعضهم بعضاً ، وأهل مكة آمنون بحرمة الحرم ^(١) .

وقال قتادة : كان أهل الحرم آمنين ، يذهبون حيث شاءوا ، فإذا خرج أحدهم قال : أنا من أهل الحرم ، لم يُعرض له أحد ، وكان غيرهم يقتل ويسلب ^(٢) ، كما قال الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ . قال مقاتل : يقول : هم آمنون في الحرم من القتل والسبي ، فكيف يخافون إذا أسلموا ^(٣) .

وقال أبو إسحاق : أعلمهم الله بأنه قد تفضل عليهم بأن آمنهم بحرمة البيت ، ومنع منهم العدو ؛ أي فلو آمنوا لكانوا أولى بالتمكين والسلامة ^(٤) .

وقال الفرّاء : أو لم نسكنهم حرماً لا يخاف من دخله ، فكيف يخافون أن تستحل العرب قتالهم فيه ^(٥) ، وقال ابن قتيبة : ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ﴾ ؛ أي أو لم نسكنهم ، ونجعله مكاناً لهم ^(٦) .

قوله تعالى : ﴿يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ؛ أي يجمع إليه ^(٧) ، وهو من قولك : جِئْتُ الماءَ في الحوض إذا جمعته ^(٨) .

(١) تفسير الثعلبي ١٤٩/٨ ب .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٩٢/٢ ، وابن جرير ٩٤/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٩٦/٩ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٧ ب .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٥٠/٤ .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٣٠٨/٢ .

(٦) غريب القرآن ٣٣٣ بلفظ : (نسكنهم إياه) .

(٧) تفسير الثعلبي ١٤٩/٨ ب .

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٨/٢ ، وتفسير ابن جرير ٩٤/٢٠ ، ولم ينسبه .

وقال الفرّاء في مصادر القرآن : جبيت المال والماء جباية إذا جمعته وجبوتته جباوة . والجباية : الحوض العظيم ، والجبا مقصور : الماء المجموع^(١) .

وَقُرِئَ : ﴿يُجْبَى﴾ بالياء والتاء^(٢) ؛ وذلك أن تأنيث الثمرات تأنيث جمع ، وليس بتأنيث حقيقي ، وإذا كان كذلك كان بمنزلة الوعظ ، والموعظة ، والصوت ، والصيحة ، فإذا ذُكِرَتْ كان حسناً ، وكذلك إذا أنثت . ذكر ذلك صاحب الحجة^(٣) .

وقال الفرّاء : ذُكِرَتْ (تجبي) ، وإن كانت الثمرات مؤنثة ؛ لأنك فرّقت بينهما بإليه ، كما قال الشاعر :

إِنَّ أَمْرًا غَرَّهُ مِنْكُنَّ وَاحِدَةً بَعْدِي وَبَعْدَكَ فِي الدُّنْيَا لَمَغْرُورٌ^(٤)

وبهذه العلة اختار أبو عبيد التذكير ؛ فقال : قد حال بين الاسم المؤنث والفعل حائل^(٥) .

(١) تهذيب اللغة (جبا) ١١/ ٢١٤ من قول الكسائي : الجبا مقصور ، ولم أجد فيه ما قبله .

(٢) قرأ نافع وحده : (تُجْبَى) بالتاء ، وقرأ الباقون : ﴿يُجْبَى﴾ بالياء . انظر السبعة في القراءات ٤٩٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٧٨/ ٢ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٤ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٣٠٨ ، ولم ينسب البيت . واستشهد به ابن جني في الخصائص ٢/ ٤١٤ ، على تذكير المؤنث ، واستشهد به أيضاً ابن الأنباري في الإنصاف ١/ ١٧٤ . وفي حاشيته : الشاهد فيه : غره منكن واحدة ، حيث أسند الفعل إلى اسم ظاهر حقيقي التأنيث ، ولم يؤنث الفعل لوجود فاصل بين الفعل وفاعله وهو : منكن . ولم أقف على قائل البيت .

(٥) تفسير الثعلبي ٨/ ١٥٠ .

قال ابن عباس ومقاتل : يعني : يُحمل إلى الحرم ثمرات كل شيء^(١) ؛ من مصر والشام واليمن والعراق . وقوله : ﴿رَزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ ؛ أي رزقناهم رزقاً من عندنا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ ، يعني أهل مكة^(٢) ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنا فعلنا ذلك .

قال مقاتل : أي إنهم يأكلون رزقي آمنون في حرمي ، وهم يعبدون غيري^(٣) ، وقال ابن عباس : ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ قدر ربوبيتي وعظمتي^(٤) .

٥٨ . ثم خَوَّف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية ، فقال : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ : معنى البطر في اللغة : الحيرة ، والبطر في النعمة هو : أن تكثر عليه النعمة فيدهش فيها ، ولا يهتدي للشكر عليها^(٥) .

قال الليث : البطر : الحيرة ، يقال : لا يُبْطِرَنَّ جَهْلُ فلانٍ حِلْمَكَ ؛ أي لا يُدهشكَ عنه^(٦) ، ومنه قوله ﷺ : «الْكِبْرُ بطر الحق»^(٧) ، وهو أن يتحير في الحق فلا يراه حقاً^(٨) ، هذا هو أصل معنى البطر .

-
- (١) تفسير مقاتل ٦٧ ب . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٩٩٦/٩ عن ابن عباس بلفظ : (ثمرات الأرض) .
- (٢) تفسير مقاتل ٦٧ ب ، وتفسير ابن جرير ٩٤/٢٠ .
- (٣) تفسير مقاتل ٦٧ ب .
- (٤) أخرج ابن أبي حاتم ٢٩٩٦/٩ عن ابن عباس في هذه الآية : ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ : لا يعقلون .
- (٥) تهذيب اللغة (بطر) ٣٣٦/١٣ ، الدهش : ذهاب العقل من الدَّهْل والوَلَه . تهذيب اللغة (دهش) ٧٧/٦ .
- (٦) كتاب العين (بطر) ٤٢٢/٧ ، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ٣٣٦/١٣ .
- (٧) جزء من حديث عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» . قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبُهُ حَسَنًا وَتَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ» . أخرجه مسلم ٩٣/١ في الإيذان ، رقم ٩١ ، والترمذي ٣١٧/٤ ، كتاب : البر ، رقم ١٩٩٨ .
- (٨) تهذيب اللغة (بطر) ٣٣٦/١٣ .

وقال أبو إسحاق: البطر: الطغيان عند النعمة^(١). واطر الحق على قوله: أن تطغى عند الحق؛ أي تتكبر فلا تقبله.

وقال أبو علي الفارسي: البطر في ما قال بعض الناس: كراهة الشيء من غير أن يستحق أن يكره. وانتصاب المعيشة عند الفراء بنقل الفعل وتحويله عنها، فإنه قال: نَصَبْتُ المعيشَةَ، كقوله: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وَكَنَصَبَ قوله: ﴿فَإِنْ طَبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء: ٤]، ﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: ٧٧]، وقد مرّ^(٢).

وقال الزّجاج: نُصِبَ ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ بإسقاط في، وأعمل الفعل، وتأويله: بطرت في معيشتها^(٣).

وهذا هو الوجه؛ لأن المعيشة لا تبطر، حتى يقال: كان الفعل لها، فنقل عنها: إنما يُبَطِرُ فيها^(٤).

قال ابن عباس: حملهم البطر والأشر.

وقال مقاتل: بطروا وأشروا، وتقلبوا في رزق الله، فلم يشكروا نعمه^(٥).

(١) معاني القرآن للزّجاج ٤/ ١٥٠.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٠٨، قال الواحدي في تفسير الآية رقم ٤ من سورة النساء: قال الفراء والزّجاج: المعنى فإن طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فنقل الفعل من الأنفس إليهن، فخرجت النفس مفسّرة كما قالوا: أنت حسن وجهاً، والفعل في الأصل للوجه، فلمّا حول إلى صاحب الوجه خرج الوجه مفسّراً لموقع الفعل، ومثله: قررت به عيناً، وضقت به ذراعاً.

(٣) معاني القرآن للزّجاج ٤/ ١٥٠.

(٤) وهذا قول الثعلبي ٨/ ١١٥٠؛ أي أشرت وطغت وكفرت برّبها، وجعل الفعل للقرية، وهو في الأصل للأهل.

(٥) تفسير مقاتل ٦٧ ب.

وقال عطاء : عاشوا في البطر ، فأكلوا رزق الله ، وعبدوا الأصنام ^(١) .

قوله تعالى : ﴿فَلَيْكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ . قال مقاتل : لم تسكن بعد هلاك أهلها إلا قليلاً من المساكن ، فقد سكن في بعضها ^(٢) . وعلى هذا الاستثناء من المساكن ، يعني أن بعضها مسكون فيه . وهذا القول هو اختيار الفراء ، قال : يقول : قليل منها سُكن ، وأكثرها لم يسكن ، وهي خربة ^(٣) .

ورُدَّ عليه هذا بأن قيل : لو كان الاستثناء من المساكن كان الوجه فيه الرفع ، كقولك : القوم لم يُضرب إلا قليل ، ترفع إذا كان المضروب قليلاً ، فإذا نصبت : كان القليل صفة للضرب ؛ أي لم يُضرب إلا ضرباً قليلاً . وهذا معنى قول ابن عباس في هذه الآية ، قال : لم يسكنها إلا المسافر ، ومازَّ الطريق يوماً أو ساعة ^(٤) . وعلى هذا التقدير : لم تسكن من بعدهم إلا سكوناً قليلاً ، وهذا هو الصحيح معنًى ولفظاً ؛ لأن منازل المهلكين لم يعمر منها شيء ، ولم تسكن بتة .

وقوله : ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَرِثِيُّنَ﴾ ؛ أي لما خَلَفُوا بعد هلاكهم ^(٥) ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾ ^(٦) [مريم : ٤٠] ، وقد مرَّ ^(٧) .

(١) تفسير الثعلبي ٨ / ١٥٠ عن عطاء بن أبي رباح .

(٢) تفسير مقاتل ٦٧ ب .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٠٩ .

(٤) تفسير الثعلبي ٨ / ١٥٠ . ونقل القرطبي ١٣ / ٣٠١ الرد على الفراء وقول ابن عباس .

(٥) تفسير مقاتل ٦٧ ب .

(٦) تفسير الثعلبي ٨ / ١٥٠ .

(٧) قال الواحدي في تفسير هذه الآية من سورة مريم : أي نمت سكانها فترثها ومن عليها ؛ لأنني أميتهم ، وهذا كقوله : ﴿وَنَحْنُ الْوَرِثِيُّنَ﴾ [الحجر : ٢٣] ، وذكرنا الكلام فيه .

٥٩. قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ : يعني القرى الكفرة أهلها .
 ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمَهَا رَسُولًا﴾ : أكثر المفسرين على أن المراد بأممها :
 مكة^(١) ، وهو اختيار الفرّاء والزّجاج^(٢) .

وعلى هذا القول المراد : القرى التي حول مكة ، لا البعيدة عنها ؛ لأن التي
 بعدت عنها لا تنتفع ببعث الرسول في مكة . ويكون المعنى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ يا
 محمد ﴿مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ التي حول مكة بكفرها في زمانك ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمَهَا﴾ ،
 وهي مكة ﴿رَسُولًا﴾ ؛ أي يبعثك رسولاً فتنذرهم ، ثم بعثه الله إليهم رسولاً ،
 وهذا قول قتادة في تخصيص القرى^(٣) .

وأظهر من هذا القول وأصح أن القرى على عمومها ، والمراد بأممها :
 أعظمها^(٤) . يقول : ما كان الله ليهلك القرى الكافرة حتى يبعث في أعظمها
 رسولاً ينذرهم . وخص الأعظم ببعثة الرسول فيها ؛ لأن الرسول إنما يبعث إلى
 الأشراف ، وأشراف القوم وملوكهم يسكنون المدائن الكبيرة ، والمواضع التي
 هي أمم ما حولها ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ، وقول الكلبي^(٥) .

(١) تفسير مقاتل ٦٧ ب ، وتفسير ابن جرير ٢٠ / ٩٥ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٥٠ أ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٠٩ ، قال : وإنما سُمّيت أم القرى ؛ لأن الأرض في ما ذكروا دحيت من
 تحتها . ومعاني القرآن للزّجاج ٤ / ١٥٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١٠٨ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ٩٥ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٩٧ .

(٤) وهو قول ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٣٤ ، أخرج ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٩٧ عن الحسن : ﴿فِي أُمَمَهَا﴾
 قال : في أوائلها .

(٥) تنوير المقياس : ٣٢٩ .

قال^(١) ابن عباس : ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمَهَا رَسُولًا﴾ [يريد : في أهلها ، يعني : يسكن معظم أهلها ، وقال الكلبي : ﴿فِي أُمَمَهَا﴾]^(٢) يقول : في عظيمها^(٣) ، وهو ما ذكرنا .

قوله تعالى : ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ . قال مقاتل : يخبرهم الرسول أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا^(٤) .

وقوله : ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد بظلمهم أهلكتهم^(٥) . قال الكلبي : وظلمهم هاهنا : شركهم^(٦) .

وقال مقاتل : يقول : إلا وهم مذنبون ؛ أي لم نعذب على غير ذنب^(٧) . ونظير هذه الآية قوله : ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام : ١٣١] ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود : ١١٧] .

٦٠ . قوله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ . قال الكلبي ومقاتل : يعني كفار مكة ، يقول : ما أعطيتكم من خير ومال ﴿فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا﴾ تتمتعون بها أيام حياتكم ، ثم هي إلى فناء وانقضاء^(٨) .

(١) في نسخة (ج) جاءت الجملة هكذا : (وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ، وقول الكلبي ، وقال الكلبي قول ابن عباس) ؛ ففيها زيادة : (الكلبي قول) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٣) تنوير المقياس : ٣٢٩ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٧ ب .

(٥) أخرجه ابن جرير ٩٦/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٩٩٨/٩ مطولاً .

(٦) تنوير المقياس : ٣٢٩ ، وذكره الثعلبي ٨/ ١٥٠ ، ولم ينسبه .

(٧) تفسير مقاتل ٦٧ ب .

(٨) تفسير مقاتل ٦٧ ب ، وتنوير المقياس : ٣٢٩ .

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب والنعيم للمؤمنين ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أفضل وأدوم لأهله مما أعطيتهم في الدنيا ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أن الباقي أفضل من الفاني الذاهب ، قال ذلك ابن عباس ومقاتل ^(١) .

وروي عن أبي عمرو : ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء ^(٢) ، والمعنى : ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ يا محمد ذلك ^(٣) .

٦١ . وقوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا﴾ . قال مقاتل : يعني الجنة ^(٤) ، والمعنى : أفمن وعدناه على إيمانه وطاعته الجنة والثواب الجزيل ﴿فَهُوَ لَقِيهِ﴾ ؛ أي مصيبه ومدركه ^(٥) ، والمعنى : فهو لاقيه ما وعد وصائر إليه . ﴿كَمْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ : كمن هو متمتع بشيء يفنى ويزول عن قريب ^(٦) . ومتاع في موضع المصدر ؛ أي متعناه تمتيع الحياة الدنيا ؛ أي تمتيعاً فيها بالمال والولد . والحياة الدنيا تنقطع عن قريب فينقطع تمتعه .

وقوله : ﴿ثُمَّ هُوَ﴾ ؛ أي هذا المتمتع ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ النار ^(٧) ، كقوله : ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ ^(٨) [الصفات : ٥٧] ، وقوله : ﴿فَأُولَئِكَ

(١) أخرج نحوه ابن جرير ٩٦/٢٠ عن ابن عباس ، وتفسير مقاتل ٦٧ .

(٢) قرأ أبو عمرو وحده : ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء ، وقرأ الباقر بالتاء . انظر السبعة في القراءات ٤٩٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٢٤ ، قال ابن الجزري : والأشهر عن أبي عمرو بالغيب . النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٤٢ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٢٤ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٨ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٥٠ ، ولم ينسبه .

(٥) تفسير الثعلبي ٨ / ١٥٠ .

(٦) تفسير ابن جرير ٩٦/٢٠ بمعناه .

(٧) تفسير مقاتل ٦٨ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٤ .

(٨) تفسير الثعلبي ٨ / ١٥٠ .

فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ [الروم: ١٦] يدل على هذا أن ابن عباس قال : يريد : من المعذبين ، وقال : نزلت في حمزة ، وأبي جهل .

وقال مقاتل : نزلت في محمد ﷺ ، وأبي جهل ^(١) .

وقال مجاهد : نزلت في حمزة ، وعلي ، وأبي جهل ^(٢) ، وهو قول القرظي ^(٣) .

وقال الكلبي : نزلت في عمار بن ياسر ، وأبي جهل ^(٤) .

وقال السدي : في عمار ، والوليد بن المغيرة ^(٥) .

وقال قتادة : نزلت في المؤمن والكافر ^(٦) ، وهو اختيار أبي إسحاق ، قال : فالمؤمن آمن بالله ورسوله ، وأطاعه ووقف عند أمره ، فلقِيَ جزاء ذلك الجنة ، والذي متع متاع الحياة الدنيا الكافر ؛ لم يؤمن بالله ، ثم أحضر يوم القيامة العذاب ^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٦٨ أ . وذكره الزجاج ٤ / ١٥٠ ، ولم ينسبه ، وكذا الثعلبي ٨ / ١٥٠ ، وصدره الواحدي في أسباب النزول ٣٣٩ ب : قيل .

(٢) أخرجه عنه الواحدي في أسباب النزول ٣٣٩ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ٩٧ ، وذكره عنه الثعلبي ٨ / ١٥٠ .

(٤) في تنوير المقباس : ٣٢٩ ، هو محمد عليه الصلاة والسلام ، وأصحابه ، ويقال : هو عثمان بن عفان . ﴿ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يعني : أبا جهل بن هشام .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٩٨ ، وذكره عنه الثعلبي ٨ / ١٥٠ ، وكذا الواحدي في أسباب النزول ٣٣٩ .

(٦) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ٩٧ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٩٨ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٥٠ ، وهذا الاختيار حسن ، ويدخل تحته جميع ما ذكر ؛ فإنها أمثلة للمؤمن والكافر .

٦٢. قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ : الكلام في ما يتعلق الظرف به هاهنا ذكرناه عند قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] ^(١) ، وسنذكر ذلك أيضاً عند قوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ [فصلت: ١٩] إن شاء الله ^(٢) ، والمعنى: ويوم ينادي الله المشركين .

قال مقاتل: يعني كفار مكة ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ في الدنيا أنهم شركائي ^(٣) .

قال أبو إسحاق: هذا على حكاية قولهم . المعنى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ في قولكم ، والله - عز وجل - واحد لا شريك له ^(٤) .

٦٣. وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ ؛ أي حقت عليهم كلمة العذاب ، وهم الشياطين . في قول مقاتل ^(٥) .

(١) قال الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ : قال أبو إسحاق: يعني به يوم القيامة ، وهو منصوب على معنى: اذكر يوم ندعو ، قال: ويجوز أن يكون منصوباً بمعنى يعيدكم الذي فطركم يوم يدعو ، قال أبو علي الفارسي: الظرف هاهنا بمنزلة إذا ؛ لأنه لا يجوز أن يكون العامل فيه ما قبله من قوله: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ﴾ لأنه فعل ماضٍ ، وليس العامل أيضاً يدعو ؛ لأنه فعل مستقبل ، فإذا لم يكن في هذا الكلام فعل ظاهر يتعلق به الظرف تعلق بما دل عليه قوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ؛ كما أن قوله: ﴿أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْكًا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢] على تقدير: إذا متنا بعثنا ، كذلك هاهنا يجعل الظرف بمنزلة إذا ، فيصير التقدير: إذا دُعي كل أناس لم يُظلموا .

(٢) لم أجد في تفسير الواحدي لهذه الآية شيئاً عن هذه المسألة التي أحال عليها .

(٣) تفسير مقاتل ٦٨ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٥٠ ، ولم ينسبه . والآية عامة في جميع المشركين .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٥١ ، وتابعه على ذلك أبو قاسم الزجاجي ، فقال: نسبهم إلى نفسه حكاية لقولهم ، كأنه قال: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي ؟ اشتقاق أسماء الله ٣٠٣ .

(٥) تفسير مقاتل ٦٨ . وأخرجه عبدالرزاق ٢ / ٩٢ ، وابن جرير ٢٠ / ٩٨ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٠ عن قتادة ، وقال الزجاج ٤ / ١٥١ : الجن والشياطين .

وقال ابن عباس في رواية الكلبي : هم رؤوس الضلالة^(١) .

﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ : يعنون كفار بني آدم . في قول مقاتل^(٢) .

وفي قول الكلبي : يعنون الأتباع^(٣) . ومعنى ﴿أَغْوَيْنَا﴾ : سَوَّلْنَا لهم الغي والضلال^(٤) ؛ لأن التزيين إليهم ، والله تعالى يهدي ويضل .

قوله تعالى : ﴿أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : أضللناهم كما ضللنا ﴿تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم^(٥) . تبرأ الشياطين ممن كان يطيعهم ويعبدهم ، والرؤساء ممن كان يقبل منهم ويتبعهم في الدنيا . قال الزجاج : برئ بعضهم من بعض ، وصاروا أعداء كما قال الله عز وجل : ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^(٦) . [الزخرف : ٦٧] .

٦٤ . قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ﴾ ؛ أي لكفار بني آدم^(٧) ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ ؛ أي استعينوا بألهتكم التي كنتم تعبدونها ؛ أي لينصروكم ويخلصوكم من العذاب .

﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ : فلم يجيبوهم^(٨) . ونظير هذه الآية في : [الكهف : ٥٢] قوله : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ﴾^(٩) [الكهف : ٥٢] . ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا﴾

(١) تفسير الثعلبي ٨ / ١٥٠ من قول الكلبي ، وتنوير المقياس : ٣٢٩ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٨ أ .

(٣) تنوير المقياس : ٣٢٩ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٥١ بنصه .

(٥) تفسير مقاتل ٦٨ أ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٥١ .

(٧) تفسير مقاتل ٦٨ أ ، وتفسير ابن جرير ٢٠ / ٩٨ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٥١ .

(٩) تفسير مقاتل ٦٨ أ .

يَهْتَدُونَ ﴿١﴾ . قال المفسرون وأهل المعاني : جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف ، على تقدير : لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب في الآخرة ، ولما اتبعوهم ^(١) .

٦٥ . قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ﴾ : يعني يسأل الله الكفار ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين ؟

٦٦ . ﴿فَعِمَّتْ﴾ ؛ أي فخفت واشتبهت ^(٢) . ﴿عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ . قال مجاهد ومقاتل : الحجج ^(٣) . و﴿الْأَنْبَاءُ﴾ معناها الأخبار ^(٤) ، جمع نبأ . وُسِّمَتْ حججهم أنباء ؛ لأنها أخبار ^(٥) يُخبر بها . قال ابن عباس : يريد : الأخبار والجواب ، وجوابهم لو أجابوا كان خبراً .

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجج ؛ لأن الله أدحض حجتهم ، وكلل ألسنتهم ، قاله مقاتل ^(٦) ، وهو معنى قول قتادة : لا يحتجون ^(٧) .

وقال ابن عباس : لا ينطقون يعني : بحجة ^(٨) ؛ وذلك أن الله تعالى قد أعذر إليهم في الدنيا ببعث الرسول ، ونصب الأدلة ، فلا يكون لهم حجة ، ولا عذر يوم القيامة ^(٩) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٥١ بنصه ، وتفسير مقاتل ٦٨ أنبحوه .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١٠٩ ، وتفسير ابن جرير ٢٠ / ٩٨ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٥٠ .

(٣) تفسير مقاتل ٦٨ . وذكره البخاري عن مجاهد . فتح الباري ٨ / ٥٠٥ ، وأخرجه عنه ابن جرير

٢٠ / ٩٩ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٠ ، وهو قول ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٣٤ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١٠٩ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٥٠ أبلغظ : (الأخبار والأعذار والحجج) .

(٥) في نسخة (ج) : (أنباء) .

(٦) تفسير مقاتل ٦٨ ، وفيه : (وأكل ألسنتهم) .

(٧) تفسير الثعلبي ٨ / ١٥٠ ب .

(٨) نسبه القرطبي ١٣ / ٣٠٤ إلى ابن عباس .

(٩) ذكر نحوه ابن جرير ٢٠ / ٩٩ ، ولم ينسبه . قال ابن جرير : وقيل : معنى ذلك : فعميت عليهم الحجج يومئذ ، فسكتوا فهم لا يتساءلون في حال سكوتهم .

قال الفرّاء : جاء في التفسير : عميت عليهم الحجج يومئذ فسكتوا ، فذلك قوله : ﴿ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ؛ أي في تلك الساعة ^(١) ، وهو معنى قول الكلبي : لم يدروا ما يجيبون به من ذلك الهول حين سُئلوا ^(٢) ، ثم أجابوه بعد ذلك ، يعني : ما ذكر عنهم مما يجيبون به في القيامة ، كقولهم : ﴿ وَاللَّهُ رَيْنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] ، ونحو ذلك .

٦٧ . ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : من الشرك ﴿ وَءَامَنَ ﴾ صدّق بتوحيد الله ^(٣) ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ أدّى الفرائض ﴿ فَسَقَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ من الناجين الفائزين الذين سعدوا . قالوا جميعاً : و(عسى) من الله واجب ^(٤) .

٦٨ . قوله : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ . قال المفسرون : نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] ، ومعناه : ويختار ما يشاء لنبوته ورسالته ^(٥) ؛ أي فكما أن الخلق إليه فهو يخلق ما يشاء ، وكذلك الاختيار إليه في جميع الأشياء ، فيختار مما خلق ما يشاء ، ومن يشاء . ثم نفى الاختيار عن المشركين ؛ وذلك أنهم اختاروا الوليد بن المغيرة من مكة ، أو عروة بن مسعود من

(١) معاني القرآن للفرّاء ٣٠٩/٢ .

(٢) تنوير المقباس : ٣٢٩ بلفظ : (لا يجيبون) .

(٣) تفسير مقاتل ٦٨ أ ، وتفسير ابن جرير ٩٩/٢٠ ، ولم ينسبه . وأخرج ابن أبي حاتم ٣٠٠١/٩ نحوه عن ابن عباس .

(٤) تفسير مقاتل ٦٨ أ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣٠٩/٢ ، ولم ينسبه . وأخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٠١/٩ عن ابن عباس . وتفسير ابن جرير ٩٩/٢٠ غير منسوب .

(٥) تفسير الثعلبي ٨/١٥٠ ب ، قال : هذا جواب لقول الوليد بن المغيرة : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّ عَظِيمٍ ﴾ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٤ . وأخرج ابن جرير ١٠٠/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٠١/٩ في هذه الآية عن ابن عباس : كانوا يجعلون خير أموالهم لأهلهم في الجاهلية .

الطائف ، اختاروا إمّا هذا أو ذاك للرسالة ، فقال : ﴿ مَا كَانَتْ لَهُمْ
الْخَيْرَةُ ﴾ ؛ أي الاختيار ؛ أي ليس لهم أن يختاروا على الله عز وجل ^(١) .

قال ابن قتيبة : أي لا يرسل الله الرسل على اختيارهم ^(٢) .

و﴿ الْخَيْرَةُ ﴾ اسم من [الاختيار ، يقام مقام المصدر ، والخيرة : اسم
للمختار] ^(٣) . يقال : محمد خيرة الله من خلقه . ويجوز التخفيف فيها ، ذكر ذلك
الليث والفرّاء وغيرهما ^(٤) ، وعلى هذا (مَا) تكون نفياً ، وهو الصحيح الذي عليه
عامة المفسرين وأصحاب القراءة ؛ وذلك أن جميع أصحاب الوقوف ذكروا أن تمام
الوقف على قوله : ﴿ وَنَخْتَارُ ﴾ ؛ ذكر ذلك نافع ، ويعقوب ، وأحمد بن موسى ،
وأبو حاتم ، وعلي بن سليمان ، ونصير ، وغيرهم ^(٥) .

وذكر أبو إسحاق وجهاً آخر ، فقال : ويجوز أن تكون : (مَا) في معنى :
[الذي ، فيكون المعنى :] ^(٦) ، ويختار الذي لهم فيه الخيرة ، ويكون معنى الاختيار
هاهنا : ما يتعبدون به ؛ أي ويختار في ما يدعوهم إليه من عبادته ما لهم فيه الخيرة ،
قال : والقول الأول وهو : أن تكون (مَا) نفياً أجود . انتهى كلامه ^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٦٨ أ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٤ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/٣٠٩ ، ولم أجد قول الليث في كتاب العين ، وإنما ذكره الأزهري في تهذيب
اللغة (خار) ٧/٥٤٨ ، وقول : يقال : محمد خيرة الله من خلقه . ذكره الأزهري عن ابن السكيت .

(٥) القطع والائتناف للنحاس ٢/٥١٤ بنصه . وذكره في إعراب القرآن ٣/٢٤١ عن علي بن سليمان ،
وذكر الداني أن كلا الوقفين تام . المكتفى في الوقف والابتداء ٤٣٩ ، واختار ذلك الثعلبي ٨/١٥٠ ب .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤/١٥١ . نقل النحاس عن علي بن سليمان : ولا يجوز أن تكون ﴿ مَا ﴾ في
موضع نصب بـ ﴿ وَنَخْتَارُ ﴾ ؛ لأنها لو كانت في موضع نصب لم يعد عليها شيء . إعراب القرآن
للنحاس ٣/٢٤١ ، والقطع والائتناف ٢/٥١٥ ، وأمّا ابن جرير ٢٠/١٠٠ فقد جعل ﴿ مَا ﴾ في
موضع نصب ، بمعنى : الذي ، وصحّح هذا القول ونصره ، وردّ على من قال بالقول الأول ، وهو =

والقدرية ربما تتعلق بالوجه الثاني الذي ذكره أبو إسحاق ، فيقولون : إن الله تعالى يريد بنا ويختار لنا ما فيه الخير لنا ، ويحتجون بالآية ، ولا حجة لهم في ذلك ؛ لأن حمل الآية على هذا الوجه إبطال لقول جميع المفسرين والقراء^(١) ، أمّا المفسرون فإنهم ذكروا سبب نزولها^(٢) ، وحمل الآية على الوجه الثاني يُبطل ما قالوا .

وأمّا القراء فكلهم وقفوا على قوله : ﴿وَيَخْتَارُ﴾ ، ولو كان الأمر على ما يذهبون إليه لم يصح الوقف على : ﴿وَيَخْتَارُ﴾ ، وأيضاً فإن الكناية في قوله : ﴿لَهُمْ﴾ عن المشركين ، يقول : ما كان للمشركين أن يختاروا على الله ، فكيف يصح ما ذهبوا إليه .

وقال أبو جعفر النحوي : لو صح ما قالوه لكان وجه الكلام نصب ﴿الْخَيْرَةِ﴾ على خبر كان^(٣) ، ثم وإن صح على البعد فتأويله ما ذكره الزجاج ، وهو أن هذا الاختيار يعود إلى ما اختار الله لعباده مما أمرهم به .

أن ﴿مَا﴾ نافية ، وخالفه في ذلك ابن كثير ٣/ ٣٩٧ ، وقال عن القول الذي اختاره ابن جرير : وقد احتج بهذا المسلك طائفة من المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح ، ثم قال : والصحيح أنها نافية ، كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، وغيره أيضاً ، فإن المقام في بيان انفراد الله تعالى بالخلق والتقدير ، والاختيار ، وأنه لا نظير له في ذلك ، ولهذا قال : ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ وَعَلَىٰ غَمَاقٍ يُشْرِكُونَ﴾ ؛ أي من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً .

(١) وقد ذكر أن في هذا ردّاً على القدرية ، علي بن سليمان . إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤١ ، أخرج ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٢ عن أبي عون الحمصي أنه إذا ذكر له شيء من قول أهل القدر ، قال : أما يقرؤون كتاب الله تبارك وتعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَعَلَىٰ غَمَاقٍ يُشْرِكُونَ﴾ .

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٣٩ ، بقوله : قال أهل التفسير : نزلت جواباً للوليد بن المغيرة حين قال في ما أخبر الله تعالى عنه : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف : ٣١] أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم .

(٣) القطع والائتناف ٢/ ٥١٥ .

قال مقاتل : ثم نزه نفسه عن شركهم ، فقال : ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) ، وهذا يدل على أن الكناية في ﴿لَهُمْ﴾ عن المشركين خاصة ، ثم أخبر - عز وجل - بنفوذ علمه في ما خفي وظهر ، فقال : ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ .

٦٩ . ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ : ما تستر قلوبهم من الكفر ، والعداوة لله ورسوله ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من ذلك^(٢) بالسننهم من الكفر والمعاصي ، قال ذلك ابن عباس والكلبي ومقاتل^(٣) .

٧٠ . ثم وحد نفسه فقال : ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ . قال مقاتل : يحمده أولياؤه في الدنيا ، ويحمدونه في الآخرة ، يعني أهل الجنة^(٤) . ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ ؛ أي الفصل بين الخلائق^(٥) .

وقال ابن عباس : يريد ما حكم لأهل طاعته من المغفرة والرحمة ، وما حكم لأهل معصيته من الشقاء والويل^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٦٨ أ .

(٢) (من ذلك) ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

(٣) تفسير مقاتل ٦٨ ب ، وتنوير المقباس : ٣٢٩ ، أخرج ابن أبي حاتم ٣٠٠٢/٩ عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ، قال : يقول : ما عملوا بالليل والنهار .

(٤) تفسير مقاتل ٦٨ ب ، وتفسير ابن جرير ١٠٣/٢٠ .

(٥) تفسير ابن جرير ١٠٢/٢٠ .

(٦) أخرج نحوه مطولاً ابن أبي حاتم ٣٠٠٣/٢٠ عن وهب بن منبه .

٧١. قوله : ﴿قُلْ﴾ ؛ أي لأهل مكة ^(١) . ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّتِيلَ سَرْمَدًا﴾ : السرمد : الدائم . في قول جميع أهل اللغة والمفسرين ^(٢) .

قال أبو عبيدة : وكل شيء لا ينقطع من عيش ، أو غمٍّ ، أو بلاء دائم ، فهو سَرمَدٌ ^(٣) .

وقال المبرّد : يقال : هو يسهر سهراً ^(٤) سَرمداً ، إذا لم يكتحل فيه بغمض ، ولا يكون السرمد ما يقع فيه فصل . قال المفسرون : دائماً ، لا نهار معه ^(٥) .

﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ . قال ابن عباس : بنور تطلبون فيه المعيشة ^(٦) .

وقال أبو إسحاق : أي بنهار تبصرون فيه ، وتتصرفون في معاشكم ، وتصلح فيه ثماركم ومنابتكم ؛ لأن الله - عز وجل - جعل الصلاح للخلق بالليل مع النهار ، فلو كان واحد منهما من دون الآخر لهلك الخلق ^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٦٨ ب .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٠٣/٢٠ عن ابن عباس ومجاهد ، وكذا ابن أبي حاتم ٣٠٠٣/٩ ، وعن قتادة أيضاً . وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٥٢/٤ ، وتهذيب اللغة للأزهري (سرمد) ١٥٢/١٣ ، وتفسير الثعلبي ١١٥١/٨ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٩/٢ .

(٤) (سهراً) ساقطة نسخة (ج) .

(٥) تفسير مقاتل ٦٨ ب ، ومعاني القرآن للقرّاء ٣٠٩/٢ .

(٦) ذكره القرطبي ٣٠٨/١٣ ، ولم ينسبه .

(٧) معاني القرآن للزجاج ١٥٢/٤ .

وقوله تعالى : ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ؛ أي سماع فهم وقبول ، يعني : ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ هذه الحجة فتدبرونها ، وتعملون بموجبها إذا كانت بمنطقة^(١) بأن ما أنتم عليه خطأ وضلال . وقال الكلبي : يقول : أفلا تطيعون من يفعل ذلك بكم^(٢) .

٧٢ . وقوله : ﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ . قال ابن عباس : يريد : تأوون فيه إلى مساكنكم ، كما تأوي الطير إلى وكورها^(٣) .

وقال مقاتل : تستقرون فيه من النَّصَب^(٤) .

وقال أهل المعاني : امتن الله على عباده بالليل للسكون والراحة ، ولا ليل في الجنة ؛ لأن دار التكليف لا بدَّ فيها من التعب الذي يحتاج معه إلى الراحة والحمام^(٥) ، وليس كذلك دار النعيم ؛ لأنه إنما يتصرف فيها بالمالذ .

قوله تعالى : ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد ما أنتم عليه من الخطأ والضلالة والظلم .

وقال الكلبي : أفلا تعقلون أنه ليس معه إله غيره يفعل ذلك بكم .

قال أصحابنا : الإتيان من دلائل إثبات صانع واحد ؛ وذلك أنه كان يجوز في العقل دوام كون الظلمة ، وكذلك الضياء ، فلما تعاقبا دلاً على صانع يكور أحدهما على الآخر ، ولما كان تعاقبهما على حساب معلوم في الزيادة والنقصان ، لا

(١) هكذا في نسخة (أ) و(ب) ، وفي نسخة (ج) : (بموجبها وكانت هذه الناطقة بأن) .

(٢) تنوير المقياس : ٣٣٠ .

(٣) أخرج ابن أبي حاتم ٣٠٣/٩ عن السدي ، ﴿تَسْكُنُونَ﴾ : تقرون فيه . وفي تنوير المقياس : ٣٣٠ : تستقرون فيه .

(٤) تفسير مقاتل ٦٨ ب .

(٥) الحميم : الماء الحار ، والحمام : مشتق منه ، تذكرة العرب . تهذيب اللغة (حم) ١٥ / ٤ .

يختلفان في عام منذ خلقا ، دلَّ ذلك على توحيد الصانع ؛ إذ لو كان معه إله لأشبهه أن يريد أحدهما بقاء الليل حين يريد الآخر انقضاءه ، وكذلك ضياء النهار ، فيختلفان حينئذٍ في حسابهما .

٧٣. ثم أخبر أن الليل والنهار رحمة ، فقال ^(١) : ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ . قال الكلبي : ومن نعمته أن جعل لكم الليل والنهار ^(٢) ؛ ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ . قال ابن عباس : جعل لكم الليل لتأووا فيه مع أزواجكم ، والنهار لتلتمسوا فيه من فضل الله .

وقال الكلبي : السكون بالليل ، والتماس المعيشة بالنهار ^(٣) ، وعلى هذا قال الفراء : تجعل الهاء في قوله : ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ راجعة على الليل خاصة ، وأضمرت للابتغاء هاء أخرى تكون للنهار ، قال : وإن شئت جعلت الليل والنهار كالفعلين ؛ لأنهما ظلمة وضوء ، فرجعت الهاء في ﴿فِيهِ﴾ عليهما جميعاً ، كما تقول : إقبالك وإدبارك يؤذيني ؛ لأنهما فعل ، والفعل يُرَدُّ كثيره وتثنيته إلى التوحيد ، فيكون ذلك صواباً ^(٤) .

وذكر أبو إسحاق الوجهين أيضاً ، فقال في الوجه الأول : المعنى : ﴿لِتَسْكُنُوا﴾ بالليل ، وتبتغوا من فضله بالنهار ، قال : وجائز : أن تسكنوا فيهما ، وأن تبتغوا من فضل الله فيهما ، فيكون المعنى : جعل الله لكم الزمان ليلاً ونهاراً . ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ ^(٥) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥٢ بنصه .

(٢) تنوير المقباس : ٣٣٠ .

(٣) تنوير المقباس : ٣٣٠ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٠ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥٣ .

وقال المبرّد: السكون إنما هو في الليل ، والابتغاء من فضله يكون بالنهار ، ولكن لما عطف أحدهما على الآخر أخرجا مخرج الواحد الجامع للشئيين . ونظير هذا من الكلام : لئن لقيت زيدا وعمراً لتلقين منهما شجاعة وفصاحة ؛ على أن الفصاحة لأحدهما ، والشجاعة لأحدهما .

وقوله تعالى : ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ؛ أي الذي أنعم عليكم بهما فتوحدونه ، قاله مقاتل^(١) .

وقال ابن عباس : يريد : لكي تطيعوا^(٢) .

٧٤ . وقوله : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ؛ أي تكذبون في دار الدنيا بأنهم شركائي . قال ابن عباس : وكل : زعم ، في كتاب الله فهو كذب . وتفسير هذه الآية قد مرّ آنفاً^(٣) .

قال أهل المعاني : وإنما كرر النداء بـ ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِيَ﴾ تقريعا بالإشراك بعد تقريع . وقيل : إن الأول تعزيز بإقرارهم على أنفسهم بالغي الذي كانوا عليه ، وهو قولهم : ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ [القصص: ٦٣] ، والثاني : تعجيز عن إقامة البرهان لما طولبوا به بحضرة الأشهاد ، وهو :

(١) تفسير مقاتل ٦٨ ب .

(٢) في نسخة (أ) : (تطيعوه) .

(٣) الآية رقم : ٦٢ من السورة نفسها .

٧٥. قوله تعالى : ﴿وَزَعَنَّا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ . قال مقاتل : يعني : وأخرجنا ، وشهيدها : رسولها الذي يشهد عليها بالبلاغ^(١) ، وبما كان منها ، في قول ابن عباس والمفسرين^(٢) .

قال ابن قتيبة : أي أحضرنا رسولهم المبعوث إليهم^(٣) . والإحضار معنى ، وليس بتفسير . وهو لفظ أبي عبيدة^(٤) ، وهذا كقوله : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء : ٤١] ، وقوله : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النحل : ٨٤]^(٥) .

وقوله : ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ . قال مجاهد : حجتكم بما كنتم تعبدون وتقولون^(٦) .

وقال مقاتل : حجتكم بأن معي شريكاً^(٧) .

وقال أبو إسحاق : أي هاتوا في ما اعتقدتم برهانا ؛ أي بيانا ، إن كنتم على حق^(٨) .

قوله : ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ . قال ابن عباس : فلم يجيبوا ، وعلموا أن الذي جاءهم به رسالهم هو الحق ، وقال مقاتل : فعلموا أن التوحيد لله ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾

(١) تفسير مقاتل ٦٨ ب .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٠٤ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٠٤ / ٩ عن مجاهد وقتادة . ومعاني القرآن للزجاج ١٥٣ / ٤ ، وتفسير الثعلبي ١٥١ / ٨ .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٤ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١١٠ / ٢ .

(٥) ذكر الآيتين الثعلبي ١٥١ / ٨ .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٠٥ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٠٥ / ٩ .

(٧) تفسير مقاتل ٦٨ ب .

(٨) معاني القرآن للزجاج ١٥٣ / ٤ .

في الآخرة ﴿مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ في الدنيا أن مع الله شريكاً^(١) . وافترأؤهم : ادّعأؤهم الآلهة مع الله .

٧٦ . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ قُرُونَكُمْ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ . قال ابن عباس : يريد : من بني إسرائيل ، ثم في سبط^(٢) موسى ، وهو ابن خالته . وقال قتادة ومقاتل وإبراهيم : كان ابن عمه لخالته^(٣) ، كان قارون بن يصهر بن قاهث ، وموسى بن عمران بن قاهث^(٤) .

وقال ابن إسحاق : كان موسى ابن أخي قارون ، وقارون كان عم موسى لأبيه وأمه ؛ لأن عمران وقارون كانا ابني يصهر بن قاهث^(٥) .

وقوله : ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ ؛ أي بكثرة ماله ، كأنه جاوز الحد بالتكبر والتجبر عليهم ، وهذا قول قتادة ، قال : بغى عليهم بكثرة ماله وولده بالكبر والبذخ^(٦) ، ونحوه قال مقاتل^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٦٨ ب .

(٢) السبط في اللغة : الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد ، والسبط في الشجرة ، فالسبط الذين هم من شجرة واحدة . معاني القرآن للزجاج ٢١٧ / ٤ .

(٣) في نسخة (أ) : (لخالته) .

(٤) تفسير مقاتل ٦٨ ب . وأخرجه ابن جرير ١٠٦ / ٢٠ عن النخعي وقاتادة ، ونسبه الثعلبي ٨ / ١٥١ إلى أكثر المفسرين .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٠٥ / ٢٠ ، وذكره عنه الثعلبي ٨ / ١٥١ . وهذا الاختلاف مما لا طائل تحته ، ولا ترجى من ورائه فائدة ؛ فقارون من قوم موسى كما أخبر الله تعالى عنه ، فكونه من قرابته أم لا ، لا يغير في المسألة شيئاً ، والله أعلم .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٠٦ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٠٦ / ٩ عن قتادة ، وذكره عنه الثعلبي ٨ / ١٥١ .

(٧) تفسير مقاتل ٦٨ ب .

وقال المسيب^(١) : كان قارون عاملاً لفرعون على بني إسرائيل ، فكان يبغى عليهم ويظلمهم^(٢) .

وقال الفرّاء : بغيه عليهم أنه قال : إذا كانت النبوة لموسى ، وكان المذبح والقربان في يد هارون ، فمالى^(٣) ؟ وهذا قول الكلبي ، قال : إن قارون قال لموسى : يا موسى ألك النبوة ، ولهارون الحُبُورَة^(٤) ؟ ولستُ في شيء من ذلك ، لا أصبر على هذا أبداً^(٥) ، وعلى هذا بغيه : طلبه ما ليس له أن يطلبه من مساواة الأنبياء في درجتهم .

وقال شهر بن حوشب في تفسير قوله : ﴿ فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ : زاد عليهم في الثياب شبراً^(٦) ، وهذا معنى القول الأول ؛ لأنه يريد : تكبر عليهم وتجبر ، وطول الثوب من علامات الكبر ، ولذلك بُهِيَ عنه^(٧) .

(١) المسيب هو عيسى بن المسيب ، كما صرح به الثعلبي ٨ / ١٥١ ، البجلي ، قاضي الكوفة ، روى عن قيس بن أبي حازم والشعبي والنخعي ، ضعفه يحيى بن معين وغيره . انظر الكامل في ضعفاء الرجال ١٨٩٢ / ٥ ، والجرح والتعديل ٢٨٨ / ٦ .

(٢) ذكره عنه الثعلبي ٨ / ١٥١ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣١٠ .

(٤) ذكر الواحدي معنى الخبر في سورة الروم آية : ١٥ : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ ، وسيأتي إن شاء الله تعالى .

(٥) تنوير المقباس ٣٣٠ . وذكره الثعلبي ٨ / ١٥٣ في خبر طويل نسبته إلى العلاء بأخبار القدماء ، ولم يسمهم .

(٦) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ١٠٦ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٦ ، وذكره عنه الثعلبي ٨ / ١٥١ ب .

(٧) في أحاديث كثيرة ، منها حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، قال : فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، قال أبو ذر : خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » . أخرجه مسلم ١ / ١٠٢ ، كتاب : الإيمان ، رقم ١٠٦ .

قوله تعالى : ﴿وَأَيِّنُّهُ مِنَ الْكُفْرِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ . قال الأخفش : يريد : الذي إن مفاتحه ، وهذا موضع لا يكاد يبدأ فيه ب : إن^(١) ، يعني أَنَّ (إِنَّ) هاهنا من صلة ما لا يبدأ به هاهنا ، فالوقف على (مَا) وإن كان (إِنَّ) من حروف الابتداء ؛ لأن ما^(٢) مع ما بعده من صلة الموصول^(٣) .

والمراد بالمفاتيح هاهنا : الخزائن في قول الأكثرين ، وهو قول مقاتل والضحاك وأبي صالح وأبي رزين ، قالوا : ﴿مَفَاتِحَهُ﴾ خزائنه^(٤) ، وهذا كقوله : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام : ٥٩] يعني خزائن الغيب^(٥) ، وقد مر^(٦) .

وقال آخرون : المفاتيح هاهنا جمع : مفتاح ، وهو ما يفتح به الباب ، وهو قول قتادة ومجاهد وخيشمة ، قالوا : كانت مفاتيحه من جلود الإبل^(٧) . والأول اختيار الفراء والزجاج ، قال : الأشبه في التفسير : ﴿إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ : خزائن ماله^(٨) .

(١) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٥٤ بلفظ : (إن الذي مفاتحه) ، وفي نسخة (ب) و(ج) : (الذي إن مفاتحه) ، وفي نسخة (أ) : (إن مفاتحه) بإسقاط (الذي) . وذكر هذا المعنى ابن قتيبة عن أبي صالح في غريب القرآن ٣٣٥ .

(٢) (ما) ساقطة من نسخة (أ) و(ج) .

(٣) قال سيبويه : (إِنَّ) صلة لـ (مَا) كأنك قلت : ما والله . الكتاب ٣ / ١٤٦ . وذكر أبو علي هذه الآية مثلاً على كسر إن إذا وقعت بعد الاسم الموصول . الإيضاح العضدي ١٦٣ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ١٠٧ عن أبي صالح والضحاك ، وأخرجه عن أبي رزين ابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٠٧ ، وتفسير مقاتل ٦٨ ب ، والزاهر في معاني كلمات الناس ١ / ٤٦٤ ، ولم ينسبه . وذكره الثعلبي ٨ / ١٥١ ب عن أبي صالح وأبي رزين .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٥ .

(٦) قال الواحدي في تفسير هذه الآية من سورة الأنعام : قال السدي والحسن : ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ : خزائن الغيب ، ونحو ذلك قال ابن عباس والضحاك ومقاتل في المفاتيح أنها : الخزائن .

(٧) وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢ / ١١٠ ، وذكره الزجاج ٤ / ١٥٤ من دون نسبة ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٥١ أ عن مجاهد .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٥٥ .

وقال الفرّاء : ﴿مَفَاتِحُهُ﴾ خزائنه ^(١) ، وأيضاً فإن المفاتيح لو كان جمع مفتاح لكان وجه الكلام أن يقال : مفاتيح ، وإن كان المفاتيح جائزاً .

قال الليث : وجمع المفتاح ^(٢) الذي يفتح به المغلاق : مفاتيح ، وجمع المفتاح الخزانة : مفاتيح ^(٣) .

وقوله : ﴿لَنُؤْثِرَ بِأَلْعَصَةِ﴾ : معنى النَّوْء في اللغة : النهوض بجهد ومشقة ^(٤) .

قال ذو الرّمة يصف الفراخ :

يُنْوُونَ وَلَمْ يُكْسِنَ إِلَّا مَنَازِعاً مَنِ الرِّيشِ تَنَوَّاءَ الْفِصَالِ الْهَزَائِلِ ^(٥)
ويقال : ناء بحمله إذا نهض به مثقلاً .

قال ذو الرمة :

تَنَوُّوا بِأَخْرَاهَا فَلَايَا قِيَامُهَا وَتَمَشَّى الْهُوَيْنَى عَنْ قَرِيبٍ فَنُبْهَرُ ^(٦)

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣١٠ .

(٢) من هنا بدأ السقط في نسخة (ج) إلى الآية ٧٩ .

(٣) كتاب العين (فتح) ٣ / ١٩٤ ، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ٤ / ٤٤٧ .

(٤) تهذيب اللغة (ناء) ١٥ / ٥٣٦ .

(٥) معنى ينوون : ينهضن ، يعني : الفراخ ، ولم يكسبن إلا منازعاً ؛ أي بقايا ريش ، والهزائل : جمع هزيل ؛ أي مهزول . ديوان ذي الرمة ، شرح الخطيب التبريزي ٤٦٤ .

(٦) تهذيب اللغة (ناء) ١٥ / ٥٣٧ ، ونسبه إلى ذي الرمة . وأنشده الثعلبي ٨ / ١٥١ ب ، ولم ينسبه . ومعنى تنوء ؛ أي تنهض بعجزتها ، وتنوء بها عجيزتها ، فلأيا ؛ أي بعد بقاء قيامها ، وتبهر : تعيا ، ومعناه : أن أخرجها وهي عجيزتها تنهضها إلى الأرض لضخمها وكثرة لحمها . ديوان ذي الرمة ، شرح الخطيب التبريزي ٢٢١ ، ورواية الديوان : وتمشي الهوينى من قريب .

يريد أنها تنهض بجهد لما في آخرها ، وهي عجيزتها من اللحم . قال الأزهري :
وأصل النّوء : الميل في شِقِّ ، أنشد الفراء :

حَتَّى إِذَا مَا التَّأَمَّتْ مَوَاصِلُهُ ونَاءَ فِي شِقِّ الشَّامِلِ كَاهِلُهُ

يعني : الرامي لما نزع القوس مال في جانب الشمال^(١) . وقيل لمن نهض بحمله : ناء به ؛ لأنه إذا نهض به وهو ثقيل أناء الناهض ؛ أي أماله ، وكذلك النجم إذا سقط مائلاً عن مغيبه الذي يغيب فيه^(٢) . وذكرنا تفسير العصبه عند قوله : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ [يوسف : ٨ ، ١٤]^(٣) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلاً ، أقوى ما يكون من الرجال^(٤) .

وقال مجاهد : العصبه ما بين العشرة إلى خمسة عشر^(٥) .

(١) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣١٠ ، ولم ينسب البيت ، وفيه : (الشمال) بدل (الشمال) ، وهو تصحيف . وعنه ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (ناء) ١٥ / ٥٤٠ بلفظ : (الشمال) ومعنى البيت : أن الرامي لما نزع القوس مال على شقه .

(٢) تهذيب اللغة (ناء) ١٥ / ٥٤٠ .

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال الفراء : العصبه من العشرة إلى الأربعين ، وقال المبرّد : العصبه الجماعة ، وتعصب القوم إذا اجتمعوا على هيئة يشد بعضهم بعضاً ، ومنه العصبه في النسب ؛ وهم الذين يجمعهم التعصب ، فمعنى العصبه : جماعة متعاونة .

(٤) أخرج ابن جرير ٢٠ / ١٠٧ عن الضحاك : يزعمون أن العصبه : أربعون رجلاً ينقلون مفاتيحه من كثرة عددها . وهو قول أبي صالح ، ذكره عنه الثعلبي ٨ / ١٥١ ب ، وذكر عن الضحاك عن ابن عباس أنه ما بين الثلاثة إلى العشرة .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ١٠٨ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٠٨ ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٥١ ب .

وقال مقاتل : العصبه : عشرة نفر إلى أربعين^(١) .

وقال الكلبي : ما بين الخمسة عشر إلى الأربعين^(٢) .

وقال أبو صالح : العصبه أربعون^(٣) .

قال أبو إسحاق : والعصبه في اللغة : الجماعة الذين أمرهم واحد ، يتابع بعضهم بعضاً في الفعل ، ويتعصب بعضهم لبعض^(٤) .

روى الأعمش عن خيثمة قال : كان إذا ركب قارون حملت المفاتيح على ستين بغلاً أغرَّ محجلاً^(٥) .

وقال أبو صالح : كانت تحمل على أربعين بغلاً ، وقيل : سبعون بغلاً^(٦) .
ولست أدري كيف فسروا العصبه بالبالغ ، وهي في الرجال^(٧) !

(١) تفسير مقاتل ٦٨ ب . وأخرجه ابن جرير ١٠٦/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٠٧/٩ عن خيثمة ومجاهد ، واقتصر عليه ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٣٥ من دون نسبة ، وهو قول أبي زيد في تهذيب اللغة (عصب) ٤٦/٢ .

(٢) تنوير المقباس : ٣٣٠ بلفظ : (ذوي القوة وهو أربعون رجلاً يحملون مفاتيح خزائنه) .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٠٧/٢٠ ، وذكره عنه الثعلبي ١٥١/٨ ب ، واختار هذا القول واقتصر عليه ابن الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس ١/٤٦٤ ، ولم يذكر دليلاً على ذلك .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/١٥٥ ، وهذا أحسن ما يقال في تعريف العصبه .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٠٦/٢٠ عن خيثمة من طريق الأعمش ، وذكره عنه الثعلبي ١٥١/٨ ب . الغرة : البياض في وجه الفرس . تهذيب اللغة (غرر) ١٦/٧٠ ، والتحجيل : بياض في قوائم الفرس ، تقول العرب : فرس مُحْجَل . تهذيب اللغة (حجل) ٤/١٤٥ .

(٦) أخرج رواية الأربعين ابن جرير ١٠٧/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٠٨/٩ ، وأخرج رواية السبعين ابن أبي حاتم ٣٠٠٨/٩ بلفظ : (سبعون رجلاً) ؛ ففعل بغلاً حرفت إلى : رجلاً .

(٧) وهذا نقد حسن ، وكان الأولى الإعراض عن هذه الأقوال كلها ، والله أعلم .

قال مقاتل في تفسير ﴿لَنُنَوِّئُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾: عن حمل خزائنه^(١).

وقال ابن عباس: ليثقلهم حمل المفاتيح^(٢).

واختلفوا في وجه: ﴿لَنُنَوِّئُ بِالْعُصْبَةِ﴾؛ فقال أبو زيد: يقال نَوَّت بالحمل أنوء به إذا نهضت به، وناءني الحمل إذا أثقلني^(٣). وهذا معنى قول ابن عباس: ليثقلهم^(٤)، وعلى هذا الباء في: ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ للتعبية، وشرح ذلك الفراء والمبرد. قال الفراء: نوَّوها بالعصبة أن تثقلهم، والمعنى: ﴿إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ تنيئ العصبه؛ أي تملهم من ثقلها، فإذا أدخلت الباء قلت: تنوء بهم، كما قال الله تعالى: ﴿ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، والمعنى: ائتوني بقطر، فإذا حذفت الباء زدت على الفعل ألفاً من أوله^(٥).

وقال المبرد: مجازه في الحقيقة: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَنُنَوِّئُ بِالْعُصْبَةِ﴾؛ أي تجعل العصبة تنوء، وهذا كقولك: قم بنا؛ أي اجعلنا نقوم، واعدل بنا إلى فلان، وهذا محض كلام العرب، وأنشد لقيس بن الخطيم:

ديارَ التي كادت ونحنُ على منى تحلُّ بنا لولا نجاء الرِّكائبِ^(٦)

(١) تفسير مقاتل ٦٨ ب.

(٢) ذكر البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أُولَى الْقُوَّةِ﴾، قال: لا يرفعها العصبة من الرجال. فتح الباري ٥٠٦/٨.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٥٥/٤، وتهذيب اللغة (ناء) ٥٣٦/١٥.

(٤) ذكره البخاري عنه معلقاً بصيغة الجزم ٥٠٦/٨.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣١٠/٢.

(٦) أنشده المبرد في الكامل ٨١٣/٢ منسوباً، وهو في ديوان قيس بن الخطيم ٧٧. وفي الحاشية: يقول: إنَّا نظرنا إليها ونحن سائرون، فلولا أن الإبل - لَّا شُغِلْنَا بالنظر إليها - سارت ونحن لا نعلم لكنَّا قد نزلنا.

أي تجعلنا نحلها^(١)، ونحو هذا قال أبو إسحاق: ﴿لَنُنَوِّ بِالْعَصْبَةِ﴾ لتثقل العصب^(٢).

وقال أبو عبيدة ومن وافقه: هذا مقلوب، إنها العصبنة تنوء بالمفاتيح^(٣)، وهذا قول الأخفش، وأنشد:

ما كنت في الحربِ العَوَانِ مُغَمَّرًا إذ شَبَّ حَرٌّ وَقَوْدَهَا أَجْزَالُهَا^(٤)
والأجزاء: هي شَبَّتِ الحَرُّ، فجعل هذا مثل قولهم:

أَوْ بَلَغَتْ سُؤَاتِهِمْ هَجْرُ^(٥)

(١) الكامل للمبرد ١/ ٤٧٥، ولفظه: (العصبنة تنوء بالمفاتيح؛ أي تستقل بها في ثقل)، وليس فيه إنشاد البيت.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥٥.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١١٠، وذكره عنه ابن الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٤٦٣، ولم يعلق عليه.

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٥٤، ولم ينسب البيت. وأنشده ابن جرير ٢٠/ ١٠٩، ونسبه إلى الأعشى. المغمر: الذي لم يجرب الأمور بعد، والأجزاء: مفرداتها جزل، الحطب اليابس. والبيت من قصيدة له يمدح فيها قيس بن معد يكرب. شرح ديوان الأعشى ٢٥٩.

(٥) أنشده كاملاً الأخفش في معاني القرآن ١/ ٣١٨، ولم ينسبه. والبيت بتمامه:

مثل القنافة هَذَا جَوْنَ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانٌ أَوْ بَلَغَتْ سُؤَاتِهِمْ هَجْرُ

قال الأخفش: هو يريد أن السؤات بلغت هجراً، وهجر رفع لأن القصيدة مرفوعة.

وأنشده أيضاً أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٣٩، ونسبه إلى الأخطل، وقال: إنها السوءة البالغة هجر، وهذا البيت مقلوب، وعنه أنشده المبرد في الكامل ١/ ٤٧٥، وقال: فجعل الفعل للبلدين على السعة. ورواية الديوان:

على العياراتِ هَذَا جَوْنَ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانٌ أَوْ حُدِثَتْ سُؤَاتِهِمْ هَجْرُ

العبارات: جمع عير؛ أي الحمار، هَذَا جَوْنَ: من هَدَجَ؛ أي سار سيراً ضعيفاً. والبيت في هجاء بني كليب. شرح ديوان الأخطل ١٧٨.

يريد : بلغت سؤااتهم هجر . قال الفرّاء : فإن كان سمع بهذا أثراً فهو وجهه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ ﴾ . قال مقاتل : بنو إسرائيل ^(٢) .

وقال الفرّاء : يعني موسى ، وهو من الجمع الذي أريد به الواحد ، كقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] ، وإنما كان رجلاً من أشجع ، يقال له نعيم بن مسعود ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ . قال المفسرون : لا تأثر ولا تمرح ولا تبطر ولا تفخر ^(٤) . وأنشد أبو عبيدة في الفرح بمعنى البطر قول هُذَبة ^(٥) :

ولست بمفراح إذا الدهر سَرَنِي ولا جازع من صَرَفِهِ الْمُتَقَلَّبِ ^(٦)

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣١٠ ، وذكر هذا القول بعد أن قال : وقد قال رجل من أهل العربية : إن المعنى : ما إن العصبه لتتوء بمفاته فحول الفعل إلى المفاتيح . وقد ردّ على أن الآية من باب المقلوب ابن قتيبة ، ولم يرض أن يستشهد على ذلك بما وقع لبعض الشعراء ، فقال : وهذا ما لا يجوز لأحد أن يحكم به على كتاب الله عز وجل ، لو لم يجد له مذهباً ؛ لأن الشعراء تقلب اللفظ ، وتزيل الكلام على الغلط ، أو على طريق الضرورة للقافية ، أو لاستقامة وزن البيت ، ثم ذكر شواهد من الشعر على وقوع القلب فيها ، ثم قال بعد ذلك : وأراد بقوله تعالى : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ ؛ أي تُمِيلُهَا مِنْ ثِقَلِهَا . تأويل مشكل القرآن ٢٠٠ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٨ ب .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣١١ ، ولم يذكر الاسم . وقد ذكر الواحدي في تفسير الآية من سورة آل عمران ثلاثة أقوال ؛ هذا أحدها ، والثاني : ركب من عبد القيس ، والثالث : المنافقون .

(٤) تفسير مقاتل ٦٨ ب ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١١١ ، وتأويل مشكل القرآن ٤٩١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ١٥٥ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٥١ ب .

(٥) هُذَبة بن حَشرم بن كُرْز ، من بني عامر بن ثعلبة ، من قضاعة ، شاعر فصيح ، راوية من أهل بادية الحجاز ، قُتِلَ في المدينة قصاصاً نحو سنة ٥٠ هـ . انظر الشعر والشعراء ٤٦٤ ، والأعلام ٨ / ٧٨ .

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١١١ ، ونسبه إلى هذبة . وأنشد البيت المبرّد في الكامل ٣ / ١٤٥٥ في قصة =

وأنشد لابن أحرر :

ولا يُنْسِينِي الْحَدَّثَانُ عِرْضِي ولا أُلْقِي مِنَ الْفَرَحِ الْإِزَارَا^(١)
يعني من البطر والأشر . وقال ابن قتيبة وغيره : أراد : لا تأثر ؛ لأن السرور
غير مكروه^(٢) .

وهذا نحو قوله : ﴿ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾^(٣) [هود: ١٠] ، وقد مر^(٤) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ : يعني الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على
ما أعطاهم ، قاله مجاهد ومقاتل^(٥) .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد المستهزئين^(٦) . وهو معنى وليس بتفسير ؛
وذلك أن الاستهزاء من علامات البطر .

قتل هدبة قصاصاً ، وبعد هذا البيت :

ولا أبتغي الشرَّ والشرُّ تاركِي ولكئني متى أحمل على الشرِّ أركبُ

وأشده من دون نسبة ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٣٥ ، وكذا الثعلبي ٨ / ١٥١ ب .

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١١١ / ٢ ، ونسبه إلى ابن أحرر ، وأشده المبرد في الكامل ٥٩ / ١ غير منسوب ،
وفيه : (ولا أرخي من المرح) .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٥ .

(٣) تفسير الثعلبي ٨ / ١٥١ ب .

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال ابن عباس : يفاخر أوليائي بها وسعت عليه . وهذا بيان عما
يوجه بظر النعمة من تناسي حالة الشدة ، وترك الاعتراف بنعمة الله وحده على ما صرف عنه من
الضر مع المرح والتكبر على عباد الله .

(٥) أخرجه ابن جرير ١١١ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٠٩ / ٩ عن مجاهد . وتفسير مقاتل ٦٨ ب ، وتفسير
الثعلبي ٨ / ١٥٢ أ ، ولم ينسبه .

(٦) ذكر البخاري عن ابن عباس معلقاً بصيغة الجزم : ﴿ الْفَرِحِينَ ﴾ المرحين . فتح الباري ٨ / ٥٠٦ ،
وكذا أخرجه ابن جرير ١١١ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠١٠ / ٩ ، ولم أجد فيهما الرواية التي ذكرها
الواحدي .

٧٧. وقال أبو إسحاق : أراد لا تفرح بكثرة المال في الدنيا ، لأن الذي يفرح بالمال يصرفه في غير أمر الآخرة . والدليل على أنهم أرادوا لا تفرح بالمال في الدنيا ، قوله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾^(١) واطلب في ما أعطاك الله من المال^(٢) والخير والنعمة والسعة : الجنة ، قاله ابن عباس ومقاتل^(٣) .

والمعنى : اطلب في ما أنعم الله به عليك الجنة ، وهو : أن يشكر الله ، وينفق مما أوتي في رضا الله ، يدل عليه قوله : ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد : العمل لله فيها بما يحب ويرضى . وقال في رواية الأعمش : أي تعمل فيها لآخرتك^(٤) .

وهو قول مقاتل ومجاهد وابن زيد ، قالوا : لا تترك أن تعمل لآخرتك^(٥) ؛ لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرته^(٦) ، ونحو هذا روى الوالبي عن ابن عباس^(٧) ، وهو معنى ما روي عن علي : لا تنسَ صحتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة^(٨) .

(١) معاني القرآن للزجاج ١٥٥ / ٤ .

(٢) في نسخة (أ) : (الأموال) ، والمناسب الأفراد ؛ لأفراد ما بعده .

(٣) تفسير مقاتل ٦٩ أ .

(٤) أخرجه ابن جرير ١١٢ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠١٠ / ٩ من طريق الأعمش .

(٥) أخرجه ابن جرير ١١٢ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠١٠ / ٩ عن مجاهد وابن زيد ، وذكره عنها الثعلبي

٨ / ١١٥٢ أ . وتفسير مقاتل ٦٩ أ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ١٥٥ / ٤ .

(٧) ذكره الثعلبي ٨ / ١١٥٢ أ من طريق الوالبي عن علي بن أبي طلحة .

(٨) ذكره عنه الثعلبي ٨ / ١١٥٢ أ .

وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد ، قال : العمل بطاعة الله نصيبه من الدنيا الذي يثاب عليه في الآخرة^(١) .

وقال قتادة : لا تنسَ الحلال من الدنيا ؛ ابتغِ الحلال^(٢) ، والمعنى على هذا : لا تترك أن تطلب فيها حظك من الرزق الحلال^(٣) .

وقال الحسن : أمر أن يأخذ من ماله قدر عيشه ، ويُقدّم ما سوى ذلك لآخرته^(٤) ، وعنه أيضاً في هذا المعنى : قدّم الفضل ، وأمسك ما يُبلغك^(٥) ، وعلى هذا المراد بالنصيب : قدر ما يكفيه ، يقول : اترك ذلك ، وقدّم ما سواه ، ونحو هذا روي عن ابن زاذان^(٦) .

قوله تعالى : ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس : يريد أطع الله واعبده كما أنعم عليك ، وقال مقاتل : وأحسن العطية في الصدقة والخير ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول : لا تبغ بإحسان الله إليك أن تعمل في الأرض بالمعاصي^(٧) .

وقال الكلبي : ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ فتدعو إلى عبادة غير الله^(٨) . فلماً أمره أن يطيع الله في ماله ، قال لهم^(٩) :

(١) أخرجه ابن جرير ١١٢/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠١٠/٩ عن مجاهد من طريق ابن أبي نجيح .

(٢) أخرجه ابن جرير ١١٣/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠١١/٩ .

(٣) اقتصر عليه أبو عبيدة في مجاز القرآن ١١١/٢ ، وابن قتيبة في غريب القرآن ٣٣٥ .

(٤) ذكره عنه الثعلبي ٨/١٥٢ .

(٥) أخرجه ابن جرير ١١٣/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠١١/٩ .

(٦) أخرجه الثعلبي ٨/١٥٢ أسنده عن منصور بن زاذان ، قال : قوتك وقوت أهلك .

(٧) تفسير مقاتل ٦٩ أ .

(٨) تنوير المقياس : ٣٣٠ .

(٩) تفسير مقاتل ٦٩ أ .

٧٨. ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ . قال أبو إسحاق : ادَّعى أنه أعطي المال لعلمه بالتوراة^(١) .

وقال الفرَّاء : على فضل عندي ؛ أي كنت أهله ومستحقاً له^(٢) إذ أعطيته لفضل علمي^(٣) . ويروى أنه كان أقرأ رجل في بني إسرائيل للتوراة ، فقال : إنما فضلني الله بهذا المال عليكم كما فضلني عليكم بالعلم^(٤) ، وهذا معنى قول مقاتل : على خيرٍ علِّمه الله عندي^(٥) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ فكفر ، يعني كفر لما رأى أن المال حصل له بعلمه ، ولم يرَ ذلك من عطاء الله إيَّاه ، فكأنه أراد : بعلمه في التصرف ، وأنواع المكاسب ، ويدل على هذا المعنى ما روى علي بن زيد بن جُدعان عن عبد الله بن الحارث بن نوفل^(٦) أنه ذَكَرَ سليمان بن داود في ما أُوتي من الملك ، ثم قرأ قوله : ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل : ٤٠] ، ولم يقل : هذا من كرامتي ، ثم ذكر قارون فقال : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ ، يعني أن سليمان - عليه السلام - رأى ما أُعطي فضلاً من الله عليه ، وقارون رأى ذلك من نفسه^(٧) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٥٦ .

(٢) في نسخة (ج) : (ومستحقه) .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢ / ٣١١ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٥ ، ولم ينسبه . وأخرج نحوه ابن جرير ٢٠ / ١١٣ عن ابن زيد ، وكذا ابن أبي حاتم ٩ / ٣٠١٢ ، وأخرج نحوه أيضاً عن السدي .

(٤) ذكره نحوه الثعلبي ١٥٢ ، ولم ينسبه .

(٥) تفسير مقاتل ٦٩ أ .

(٦) عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث الهاشمي ، أبو محمد المدني ، أمير البصرة ، وُلِدَ في حياة النبي ﷺ لأبيه وجده صحبة ، جمع على ثقته ، حدَّث عن عمر ، وعثمان ، وعلي ، وأبي بن كعب ، وغيرهم ، وحدَّث عنه ابنه إسحاق ، وعبد الله ، وابن شهاب ، وعمر بن عبد العزيز ، وآخرون ، توفي سنة ٧٩ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء ١ / ٢٠٠ ، وتقريب التهذيب ٤٩٨ .

(٧) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ١١٨ .

وقال الكلبي : قال ابن عباس : ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ بصنعة الذهب ^(١) .

قال الزَّجَّاج : والذي روي أنه كان يعمل الكيمياء لا يصح ؛ لأن الكيمياء باطل لا حقيقة له ^(٢) .

(١) تنوير المقباس : ٣٣٠ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٥٦ ، وذكر الثعلبي ٨/ ١٥٢ عن سعيد بن المسيب أن قارون كان يعلم الكيمياء . والكيمياء : الحيلة والحذق ، ويراد بها عند القدماء : تحويل بعض المعادن إلى بعض ؛ فهو علم يُعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية ، وجلب خاصة جديدة إليها ، ولا سيما تحويلها إلى ذهب . وأمّا عند المحدثين فهو علم يبحث فيه عن خواص العناصر المادية والقوانين التي تخضع لها الظروف المختلفة ، خاصة عند اتحاد بعضها ببعض . المعجم الوسيط ٢/ ٨٠٨ ، ولذلك تكلم عنها أهل العلم وذموا متعاطيها لما فيها من الغش والتدليس والخداع ؛ إذ فيها يُشبه المصنوع بالملحوق ، وقصد أهلها أن يُجعل هذا كهذا فينفقونه ، ويعاملون به الناس ، وهذا من أعظم الغش ولهذا لا يُظهرون للناس إذا عاملوهم أن هذا من الكيمياء ، ولو أظهروا للناس ذلك لم يشتره منهم ، فالمصنوع من الكيمياء يستحيل ويفسد ولو بعد حين بخلاف الذهب المعدني . مجموع الفتاوى ٢٩/ ٣٧٠ .

وذكر شيخ الإسلام أنه ناظر أحد رؤوس هؤلاء المتعاملين بالكيمياء ، فكان مما اعترض به على شيخ الإسلام أن قال : إن قارون كان يعمل الكيمياء ، فردّ عليه الشيخ بقوله : وهذا أيضاً باطل ؛ فإنه لم يقله عالم معروف ، وإنما يذكره مثل الثعلبي في تفسيره عمن لا يُسمي ، وفي تفسير الثعلبي : الغث والسمين ، فإنه حاطب ليل ، ولو كان مال قارون من الكيمياء لم يكن له بذلك اختصاص ؛ فإن الذين عملوا الكيمياء خلق كثير لا يحصون ، والله سبحانه قال : ﴿وَأَيُّنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِن مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَكِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ فأخبر أنه آتاه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، والكنوز إمّا أن يكون هو كنزها ، كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة : ٣٤] ، وإمّا أن يكون أطلع على كنانته مدفونة ، وهو الركاك ، وهذا لا ريب أنه موجود . مجموع الفتاوى ٢٩/ ٣٧٧ . ذكر الداودي في طبقات المفسرين ٢/ ٩٦ أن لابن القيم كتاباً في بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً ، وذكر هذا الكتاب الشيخ بكر أبو زيد في كتابه : ابن قيم الجوزية حياته وآثاره ١٣٦ ، وأفاد أنه لم يقف على نسخة خطية لهذا الكتاب .

قال الله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ يَعْلَمُ﴾ قارون ﴿أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ﴾ بالعذاب ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾
مِنَ الْقُرُونِ ﴿فِي الدُّنْيَا حِينَ كَذَبُوا رَسُلَهُمْ﴾ ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾
لِلْأَمْوَالِ ^(١).

قال ابن عباس ومقاتل : يريد نمرود بن كنعان الجبار ، وغيره ^(٢).

قوله تعالى : ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ . قال مجاهد : الملائكة لا
تَسْأَلُ عَنْهُمْ ^(٣) قد عرفتهم زرقاً ، سود الوجوه ^(٤).

وقال الكلبي : لا يُسْأَلُ الكافر عن ذنبه ، كُلُّ معروف بسيماه ^(٥) . واختار
الفرَّاء هذا القول ^(٦) ، فقال : يقول : يعرفون بسيماهم ، كما قال : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ
عَنْ ذُنُوبِهِ﴾ [الرحمن : ٣٩] ، ثم قال : ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ سِيمَتَهُمْ﴾ [الرحمن : ٤١] ^(٧) . وهذا
القول لا يصح ؛ لأنَّ سؤالهم عن ذنوبهم ليس لمعرفةهم وليعرفوا ، ولو قيل : ولا
يَسْأَلُ عن المجرمين لصح المعنى الذي ذهبوا إليه . والصحيح ما قال قتادة ، قال :
إنهم يدخلون النار بغير حساب ^(٨) . فأما قوله : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
[الحجر : ٩٢] ، فإنهم يُسْأَلُونَ سؤال تقرير وتوبيخ ، كما قال الحسن في هذه الآية : لا
يُسْأَلُونَ لِيُعْلَمَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وإن سُئِلُوا فسؤال تقرير وتوبيخ ^(٩).

(١) تفسير مقاتل ٦٩ أ.

(٢) تفسير مقاتل ٦٩ أ.

(٣) من هنا بدأت النسخة (ج) بعد السقط الذي كان فيها .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١١٤ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٢٠١٣ / ٩ ، وذكره عنه الثعلبي ١٥٢ / ٨ ب .

(٥) تنوير المقباس : ٣٣٠ .

(٦) القول من نسخة (ج) .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٣١١ / ٢ ، وذكره ابن قتيبة في معاني القرآن ٣٣٥ ، ولم يتقده .

(٨) أخرجه عبدالرزاق ٩٤ / ٢ ، وابن جرير ١١٤ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠١٣ / ٩ .

(٩) ذكره عنه الثعلبي ١٥٢ / ٨ ب .

وقال أهل المعاني: ﴿يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ سؤال من لعل له عذراً يسقط لائمه^(١).

وقال مقاتل: يقول: لا يسأل مجرمو هذه الأمة عن ذنوب الأمم الخالية الذين عذبوا في الدنيا، فإن الله قد أحصى أعمالهم الخبيثة وعلمها^(٢). وعلى هذا القول الكناية في: ﴿ذُنُوبِهِمْ﴾ لا تعود [إلى المجرمين]^(٣)، إنما تعود إلى مَنْ أهلك الله من القرون، وهو أيضاً ليس بالقوي.

٧٩. قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾: يعني بني إسرائيل. ﴿فِي زِينَتِهِ﴾. قال مقاتل: يعني بالزينة: الشارة^(٤).

قال عطاء عن ابن عباس: قالوا: البغال الشَّهْب^(٥) حَمَلٌ عليها الكواعب من الجواري^(٦)، وألبسهن ثياب الحمرة^(٧).

وقال مجاهد: خرج بجوارٍ عليهن ثياب حمراء، على براذين بيض، عليها سرج حمراء من أرجوان^(٨).

(١) في نسخة (أ) و(ب): (عذراً سقط عنه).

(٢) تفسير مقاتل ٦٩ أ.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج).

(٤) تفسير مقاتل ٦٩ أ. وأخرجه ابن أبي حاتم ٣٠١٤/٩ عن الضحاك. يقال: ما أحسن سَوَارِ الرجل، وشارته، يعني: لباسه وهيئته. تهذيب اللغة (شار) ٤٠٤/١١.

(٥) الشهب في ألوان الخيل: أن تشق معظم لونه شعرة، أو شعرات بيض. تهذيب اللغة (شهب) ٨٨/٦.

(٦) الكواعب: هي التي نهدئديها، إذا ارتفع عن الصدر، وصار له حجم. اللسان (كعب) ٧١٩/١، و(نهد) ٤٢٩/٣.

(٧) أخرجه نحوه ابن جرير ١١٧/٢٠ عن ابن عباس من طريق عبد الله بن الحارث.

(٨) أخرجه نحوه ابن جرير ١١٥/٢٠، وابن أبي حاتم ٣٠١٣/٩ عن مجاهد، وذكره الثعلبي ١٥٢/٨. والبراذين: جمع: برذون، الدابة، البراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج العراب. اللسان ٥١/١٣. وفي المعجم الوسيط ٤٨/١: البرذون يطلق على غير العربي من الخيل والبغال، =

وقال قتادة : خرج على أربعة آلاف دابة ، عليهم ثياب حمراء ، منها ألف بغلة بيضاء عليها قطائف الأرجوان^(١) .

وقال مقاتل : خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب ، عليه الأرجوان ، ومعه أربعة آلاف فارس على الخيل ، عليهم وعلى دوابهم الأرجوان ، ومعهم ثلاثمائة جارية بيض ، عليهن الحلي ، والثياب الحمراء ، على البغال الشهب^(٢) .

قال أبو إسحاق : والأرجوان في اللغة : صبغ أحمر ، وهو ما روي أنه كان عليهم وعلى خيلهم الديباج الأحمر^(٣) ، ونحو هذا قال إبراهيم الكلبي^(٤) ، وزاد الكلبي : خرج بثوب أخضر ، كان الله أنزله على موسى من الجنة ، فسرقه منه قارون .

وروي مبارك عن الحسن في قوله : ﴿ فِي زِينَتِهِ ﴾ قال : ثياب صفراء^(٥) ، ونحو هذا روي عثمان بن الأسود عن مجاهد ، قال : عليهم ثياب معصفرة^(٦) ، وهو قول ابن زيد قال : خرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات^(٧) .

من الفصيحة الخيلية ، عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء ، قوي الأرجل ، عظيم الخوافر ، والسرج : رَحْل الدابة . تهذيب اللغة (سرج) ٥٨٢ / ١٠ ، واللسان ٢٩٧ / ٢ ، والأرجوان : شجر له زهر شديد الحمرة ، حسن المنظر ، وليست له رائحة . المعجم الوسيط ٣١ / ١ .

(١) أخرجه عبد الرزاق ٩٤ / ٢ ، وابن جرير ١١٥ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠١٤ / ٩ .

(٢) تفسير مقاتل ١٦٩ . وذكره عنه الثعلبي ١٥٢ / ٨ ب .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٥٦ / ٤ .

(٤) أخرجه ابن جرير ١١٥ / ٢٠ عن إبراهيم النخعي وذكره عنه الثعلبي ١٥٢ / ٨ ب .

(٥) أخرجه ابن جرير ١١٥ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠١٤ / ٩ .

(٦) أخرجه ابن جرير ١١٥ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠١٣ / ٩ .

(٧) أخرجه ابن جرير ١١٥ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠١٤ / ٩ ، وهذا كله مما لا دليل عليه ، والأولى الإعراض عنه ؛ إذ المقصود في الآية أنه خرج على قومه في زينة بهرتهم .

قال مقاتل : فلمَّا نظر مؤمنو أهل^(١) ذلك الزمان في تلك الزينة والجمال تمنوا مثل ذلك ، وهو قوله : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ : لذو نصيب وافر من الدنيا^(٢) .

٨٠ . ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد الأخبار من بني إسرائيل^(٣) .

وقال مقاتل : ﴿ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ بما وعد الله في الآخرة ، قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون : ﴿ وَيَلِكُمُ ثَوَابُ اللَّهِ ﴾ ما عند الله من الثواب والجزاء ﴿ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ ﴾ صدق بتوحيد الله ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ وقام بالفرائض ؛ أي إن ذلك خير مما أعطي قارون في الدنيا^(٤) .

﴿ وَلَا يُلْقَاهَا ﴾ . [قال مقاتل : لا يؤتاها يعني الأعمال الصالحة^(٥) ، وعلى هذا الكناية تعود إلى ما دل عليه قوله : ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ، وقال الكلبي :^(٦) ولا يعطاها في الآخرة ﴿ إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ على أمر الله ، يعني الجنة^(٧) ، ودل عليها قوله : ﴿ ثَوَابُ اللَّهِ ﴾ ، وقال الزَّجَّاج : ولا يلقي هذه الكلمة ، يعني قولهم : ﴿ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾^(٨) ﴿ إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ على طاعة الله ، وعن زينة الدنيا^(٩) .

(١) (أهل) ساقطة من نسخة (ب) .

(٢) تفسير مقاتل ٦٩ أ .

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٢٤٣ .

(٤) تفسير مقاتل ٦٩ أ .

(٥) تفسير مقاتل ٦٩ أ .

(٦) ما بين المعوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

(٧) تنوير المقباس : ٣٣١ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٥٦ .

(٩) ذكره بنصه الثعلبي ٨ / ١٥٣ أ .

وقال ابن قتيبة : ولا يوفق لها ولا يُرزقها^(١) ، وهو قول الفراء ، يقول : ولا يُلقَى أن يقول : ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ ﴿إِلَّا الصَّكْرُوتُ﴾^(٢) .

٨١ . قوله تعالى : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ : ذكرنا معنى الخسف في سورة الإسراء^(٣) .

قال مقاتل وقتادة : فهو يتجلجل في الأرض كلَّ يومَ قامةً رجلٍ إلى يوم القيامة^(٤) .

وقال ابن عباس : خُسف به إلى الأرض السفلى^(٥) .

وقال مقاتل : لما خَسَفَ الله بقارون قالت بنو إسرائيل : إن موسى إنما أهلك قارون ليأخذ ماله وداره ، فخسف الله بعد قارون بثلاثة أيام بدار قارون ، وماله الصامت ، وانقطع الكلام^(٦) .

قوله تعالى : ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ : يقول : لم يكن له جند يمنعونه من الله ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ من الممتنعين مما نزل به من الخسف^(٧) . والمتنصر : الذي قد بلغ حالة التُّصرة^(٨) .

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٦ ، وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١١١ / ٢ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣١١ / ٢ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿أَفَأَمْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ [الإسراء : ٦٨] .

(٤) تفسير مقاتل ٦٩ ب . وأخرجه ابن جرير ١١٩ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٢٠ / ٩ عن قتادة . ومعنى : يتجلجل في الأرض ؛ أي ساخ فيها ودخل . اللسان (جلل) ١٢١ / ١١ .

(٥) أخرجه ابن جرير ١١٩ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٢٠ / ٩ بلفظ : (الأرض السابعة) .

(٦) تفسير مقاتل ٦٩ ب . الصامت : الذهب والفضة . تهذيب اللغة ١٥٦ / ١٢ ، واللسان (صمت) ٥٥ / ٢ ، وظاهر الآية أن الخسف به وبداره حصل في وقت واحد ، والله أعلم .

(٧) تفسير مقاتل ٦٩ ب ، وتفسير ابن جرير ١١٩ / ٢٠ ، وتفسير الثعلبي ١٤٥ / ٨ .

(٨) التُّصرة : حسن المعونة . تهذيب اللغة (نصر) ١٦٠ / ١٢ ، واللسان ٢١٠ / ٥ .

٨٢. وقوله : ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ﴾ : صار أولئك الذين تمنوا ما رزق من المال والزينة يتندمون على ذلك التمني ، وهو قوله : ﴿يَقُولُونَ وَيَكَاثُ اللَّهُ﴾ [القصص : ٨٢] ^(١) .

قال سيبويه في هذه الكلمة : سألت عنها الخليل فزعم أنها : (وَيْ) ، مفصلة من : (كأن) ، وأن القوم تنبهوا ، فقالوا : (وَيْ) ، متندمين على ما سلف منهم ، وكل من يندم أو ندم فإظهار ندامته أن يقول : (وَيْ) ^(٢) . وذكر الفراء في هذه الكلمة قولين ؛ أحدهما : قال : يذهب بعض النحويين إلى أنها كلمتان ، يريد : ويك أنه ، أراد : ويك ، فحذف اللام وجعل أن مفتوحة بفعل مضمر ، كأنه قال : ويك أعلم ، فأضمر أعلم .

قال الفراء : ولم نجد العرب تعمل الظن والعلم بالإضمار ، ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول : يا هذا أنك قائم ، تريد : علمت أو أعلم ^(٣) ، وهو ^(٤) الذي ذكره قول قطرب ^(٥) .

(١) معاني القرآن للزجاج ١٥٦/٤ بنحوه .

(٢) الكتاب ١٥٤/٢ بمعناه . وذكره بنصه الزجاج ١٥٦/٤ ، والأزهري في تهذيب اللغة (وي) ١٥٣/١٥ ، والثعلبي ١٥٤/٨ ب . قال ابن قتيبة : وقال ابن عباس في رواية أبي صالح : هي كأن الله ييسط الرزق لمن يشاء ، كأنه لا يفلح الكافرون ، وقال : وي : صلة في الكلام . وهذا شاهد لقول الخليل . تأويل مشكل القرآن ٥٢٦ .

(٣) نقل كلام الفراء ابن جرير ١٢١/٢٠ بلفظ : (ولم نجد العرب تعمل الظن مضمرًا ، ولا العلم وأشباهه في : أن ، وذلك أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين ، أو في آخر الكلمة ، فلمّا أضمر جرى مجرى المتأخر ؛ ألا ترى أنه لا يجوز في الابتداء أن تقول : يا هذا ، أنك قائم ، ويا هذا أن قلت ، تريد : علمت ، أو أعلم ، أو ظننت ، أو أظن) .

(٤) في النسخ كلها : (وهو) ، ولعل المناسب : (وهذا) .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ١٥٤/٨ ب .

قال الفرّاء : وأما حذف اللام من : ويلك ، حتى تصير : ويك ، فقد تقوله العرب لكثرتها في الكلام . قال عنتره :

ولقد شَفَى نفسي وأبرأ سُقَمَهَا قولُ الفوارسِ وَيَكْ عنترَ أقَدِم^(١)
قال : وقد قال آخرون : إن معنى : ﴿ وَيَكَاكَ ﴾ (وي) منفصلة من (كأن) ، تقول للرجل : (وي) ، أما ترى ما بين يديك ؟ فقال الله تعالى : وي ، ثم استأنف : كأن الله يسط الرزق ، وهي تعجب ، (وكأن) في مذهب الظن والعلم ؛ وهذا وجه مستقيم ، غير أن العرب لم تكتبها منفصلة ، ولو كان على هذا لكتبوها منفصلة ، وقد يجوز أن يكون كثر بها الكلام فوصلت بما ليست منه ، كما اجتمعت العرب على كتابة : ﴿ يَبْنُوْهُمْ ﴾ [طه : ٩٤] فوصلوها لكثرتها^(٢) . فعلى هذا ﴿ وَيَكَاكَ ﴾ تقرير ، كقول الرجل : أما ترى إلى صنع الله ، وأنشد النحويون جميعاً :

سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ إِذْ رَأَتَانِي قَلَّ مَالِي قَدْ جِئْتَانِي بُنْكَرِ
وَيَكَاَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحِبُّ بَبٌّ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشْ عَيْشَ ضُرٍّ^(٣)

- (١) معاني القرآن للفرّاء ٣١٢/٢ منسوباً إلى عنتره ، وهو في ديوانه ٣٠ ، وأنشده أبو علي في المسائل الحلبيات ٤٤ من دون نسبة ، وأنشده ونسبه الثعلبي ١٥٤/٨ ب ، وأنشده ولم ينسبه ابن جني في الخصائص ٤٠/٣ ، والشاهد فيه : حذف اللام من : ويلك ، حتى تصير : ويك .
- (٢) حكى الداني كتابة ﴿ وَيَكَاكَ ﴾ في الموضعين من سورة القصص ، بوصل الباء بالكاف . المقنع ٧٦ ، وأما (ابن أم) فكتبت في كل المصاحف في [الأعراف : ١٥٠] ﴿ قَالَ أَبْنُ أُمٍّ ﴾ بالقطع ، وفي [طه : ٩٤] كتبت متصلة ﴿ يَبْنُوْهُمْ ﴾ . المقنع ٧٦ .
- (٣) أنشده سيبويه ، ونسبه إلى زيد بن عمرو بن نفيل . الكتاب ١٥٥/٢ . وفي الحاشية : سألتني ، يعني : زوجتيه اللتين ذكرهما في بيت قبله ، وأنشده الأخفش ٦٥٥/٢ ، ولم ينسبه . النَّشَبُ : المال والعقار . وأنشد البيت الثاني أبو عبيدة في مجاز القرآن ١١٢/٢ ، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٥٢٧ ، وابن جني في الخصائص ٤١/٣ ، ولم ينسبه ، وأنشد البيتين من دون نسبة الرَّجَّاجَ ٥٧/٤ ، والشاهد فيه : ويكأن ، فهي عند سيبويه والخليل مركبة من (وي) : للتنبيه ، وكأن ، للتنبيه ، ومعناها : ألم تر .

قال الفراء : وأخبرني شيخ من أهل البصرة قال : سمعت أعرابية تقول لزوجها : أين ابنك وملك ؟ فقال : ويكأنه وراء البيت ، معناه : أما ترينه وراء البيت ^(١) ، وقال الكسائي : ﴿ وَيَكُنْكَ ﴾ في التأويل : ذلك أن الله ^(٢) ، وهو مأخوذ من قول ابن عباس ؛ فإنه قال في هذه الآية : قالوا : ذلك أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وعلى هذا هي كلمة تحقيق وابتداء ، وهو قول الحسن .

وقال أبو عبيدة : سبيلها سبيل : ألم تر ^(٣) .

وقال مجاهد وقتادة : معناها : ألم تعلم ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ . قال ابن عباس : بالعافية والرحمة ^(٥) .

وقال مقاتل : بالإيمان ^(٦) ﴿ لَخَسَفَ بَنَّا ﴾ ؛ أي الله تعالى ^(٧) . ومن قرأ : ﴿ لَخَسَفَ بَنَّا ﴾ ^(٨) فإنه يؤول إلى الخسف في المعنى ، غير أنه بني الفعل للمفعول ^(٩) .

(١) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣١٢ ، وهذا النقل الطويل من أول قوله : وذكر الفراء في هذه الكلمة قولين إلى هنا ، كله عن الفراء .

(٢) ذكر ابن قتيبة أن الكسائي قال في معنى هذه الكلمة : ألم تر . تأويل مشكل القرآن ٥٢٦ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١١٢ بلفظ : (مجازة : ألم تر) .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢ / ٩٤ ، وابن جرير ٢٠ / ١٢٠ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٢١ عن قتادة ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٥٤ ب عن مجاهد بلفظ : (ألم تعلم) ، واختاره ابن جرير . قال ابن قتيبة : وهذا شاهد لقول الكسائي ، يعني به : ألم تر . تأويل مشكل القرآن ٥٢٧ ، وأمّا مقاتل فقال : يعني : لكن الله . تفسير مقاتل ٦٩ ب .

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٢٤٧ ، ولم ينسبه .

(٦) تفسير مقاتل ٦٩ ب .

(٧) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٢٤ .

(٨) قرأ عاصم في رواية حفص : ﴿ لَخَسَفَ ﴾ بالفتح ، وقرأ الباقون : (لَخُسَفَ) بضم الخاء . انظر السبعة في القراءات ٤٩٥ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٢٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ١٧٩ ، والنشر في القراءات العشر ٢ / ٣٤٢ .

(٩) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٢٥ .

﴿وَيَكَاكُ﴾ : أكثر المفسرين يقولون معناه : ألم تر أنه ، وأما ترى أنه ^(١) . قال الزَّجَّاج : وهذا مشاكل لتفسير الخليل ؛ لأن قول المفسرين : أما ترى ، تنبيه ^(٢) .

﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ . قال ابن عباس : لا يسعد من كفر بالله ^(٣) .

٨٣ . وقوله تعالى : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : يريد الجنة ^(٤) .

﴿بَجَعْلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ . قال مقاتل : تعظماً في الأرض عن الإيَّان ^(٥) ، ونحوه قال الكلبي : هو الاستكبار عن الإيَّان بالله ^(٦) . وقال ابن عباس : علواً على خلقي في الأرض ^(٧) ، وهو معنى قول سعيد بن جبير : ﴿عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ بغياً ^(٨) .

قال علي رضي الله عنه : إن الرجل ليعجبه شرَّك نعله فيدخل في هذه الآية : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بَجَعْلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ ^(٩) ، يعني أن من تكبر على

(١) تفسير ابن جرير ١٢٠/٢٠ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٥٧/٤ بلفظ : (فهذا تفسير الخليل) ، وهو مشاكل لما جاء في التفسير ؛ لأن قول المفسرين هو تنبيه .

(٣) تفسير مقاتل ٦٩ ب .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٢٢/٩ عن عكرمة . وتفسير ابن جرير ١٢٢/٢٠ من دون نسبة ، وتفسير مقاتل ٦٩ ب .

(٥) تفسير مقاتل ٦٩ ب .

(٦) تنوير المقباس : ٣٣١ .

(٧) أخرجه ابن جرير ١٢٢/٢٠ عن عكرمة : العلو : التجبر .

(٨) أخرجه ابن جرير ١٢٢/٢٠ .

(٩) أخرجه ابن جرير ١٢٢/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٢٣/٩ . قال ابن حجر : إسناده ضعيف . الكافي الشاف بحاشية الكشف ٤٢١/٣ ، الشَّرك : سير النعل . تهذيب اللغة (شرك) ١٧/١٠ .

غيره بلباس يعجبه ، فهو ممن يريد علواً في الأرض ، وهو قول مسلم البطين :
التكبر في الأرض بغير الحق^(١) .

وقال الحسن : لم يطلبوا الشرف والعز عند ذي سلطانهم^(٢) .

قوله : ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ . قال الكلبي : هو الدعاء إلى عبادة غير الله^(٣) ، وقال
مقاتل : عملاً بالمعاصي^(٤) ، وهو قول ابن جريح^(٥) .

وقال عكرمة والبطين : هو أخذ المال بغير الحق^(٦) .

قوله : ﴿وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد عاقبة المتقين الجنة^(٧) ،
وقال الكلبي : وهم الذين اتقوا الكبائر والفواحش^(٨) .

وقال قتادة : أي الجنة للمتقين^(٩) ، وهم الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه ،
 واجتناب معاصيه .

(١) أخرجه ابن جرير ١٢٢/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٢٢/٩ ، وذكره الثعلبي ١٥٤/٨ ب عنه وعن
ابن جريج ومقاتل وعكرمة .

(٢) هكذا في النسخ الثلاث : (عند ذي سلطانهم) ، ورواية ابن أبي حاتم ٣٠٢٣/٩ : (عند ذوي
سلطانهم) .

(٣) ذكره عنه الثعلبي ١٥٤/٨ ب . وفي تنوير المقياس : ٣٣١ : (بالنقش والتصاوير والمعاصي) .

(٤) تفسير مقاتل ٦٩ ب ، وتأويل مشكل القرآن ٤٧٦ .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ١٥٤/٨ ب .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٢٢/٢٠ عن ابن جريج ، وعكرمة ، ومسلم البطين .

(٧) تنوير المقياس : ٣٣١ .

(٨) تنوير المقياس : ٣٣١ .

(٩) أخرجه ابن جرير ١٢٣/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٢٣/٩ ، وذكره الثعلبي ١٥٤/٨ ب .

٨٤. قوله : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ مُفسَّر في سورة : [النمل : ٨٩ ، ٩٠] إلى قوله : ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ . والمفسرون كلهم على أن المراد بالحسنة : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن السيئة : الشرك .

وهو قول ابن عباس وعبد الله وسعيد بن جبيرة وإبراهيم وأبي صالح وعطاء ومقاتل والجميع^(١) .

قال أبو ذر : قلت يا رسول الله : لا إله إلا الله من الحسنات ؟ قال : «هي أحسن الحسنات»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ . قال ابن عباس : يريد الذين أشركوا^(٣) .

وقال مقاتل : يعني الذين عملوا الشرك ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الشرك ، فإن جزاء الشرك النار^(٤) .

(١) تفسير مقاتل ٦٩ ب . انظر : أقوالهم في تفسير ابن أبي حاتم ٣٠٢٤ / ٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٢٤ / ٩ من طريق الأعمش ، عن شور بن عطية ، عن رجل من التيم ، عن أبي ذر ، وأخرجه الإمام أحمد من طريق الأعمش ، عن شور بن عطية ، عن أشياخه ، عن أبي ذر ، قال : قلت يا رسول الله ، أوصني ، قال : «إذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمسحها . قال : قلت يا رسول الله : أمن الحسنات لا إله إلا الله ، قال : هي أفضل الحسنات» . المسند ٨ / ١١٣ ، رقم ٢١٥٤٣ ، وهذا إسناد لا يصح ؛ لأن الأعمش ، وهو سليمان بن مهران ، مع كونه ثقة فإنه يدللس . تقريب التهذيب ٤١٤ ، رقم ٢٦٣٠ ، ولم يصرح هنا بالسماع . وأما شور بن عطية فهو صدوق ، والواسطة بينه وبين أبي ذر - رضي الله عنه - مجهول ، والله أعلم .

(٣) تفسير ابن الجوزي ٢٤٩ / ٦ ، ولم ينسبه .

(٤) تفسير مقاتل ٦٩ ب .

وقال ابن عباس : يريد ليس لعقابهم صفة ينتهي إليها عذابهم أعظم مما يوصف ، والتقدير : إلا جزاء ما كانوا يعملون ، وجزاء ما عملوا النار ، على ما ذكره المفسرون .

٨٥ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ . قال ابن عباس : أنزل عليك القرآن ^(١) ، ونحو ذلك قال مقاتل والمفسرون ^(٢) .

قال أبو إسحاق : معنى ﴿ فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ : أنزله عليك ، وألزمك ، وفرض عليك العمل بما يوجهه القرآن ^(٣) . وتقدير الآية ما ذكره أبو علي ، فقال : المعنى : فرض عليك أحكام القرآن ، وفرائض القرآن ، وعلى هذا الآية من باب حذف المضاف ، وقول المفسرين معنى وليس بتفسير ؛ وذلك أن الذي فرض عليه فرائض القرآن هو الذي أنزله ، وفرض فرائضه بإنزاله ، فقليل فيه : أنزل القرآن .

﴿ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : مكة ^(٤) ، ونحو ذلك روى العوفي عنه ^(٥) .

-
- (١) بنصه عند الفراء وأبي عبيدة ، ولم ينسبه . معاني القرآن ٢ / ٣١٣ ، ومجاز القرآن ٢ / ١١٢ .
 (٢) لم أجده عند مقاتل ، وأخرجه ابن جرير ٢٠ / ١٣٢ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٢٥ عن مجاهد ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٥٤ ب عن أكثر المفسرين ، ولم يسمهم .
 (٣) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٥٧ . قال ابن قتيبة : أي أوجب عليك العمل به . غريب القرآن ٣٣٦ .
 (٤) تفسير الثعلبي ٨ / ١٥٤ ب من قول عطاء بن أبي رباح .
 (٥) أخرجه البخاري من طريق عكرمة ، في التفسير ، رقم ٤٧٧٣ ، فتح الباري ٨ / ٥٠٩ ، وأخرجه النسائي في كتاب التفسير ٢ / ١٤٧ ، رقم ٤٠٦ عن عكرمة عن ابن عباس ، وابن جرير ٢٠ / ١٢٥ من طريق عكرمة وسعيد بن جبير ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٥٤ ب عن العوفي عن ابن عباس .

وهو قول الكلبي ومقاتل ، قالاً : لما نزل النبي ﷺ الجحفة^(١) في مسيره إلى المدينة من مكة لما هاجر اشتاق إليها ، وذكر مولده ومولد آبائه ، فأتاه جبريل ، فقال : أتشتاق إلى بلدك ومولدك ؟ فقال النبي ﷺ : « نعم » ، فقال جبريل : فإن الله يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ يعني إلى مكة ظاهراً عليهم ، فنزلت هذه الآية بالجحفة ، وليست مكية ولا مدنية^(٢) .

ونحو هذا روى الضحاك عن^(٣) ابن عباس في نزول الآية بالجحفة^(٤) .

وروى عكرمة عن ابن عباس ، ويونس عن مجاهد : ﴿ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ إلى مولدك : مكة^(٥) ، وهو قول الضحاك ، واختيار الفراء^(٦) ، وعلى هذا قيل لمكة : معاد ؛ لأن معاد الرجل : بلده ؛ وذلك أنه يتصرف في أسفاره ، ثم يعود إلى بلده^(٧) .

(١) الجحفة : قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، فإن مروا على المدينة فميقاتهم ذو الحليفة . معجم البلدان ١٢٩ / ٢ ، وتوجد اليوم آثارها شرق مدينة رابغ بنحو ٢٢ كم . معجم المعالم الجغرافية ٨٠ .

(٢) تفسير مقاتل ٦٩ ب ، وتأويل مشكل القرآن ٤٢٥ ، ونسبه إلى أبي صالح ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٦ ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٥٤ ب عن مقاتل . ويعني بقوله : ليست مكية ولا مدنية : المكان ، أمّا من ناحية التعريف الاصطلاحي فالراجح أن ما كان قبل الهجرة فهو مكّي ، وإن نزل خارج مكة ، وما كان بعد الهجرة فهو مدني ، وإن نزل خارج المدينة ، والله أعلم . البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٣٩ ، والإتقان في علوم القرآن ١ / ١١ .

(٣) في نسخة (ب) : (عن مجاهد وابن عباس) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٢٦ من قول الضحاك ، وذكره الثعلبي ٨ / ١٥٤ ب عن الضحاك عن ابن عباس .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ١٢٥ عن ابن عباس من طريق عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد من طريق يونس بن عمر ، وهو ابن أبي إسحاق . وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٦ ، ونسبه إلى مجاهد .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣١٣ ، واقتصر عليه أبو القاسم الزجاجي في كتابه : اشتقاق أسماء الله تعالى ٤٣٨ .

(٧) تأويل مشكل القرآن ٤٢٥ .

وذكر الفراء وجهين آخرين ؛ فقال : المعاد هاهنا ، إنها أراد به حيثُ وُلدت ، وليس من العود . قال : وقد يكون أن يجعل قوله : ﴿لَرَأَدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ لمصيرك إلى أن تعود إلى مكة مفتوحة لك^(١) . فالوجه الأول : معنى المعاد : المولد ، وهو قول أحمد بن يحيى . والوجه الثاني : المعاد : مصدر بمعنى العود .

القول الثاني في المعاد أنه الجنة ، وهو قول [أبي سعيد الخدري ، قال : معاده : آخرته الجنة . ورواية السدي عن أبي صالح ، و]^(٢) سعيد بن جبير عن ابن عباس ، ورواية ليث عن مجاهد^(٣) ، وعلى هذا معنى المعاد الموضع الذي يصير إليه . [فكل شيء إليه]^(٤) المصير فهو المعاد .

ومصيره ﷺ في الآخرة إلى الجنة ، فهي معاده .

القول الثالث في المعاد أنه القيامة ، وهو رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قال : يحبك يوم القيامة ، وهو قول الحسن والزهري ، قالوا : معاده : الآخرة^(٥) . واختاره الزجاج ، فقال : أكثر التفسير : لباعثك ، وعلى هذا كلام الناس : اذكر المعاد ؛ أي اذكر مبعثك في الآخرة^(٦) . وذكر فيه قول رابع : ﴿إِلَى مَعَادٍ﴾ : إلى

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٣ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٢٤ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٢٦ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وأخرجه عن السدي من طريق أبي صالح ، وأخرجه عن مجاهد أيضاً . وأخرجه عن ابن عباس ، أبو يعلى الموصلي ٢/ ٣٧٠ ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات . مجمع الزوائد ٧/ ٨٨ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٥) أخرجه عنهما عبد الرزاق ٢/ ٩٤ ، وأخرجه ابن جرير : ٢٠/ ١٢٤ عن عكرمة وعطاء ومجاهد والحسن والزهري ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٢٦ عن ابن عباس من طريق عكرمة ، وعن مجاهد وقتادة .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٥٨ .

الموت ، رواه الأعمش عن بعض أصحابه عن سعيد بن جبير [عن ابن عباس ، وروي ذلك أيضاً عن أبي سعيد الخدري] ^(١) .

وأهل المعاني اختاروا القول الثاني ، وقالوا : المعنى : إنه يعود في النشأة الثانية إلى الجنة .

وتم الكلام عند قوله : ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ ، ثم ابتداء كلاماً آخر ، فقال : ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ﴾ . قال مقاتل : هذا جواب لكفار مكة لما كذبوا محمداً ، وقالوا له : إنك في ضلال ، فأنزل الله : ﴿قُلْ﴾ لهم : ﴿رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ﴾ ، وأنا الذي جئت بالهدى ، وهو أعلم بـ ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ نحن أم أنتم ^(٢) ، وهذا كقوله : ﴿رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ﴾ ^(٣) [مِنْ عِنْدِهِ] ^(٤) ، وقد تقدّم في هذه السورة ^(٥) . و(مَنْ) هاهنا في موضع نصب ، بإسقاط الخافض منه .

٨٦ . وقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ . قال ابن عباس : أن يوحى إليك القرآن ^(٦) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) . وأخرج هذا القول ابن جرير ١٢٥/٢٠ عن ابن عباس وسعيد بن جبير ، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس من طريق الأعمش عن سعيد بن جبير ، وكذا ابن أبي حاتم ٣٠٢٥/٩ عن ابن عباس من طريق الأعمش عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة ومجاهد مثله . وذكره الثعلبي ١١٥٥/٨ عن سعيد بن جبير وابن عباس .

(٢) تفسير مقاتل ١٧٠ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (أ) و(ب) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ب) .

(٥) عند الآية : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنِ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾ [القصص : ٣٧] .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٢٧/٩ عن ابن عباس والحسن .

وقال الكلبي : ما كنت ترجو أن تكون نبياً^(١) .

وقال مقاتل : أن ينزل عليك القرآن ، يذكره النعم^(٢) .

وقوله : ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ . قال ابن عباس : يريد : رحمةً مني سبقت لك ، وأنت في صُلب آدم .

وقال مقاتل : يقول : كان الكتاب رحمة ، يعني : نعمة من ربك ، حين اختُصصت بها يا محمد^(٣) .

قال الفرّاء : هذا من الاستثناء المنقطع ، ومعناه : وما كنت ترجو أن تعلم كتب الأولين وقصصهم ، تلوها على أهل مكة ، ولم تحضرها ولم تشهدّها إلا أن ربك رحمك^(٤) .

﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ : معيناً للكافرين على دينهم^(٥) . قال مقاتل : وذلك حين دُعي أن يرجع إلى دين آبائه ، فذكره الله النعمة ، ونهاه عن مظاهرتهم على ما كانوا عليه ، وأمره بالتحذر منهم بقوله :

٨٧ . ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ : يعني القرآن . ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ : إلى معرفته وتوحيده^(٦) . ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ . قال ابن عباس : هو مخاطبة لأهل دينه^(٧) ، يعني أن هذا الخطاب

(١) تنوير المقياس ٣٣١ .

(٢) تفسير مقاتل ١٧٠ أ .

(٣) تفسير مقاتل ١٧٠ أ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢/٣١٣ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/١٥٨ .

(٦) تفسير مقاتل ١٧٠ أ .

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٢٥١ ، ولم ينسبه .

وإن كان ظاهره له فالمراد به أهل دينه ؛ أي لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم^(١) ، وكذلك قوله :

٨٨. ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ؛ أي لا تعبد معه غيره^(٢) . قال ابن عباس : هذا تخويف للمشركين ، وأما النبي ﷺ فقد عصمه الله من أن يتخذ معه إلهاً [آخر ؛ أي لا تعبد معه غيره . قال ابن عباس :]^(٣) يريد : أنه إذا نُهي عن عبادة غير الله كان ذلك تخويفاً لمن عبد معه غيره . وهذا فائدة النهي عن عبادة غيره بعد أن عُصم عن ذاك ، وحكم له بالنبوة في سابق الحكم .

ثم وحد نفسه ، فقال : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٤) . قال ابن عباس : يريد : إلا ما أريد به وجهه^(٥) ، وهو قول الكلبي ، قال : كل عمل لغيره فهو هالك ، إلا ما كان له^(٦) .

وقال سفيان : إلا ما أريد به وجه الله من الأعمال^(٧) ، وهو اختيار الفراء ، وأنشد قول الشاعر :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

(١) وليس في توجيه الخطاب للنبي ﷺ طعن فيه ، بل في ذلك غاية التحذير من الوقوع في ما نهى عنه ؛ لأنه إذا وجه الخطاب إلى النبي ﷺ بالنهي عن الشرك ، وعبادة غير الله تعالى ، فغيره من باب أولى ، وأنه لا عذر لأحد في ذلك ، والله أعلم .

(٢) تفسير مقاتل ٧٠ أ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (ج) .

(٤) تفسير مقاتل ٧٠ أ .

(٥) ذكره البخاري ، ولم ينسبه ، وصدره بقوله : (ويقال) . فتح الباري ٨ / ٥٠٥ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٢٨ / ٩ عن مجاهد . واقتصر على هذا القول النيسابوري في وضوح البرهان ٢ / ١٥٨ ، ولم ينسبه .

(٦) تنوير المقياس : ٣٣١ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٢٨ / ٩ .

أي إليه أوجه العمل^(١) .

فعلى هذا وجه الله ما وُجِّه إليه من الأعمال ، والمعنى ما ذكره الكلبي .

وقال مقاتل : يقول : كل شيء من الحيوان ميت ، ثم استثنى نفسه بأنه حي لا يموت ، فقال : ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ يعني : إلا هو^(٢) .

ونحو هذا روي عن مجاهد^(٣) . واختاره الزَّجَّاج ، فقال : ومعنى : ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إلا إِيَّاه^(٤) ، وعلى هذا : الوجه صلة في الكلام . وقال ابن كيسان : إلا ملكه^(٥) .

والوجه يجوز أن يكون عبارة عن المُلْك ؛ لأن الوجه من الوجاهة ، والمَلِك من أوجه الناس ، فسمي المَلِك وجهاً . وهذا معنى قول الضحاك في هذه الآية : كل شيء هالك إلا الله ، والجنة ، والنار ، والعرش . والاختيار : القول الأول ، وهو الذي يليق بمعنى الآية^(٦) .

(١) معاني القرآن للقرّاء ٢/ ٣١٤ ، ولم ينسب البيت . وأنشده سيويو ١/ ٣٧ ، ولم ينسبه . وفي الحاشية : البيت من الأبيات الخمسين التي استشهد بها سيويو ، ولا يعرف قائلها . وذكره ابن جرير ٩/ ١٢٧ بعد أن قال : وقال آخرون : معنى ذلك : إلا ما أريد به وجهه ، واستشهدوا لتأويلهم ذلك بقول الشاعر ، فذكر البيت ، ولم ينسبه . وفي الحاشية : وهو شاهد عند النحاة على أن أصله : أستغفر الله من ذنب ، ثم أسقط الجار فاتصل المجرور بالفعل فنصب مفعولاً به . وأنشده ابن جني في الخصائص ٣/ ٢٤٧ ، ولم ينسبه .

(٢) تفسير مقاتل ١٧٠ ، وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١١٢ ، وهذا أقرب إلى ظاهر الآية ، والله أعلم .

(٣) الذي روي عن مجاهد كما سبق : إلا ما أريد به وجهه .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٥٨ . واقتصر عليه ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٥٤ ، ٤٨٠ .

(٥) ذكره البخاري ، ولم ينسبه . الفتح ٨/ ٥٠٥ .

(٦) إن كان المقصود من هذا إنكار صفة الوجه لله - عز وجل - فهذا قول باطل ؛ فالوجه من الصفات التي يجب الإيذان بها مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق . أضواء السان للشنقيطي ٥٧/ ٦ . والقول بأن المراد بالوجه في الآية ما أريد به وجه الله من الأعمال قول صحيح ، لا ينافي القول الأول ؛ =

وقوله: ﴿لَهُ الْخُكْمُ﴾. قال الكلبي: له الحكم في الآخرة^(١)، يعني: له الفصل بين الخلائق دون غيره، ﴿وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ﴾: تردون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم^(٢)، ويقضي بينكم^(٣).

فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه الله - عز وجل - من الأعمال الصالحة المطابقة للشرعية، والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية، وهالكة وزائلة إلا ذاته تعالى، فإنه الأول والآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء. تفسير ابن كثير ٦/ ٢٦٢. لكن لا يجوز أن يفهم من القول الثاني إنكار صفة الوجه؛ وكلام الواحدي يشعر بذلك، حيث قال الواحدي بعد ذكره مؤيداً له: وهو الذي يليق بمعنى الآية. وصرح الواحدي بنفي صفة الوجه في تفسير: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ۖ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] قال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ﴾؛ أي ربك الظاهر بأدلته ظهور الإنسان بوجهه. الوسيط ٤/ ٢٢١. وفي البسيط ذكر القول الذي اقتصر عليه يذكر بمعنى الشيء المعظم، كقوله: هذا وجه القوم، ووجه التدبير؛ أي التدبير المعظم ولا يجوز أن يكون الوجه هاهنا صلة لقوله: ﴿ذُو﴾ بالرفع وهو من صفة الوجه، ولو كان الوجه صلة لقليل: ذي ليكون صفة لقوله ربك. اهـ.

وهذا التعليل الذي ذكره الواحدي وصرف به الآية عن ظاهرها ليس بوجيه؛ فإن ﴿ذُو﴾ صفة للوجه الذي أضيف إلى الله - عز وجل - فعبر بالوجه عن الذات. قال ابن كثير: ٦٢٦١ في تفسير آية القصص: إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق ولا يموت، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۖ ذُو﴾ صفة للوجه الذي أضيف إلى الله عز وجل، فعبر بالوجه عن الذات. قال ابن كثير ٦/ ٢٦١، في تفسير آية القصص: إخبار بأنه الدائم بأنه الدائم الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق ولا يموت، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ۖ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، فعبر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله هاهنا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾؛ أي إلا إياه.

(١) تنوير المقياس ٣٣١.

(٢) تفسير مقاتل ١٧٠.

(٣) في نهاية النسخة (ج) كتب: تم الجزء السابع من كتاب البسيط في التفسير، تصنيف: الإمام الواحدي، ويتلوه الجزء الثامن، سورة العنكبوت، على يد الفقير إلى رحمة ربه: محمد علي محمد الأنصاري، في ربيع الآخر، سنة سبع وستائة. الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد رسوله وصحبه وسلم تسليماً. اهـ.

تفسير

سورة العنكبوت^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢-١ . ﴿الْمَدَّ ١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ﴾ . قال الشعبي : لما نزلت آية الهجرة كتب بها المسلمون إلى إخوانهم بمكة ، فخرجوا حتى إذا كانوا يبيعض الطريق أدركهم المشركون ، فردوهم ، فأنزل الله : ﴿الْمَدَّ ١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ ﴾ عشر آيات من أول السورة^(٢) . وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ، وقال : يريد بالناس الذين آمنوا بمكة : سلمة بن هشام ، وعياش ابن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد ، وعمار بن ياسر ،

(١) سورة العنكبوت مكية ، يقال : نزلت بين مكة والمدينة في طريق النبي ﷺ ، حين هاجر إلى المدينة ، وهي تسع وستون آية . تفسير مقاتل ١٧٠ . وتفسير الثعلبي ٨ / ١٥٥ . وقد ذكر الثعلبي في أولها بإسناده حديث أبي بن كعب - رضي الله عنه - في فضل هذه السورة ، وكذا فعل الواحد في الوسيط ٤١٢ / ٣ ، وهو حديث موضوع سبق الحديث عنه في أول سورة الفرقان .

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٩٥ / ٢ ، وابن جرير ١٢٩ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٣١ / ٩ ، وذكره الثعلبي ١٥٥ / ٨ ، والواحد في أسباب النزول ٣٤٠ .

وياسر بن عامر، وسمية أم عمار^(١)، وعدة من بني مخزوم، وغيرهم

(١) سلمة بن هشام، هو أخو أبي جهل، من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة، فحبسه أخوه وكان النبي ﷺ يدعو له ولعياش بن أبي ربيعة في القنوت، ثم هرب مهاجراً بعد الخندق رضي الله عنه. انظر سير أعلام النبلاء ١/٣١٦، والإصابة في معرفة الصحابة ٣/١٢٠، عياش بن أبي ربيعة، اسم أبيه: عمرو بن المغيرة، وكان عياش من السابقين إلى الإسلام، وهاجر المهاجرين، ثم خدعه أبو جهل فرجع إلى مكة فحبسه، ثم فرّ مع رفيقه؛ الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعاش إلى خلافة عمر رضي الله عنه، فمات سنة خمس عشرة هـ، وقيل: قبل ذلك. وقيل: استشهد في اليمامة، وقيل: اليرموك. انظر فتح الباري ٨/٢٢٧، والإصابة ٥/٤٧، وسير أعلام النبلاء ١/٣١٦.

الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، أخو خالد بن الوليد، سِر مع مَنْ أيسر من المشركين في بدر، ثم أسلم بعد ذلك، فلَمَّا أسلم حبسه أخواله فكان النبي ﷺ يدعو له في القنوت مع غيره من المستضعفين، ثم أفلت من أسرهم ولحق بالنبي ﷺ في عمرة القضية. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١١/٣٤، والإصابة في معرفة الصحابة ٦/٣٢٣.

ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين، حليف لبني مخزوم، يكنى: أبا عمار بابنه عمار بن ياسر، كان قد قدم من اليمن، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي، وزوّجه أبو حذيفة أُمّة له يقال لها: سمية فولدت له عماراً، فأعتقه أبو حذيفة، وجاء الله بالإسلام فأسلم ياسر وابنه عمار وسمية، وعبد الله أخو عمار بن ياسر، وكان إسلامهم قديماً في أول الإسلام، وكانوا ممن يعذب في الله، وقُتل ياسر وسمية وعبد الله وهم يعذبون رضي الله عنهم. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١١/٩٩، والإصابة في معرفة الصحابة ٦/٣٣٢.

وقد ثبت في الصحيح دعاء النبي ﷺ لعياش بن أبي ربيعة، ومن كان معه من المستضعفين في مكة، في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة يقول: «اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف». قال ابن أبي الزناد عن أبيه: هذا كله في الصبح. أخرجه البخاري، كتاب: الاستسقاء، رقم الحديث ١٠٠٦، فتح الباري ٢/٤٩٢، وأخرجه مسلم ١/٤٦٧، في المساجد، رقم ٦٧٥، وفي آخره قال أبو هريرة: ثم رأيت رسول الله ﷺ ترك الدعاء بعد فقلت: أرى رسول الله ﷺ قد ترك الدعاء لهم، قال: فقل: وما تراهم قد قدموا. وفي حاشية صحيح مسلم: وما تراهم قد قدموا، معناه: ماتوا! ولم أجد هذا المعنى في شرح النووي على صحيح مسلم، وهو تعليق غريب، لا يتضح به المعنى المراد، والمعنى الصحيح ما ذكره أبو حاتم محمد بن حبان البستي: الصواب أن اللعن على الكفار والمنافقين في الصلاة غير منسوخ، ولا الدعاء للمسلمين، والدليل على صحة هذا قوله ﷺ في خبر أبي هريرة: «أما تراهم وقد قدموا» تُبين لك هذه اللفظة أنهم لم يولوا أنهم قدموا، ونجاهم الله من أيدي الكفار لأثبت القنوت ﷺ، ودأوم عليه. ابن حبان في الإحسان ٥/٣٢٧، رواية ابن حبان: أما تراهم وقد قدموا. ورواية مسلم: وما تراهم قد قدموا. فكان المعلق فهم من هذه الرواية النفي، والله أعلم.

من قریش^(١) .

روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس في قوله : ﴿الْمَ﴾ قال : إن الله أعلم^(٢) ،
وقال عكرمة : ﴿الْمَ﴾ قسم^(٣) .

واختار الزَّجَّاج قول ابن عباس^(٤) .

وقال في قوله : ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ﴾ : اللفظ لفظ استخبار ، والمعنى معنى تقرير
وتوبيخ ، ومعناه : أحسبوا بمعنى الذين جزعوا من أذى المشركين أن نقنع منهم
بأن يقولوا : إنا مؤمنون فقط ، ولا يمتحنون بما يتبين به حقيقة إيمانهم^(٥) .

وقوله : ﴿أَنْ يُرْكُوا﴾ : (أَنْ) في موضع نصب بحسب .

وقوله : ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ : (أَنْ) في موضع نصب من جهتين ذكرهما الفرَّاء
والزَّجَّاج ؛ أحدهما أن التقدير : ﴿أَنْ يُرْكُوا﴾ لأن يقولوا أو بأن يقولوا ، فلما
حذف حرف الخفض وصل ﴿يُرْكُوا﴾ إلى أن فنصب .

(١) لم أجد هذا القول ، ويوجد قول آخر في سبب النزول ، ذكره مقاتل ٧٠ ب ، قال : نزلت في مهجع بن
عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر ، وهو أول من يدعى
إلى الجنة من شهداء أمة محمد ﷺ ، فجزع عليه أبواه . وذكره عنه الثعلبي ٨ / ١٥٥ ب ، والواحدي في
أسباب النزول ٣٤٠ ، وقال عنه الزيلعي : غريب . تخريج أحاديث الكشف ٣ / ٣٩ ، وساق ما روي
في شأن مهجع رضي الله عنه . ولا تعارض بين هذه الأسباب ؛ فكلها أمثلة لمن حصل لهم البلاء بسبب
إيمانهم . وحكمها باقي . قال ابن عطية : وهذه الآية وإن كانت نازلة بهذا السبب ، وفي هذه الجماعة ،
فهي بمعناها باقية في أمة محمد ﷺ ، موجود حكمها بقية الدهر ؛ وذلك أن الفتنة من الله تعالى باقية في
ثغور المسلمين بالأسر ونكاية العدو ، وغير ذلك .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٢٩ عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبیر وأبي الضحى . وسبق ذكر
رأي الواحدي في الحروف المقطعة والتعليق عليه في أول سورة الشعراء .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٣٠ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٥٩ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٥٩ .

والثانية : أن تجعل ﴿أَحْسِبَ﴾ مكررة عليها . المعنى : ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ أحسبوا^(١) ﴿أَنْ يَقُولُوا أَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢) . قال أبو إسحاق : الأولى أجود^(٣) .

قال أبو علي : إن ترك ، يتعدى إلى مفعول واحد ، فإن بُني للمفعول لم يتعد إلى آخر ، ف ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ لا يتعلق به ولا يتعدى إليه ، حتى يُقدَّر محذوف^(٤) حرف ، ثم يُقدَّر الحرف فيصل الفعل^(٥) .

قوله تعالى : ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ . قال ابن عباس والسدي ومجاهد وقتادة : لا يفتنون في إيمانهم وأموالهم وأنفسهم^(٦) .

قال مقاتل وقتادة : يقول : أحسبوا أن يتركوا على التصديق بتوحيد الله ، وهم لا يبتلون بالقتل وبالتعذيب في الدنيا بقولهم : آمناً^(٧) ، وهم لا يعاملون معاملة المختبر لتظهر الأفعال التي يستحق عليها الجزاء ، ثم أخبر عن فتنة من قبل هذه

(١) (أحسبوا) زيادة من الفراء .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣١٤ / ٢ ، التقدير على هذا القول : ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ أحسب الناس ﴿أَنْ يَقُولُوا أَمْنًا﴾ ، وجملة ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ متعلقة بالخالين : الترك ، والقول ، والله أعلم .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٥٩ / ٤ .

(٤) محذوف من نسخة (ب) .

(٥) الإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني ٢٢١ / ٢ أ . والحرف المقدَّر هو ما سبق ذكره في قول الفراء والزجاج : لأن يقولوا ، أو : بأن يقولوا .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٢٨ / ٢ عن مجاهد وأخرجه عبدالرزاق ٩٦ / ٢ ، وابن جرير ١٢٨ / ٢ عن قتادة بلفظ : (لا يبتلون) ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٣٢ / ٩ عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والربيع بن أنس .

(٧) تفسير مقاتل ٧٠ ب بمعناه . قال ابن قتيبة : ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ؛ أي لا يقتلون ولا يعذبون . غريب القرآن ٣٣٧ .

الأمّة من المؤمنين^(١) بقوله : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ .

٣. ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ : قالوا جميعاً : ابتلينا^(٢) .

قال ابن عباس : منهم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، وقوم كانوا معه ومن بعده نُشروا بالمنشير على دين الله فلم يرجعوا عنه^(٣) .

وقال غيره : يعني بني إسرائيل ، ابتلوا بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب^(٤) .

قوله تعالى : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ . قال مقاتل : يقول : فليرين الله الذين صدقوا في إيمانهم من هذه الأمّة عند البلاء ، فيصبروا لقضاء الله . ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ﴾ يقول : وليرين ﴿الْكَاذِبِينَ﴾^(٥) ، فتنوا عند البلاء والتمحيص ، يعني المنافقين .

(١) تفسير مقاتل ٧٠ ب .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٢٩/٢٠ عن مجاهد وقتادة ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٣٢/٩ عن الضحاك ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعطاء . وتفسير مقاتل ٧٠ ب ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١١٣/٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٧ ، وقال في تأويل مشكل القرآن ٤٧٢ : اخترنا .

(٣) ورد هذا المعنى في حديث مرفوع أخرجه البخاري ، كتاب : مناقب الأنصار ، رقم الحديث ٣٨٥٢ ، فتح الباري ١٦٥/٧ من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه ، قال : أتيت النبي ﷺ ، وهو متوسد بردة ، وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : يا رسول الله ، ألا تدعو الله لنا فقعد وهو محمراً وجهه فقال : «لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ، ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفروق رأسه فيشق باثنتين ، ما يصرفه ذلك عن دينه . وأيئتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله» . زاد بيان : «والذئب على غنمه» . وقول ابن عباس ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٧/٢٨٨ .

(٤) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٧/٢٨٨ ، ولم ينسبه .

(٥) تفسير مقاتل ٧٠ ب .

قال أبو إسحاق: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ﴾ صِدْقُ الصَّادِقِ بِوُقُوعِ صَدَقِهِ مِنْهُ ، وَوُقُوعِ كَذِبِ الْكَاذِبِ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُجَازِي عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ عَلِمَ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمَا ، وَلَكِنْ الْقَصْدُ قَصْدُ وَقُوعِ الْعِلْمِ بِمَا يُجَازِي عَلَيْهِ ^(١) .
يعني أن قوله: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ﴾ جاء بلفظ الاستقبال لحدوث المعلوم ، وهو الصدق والكذب ، وإنما يعلم صدق الصادق كائناً عند حدوثه ، وكذلك كذب الكاذب ، وقد بيَّنَّا هذا بياناً شافياً عند قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣] ^(٢) .

واختار صاحب النظم في قوله: ﴿الَمْ﴾ أن يكون قسمًا ، وجعله واقعاً على قوله: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ ، وجعل قوله: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ﴾ كلاماً معترضاً بين القسم وبين ما هو واقع عليه ، قال: ودلَّ على هذا دخول النون الثقيلة في قوله: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ ، كما تقول: والله لأضربنَّ عمرًا .

فإن قيل: لم دخلت الفاء في قوله: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾؟ قيل: إنه لما يجيء بالجواب لقوله: ﴿الَمْ﴾ ، حتى قال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ صار كأن قوله: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ معطوفاً عليه وجواباً له فقد اشترك قوله: ﴿الَمْ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ في قوله: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ للعطف على معنى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ ؛ وذلك أن الله تعالى لما قال: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ﴾ [العنكبوت: ٢] كان إنكاراً لحسبانهم أنهم لا يفتنون ، وإذا كان إنكاراً ففيه دليل على أنه - عزَّ وجلَّ - أوجب أن يفتنهم ؛ لأنه لا ينكر شيئاً إلا ويوجب ضده ، ثم لما قال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ دلَّ بهذا القول على

(١) معاني القرآن للزجاج ١٦٠/٤ .

(٢) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: والله تعالى عالم لم يزل ، ولا يجوز أن يتحدث له علم ، واختلف أهل المعاني في وجه تأويله ؛ فذهب جماعة إلى أن العلم له منزلتان : علم بالشيء قبل وجوده ، وعلم به بعد وجوده ، والحكم للعلم بعد الوجود ؛ لأنه يوجب الثواب والعقاب ، والمتعبد بالشيء إذا لم يُطع وعصى علمه الله تعالى عاصياً ، وإذا أطاع علمه مطيعاً ، وكان قبل أن أطاع لم يعلمه علماً يستحق به الثواب ، وإن كان في معلوم الباري أنه يطيع فمعنى قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ ؛ أي لنعلم العلم الذي يستحق به العامل الثواب والعقاب .

هذا المعنى من إيجاب الفتنة ، فيكون تأويله : لنفتنهم كما فتنا الذين من قبلهم ، ثم صار قوله : ﴿ فَلْيَعْلَمَنَّ ﴾ معطوفاً على هذا التأويل .

وقال في قوله : ﴿ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ : ليس هذا من الصدق اللازم الذي تأويله : صَدَقَ في قوله ، وهو من الصدق المتعدي الذي يقال عنه : صَدَقَنِي فلانٌ ؛ أي قال لي الصدق ، وكَذَّبَنِي ؛ أي قال لي الكذب ، والمعنى : ﴿ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ الله ما وعدوه ؛ أي ثَمُّوا عليه ووفوا به . ﴿ وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴾ الذين كذبوا الله ما وعدوه . وقال في قوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ : لا يعني بذكر الفتنة إلا من أضمر الإيمان والإسلام دون الكافر ؛ لأن الفتنة تجريب ، كما يفتن الذهب والفضة بالنار إذا أحيا ليظهر صفاؤهما وخبثهما ، والكافر ظاهر خبثه ، فلا حاجة إلى تجريبه بالفتنة . انتهى كلامه .

٤ . قال مقاتل : ثم أوعد كفار العرب فقال : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ يعني الشرك^(١) .

قال ابن عباس : يعني الوليد بن المغيرة ، وأبا جهل ، والأسود ، والعاص بن هشام ، وغيرهم من قبائل شتى^(٢) .

(١) تفسير مقاتل ٧٠ ب . وأخرجه ابن جرير ٢٠ / ١٣٠ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٣٣ عن قتادة . وهو قول الثعلبي ٨ / ١٥٦ أ .

(٢) تنوير المقياس : ٣٣٢ بنحوه .

الأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قتله يوم بدر حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه . انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٣٧٠ .

العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي ، أخو أبي جهل ، قتله يوم بدر عمر بن الخطاب رضي الله عنه . انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٣٦٨ ، والأعلام ٣ / ٢٤٧ .

وقال مقاتل : نزلت في بني عبد شمس ؛ منهم شيبه وعتبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وحنظلة بن أبي سفيان ، وعقبة ابن أبي معيط ، والعاص بن وائل ^(١) .

وقال الكلبي : نزلت في الذين بارزوا علياً وحمزة وعبيدة بن الحارث يوم بدر ، وهم : عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿أَنْ يَسِفُّونَا﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : [أن يفوتونا] ^(٣) ، وقال مجاهد : أن يعجزونا ^(٤) ، والمعنى : أن يفوتونا فوت السابق لغيره ^(٥) .

قال مقاتل : أن يفوتونا بأعمالهم السيئة ، كلا بل نخزيهم بها في الدنيا ، فقتلهم الله ببدر ^(٦) .

قوله تعالى : ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ . قال ابن عباس : بئس ما حكموا لأنفسهم ^(٧) ، وقال أبو إسحاق : موضع ﴿مَا﴾ نصب على : ساء حكماً يحكمون ، كما تقول : نعم رجلاً زيداً ، ويجوز أن يكون رفعاً على معنى : ساء الحكم حكمهم ^(٨) .

(١) تفسير مقاتل ٧٠ ب .

(٢) تنوير المقياس : ٣٣٢ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من النسختين ، ولا يستقيم الكلام من دونه . وهو في تفسير مقاتل ٧٠ ب ، وتنوير المقياس : ٣٣٢ ، وتفسير ابن جرير ١٣٠ / ٢٠ .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٣٠ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٣٣ / ٩ عن مجاهد .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١٦٠ / ٤ ، وتفسير الثعلبي ١٥٦ / ٨ بمعناه .

(٦) تفسير مقاتل ٧٠ ب .

(٧) تنوير المقياس : ٣٣٢ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ١٦٠ / ٤ .

٥. قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ ؛ أي يخاف البعث والحساب ،
 قاله المفسرون^(١) . قال مقاتل : يعني من كان يخشى البعث في الآخرة
 فليعمل لذلك اليوم^(٢) ، كقوله : ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا
 صَالِحًا﴾ [الكهف : ١١٠] .

وقال سعيد بن جبير : من كان يطمع في ثواب الله^(٣) . واختار أبو إسحاق
 هذا القول ، وقال : معناه : من كان يرجو ثواب لقاء الله^(٤) ؛ أي ثواب المصير إلى
 الله . والرجاء على هذا القول معناه : الأمل ، وعلى القول الأول معناه : الخوف .
 ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ . قال ابن عباس : يريد يوم القيامة^(٥) .

وقال صاحب النظم : هذا مقتص من قوله : ﴿ثُمَّ قُضِيَ أَجَلٌ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾
 ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ [الأنعام : ٢] ، والأجل المسمى^(٦) عنده : البعث والقيامة ، ولذلك
 أضاف الأجل إلى نفسه عز وجل .

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . قال ابن عباس : لقولكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما في الدنيا
 العليم به .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٣٤ / ٩ عن سعيد بن جبير والسدي بلفظ : (يخشى) وهو قول أبي عبيدة في
 مجاز القرآن ١١٣ / ٢ ، وقال ابن قتيبة : يخافه . غريب القرآن ٣٣٧ ، وهو قول ابن جرير ١٣٠ / ٢٠ ،
 والثعلبي ١١٥٦ / ٨ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٠ ب .

(٣) تفسير الثعلبي ١١٥٦ / ٨ أنبصه ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٣٤ / ٩ بلفظ : (من كان يخشى) ، ولفظ :
 (البعث في الآخرة) ، ولفظ : (ثواب ربه) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٦٠ / ٤ . وقد رد على من قال بأن معنى الرجاء هنا الخوف ، فقال : فأما من
 قال : إن معناه الخوف ، فالخوف ضد الرجاء ، وليس في الكلام ضد .

(٥) تفسير مقاتل ٧٠ ب .

(٦) المسمى من نسخة (أ) .

٦. قوله : ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ . قال ابن عباس : يريد لمرضاة الله ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ ، وقال مقاتل : يقول : من يعمل الخير فإنما يعمل لنفسه ^(١) .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ : عن أعمالهم وعبادتهم .

٧. قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد ما عملوا في الشرك ، يريد : ليُطِيلَها حتى تصير بمنزلة من لم يعمل . ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا﴾ . قال مقاتل : نجزيهم بإحسانهم ولا نجزيهم بمساوئهم ^(٢) ، والمعنى : لنجزيهم بأحسن أعمالهم ، وهو ما أمرناهم به من الطاعة ^(٣) .

٨. وقوله : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ . قال الأخفش : هو على : ووصيناه بحسن ، وقد تقول العرب : وصيته خيراً ؛ أي وصيته بخير ^(٤) . وقال غيره : هو بمعنى : ألزمناه حسناً ، أو وصيناه أن يفعل حسناً ^(٥) . قال أبو إسحاق : معناه : ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن ^(٦) .

قال المفسرون : نزلت في سعد بن أبي وقاص . واسم أبي وقاص : مالك ، لما هاجر قالت أمه : والله لا يظلني ظل بيت حتى ترجع إلى ما كنت عليه ، فحثَّ الله

(١) تفسير مقاتل ٧٠ ب .

(٢) تفسير مقاتل ٧١ أ .

(٣) تفسير الثعلبي ١٥٦/٨ أ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٦٥٥/٢ .

(٥) قال ابن جرير ١٣١/٢٠ : وقال بعض نحوي الكوفة : معنى ذلك : ووصينا الإنسان أن يفعل حسناً ، ولكن العرب تسقط من الكلام بعضه إذا كان في ما بقي دلالة على ما سقط . وذكر هذا القول الثعلبي ١٥٦/٨ ، ونسبه إلى أهل الكوفة .

(٦) معاني القرآن للزجاج ١٦١/٤ .

سعداً على البر بأمه ، ونهاه أن يطيعها في الشرك ، وهو قوله : ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(١) ؛ أي لتشرك بي شريكاً لا تعلمه لي ، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ ، وقال عطاء عن ابن عباس : نزلت في عياش بن أبي ربيعة ، أخي أبي جهل لأمه ، والقصة في ذلك مشهورة^(٢) .

(١) أخرج سبب نزول هذه الآية مسلم في صحيحه ١٨٧٧/٤ ، كتاب : فضائل الصحابة ، رقم ١٧٤٨ بعد حديث رقم ٢٤١٢ ، وأخرجه أيضاً أبو يعلى الموصلي في مسنده ١١٦/٢ ، رقم ٧٨٢ ، وروى بعضه البخاري في الأدب المفرد ، باب : بر الوالد المشرك ، رقم ٢٤ ، صحيح الأدب المفرد : ٤٠ ، وأخرجه ابن جرير ١٣١/٢٠ عن قتادة . وابن أبي حاتم ٣٠٣٦/٩ عن قتادة ، ومصعب بن سعيد ، وذكره مقاتل ١٧١أ ، والثعلبي ٨/١٥٦ ، وأخرجه الواحدي بإسناده في الوسيط ٣/٤١٤ ، وكذا في أسباب النزول ٣٤٠ ، لكن صدره في أسباب النزول بقوله : قال المفسرون : نزلت في سعد بن أبي وقاص . فلعله يريد بذلك : الاتفاق على نزولها في سعد رضي الله عنه ، والله أعلم .

(٢) ذكر الواحدي هذه القصة في كتابه أسباب النزول ١٦٩ ، عند قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا﴾ [النساء : ٩٢] ، ولم أجدها في تفسيره البسيط ؛ حيث أفاد محقق سورة النساء أن تفسير هذه الآية من القسم المفقود من كتاب البسيط . وذكر هذه القصة الزيلعي في تخريج أحاديث الكشف ، في سورة النساء ١/٣٣٩ ، وفي سورة العنكبوت ٣/٤١ . وملخص هذه القصة أن عياش هاجر مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مترافقين ، حتى نزلا المدينة ، فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام أخواه لأمه . . . فنزلا بعياش ، فقالا له : إن من دين محمد صلة الأرحام ، وبر الوالدين ، وقد تركت أمك لا تطعم ، ولا تأوي بيتاً حتى تراك وهي أشد حُباً لك منا ، فاخرج معنا فاستشار عمر ، فقال : هما يخذعانك ولك عليّ أن أقسم مالي بيني وبينك ، فما زال به حتى أطاعهما وعصى عمر ، فقال عمر : أمّا إذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها ، فإن رابك منها ريب فارجع ، فلمّا انتهوا إلى البيداء ، قال أبو جهل : إن ناقتي قد خلأت فاحملني معك ، قال : نعم ، فنزل ليوطى نفسه وله فأخذه وشداً وثاقه ، ونزلا فجلباه كل واحد منهما مائة جلدة ، وذهبا به إلى أمه ، قالت له : لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد ففتناه فافتن . قال الزيلعي : رواه البزار في مسنده ، ثم ساق سنده ، ثم قال : وكذلك رواه ابن هشام في السيرة ، عن ابن إسحاق بسنده المذكور ومتنه سواء ، ونقله الثعلبي بلفظ المصنف عن مقاتل . وقد ألمح ابن حجر إلى نقد هذه الرواية فقال : أخرجه الثعلبي بغير سند ، والواحدي عن ابن الكلبي ، ورواه الطبري من طريق أسباط عن السدي بتغيير يسير . الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشف ١/٥٣٨ ، ومعنى : خلأت : بركت فلم تقم . تهذيب اللغة (خلا) ٧/٥٧٧ .

ثم أوعد بالمصير إليه ، فقال : ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ؛ أي أخبركم بصلح أعمالكم وسيئها لأجازيكم عليها ؛ لأن فائدة الإخبار هنا : المجازاة عليها ، والمعنى أن طاعة الله في البر بالأم عمل صالح ، [وطاعة الأم بالشرك بالله عن شيء يجازي الله عليها من عمل بأجرها] ^(١) .

٩ . وقوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ . قال مقاتل : لندخلهم مع الصالحين الجنة ^(٢) ، وقال ابن جرير : أي في مدخل الصالحين ، وهو الجنة ^(٣) .

وقال صاحب النظم : تأويله : لندخلهم الجنة في زمرة الصالحين ، وهو من باب الاختصار . والمراد بالصالحين : الأنبياء والأولياء ^(٤) .

١٠ . قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : نزلت في قصة عياش بن أبي ربيعة أسلم وهاجر ، فلما ضرب على الإسلام وعوقب ارتد ورجع إلى الكفر ^(٥) .

(١) ما بين المعقوفين هكذا كتب في النسختين ، ولعل الصواب والله أعلم : وطاعة الأم بالشرك بالله عمل سيئ يجازي الله عليها من عمل بها .

(٢) تفسير مقاتل ٧٠ ب .

(٣) تفسير ابن جرير ١٣٢ / ٢٠ ، وقد ذكره عنه بنصه الثعلبي ١٥٦ / ٨ ب .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٣٧ / ٩ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وذكره بنصه الثعلبي ١٥٦ ب ، ولم ينسبه .

(٥) تفسير مقاتل ٧١ في خبر طويل ، وتنوير المقباس : ٣٣٢ مختصراً . وذكره الثعلبي ١٥٦ / ٨ ب بطوله ، ونسبه إلى مقاتل والكلبي ، وأخرج ابن جرير ١٣٣ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٣٧ / ٩ عن ابن عباس أنها نزلت في قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم ، وقُتل بعض ، قال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمون وأكروها فاستغفروا لهم ، فنزلت : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفَالِغَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء : ٩٧] ، قال : فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية : لا عذر لهم ، فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة ، فنزلت فيهم هذه الآية . قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، غير محمد بن شريك ، وهو ثقة . مجمع الزوائد ١٠ / ٧ . =

وهو معنى قوله : ﴿فَإِذَا أُوْذِيَ فِي اللَّهِ﴾ ، يعني ضُرب إخوته وأمه إيَّاه ليفتنوه عن دينه ، وهو قوله تعالى : ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ .

وقال مقاتل : يقول : جعل عذاب الناس في الدنيا كعذاب الله في الآخرة^(١) .

وقال أبو إسحاق : جزع من عذاب الناس كما يجزع من عذاب الله^(٢) .

وقال صاحب النظم : أي جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه ، فأطاع الناس كما يطيع الله من خاف عذابه ، وفي نزول هذه الآية قول آخر ، قال مجاهد : نزلت في أناس يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم أو أموالهم افتتنوا ، فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة^(٣) ، ونحو هذا قال السدي ومقاتل ، قال : هو المنافق إذا أُوذِيَ في الله رجع عن الدين وكفر^(٤) .

قال أبو إسحاق : وينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذية في الله عز وجل^(٥) .

قوله تعالى : ﴿وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ ابتداء كلام آخر على القول الأول^(٦) ، وهو : إخبار عن المنافقين . قال مقاتل : ثم استأنف : ﴿وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ ، يعني دولة للمؤمنين^(٧) .

وهذا هو الصواب جعل الآية عامة ، أمَّا ما ذكره الواحدي عن ابن عباس ومقاتل من ارتداد عياش ، وجعل نزول الآية فيه ، فهذا ليس بصواب ؛ لما سبق في ترجمة عياش من أنه لم يرتد ، بل صبر على فتنة قومه .

(١) تفسير مقاتل ١٧١ أ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٦١ .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٣٢ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٣٧ / ٩ ، وذكره الثعلبي ١٥٦ ب .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٣٧ / ٩ عن السدي بمعناه . وتفسير مقاتل ٧١ ب بمعناه .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٦١ .

(٦) أي على القول بأنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة .

(٧) تفسير مقاتل ٧١ ب .

وقال ابن عباس : نصر لأولياء الله وأهل طاعته ^(١) .

﴿لَيَقُولَنَّ﴾ : يعني المنافقين للمؤمنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ على عدوكم ^(٢) .
وعلى القول الثاني يتصل قوله : ﴿وَلَكِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ بما سبقه ، وهو اختيار صاحب النظم ، أخرج ﴿مِنْ﴾ موحداً في أول الآية ، وأخرجه مخرج الجمع في قوله : ﴿لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ موحداً مرة على اللفظ ، وجمع مرة على المعنى . وكذلك القراء يختلفون في الوقف عند قوله : ﴿كَذَابَ اللَّهِ﴾ فهو عند نافع تمام ، وعند غيره ليس بتمام ؛ لاتصاله بما قبله ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ : بضائر العالمين وأسرارهم من الإيثار والنفاق ، وغير ذلك ؛ أي لا يخفى عليه كذبهم في ما قالوا : ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ نصركم على عدوكم .

قال صاحب النظم : دلّ بقوله : ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ على أنهم كاذبون في قولهم : ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ .

١١ . وقوله : ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ . قال مقاتل : وليرين الله الذين صدقوا عند البلاء فثبتوا على الإسلام ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ بالشك عند البلاء ^(٤) وترك الإيمان ورجوعهم إلى دينهم الأول . وذكرنا معنى : ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ آنفاً .

(١) في تنوير المقباس : ٣٣٢ : (فتح مكة) .

(٢) تفسير مقاتل ٧١ ب .

(٣) هكذا في النسختين : (لاتصاله بما قبله) ، وهو خطأ ، والصواب : (لاتصاله بما بعده) . قال النحاس : ﴿فَإِذَا أُودِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَابٍ إِلَهُ﴾ عن نافع تم ، قال غيره : والتمام ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ . القطع والائتناف ٥١٩ / ٢ .

(٤) تفسير مقاتل ٧١ ب .

وقال صاحب النظم : دلَّ بهذه الآية أن انقيادهم لمن آذاهم ، وميلهم إليهم ، وترك الصبر على الأذى في الله خروج من الإيمان ، ودخول في الشرك في جملة المنافقين الذين لا يصبرون عند البلاء .

١٢ . وقوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ . قال مجاهد : هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم ، قالوا لهم : لا نُبعث نحن ولا أنتم فاتبعونا ، فإن كان عليكم شيء فهو علينا^(١) ، ونحو هذا قال الكلبي^(٢) .

وقال مقاتل : قال أبو سفيان بن حرب لعمر بن الخطاب ، وعمار ، وخباب ، ومن آمن من قريش : اتبعوا ديننا ملة آبائنا ، ونحن الكفلاء^(٣) بكل تبعة من الله تصيبكم ، فذلك قوله : ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾^(٤) .

قال الأخفش : جزم على الأمر ، كأنهم أمروا أنفسهم^(٥) .

وقال الفراء : هو أمر فيه تأويل جزاء ، كما أن قوله : ﴿لَا يَحِطُّنَّكُمْ﴾ [النمل : ١٨] نهي فيه تأويل الجزاء ، وهو كثير في كلام العرب . قال الشاعر :

فقلت ادعي وأدعُ فإنَّ أُنْدَى لَصَوْتٍ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ

(١) أخرجه ابن جرير ١٣٤ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٣٩ / ٩ عن مجاهد ، وأخرجنا نحوه عن الضحاك .

(٢) تنوير المقباس : ٣٣٣ .

(٣) في نسخة (ب) : (الكفلة) .

(٤) تفسير مقاتل ٧١ ب .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٥٥ .

أراد : ادعي ولاذُع ، كأنه قال : إن دعوتِ دعوتُ^(١) .

وقال صاحب النظم : قال لهم ارجعوا إلى ديننا لنضمن عنكم كل ما يبيئكم من ذلك . وذكر أبو إسحاق نحو ما قال الفراء ، فقال : هو أمرٌ في تأويل الشرط والجزاء . المعنى : إن تتبعوا طريقنا الذي نسلكه في ديننا حملنا خطاياكم ، إن كان فيه إثم فنحن نحتمله^(٢) .

وقال المبرد : ﴿ اتَّبِعُوا ﴾ أمر ، ﴿ وَلَنَحْمِلَ ﴾ معطوف عليه ، وإنما أمروهم ثم عادوا فأمرُوا أنفسهم ، ولا تحذف اللام إلا من الأمر المواجهة وما سوى ذلك فلا بد من اللام ، تقول : قم وليقم زيد^(٣) ، وهذا وجه غير ما ذكره الفراء والزجاج ، وهو أحسن .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ بِحَمِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ معناه : من شيء يخفف عن المحمول عنه العذاب^(٤) . ﴿ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد : إنهم ليعدونهم الباطل .

(١) أنشده سيبويه ٤٥/٣ ، ونسبه إلى الأعشى . وفي الحاشية : لم يرد في ديوانه ، وروي أيضاً للحطيئة ، أو ربيعة بن جشم ، أو دثار بن شيان النمري . وقبله :

تقولُ خليلتي لما اشتكيتنا سيذكرُكنا بنو القرم الهجان

وأنشده الفراء في معاني القرآن ٣١٤/٢ من دون نسبة ، وأنشده الثعلبي ١٥٧/٨ عن الفراء . واستشهد به في الإنصاف ٥٣١/٢ على إعمال حرف الجزم مع الحذف ، ولم ينسبه . وفي الحاشية : محل الاستشهاد من البيت قوله : وأدع ، فإن المؤلف أنشده على لسان الكوفيين على أن الشاعر أراد : ولأدع ، بلام الأمر ، وبجزم الفعل المضارع بحذف الواو ، والضممة قبلها دليل عليها .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٦١/٤ .

(٣) أراد المبرد بقوله : الأمر المواجهة : صيغة الأمر الصريحة الأصلية التي يلزم منها حضور المأمور الموجّه إليه الخطاب ، كقولك : قم يا زيد ، فإن كان الأمر بغيرها كالأمر بالمضارع لزم دخول اللام الدالة على الأمر كقولك : ليقم زيد ، والله أعلم .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٦٢/٤ بنصه .

١٣. ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ﴾. قال مقاتل : أوزارهم التي عملوها ﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وأوزارهم لقولهم للمؤمنين : ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾^(١) ، وهذا كقوله : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥] ، قاله مقاتل وابن عباس ومجاهد^(٢) .

قال قتادة في هذه الآية : من دعا قوماً إلى ضلالة فعليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء^(٣) ، وهو معنى قوله ﷺ : «ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(٤) .

وقوله : ﴿وَلَيْسَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. قال أبو إسحاق : ذلك سؤال توبخ لا سؤال إعلم^(٥) .

(١) تفسير مقاتل ٧١ ب .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٣٥ / ٢٠ عن ابن زيد ، وفيه ذكر آية النحل . وذكره مقاتل ٧١ ب من دون ذكر آية النحل .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٩٦ / ٢ ، وابن أبي حاتم ٣٠٤٠ / ٩ ، وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٣٧ .

(٤) الحديث أخرجه مسلم ٧٠٤ / ٢ ، كتاب : الزكاة ، رقم الحديث ١٠١٧ ، وله قصة ذكرها جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : كنّا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار ، قال : فجاء قوم حفاة عراة مجتافي النهار أو العباء ، متقلدي السيوف ، عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ، ثم خطب فقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] . والآية التي في الحشر : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨] . تصدّق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع برّ من صاع تمره حتى قال : ولو بشق تمره ، قال : فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ، قال : ثم تابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهب ، فقال رسول الله ﷺ : «من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» . وأخرجه مختصر الترمذي ٤٢ / ٥ ، كتاب : العلم ، رقم ٢٦٧٥ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه بسنده الثعلبي ١٥٧ / ٨ ب من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١٦٢ / ٤ .

وقوله: ﴿عَمَّا كَانُوا يَقْرُوتُ﴾ . قال ابن عباس : يقولون على الله الكذب^(١) .

وقال مقاتل : يعني قولهم : نحن الكفلاء بكل تبعة تصيبكم من الله^(٢) .

١٤ . قال ابن عباس : ثم عزى نبيه فأخبره بما ابتلي به النبيون من قبله من قومهم ، فقال : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾ يريد : أقام فيهم يدعوهم إلى الله ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ . روى يوسف بن مهران عن ابن عباس ، قال : بُعث نوح لأربعين سنة ، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وعاش بعد الغرق ستين عاماً ، حتى كثر الناس وفشوا^(٣) .

﴿فَاخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ . قال مقاتل : يعني الماء طغى فوق كل شيء فغرقوا^(٤) .
﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ . قال ابن عباس : مشركون^(٥) . وذكرنا الطوفان في ما تقدم^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٤٠/٩ .

(٢) تفسير مقاتل ٧١ ب .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٤١/٩ من طريق يوسف بن مهران ، وذكره الثعلبي ١٥٧ ب ، وأخرجه من هذا الطريق الحاكم ٥٩٥/٢ ، كتاب : تواريخ المتقدمين ، رقم ٤٠٠٥ ، ولم يتكلم عنه الحاكم ، وسكت عنه الذهبي .

(٤) تفسير مقاتل ٧١ ب . وأخرجه عبدالرزاق ١٠٠/٢ ، وابن جرير ١٣٦/٢٠ عن قتادة . وقال ابن قتيبة : المطر الشديد . غريب القرآن ٣٣٧ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٤٣/٩ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف : ١٣٣] ، إذ تكلم الواحد على معنى الطوفان ، والمراد به في الآية في أربع صفحات ، ومما ذكره قول الرَّجَّاج : الطوفان من كل شيء ما كان كثيراً محيطاً مطيئاً بالجماعة كلها كالغرق الذي يشمل المدن الكثيرة ، يقال له : طوفان .

١٥. ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ : يعني نوحاً من الغرق^(١) . ﴿وَأَصْحَبَ السَّفِينَةِ﴾ : يعني الذين ركبوها معه . ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد تركت السفينة آية لمن بعد نوح^(٢) .

وقال مقاتل والكلبي : يعني عبرة لمن بعدهم من الناس^(٣) ، إن عصوا رسلهم فعلنا بهم مثل ذلك^(٤) .

١٦. ﴿وَإِذْ هَبْنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ . قال الزَّجَّاج : المعنى : وأرسلنا إبراهيم ، عطفاً على نوح^(٥) .

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْتَهُوا﴾ . قال ابن عباس : أطيعوا الله وخافوه ، وقال مقاتل : وحدوا الله واخشوه ﴿ذَلِكَ﴾ يعني : عبادة الله خير لكم من عبادة الأوثان ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ، ولكنكم لا تعلمون^(٦) ، وقال الكلبي : إن كنتم تعلمون أن الله ربكم^(٧) .

١٧. وقوله : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ . قال أبو عبيدة : الأوثان : كل ما كان منحوتاً من خشب أو حجر ، والصنم : ما كان من ذهب أو فضة أو نحاس^(٨) .

(١) تفسير مقاتل ٧١ ب .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٣٦/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٤٣/٩ عن قتادة بنحوه .

(٣) تفسير مقاتل ٧١ ب ، تنوير المقياس ٣٣٣ .

(٤) قال ابن جرير ١٣٦/٢٠ : ولو قيل : معنى ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ : وجعلنا عقوبتنا إياهم آية للعالمين ، وجعل الهاء والألف في قوله : ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ كناية عن العقوبة أو السخط ونحو ذلك ، إذ كان تقدّم ذلك في قوله : ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ كان وجهاً من التأويل .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٦٤/٤ .

(٦) تفسير مقاتل ٧١ ب .

(٧) تنوير المقياس : ٣٣٣ .

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١١٤/٢ بلفظ : (الوثن) : ما كان من حجارة أو جص . وليس فيه ما يتعلق =

وهذا كما قال ابن عباس : يريد الأصنام التي تتخذ من الحجارة^(١) . قوله : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ . قال أبو عبيدة : خلق واختلق ، وخرق واخترق وافترى ، واحد كله^(٢) . وفي هذا قولان للمفسرين ؛ أحدهما أن هذا محمول على الكذب في القول ، وهو قول السدّي ، قال : تقولون إفكاً^(٣) ، يعني : زعمهم أنها آلهة . وروي عن ابن عباس : تقولون كذباً^(٤) .

القول الثاني : إن هذا محمول على الصنع باليد . قال مجاهد : وتصنعون أصناماً بأيديكم فتسمونها آلهة^(٥) . ويكون التقدير على هذا : وتخلقون ما تأفكون عنه بزعمكم أنه إله ، والخلق يكون بمعنى : التقدير^(٦) ، وقد ذكرناه^(٧) .

بالصنم ، وما ذكره أبو عبيدة في المجاز ذكره ابن قتيبة بنصبه في غريب القرآن ٣٣٧ ، ولم ينسبه . وقد تبعت الآيات التي وردت فيها كلمة : أصنام ، فلم أجد أبا عبيدة تكلم عن هذه المسألة في كتابه المجاز . وقريب مما ذكر الواحدي عن الأزهرى ، قال : وقال شير في ما قرأت بخطه : أصل الأمثال عند العرب : كل تمثال من خشب ، أو حجارة ، أو ذهب ، أو فضة ، أو نحاس ، ونحوها . تهذيب اللغة (وثن) ١٤٤ / ١٥ .

- (١) أخرجه ابن جرير ١٣٧ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٤٣ / ٩ عن قتادة بلفظ : (أصناماً) .
- (٢) في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١١٤ / ٢ : مجازه : تخلقون وتفترتون . ولم أجد عند الأزهرى ، مادة : خلق .
- (٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٤٤ / ٩ .
- (٤) أخرجه ابن جرير ١٣٧ / ٢٠ ، وهو قول ابن قتيبة ، قال : تخرصون كذباً . تأويل مشكل القرآن ٥٠٦ ، وفي غريب القرآن ٣٣٧ ، قال : تخلقون كذباً .
- (٥) ذكره الثعلبي ١٥٧ / ٨ ب نصه عن مجاهد ، وأخرج نحوه ابن جرير ١٣٧ / ٢٠ عن ابن عباس من طريق عطاء . ولم أجد فيه القول الذي نسبته إلى مجاهد ، لكن أخرج ابن جرير ١٣٧ / ٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٤٤ / ٩ عنه : تقولون كذباً .

(٦) وبهذا المعنى فسر الآية ابن الأنباري ، فقال : والخلق : التقدير ، قال الله جل اسمه : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ ؛ أي تقدرون كذباً . الزاهر في معاني كلمات الناس ٨٨ / ١ ، والأضداد ١٥٩ .

(٧) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون : ١٤] : أي المصورين المقدرين ، والخلق في اللغة : التقدير ، والعرب تقول : قدرت الأديم وخلقته ، إذا قيسته لتقطع منه مزادة ، أو قرية ، أو خفأ .

وقال الكلبي : جعلتم بأيديكم من العيدان والحجارة إفكاً^(١) .

وقال قتادة : تصنعون أصناماً وتنحتونها^(٢) .

وقال الحسن : وتنحتون إفكاً^(٣) .

وقال مقاتل : تعملونها بأيديكم ، ثم تزعمون أنها آلهة كذباً^(٤) .

قال أبو إسحاق : ويكون التأويل على هذا القول : إنها تعبدون من دون الله أو ثنائاً وأنتم تصنعونها^(٥) .

١٩ . وقوله : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ : يعني الكفار . قال مقاتل : ألم تعلم كفار مكة^(٦) .

ومن قرأ بالتاء فهو خطاب لهم ، ويدل عليه ما تقدّم من الخطاب^(٧) . وقوله : ﴿كَيْفَ يُبَدِّئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ . قال ابن عباس : عند الميلاد . قال مقاتل : خلق الإنسان من نطفة ، ثم من علقه ، ثم من مضغة ، فذكر اختلاف أحوال الخلق^(٨) .

(١) تنوير المقياس : ٣٣٣ بمعناه .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٣٧/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٤٤/٩ عن ابن عباس و قتادة .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٩٦/٢ .

(٤) تفسير مقاتل ٧١ ب .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١٦٥/٤ .

(٦) تفسير مقاتل ١٧٢ أ .

(٧) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالياء ، وقرأ حمزة والكسائي بالتاء . انظر السبعة في القراءات ٤٩٨ ، والحجة للقراء السبعة ٤٢٦/٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٨٢/٢ ، والنشر في القراءات العشر : ٣٤٣/٢ .

(٨) تفسير مقاتل ١٧٢ أ ، ويعني بقوله : فذكر اختلاف الخلق ، أن مقاتل ذكر بقية الأطوار التي يمر بها الإنسان في حياته ، قال : . . . ثم من مضغة ، ثم عظماً ، ثم لحماً ، ولم يكونوا شيئاً ، ثم هلكوا ، ثم يعيدهم الله في الآخرة .

وقوله : ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ . قالوا : يعني في الآخرة عند البعث ^(١) .

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ . قال ابن عباس : يريد الخلق الأول ، والخلق الآخر ^(٢) .

٢٠ . قوله : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ . قال ابن عباس : يريد : هل تجدون في ما تبحثون من البلاد وتسيرون خالقاً غيري ، والمعنى على هذا سيروا لتعلموا أن الذي بدأ الخلق هو الله لا خالق غيره ، فإذا أقرروا بابتداء الخلق وعلموا أن ذلك من الله ، لزمتهم الحجة في الإعادة .

وقال مقاتل : ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ يعني خلق السموات والأرض وما فيهما من الخلق ^(٣) ، والمعنى على هذا أنهم إذا ساروا رأوا من مخلوقات الله ومصنوعاته ما يدلهم على قدرته ، فيستدلون بذلك على أن مَنْ بدأ خلقها قادر على الإعادة بعد الإهلاك .

قال مقاتل : وذلك لأنهم يعلمون أن الله خلق الأشياء كلها ^(٤) .

(١) يعني بـ : قالوا : ابن عباس ، ومقاتل ، لتقدم ذكرهما . وقول مقاتل في تفسيره ١٧٢ . وأخرجه ابن جرير

١٣٩/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٤٥/٩ عن قتادة ، ولم أجده لابن عباس إلا في تنوير المقباس : ٣٣٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٤٥/٩ بلفظ : (يعني : هينا) .

(٣) تفسير مقاتل ١٧٢ .

(٤) تفسير مقاتل ١٧٢ .

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾؛ أي ثم الله الذي خلقها وبدأ خلقها يُنشئها نشأة ثانية^(١). وأكثر القراء: ﴿النَّشْأَةَ﴾ بالقصر، وقرأ أبو عمرو بالمد^(٢)، والأحسن القصر، يقال: نَشَأَ يَنْشَأُ نَشْأً ونَشْأَةً، ولم يذكر أبو زيد وأبو عبيدة المد^(٣)، وذكره الفراء، فقال: هو كما تقول العرب: الرأفة والرأفة، والكأبة والكأبة، كلُّ صواب^(٤).

٢٢. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: اختلفوا في تقدير الآية على وجهين، فقال الفراء: يقول القائل: كيف وصفهم بأنهم لا يُعجزون في الأرض ولا في السماء، وليسوا من أهل السماء؟ فالمعنى والله أعلم: ما أنتم^(٥) بمعجزين في الأرض، ولا مَنْ في السماء بمعجز، وهو من غامض العربية؛ للضمير الذي لم يظهر في الثاني، ومنه قول حسان:

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ ويمدحُه وينصرُه سواء^(٦)

أراد: ومن يمدحه ومن ينصره فأضمر.

(١) تفسير مقاتل ١٧٢ بمعناه.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (النَّشْأَةُ) ممدودة في كل القرآن، وقرأ الباقر بالقصر. انظر السبعة في القراءات ٤٩٨، والحجة للقراء السبعة ٥/٤٢٧، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/١٨٣، والنشر في القراءات العشر ٢/٣٤٣.

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/٤٢٧ بتصرف.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٣١٥.

(٥) أنتم غير موجودة في نسخة (أ) و(ب).

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٣١٥، ونسب البيت إلى حسان، وعن الفراء أنشد ابن جرير ٢٠/١٤٠، وهو في ديوانه ٩ من قصيدة له في مدح النبي ﷺ قبل فتح مكة بلفظ: (فمن يهجو).

ومثله في الكلام : أكرم من أتك ، وأتى أباك ، يعني : وأكرم من أتى أباك^(١) . وهذا موافق لتفسير ابن عباس والكلبي . قال ابن عباس : يريد : لا يُعجزني أحدٌ من أهل الأرض ، ولا من أهل السماء^(٢) ، وقال الكلبي : يقول : وما أنتم بسابقي في الأرض هرباً ، ولا أحدٌ من أهل السماء سابقي^(٣) ، وهذا وجه .

والوجه الثاني : قال قطرب : معناه : ولا في السماء لو كنتم فيها ، كقوله : ما يفوتني فلان بالبصرة ، ولا هاهنا في بلدي ، يعني : ولا بالبصرة لو صار إليها^(٤) . وهذا الوجه موافق لتفسير مقاتل ؛ فإنه يقول في معنى الآية : وما أنتم يا كفارٌ سابقي الله فتفوتونه ، في الأرض كنتم ، أو في السماء كنتم ، أينما تكونوا حتى يجزيكم بأعمالكم السيئة^(٥) .

وذكر أبو إسحاق القولين موجزاً ، فقال : معناه : ما أنتم بمعجزين في الأرض ، ولا أهل السماء بمعجزين . ويجوز : وما أنتم بمعجزين في الأرض ، لا ولو كنتم في السماء ؛ أي لا ملجأ من الله إلا إليه^(٦) . ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يمنعكم مني ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ ينصركم من عذابي ، قاله ابن عباس^(٧) .

٢٣ . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ : بالقرآن والبعث بعد الموت . ﴿أُولَٰئِكَ يَسْأَلُونَ مِن رَّحْمَتِي﴾ : يعني من جنتي ، قاله ابن عباس والكلبي

(١) معاني القرآن للقرآء ٢/ ٣١٥ ، ونحوه عند ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢١٧ ، وغريب القرآن ٣٣٨ .

(٢) أخرجه نحوه ابن جرير ٢٠/ ١٣٩ ، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٤٧ عن ابن زيد .

(٣) تنوير المقياس : ٣٣٣ ، مثل قول ابن عباس .

(٤) ذكره عن قطرب ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٦٦ ، وهو قول الأخفش ، قال : أي لا تعجزوننا هرباً في الأرض ولا في السماء . معاني القرآن ٢/ ٦٥٦ .

(٥) تفسير مقاتل ١٧٢ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٦٥ .

(٧) تنوير المقياس ٣٣٤ بنحوه .

ومقاتل^(١). وهذه الآيات معترضة في قصة إبراهيم؛ تذكيراً لأهل مكة وتحذيراً، ثم عاد الكلام إلى قصة إبراهيم^(٢)، وهو قوله:

٢٤. ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾: يعني حين دعاهم إلى الله، ونهاهم عن عبادة الأصنام^(٣) ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾، وهذا تسفيه لرأيهم، وتجهيل لأحلامهم حين أجابوا مَنْ احتج عليهم بأن يُقتل أو يُحرق^(٤).

قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾. قال ابن عباس: يريد: ففعلوا فأنجاه الله^(٥). ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾؛ أي في إنجاء الله إبراهيم من النار حتى لا تحرقه بعد ما ألقى فيها ﴿لَا يَبْتَغِي لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بتوحيد الله وقدرته^(٦).

٢٥. ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم لقومه: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾: اختلف القراء في هذه الآية، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: (مَوَدَّةً) بالرفع ﴿بَيْنِكُمْ﴾^(٧)، ولهذه القراءة ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يجعل ما اسم إن، ويضمّر ذكرٌ ما يعود إلى ما، فيكون التقدير: إن الذين اتخذتموهم من دون الله ﴿أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ فتصير (مَوَدَّةً) خبر إن، وتجعل المودة: ما اتخذوا على الاتساع؛ لأنها كانت سبب مودتهم، أو يقدر المضاف على تقدير: إن الذين اتخذتموهم أوثاناً ذوو مودة بينكم.

(١) تفسير مقاتل ١٧٢، وتنوير المقياس ٣٣٤.

(٢) تفسير ابن جرير ١٤٠/٢٠ بمعناه.

(٣) تفسير مقاتل ١٧٢.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٦٦/٤ بمعناه.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٤٨/٩ بمعناه.

(٦) تفسير مقاتل ١٧٢.

(٧) السبعة في القراءات ٤٩٨، والحجة للقراء السبعة ٤٢٨/٥، والنشر في القراءات العشر ٣٤٣/٢.

الوجه الثاني : أن يضم هو ، ويجعل (مَوَدَّةٌ بَيْنَكُمْ) خبراً عنه ، والجملة في خبر إن . هذا قول أبي علي^(١) ، وذكر الزَّجَّاج هذين الوجهين ، فقال : من رفع (مَوَدَّةٌ) فمن وجهين ؛ أحدهما : أن تكون (مَا) في معنى الذي ، ويكون المعنى : إن ما اتخذتموه من دون الله أوثاناً مودةً بينكم ، فتكون (مَوَدَّةٌ) خبر إن ، قال : ويجوز أن ترفع (مَوَدَّةٌ) على إضمار هي ، كأنه قال : تلك مودةً بينكم في الحياة الدنيا ؛ أي أَلْفُتُمْ واجتماعكم على الأصنام مودةً بينكم في الحياة الدنيا^(٢) .

الوجه الثالث : ذكره الفراء ، فقال : من رفع ، فإنما يرفع بالصفة بقوله : ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ، وينقطع الكلام عند قوله : (أَوْثَاناً)^(٣) . وعلى هذا (مَوَدَّةٌ) رُفِعَ بالابتداء ، وخبره (في) الظرف ، والمعنى : إنها مودةٌ ما بينكم في الحياة الدنيا ثم تنقطع^(٤) .

قال أبو علي : وإضافة المودة إلى بينكم اتساع في الظرف ؛ لأنه جعل اسماً بالإضافة إليه ، ومثل ذلك قراءة من قرأ : ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام : ٩٤]^(٥) . قال الشاعر :

صلاةٌ ورُسٍ وسطها قد تفلَّقا^(٦)

- (١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٨ .
- (٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٦٧ .
- (٣) معاني القرآن للقراء ٢/ ٣١٦ .
- (٤) معاني القرآن للقراء ٢/ ٣١٦ ، من قوله : إنها مودة بينكم .
- (٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٩ ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وحمزة : ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ رفعاً ، وقرأ نافع والكسائي : ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ نصباً . انظر السبعة في القراءات ٢٦٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ١٦٤ ، والنشر في القراءات العشر : ٢/ ٢٦٠ .
- (٦) أنشد أبو علي من دون نسبة في الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٢٩ ، وأنشده كاملاً ، ونسبه إلى الفرزدق أبو زيد في النوادر ١٦٣ ، وابن جني في الخصائص ٢/ ٣٦٩ ، وصدره :

أنته بمعلوم كأن جيبه

= وفي حاشية الخصائص : المعلوم : المخلوق ، أراد به هن المرأة ، والصلاة : مدق الطبيب ، والورس :

وقرأ عاصم في بعض الروايات : (مَوَدَّةٌ) بالرفع والتنوين (بَيْنُكُمْ) نصباً^(١) .
 ووجه هذه القراءة : الوجهان^(٢) ذكرهما الزَّجَّاج وأبو علي في القراءة الأولى ،
 و(بَيْنُكُمْ) منصوب على الظرف ، والعامل فيه المودة^(٣) .

وقرأ حمزة : (مَوَدَّةٌ) نصباً من غير تنوين (بَيْنُكُمْ) خفضاً^(٤) ، جعل (مَا) مع
 (إِنْ) كافة ، ولم يجعلها بمعنى الذي ، ونصب (مَوَدَّةٌ) على أنه مفعول له ؛ أي
 اتخذتم الأوثان للمودة ، ثم أضافها إلى (بَيْنُكُمْ) كما أضاف مَنْ رفع^(٥) .

وقرأ نافع وابن عامر : (مَوَدَّةٌ) بالنصب والتنوين (بَيْنُكُمْ) بالنصب^(٦) ، وهذه
 القراءة كقراءة حمزة في المعنى ، إلا إنه لم يُضَف المودة إلى (بَيْنُكُمْ) ، فلما لم يَضَف
 نَوْنٌ ، وانتصب (بَيْنُكُمْ) على الظرف^(٧) .

نبت أصفر . وعند أبي زيد : بمعلوم ، وصلاية . والشاهد فيه : إخراج : وسط ، عن الظرفية . قال
 البغدادى في الخزانة ٩٢ / ٣ : فوسطها مرفوع على أنه مبتدأ ، وجملة : قد تفلق خبره . لم أجده في ديوان
 الفرزدق .

(١) قرأ عاصم في رواية أبي بكر : ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ ، ورواية الأعشى عن أبي بكر : ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ .
 انظر السبعة في القراءات ٤٩٩ ، والحجة للقراء السبعة ٤٢٨ / ٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها
 ١٨٤ / ٢ .

(٢) لعل بعد هذه الكلمة سقطت كلمة (اللذان) ؛ ليستقيم الكلام بها .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٦٧ / ٤ ، والحجة للقراء السبعة ٤٢٨ / ٥ .

(٤) قرأ بها حمزة وعاصم في رواية حفص . انظر السبعة في القراءات ٤٩٩ ، والحجة للقراء السبعة
 ٤٢٩ / ٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٨٤ / ٢ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٤٢٩ / ٥ .

(٦) السبعة في القراءات ٤٩٩ ، والحجة للقراء السبعة ٤٢٨ / ٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها
 ١٨٤ / ٢ .

(٧) الحجة للقراء السبعة ٤٢٩ / ٥ .

قال المفسرون : يقول إنكم جعلتم الأوثان تتحابون على عبادتها ، وتتواصلون عليها في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾^(١) ، وقال مقاتل : بين الأتباع والقادة مودة على عبادة الأصنام ، ثم إذا كان ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ، ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ ويلعن الأتباع القادة ؛ لأنهم زينوا لهم الكفر ، ﴿وَمَأْوَانُكُمْ﴾ ومصيركم جميعاً ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ من مانعين من النار^(٢) .

٢٦ . قوله : ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : فصدق بإبراهيم لوط ، وهو ابن أخيه ، وهو أول من آمن به ، رأى أن النار لم تضربه^(٣) . ومعنى ﴿فَأَمَّنَ لَهُ﴾ ؛ أي لأجله ، ولأجل ما أتى به من البرهان والحجة . ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم^(٤) ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ . قال قتادة وابن عباس ومقاتل : هاجر من كوثى إلى الشام^(٥) ، وقال الكلبي : هاجر من أرض حرّان إلى فلسطين ، هجر قومه المشركين ، وخرج من بينهم ، وهو أول من هاجر الكفر وأهله وأرضه^(٦) .

(١) تفسير الثعلبي ٨/١٥٨ ب .

(٢) تفسير مقاتل ٧٢ ب .

(٣) تفسير مقاتل ٧٢ ب ، وتفسير الثعلبي ٨/١٥٨ ب ، ولم ينسبه . وأخرجه ابن جرير ٢٠/١٤٢ ، وابن أبي حاتم ٩/٣٠٥٠ عن ابن عباس بلفظ : (صدق لوط) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/٣٠٥٠ عن ابن عباس ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/١٤٣ عن الضحاك . وتفسير مقاتل ٧٢ ب ، ومعاني القرآن للقرّاء ٢/٣١٦ ، وتفسير الثعلبي ٨/١٥٨ ب .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠/١٤٢ ، وابن أبي حاتم ٩/٣٠٥٠ عن قتادة ، وزاد ابن أبي حاتم : من كوثى ، وهي من سواء الكوفة . وتفسير مقاتل ٧٢ ب . كوثى : قرية في العراق ، في أرض بابل . وتطلق ويراد بها مكة ؛ وذلك أن منزل بني عبد الدار يقال له : كوثى . تهذيب اللغة (كوث) ١٠/٣٤٠ ، معجم البلدان ٤/٥٥٣ ، وهي معروفة الآن بالاسم نفسه شمال بغداد بنحو ١٠٠ كم .

(٦) تنوير المقياس : ٣٣٤ ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/١٤٣ عن ابن جرير ، وذكره الثعلبي ٨/١٥٨ ب من دون نسبة ، وهو قول القرّاء : من حرّان إلى فلسطين . معاني القرآن ٢/٣١٦ ، حرّان : مدينة عظيمة مشهورة ، وهي على طريق الموصل والشام . معجم البلدان ٢/٢٧١ ، وهي في أقصى شمال شرق سورية حالياً .

قال مقاتل : قوله : ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ يعني : إلى رضى ربي ^(١) ، والمعنى : إلى حيث أمرني ربي .

٢٧ . ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ . قال ابن عباس : من بعد إسماعيل ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ من بعد إسحاق ^(٢) ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ ؛ وذلك أن الله - عز وجل - لم يبعث نبياً من بعد إبراهيم إلا من صلبه .

﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِجَبْرِهِ فِي الدُّنْيَا﴾ . قال : يريد أن أهل الأديان كلهم يتحلون حُبه ^(٣) ، ويتولونه ، وهذا قول قتادة ومقاتل . قال قتادة : وليس من أهل دين إلا وهم يتولونه ^(٤) .

وقال مقاتل : يعني الثناء الحسن ، والقالة الحسنة من أهل الأديان كلها ^(٥) .
وقال الكلبي : هو ما أُعطي من الولد الطيب ، والثناء الحسن ^(٦) .
وقال السدي : أرى مكانه في الجنة ^(٧) .

وقال الحسن : أجره في الدنيا : نيته الصالحة التي اكتسب بها الأجر في الآخرة ^(٨) ، وعلى هذا يكون التقدير : وآتيناه سبب أجره .

(١) تفسير مقاتل ٧٢ ب .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٤٣/٢٠ .

(٣) أي يدعون حُبه . تهذيب اللغة (نحل) ٦٥/٥ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٩٦/٢ ، وابن جرير ١٤٤/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٥٢/٩ .

(٥) تفسير مقاتل ٧٢ ب . وذكر نحوه الفراء في معاني القرآن ٣١٦/٢ .

(٦) تنوير المقباس ٣٣٤ ، وأخرجه ابن جرير ١٤٤/٢٠ عن ابن عباس ، وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٣٨ ، ولم ينسبه .

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٨/٦ عن السدي .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٥٣/٩ .

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ : هذه الآية كالأية في آخر (سورة النحل) ، في ذكر إبراهيم : ﴿وَأَيَّتَنَّهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١) . قال ابن عباس : يريد : مثل : آدم ونوح^(٢) ، يعني أنه في درجتها ؛ لأن الله تعالى استخرج^(٣) الذرية الطيبة كما استخرج منهما .

قال صاحب النظم : لما قال : ﴿وَأَيَّتَنَّهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا﴾ لم يُؤْمَنَ أن يقال : إنه قد أخذ أجره في الدنيا ، ولا خلاق له في الآخرة ، فأعلم - عز وجل - أن له مع ما أُعطي في الدنيا الدرجات العلى بقوله : ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ اقتصاصاً من قوله : ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه : ٧٥] .

٢٨ . قوله تعالى : ﴿وَلُوطًا﴾ . قال مقاتل : وأرسلنا لوطاً^(٤) . والآية مفسرة في سورة الأعراف^(٥) .

-
- (١) قال مقاتل عند هذه الآية : نظيرها في النحل . تفسير مقاتل ٧٢ ب .
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٥٣ / ٩ عنه بلفظ : (الصالحين : الأنبياء والمؤمنين) .
- (٣) هكذا في نسخة (أ) و (ب) . ولو زيدت : منه ، لكان أوضح ، فيكون الكلام : لأن الله تعالى استخرج منه الذرية الطيبة .
- (٤) تفسير مقاتل ٧٢ ب .
- (٥) الآية رقم : ٨٠ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَنَاجَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ . قال الواحدي : قوله تعالى : ﴿وَلُوطًا﴾ ذكر القراء في كتاب المصادر اشتقاق هذا الاسم ، وأنكر عليه أبو إسحاق ، وقال : الاسم الأعجمي لا يقال : إنه مشتق كإسحاق ، لا يقال : إنه مشتق من السحق ، وكتاب الله تعالى لا ينبغي أن يقدم على تأويله إلا برواية صحيحة ، أو حجة واضحة . وقال النحويون : إنما صرف لوط فالحقيقة أنه على ثلاثة أحرف ساكن الأوسط . وقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَنَاجَةَ﴾ يعني : إتيان الذكران في قول جميع المفسرين . ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ قالوا : ما نزل ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط . قال الزجاج : وفي هذه الآية دليل على أن فاحشة اللواط لم يفعلها أحد قبل قوم لوط .

٢٩. وقوله: ﴿وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ﴾. قال ابن عباس: يريد: الطريق على المار^(١).

وقال مقاتل: وذلك أنهم يرمون ابن السبيل الحجارة بالخذف^(٢) فيقطعون سبيل المسافرين^(٣).

قال ابن زيد في ذلك: إنهم كانوا يفعلون ذلك لمن مرَّ بهم من المسافرين، ومن ورد عليهم من الغرباء^(٤).

قال ابن عباس: فلما فعلوا المنكر ترك الناس المرَّ بهم، روي عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: «أن قوم لوط كانوا يجلسون في مجالسهم، وعند كل رجل منهم قصعة^(٥) فيها حصى، فإذا مرَّ بهم عابر سبيل خذفوه، فأيم أصابه كان أولى به»^(٦).

(١) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٨/٦.

(٢) الخذف (بالحاء المعجمة): الرمي بالحصى الصغار بأطراف الأصابع، يقال: خذفه بالحصى خذفاً. والخذف (بالحاء المهملة): الرمي عن جانب، تقول العرب: خذفه بالعصا، إذا رماه بها. تهذيب اللغة (خذف) ٤٦٨/٤ بالحاء المهملة.

(٣) تفسير مقاتل ٧٢ ب. وأخرج أن المراد به الخذف، ابن جرير ١٤٥/٢٠ عن عكرمة والسدي.

(٤) أخرجه ابن جرير ١٤٥/٢٠، وابن أبي حاتم ٣٠٥٤/٩.

(٥) القصعة: وعاء يؤكل فيه ويشرد، وكان يتخذ من الخشب غالباً، يشبع العشرة، والجمع: قصاع، وقصع. لسان العرب (قصع) ٢٧٤/٨، والمعجم الوسيط ٧٤٠/٢.

(٦) أخرجه الثعلبي ١٥٨/٨ ب من طريق زياد بن أبي زياد يحدث عن معاوية يرفعه. وزياد بن أبي زياد الجصاص أبو محمد الواسطي، من الطبقة الصغرى من التابعين الذين رأوا الواحد والاثنين من الصحابة، ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة. تقريب التهذيب، المقدمة ٨٢، وترجمة زياد في: ٣٤٥، ثم قال عنه ابن حجر: ضعيف، وترجم له ابن عدي في الكامل ١٠٤٥/٣، وصدر ترجمته بقوله: متروك الحديث، ولذا صدره البغوي في تفسيره ٢٤٠/٦، ب: يروى.

وقال الفراء في قوله: ﴿وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ﴾: قطعه أنهم كانوا يعترضون الناس من الطرق لعملهم الخبيث^(١)، وحكى الزجاج قولاً آخر، فقال: جاء في التفسير: وتقطعون سبيل الولد^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾: النادي: المجلس^(٣)، ذكرنا تفسيره عند قوله: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]^(٤). قال ابن عباس: استمكنت الفاحشة فيهم حتى فعل بعضهم ببعض في المجالس^(٥).

وقال مجاهد: المنكر: إتيانهم الرجال^(٦).

وقال القاسم بن محمد: هو الضراط، كانوا يتضارطون في مجالسهم^(٧).

-
- (١) معاني القرآن للفراء ٣١٦/٢.
- (٢) معاني القرآن للزجاج ١٦٨/٤، وذكره الفراء ٣١٦/٢، ولم ينسبها.
- (٣) معاني القرآن للفراء ٣١٦/٢، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨، ولم ينسبها.
- (٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: الندي: فعيل بمعنى الفاعل، وهو المجلس، وكذلك النادي، يقال: ندوت القوم أندوهم ندواً إذا جمعتهم، ويقال للموضع الذي يجتمعون فيه: النادي، والنادي لا يسمى نادياً حتى يكون فيه أهله، وإذا تفرقوا لا يكون نادياً، ومن هذا قوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، ولذلك سُميت دار الندوة بمكة، كانوا إذا حزبهام أمر ندوا إليها فاجتمعوا للتشاور.
- (٥) أخرجه ابن جرير ١٤٦/٢٠، وابن أبي حاتم ٣٠٥٤/٩ بلفظ: ﴿فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ يقول: في مجالسكم.
- (٦) أخرجه ابن جرير ١٤٦/٢٠، وابن أبي حاتم ٣٠٥٥/٩، وذكره الثعلبي ١١٥٩/٨.
- (٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٥٥/٩، والثعلبي ١١٥٩/٨ عن القاسم بن محمد، وأخرجه ابن جرير ١٤٥/٢٠، وابن أبي حاتم ٣٠٥٤/٩ عن عائشة - رضي الله عنها - من طريق عروة بن الزبير.

وروي أن أم هانئ سألت رسول الله ﷺ عن المنكر الذي كانوا يأتونه في ناديم ، فقال : « كانوا يخذفون أهل الطرق ، ويسخرون بهم ، فذلك المنكر »^(١) .

وهو قول مقاتل في تفسير المنكر ، يعني : الخذف بالحجارة^(٢) .

قال ابن قتيبة : المنكر : مجمع الفواحش من القول والفعل^(٣) .

وقال أبو إسحاق : أعلم الله - عز وجل - أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكر ، ولا يجتمعوا إلا في ما قرب إلى الله عز وجل ، وباعد من سخطه ، وأن لا يجتمعوا على الهزء والتلهي^(٤) . فلما أنكر لوط على قومه ما كانوا يأتونه من القبائح قالوا له استهزاء : ﴿ أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ أن العذاب نازل بنا^(٥) ؛ وذلك أنه توعدهم بالعذاب إن لم يؤمنوا ، فعند ذلك :

(١) أخرجه ابن جرير ١٤٥/٢٠ من ثلاثة طرق عن سمالك بن حرب ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ ، أنها سألت رسول الله ﷺ ، عن هذه الآية ، فقال : « كانوا يخذفون أهل الطريق ويسخرون منهم » . وابن أبي حاتم ٣٠٥٤/٩ من الطريق نفسه . وأخرجه من الطريق نفسه الثعلبي ١٥٨/٨ ، وأخرجه الحاكم ٤٤٤/٢ ، كتاب : التفسير ، رقم ٣٥٣٧ من طريق سمالك بن حرب ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وأخرجه من هذا الطريق الترمذي ٣١٩/٥ ، في التفسير ، رقم ٣١٩٠ ، وقال : حديث حسن ، إنما نعرفه من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سمالك . وقال الألباني : ضعيف الإسناد جداً . ضعيف سنن الترمذي ٤٠١ ، ولم يُجَلَّ على شيء من كتبه . ولعل علته سمالك بن حرب ، فقد قال عنه ابن حجر : صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة ، وقد تغير في آخر حياته ، فكان ربما تلقن . تقريب التهذيب ٤١٥ ، رقم ٢٦٣٩ ، وأبو صالح الراوي عن أم هانئ ، اسمه : باذام ، ضعيف يرسل . تقريب التهذيب ١٦٣ ، رقم ٦٣٨ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٢ ب .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٦٨/٤ .

(٥) تفسير مقاتل ٧٢ ب ، وتفسير الثعلبي ١٥٩/٨ .

٣٠. ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ . قال مقاتل : أي بتحقيق قولي في العذاب فعذبهم ^(١) .

قوله تعالى : ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ : يعني العاصين بإتيان الرجال في أدبارهم ، قاله الكلبي ومقاتل ^(٢) . قال الكلبي : فاستجاب الله دعاءه فبعث جبريل في اثني عشر ملكاً فذلك قوله :

٣١. ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ . قال ابن عباس : بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ^(٣) ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعنون قرية لوط ^(٤) ، ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ يعني : مشركين . وما بعد هذه الآية مفسر في سورة هود ^(٥) إلى قوله : ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ ضَبَافٌ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ .

٣٣. ﴿إِنَّا مُنْجُونَكَ﴾ : يعني بناتك . قال المبرد : الكاف في ﴿مُنْجُونَكَ﴾ مخفوضة ، فلم يجوز أن يعطف الظاهر على المضمرة المخفوض لعلّة ذكرناها في قوله : ﴿سَاءَ لُونُ بِهِمْ وَالْأَرْحَامُ﴾ [النساء : ١] ^(٦) ، فحمل الثاني على المعنى فصار في التقدير : وننجي أهلك ومنجون أهلك ، وهذا

(١) تفسير مقاتل ٧٢ ب .

(٢) تفسير مقاتل ٧٢ ب . وفي تنوير المقياس : ٣٣٤ : المشركين .

(٣) تفسير ابن جرير ١٤٧/٢٠ ، والثعلبي ١٥٩/٨ ، ولم ينسبها .

(٤) تفسير مقاتل ٧٣ أ ، وتفسير الثعلبي ١٥٩/٨ .

(٥) الآيات ٦٩-٨٠ .

(٦) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : «قرأ حمزة : ﴿وَالْأَرْحَامُ﴾ بالعطف على المكثّر في ﴿بِهِمْ﴾ ، كما يقال : سألتك بالله والرحم ، ونشدتك بالله والرحم ، وإنما حملة على هذه القراءة ما ورد في التفسير أن المشركين كانوا يقولون : نناشدك بالله والرحم ، ثم قال : وضعّف النحويون كلهم هذه القراءة ، واستقبحوها . . . ، وانظر باقي كلامه في الموضع المذكور .

جائز مستحسن^(١) مستعمل كثيراً في كلامهم^(٢) ، وأنشد سيبويه أبياتاً كثيرة ، منها قول لبید :

فإن لم تجد من دون عدنان والداً ودون معدٍ فلتزعك العواذل^(٣)

وأنشد أيضاً لجرير :

جئني بمثل بني بدر لقومهم أو مثل أسرة منظور بن سيار^(٤)

ولو خفض مثل لكان جيداً بالغا ، وهو الباب . والنصب على الموضع فكأنه قال : أو هات مثل أسرة منظور .

(١) مستحسن غير موجودة في نسخة (ب) .

(٢) قال أبو حيان : والكاف في مذهب سيبويه في موضع جر ، ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ منصوب على إضمار فعل ؛ أي ونجني أهلك . البحر المحيط ١٤٦/٧ ، قال المبرّد : لما لم يجوز أن تعطف الظاهر على المضمّر المجرور حملته على الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ ﴾ ، كأنه قال : ومنجون أهلك ، ولم تعطف على الكاف المجرورة . المقتضب ١٥٢/٤

(٣) أنشده سيبويه في الكتاب ٦٨/١ ، ونسبه إلى لبید ، وقد استشهد به على العطف على الموضع ، فعطف : دون ، المنصوب ، على محل : دون ، المجرور بمن . حاشية المقتضب ١٥٢/٤ ، واستشهد به المبرّد ، وصدره بقوله : وما تشده العرب نصباً ، وجراً ، لاشتغال المعنى عليهما جميعاً قول لبید . المقتضب ١٥٢/٤ ، والبيت من قصيدة للبيد بن ربيعة الصحابي رضي الله عنه ، يرثي بها النعمان بن المنذر ، ملك الحيرة . انظر ديوانه ١٣١ ، والخزانة ٢٠٢/٢ ، والشعر والشعراء ١٧٥ .

(٤) أنشده سيبويه ٩٤/١ ، والمبرّد في المقتضب ١٥٣/٤ ، ونسبه إلى جرير . ولفظه عند المبرّد : (جيئوا) ، وهو في ديوان جرير ٢٤٢ ، والشاهد فيه العطف على المحل ، تقديره : أو هات مثل أسرة منظور . والبيت لجرير يخاطب فيه الفرزدق ، مفتخراً عليه بسادات قيس ؛ لأنهم أخواله . وبنو بدر من فزارة ، ومنظور بن سيار بن عمرو من فزارة أيضاً . حاشية الكتاب ٩٤/١ ، وأورده ابن جني في المحتسب ٧٨/٢ مثلاً به على ما نصب بإضمار فعل يدل عليه ما قبله .

٣٤. وقوله: ﴿رَجِزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾. قال ابن عباس: عذاباً^(١). قال مقاتل: يعني الخسف، والحضب^(٢).

٣٥. وقوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾: يعني آثار منازلهم الحربية. وهو معنى قول ابن عباس^(٣)، يريد الأنهار التي كانت في قراهم، والنخيل التي قَلَّتْ^(٤) فهي إلى اليوم لا ينتفع بشيء منها. وقال قتادة: هي الأحجار التي أبقاها الله^(٥)، فأدركها أوائل هذه الأمة. وقال مجاهد: هي الماء الأسود على وجه الأرض^(٦).

٣٦. وقوله: ﴿وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾. قال مقاتل: واخشوا البعث الذي فيه جزاء الأعمال^(٧).

٣٨. وقوله: ﴿وَعَادًا وَتَمُودًا﴾: قيل: هو عطف على الكناية في ﴿فَأَخَذَتْهُمْ﴾^(٨)، وقيل: هو عطف، معناه: وفتناً عاداً، رجوعاً إلى

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٥٨/٩ عن ابن عباس، وأخرجه ابن جرير ١٤٨/٢٠، وابن أبي حاتم ٣٠٥٨/٩ عن قتادة.

(٢) تفسير مقاتل ١٧٣. الحَضْبُ: رميك بالحصباء، يقال: حَصَبْتُهُ أَحْصَبُهُ حَصْباً: إذا رميته بالحصباء، والحجر المرمي به: حَصَبٌ. تهذيب اللغة (حصب) ٢٦٠/٤.

(٣) تفسير الثعلبي ١١٥٩/٨ منسوباً إلى ابن عباس.

(٤) القَلَّتْ: الهلاك. تهذيب اللغة (قلت) ٥٨/٩.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٩٨/٢، وابن جرير ١٤٩/٢٠، وابن أبي حاتم ٣٠٥٨/٩، وذكره الثعلبي ١١٥٩/٨ عن قتادة وأبي العالية.

(٦) تفسير الثعلبي ١١٥٩/٨. ولعله يعني ما قيل من إن الأرض التي أهلكوا فيها، مكانها الآن البحر الميت، المسمى بأسماء متعددة؛ نظراً إلى تميزه عن غيره من البحار بخواص لا توجد في غيره. انظر: مجلة القافلة، رمضان، ١٤١٩.

(٧) تفسير مقاتل ١٧٣.

(٨) وهو اختيار النحاس في إعراب القرآن ٢٥٦/٣.

قوله : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(١) . وقال الزَّجَّاج : وأهلكنا عاداً وثمود^(٢) ، وهو قول مقاتل^(٣) ؛ وذلك أن الذين ذُكروا قبل هذا ذكر إهلاكهم .

وقوله : ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ﴾ : يقول : ظهر لكم يا أهل مكة مِنْ منازلهم بالحِجْر واليمن آيةً في إهلاكهم ، قاله ابن عباس ومقاتل^(٤) ، والمعنى : وقد تبَيَّنَ لكم من مساكنهم ما يُخبركم به عن إهلاكهم ، فحذف فاعل التبيين استغناءً بظهوره في المعنى .

قوله تعالى : ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد أنهم كانوا ينتسبون إلى العقل والبصائر ، فلم ينتفعوا بذلك^(٥) . واختاره الفراء ، فقال : عقلاء ذوي بصائر^(٦) .

وقال مقاتل : كانوا مستبصرين في دينهم يحسبون أنهم على هدى^(٧) ، وهذا قول الكلبي ، قال : كانوا يرون أن أمرهم حق^(٨) ، ونحوه قال الضحاك^(٩) .

(١) ذكره النحاس عن الكسائي قال : قال بعضهم ، ولم يسمهم . إعراب القرآن ٣ / ٢٥٦ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٨٦ .

(٣) تفسير مقاتل ٧٣ ب .

(٤) تفسير مقاتل ٧٣ ب ، وتنوير المقياس : ٣٣٥ .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠ / ١٥٠ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٦٠ بلفظ : (كانوا مستبصرين في دينهم) .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣١٧ من دون قوله : عقلاء .

(٧) تفسير مقاتل ٧٣ ب .

(٨) تنوير المقياس : ٣٣٥ .

(٩) تفسير الثعلبي ٨ / ١٥٩ منسوباً إلى الكلبي والضحاك . وأخرجه ابن جرير ٢٠ / ١٥٠ عن الضحاك .

وقال قتادة : كانوا مستبصرين في ضلالتهم معجبين بها^(١) ، وهو معنى قول مجاهد^(٢) .

وقال أبو إسحاق : أتوا ما أتوه وقد بين لهم أن عاقبته العذاب^(٣) . ومعنى المستبصر في اللغة : ذوي البصيرة ، يقال : استبصر في أمره ودينه ، إذا كان ذا بصيرة^(٤) .

٤٠ . ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ ؛ أي عاقبنا^(٥) بتكذيبه الرسل . ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ . قال ابن عباس : يريد قوم لوط^(٦) ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ يريد : عاداً و ثمود ومدين^(٧) ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني : قارون وأصحابه ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ : يريد قوم نوح وفرعون^(٨) .

(١) أخرجه عبدالرزاق ٩٧/٢ ، وابن جرير ١٥٠/٢٠ ، وتفسير الثعلبي ١٥٩/٨ .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٥٠/٢٠ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٦٩/٤ .

(٤) تهذيب اللغة (بصر) ١٧٤/١٢ .

(٥) تفسير الثعلبي ١٥٩/٨ ب .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٥١/٢٠ ، وتفسير مقاتل ٧٣ ب ، وتفسير الثعلبي ١٥٩/٨ ب ، ولم ينسبه . وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ ، وفيه : (يعني : الحجارة ، وهي الحصاب أيضاً) .

(٧) تفسير مقاتل ٧٣ ب . وهذا من الواحد جمع بين الأقوال الواردة في المراد بمن أخذته الصيحة ؛ فقد أخرج ابن جرير ١٥١/٢٠ عن ابن عباس : ثمود ، وأخرج عن قتادة : قوم شعيب ، ثم جمع بين هذا بقوله : إن الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه أهلكهم بالصيحة في كتابه في غير هذا الموضع ، ثم قال - جل ثناؤه - لنبيه ﷺ : فمن الأمم التي أهلكناها من أرسلنا عليه حاصباً ، ومنهم من أخذته الصيحة ، فلم يخص الخبر بذلك عن بعض من أخذته الصيحة من الأمم من دون بعض ، وكلتا الأمتين أعني ثمود ومدين قد أخذتهما الصيحة .

(٨) أخرجه ابن جرير ١٥٢/٢٠ عن ابن عباس . وتفسير مقاتل ٧٣ ب ، وتفسير الثعلبي ١٥٩/٨ ب .

﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ . قال : يريد : أمهلهم وأنذرهم فكذبوا النذر .

وقال مقاتل : ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم على غير ذنب ^(١) .

٤١ . ثم ضرب لهم مثلاً فقال : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ : يعني الأصنام يتخذونها أولياء يرجون نصرها ونفعها ^(٢) ﴿كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ﴾ . قال الليث : هي دويبة تنسج نسجاً رقيقاً مهلهلاً بين الهواء ، وعلى رأس البئر ^(٣) . ويجمع : العناكب . قال ذو الرمة :

هِيَ اصْطَنَعَتْهُ وَحْدَهَا أَوْ تَعَاوَنْتْ عَلَى نَسِجِهَا بَيْنَ الصَّفِيحِ عَنَاكِبُهُ ^(٤)

(١) تفسير مقاتل ٧٣ ب .

(٢) تفسير الثعلبي ١٥٩ / ٨ ب .

(٣) كتاب العين (عنكب) ٣٠٩ / ٢ . ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ٣ / ٣٠٩ .

تعيش العناكب في أي مكان يتوافر فيه غذاؤها ، ويمكن مشاهدتها في الحقول ، والغابات ، والمستنقعات ، والكهوف ، والصحارى ، ويوجد نوع من العناكب يمضي معظم حياته تحت الماء ، ويعيش نوع آخر بالقرب من قمة جبل إيفرست (أعلى جبل على الكرة الأرضية) ، وتعيش بعض العناكب داخل المنازل ، ومخازن الحبوب ، والحظائر وغيرها ، ويوجد ما يقرب من ثلاثين ألف نوع من العناكب ، وقد تصل إلى مائة ألف نوع ، وحجم بعض العناكب أصغر من رأس الدبوس ، وبعضها كبير بحيث يصل إلى حجم كف يد الإنسان ، أو أكبر قليلاً ، فسيحان الله العظيم . انظر : مجلة القافلة ، صفر ، ١٤١٩ هـ ، بقلم أحمد محمد الصغير .

(٤) كتاب العين (عنكب) ٣٠٩ / ٢ ، ونسب البيت إلى ذي الرمة ، ولفظه :

هِيَ اصْطَنَعَتْهُ نَحْوَهَا وَتَعَاوَنْتْ عَلَى نَسِجِهَا بَيْنَ الْمَثَابِ عَنَاكِبُهُ
ورواية الديوان ٢٩٩ :

هِيَ انْتَسَجَتْهُ وَحْدَهَا أَوْ تَعَاوَنْتْ عَلَى نَسِجِهِ بَيْنَ الْمَثَابِ عَنَاكِبُهُ
وفي شرح الديوان : المَثَاب : مقام الساقى حيث يضع رجله . ولم أجد البيت في تهذيب اللغة .

وقال أيضاً يصف دلواً عتيقة العهد بالاستقاء :

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشبرق^(١)

ويجوز في جمع العنكبوت : عناكب وعنكبوتات ، ويصغر : عُنيكباً ،
وعُنيكباً^(٢) ، وأهل اليمن يقولون : عَنكبوه بالهاء^(٣) .

قال اللحياني : ويقال للعنكبوت : عَكْنَبَة ، وأنشد :

كأنما يسقط من لغامها بيت عَكْنَبَة على زمامها^(٤)

قال الفرّاء : العنكبوت أثنى ، وقد يذكرها بعض العرب ، وأنشد :

على هطّاهم منها بيوت كأن العنكبوت هو ابتناها^(٥)

(١) ديوان ذي الرمة ١٧٨ . قال الخطيب التبريزي في شرحه : فجاءت : يعني الدلو ، كأنه : كأن النسج ، على عصويها : يعني : العراقي ، مشبرق : مقطع مشقق . اهـ . يقال للخشتين اللتين تعرضان على الدلو كالصليب : العَرَفُوتان ؛ وهي العراقي . تهذيب اللغة (عرق) ١/ ٢٢٧ ، والسابري من الثياب : الرقاق . والبيت في لسان العرب ٤/ ٣٤١ للدلالة على ذلك ، ونسبه إلى ذي الرمة .

(٢) تهذيب اللغة (عنكب) ٣/ ٣٠٩ .

(٣) تهذيب اللغة (عنكب) ٣/ ٣٠٩ من كلام الليث . وفي كتاب العين ٢/ ٣٠٩ : العنكبوت بلغة أهل اليمن : العنكبوه ، والعنكباه ، والجمع : العناكب .

(٤) لسان العرب (عنكب) ١/ ٦٣٢ عن اللحياني ، وفيه إنشاد البيت من دون نسبة . لُغام البعير : زَبْدُه ، واللُغام : زَبْدُ أفواه الإبل . لسان العرب (لغم) ١٢/ ٥٤٥ ، والزَّمام : الحبل الذي تشد به الإبل ، يقال : زَممت البعير ؛ أي خطمته . لسان العرب (زمم) ١٢/ ٢٧٢ .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٣١٧ ، ولم ينسب البيت . وفي الحاشية : هطال : جبل ، ورواية البيت عند الفرّاء ، والأزهري ٣/ ٣٠٩ ، ولسان العرب ١/ ٦٣٢ : منهم . وفي النسختين : منها . وعن الفرّاء ذكره الثعلبي ٨/ ١٥٩ ب ، ولم ينسبها .

قال الكلبي : بيت العنكبوت لا يغني عنها في حرٍّ ولا قُرٍّ^(١) ولا مطر ، كما أن آهتهم لا ترزقهم شيئاً ، ولا تملك لهم ضرراً ولا نفعاً^(٢) .

وقال أبو إسحاق : إن بيت العنكبوت لا بيتَ أضعفُ منه في ما يتخذهُ الهوام ، ولا أقلّ وقاية من حرٍّ أو برِّدٍ ، والمعنى أن أولياءهم لا ينفعونهم ، ولا يرزقونهم ، ولا يدفعون عنهم ضرراً ، كما أن بيت العنكبوت غير موقٍ لها^(٣) .

قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ؛ أي لو كانوا يعلمون أن اتخاذهم الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتاً ؛ ليس أنهم لا يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف^(٤) .

٤٢ . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ : قُرئ : ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء^(٥) ؛ فمن قرأ بالياء فلتقدم الغيبة في قوله : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخْذُوا﴾ ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ والتاء على : قل لهم : إن الله يعلم ما تدعون ، لا يكون إلا على هذا ؛ لأن المسلمين لا يخاطبون بذلك^(٦) .

قال أبو علي : و(مَا) استفهام ، وموضعها نصب بـ(تَدْعُونَ) ، ولا يجوز أن يكون نصباً بـ(يَعْلَمُ) ، ولكن الجملة التي هي منها في موضع نصب بـ(يَعْلَمُ) ، والتقدير : إن الله يعلم أو ثناً تدعون من دونه أو غيره ؛ أي لا يخفى ذلك عليه فيؤاخذكم بكفركم ويعاقبكم عليه . ويدل على أن (مَا) استفهام : دخول (مِنْ) في الكلام ، وإنما

(١) القُرُّ : البرد . تهذيب اللغة (قرر) ٢٧٦ / ٨ ، وفي تنوير المقباس : ٣٣٥ : (برد) .

(٢) تنوير المقباس : ٣٣٥ ، وأخرج نحوه عبدالرزاق ٩٧ / ٢ عن قتادة .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٦٩ / ٤ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٦٩ / ٤ بمعناه .

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحزمة والكسائي : ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاء ، وقرأ أبو عمرو وحفص عن

عاصم : ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء . انظر السبعة ٥٠١ ، والحجة ٥ / ٤٣٣ ، والنشر ٢ / ٣٤٣ .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٣٤ بنصه .

هي تدخل في نحو قولك : هل من طعام ؟ وهل من رجل ؟ ولا تدخل في الإيجاب ، وهذا قول الخليل ^(١) ، وكذلك قوله : ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقَبَةُ الدَّارِ ﴾ [الأنعام: ١٣٥] ، والمعنى : فستعلمون المسلم تكون له عاقبة الدار أم الكافر ، وكل ما كان من هذا ، فهكذا القول فيه ، وهو ^(٢) قياس قول الخليل ^(٣) .

قوله : ﴿ مِنْ شَوْءٍ ﴾ . قال مقاتل : يعني من الأصنام ^(٤) ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ المنيع القادر ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في خلقه .

٤٣ . قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ ﴾ : يعني أمثال القرآن ، وهي التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمم المتقدمة يبينها للناس ﴿ نَضْرِبُهَا ﴾ لكفار مكة ، قاله مقاتل ^(٥) ، وقال الكلبي : للناس عامة ^(٦) .

﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ . قال مقاتل : يقول : وما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله الأمثال ^(٧) .

وقال الكلبي : إلا عالم أراد الله له ذلك ، فيعلم ما ضرب له المثل في القرآن . وروى أبو الزبير عن جابر أن النبي ﷺ تلا هذه الآية ، فقال : « العالم من عقل عن الله » ^(٨) .

(١) الكتاب ١٤٨/٣ ، قال : فما هاهنا بمنزلة : أيهم .

(٢) (وهو) غير موجودة في نسخة (أ) و(ب) .

(٣) الحجة للقرء السبعة ٥/ ٤٣٤ .

(٤) تفسير مقاتل ٧٣ ب .

(٥) تفسير مقاتل ٧٣ ب .

(٦) هذا القول أعم ، ويدخل فيه أهل مكة دخولاً أولاً .

(٧) تفسير مقاتل ٧٣ ب .

(٨) قال الزيلعي : رواه داود بن المحبر في كتاب العقل ، حدَّثنا عباد بن كثير ، عن ابن جريج ، عن عطاء وأبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، وعن داود بن المُحَبَّر رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده ، ومن طريق الحارث رواه الثعلبي ، والواحدي في تفسيره . تخريج الزيلعي للكشاف ٣/ ٤٣ ، وأخرجه =

٤٤. قوله تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: مضى تفسيره في سورة الأنعام^(١)، وأوائل سورة يونس^(٢).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾؛ أي في خلقها. ﴿لَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: لدلالة على قدرة الله تعالى وتوحيده.

٤٥. قوله تعالى: ﴿أَتُلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾. قال ابن عباس: يعني القرآن^(٣). ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ يريد: وأتم الصلاة^(٤)، ونحو ذلك قال مقاتل^(٥).

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾: كان ابن مسعود يقول: إن نبي الله ﷺ كان يقول: «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، ومن انتهى عن الفحشاء

= الثعلبي ١٥٩/٨ ب، والواحدي في الوسيط ٤٢٠/٣، كلاهما من طريق الحارث، عن داود المحبره، ولفظه: «العاقل من عقل عن الله فعمل بطاعته، واجتنب سخطه». قال ابن حجر: داود بن المَحْبَر، أبو سليمان البصري، نزيل بغداد، متروك، وأكثر كتاب العقل الذي صنفه: موضوعات. تقريب التهذيب ٣٠٨، رقم ١٨٢٠، قال الدار قطني: كتاب العقل، وضعه أربعة: أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه داود بن المَحْبَر منه، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، وسرقه عبدالعزيز بن أبي رجاء، فركبه بأسانيد آخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي فأتى بأسانيد آخر. الموضوعات لابن الجوزي ٢٧٧/١، قال المناوي: كتاب العقل لداود كله موضوع. الفتح السهاوي ٨٩٧/٢. (١) عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ...﴾ [الأنعام: ٧٣]. قال الواحدي: أي بكمال قدرته، وشمول علمه، وإتقان صنعه، وكل ذلك حق، ثم أحال على تفسير سورة يونس.

(٢) في تفسير الآية الثالثة من سورة يونس ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. أحال الواحدي في تفسيرها على سورة الأعراف. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [يونس: ٥]، قال: قوله تعالى: ﴿بِالْحَقِّ﴾ قال ابن عباس: يريد بالعدل لأنه هو الحق، وكل ما جاء من عنده هو الحق

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٦٥/٩ عن الحسن.

(٤) في نسخة (أ) و(ب): (الصوم)، وهو خطأ. وقول ابن عباس في تنوير المقياس ٣٣٦.

(٥) تفسير مقاتل ٧٣ ب.

والمنكر فقد أطاع الصلاة»^(١)، وقال ﷺ: «من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بُعداً، ولم يزد من الله إلا مقتاً»^(٢).

وقال ابن عباس: يقول في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله، فمن لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد إلا بُعداً^(٣). وهذا قول الحسن وقتادة،

(١) أخرجه الثعلبي ٨/ ١٦٠ ب من طريق جوير، عن الضحاك، عن عبد الله بن مسعود يرفعه. وهذا إسناد ضعيف منقطع؛ فالضحاك لم يسمع من ابن مسعود، وجوير ضعيف جداً.

وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٥ من طريق جوير، عن الضحاك، عن ابن مسعود يرفعه بلفظ: «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر».

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٩٨ بإسناده عن معمر عمّن سمع الحسن يحدث عن النبي ﷺ، وهو بهذا حديث مرسل، وفيه جهالة من روى عن الحسن، ولفظه: (بعداً)، وأخرجه أيضاً بإسناده عن الثوري عن إسماعيل عن الحسن يرفعه باللفظين: (بعداً)، و(مقتاً)، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٥ موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٦ من طريق الحسن عن عمران بن حصين يرفعه بلفظ: «من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له»، وأخرجه أيضاً من طريق أبي معاوية، عن ليث، عن طاوس، عن ابن عباس يرفعه. قال ابن كثير ٣/ ٤١٥: والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود، وابن عباس والحسن، وقتادة، والأعمش، وغيرهم، والله أعلم. وذهب إلى هذا الألباني؛ فقد قال بعد أن ساق روايات الحديث وطرقه: وجملته القول أن الحديث لا يصح إسناده إلى النبي ﷺ، وإنما صح من قول ابن مسعود، والحسن البصري، وروي عن ابن عباس، ولهذا لم يذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: الإبان، إلا موقوفاً على ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما. وقد نقد متن الحديث شيخ الإسلام - رحمه الله - لمخالفته لظاهر الآية، قال: هذا الحديث ليس بثابت عن النبي ﷺ، لكن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما ذكر الله في كتابه. وبكل حال فالصلاة لا تزيد صاحبها بُعداً، بل الذي يصلي خير من الذي لا يصلي وأقرب إلى الله منه وإن كان فاسقاً. ذكر هذا عن الشيخ الألباني، ونسبه إلى مخطوطة أطلع عليها في المكتبة الظاهرية، تحمل عنوان: فقه حنبلي ٣/ ١٢-١-٣، وقد تكلم عن نقد متن هذا الحديث باستفاضة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ١٥، حديث رقم: ٢.

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ١٥٥، وابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٦٦، وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٠ أ عن ابن عباس وابن مسعود.

قالا : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فليست صلاته بصلاة ، هي وبال عليه^(١) .

ومعنى هذا التأويل أن الله تعالى أخبر أن الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر ، فمن أقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة التي وصفها الله تعالى ، وإذا لم تكن بتلك الصفة لم تكن صلاة ، فإن تاب هذا المقيم الصلاة يوماً وترك معاصيه تبين أن ذلك من نهي الصلاة ، وأن صلاته كانت نافعة له ناهية ، وإن لم ينته إلا بعد زمان ، كما روي أن رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله ﷺ كان يصلي الخمس ، ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبته فوصف لرسول الله ﷺ حاله ؛ فقال : «إن صلاته تنهاه يوماً ما» ، فلم يلبث أن تاب وحسن حاله ، فقال رسول الله ﷺ : «ألم أقل لكم : إن صلاته تنهاه»^(٢) .

وروى السدي عن أصحابه في قوله : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ ، قال : الرجل يصلي الصلاة فيحسنها ، ثم يهم أن يعمل الخطيئة فيذكر صلاته ، فيقول : لا أفسد صلاتي .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٦٩ ، وأخرجه عنها ابن جرير ٢٠/ ١٥٥ بنحوه .

(٢) ذكره الثعلبي ٨/ ١٦٠ أنبأه عن أنس بن مالك يرفعه . قال عنه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٤٦/ ٣ : غريب . وأما ابن حجر فقال : لم أجده . الكافي الشاف ٣/ ٤٤٣ بحاشية الكشاف . لكن يشهد لمعنى هذا الحديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قيل له : إن فلاناً يصلي الليل كله ، فإذا أصبح سرق ! قال : «سينهاه ما تقول ، أو قال : ستمنعه صلاته» . أخرجه الإمام أحمد ٤٨٣/ ١٥ ، رقم ٩٧٧٨ ، ط . دار الرسالة ، وقال محققو المسند : إسناده صحيح . وأخرجه أيضاً ابن الجعد في مسنده ٣٠٦ ، رقم ٢٠٦٩ بلفظ : (ستنهاه قراءته) ، وأخرجه ابن حبان في الإحسان ٣٠٠/ ٦ ، حديث رقم ٢٥٦٠ ، وصحح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٦/ ١ عن كلامه على الحديث رقم ٢ .

وفي الآية قول ثانٍ ، قال مقاتل : إن الإنسان ما دام يصلي لله فقد انتهى عن الفحشاء والمنكر ، لا يعمل بهما ما دام يصلي حتى ينصرف^(١) ، وهو قول الكلبي وابن عون^(٢) ، قالوا : إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ما كان فيها^(٣) ؛ لأنه إن فعل شيئاً من هذين بطلت صلاته . واختار ابن قتيبة هذا القول ، وقال : المصلي لا يكون في منكر ولا فاحشة ما دام فيها^(٤) .

قال الكلبي : ﴿أَلْفَحْشَاءٌ﴾ المعصية^(٥) ، وهو : ما ببح من العمل ، ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما لا يعرف في شريعة ولا سنة^(٦) ، والقول هو الأول^(٧) .

وقوله : ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ : اختلفوا فيه على وجهين ؛ روى عبدالله بن ربيعة عن ابن عباس ، قال : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه^(٨) ، وروى عطية عنه ، قال : هو قوله : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة : ١٥٢] ، قال : فذكر الله

(١) تفسير مقاتل ٧٣ ب .

(٢) تفسير مقاتل ٧٣ ب .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٩٧/٢ عن الكلبي . وتنوير المقياس ٣٣٦ ، وأخرجه ابن جرير ١٥٥/٢٠ عن ابن عون ، وكذا ابن أبي حاتم ٣٠٦٦/٩ ، وقد كتب اسمه تصحيفاً : أبو غوث ، وذكره الثعلبي ١٦٠/٨ عن ابن عون .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ .

(٥) تنوير المقياس ٣٣٦ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٦٧/٩ عن ابن عباس وعكرمة والحسن .

(٦) تنوير المقياس : ٣٣٦ ، الفحشاء من المنكر ، فتكون الآية من باب عطف العام على الخاص ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أَوْفَىٰ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

(٧) أي إن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ولو بعد حين .

(٨) أخرجه عبدالرزاق ٩٨/٢ ، وابن جرير ١٥٦/٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣٠٦٧/٩ ، كلهم من طريق عبدالله بن ربيعة ، وأخرجه أيضاً الحاكم ٤٤٤/٢ ، كتاب : التفسير ، رقم ٣٥٣٨ ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : صحيح .

عبدالله بن ربيعة بن يزيد الدمشقي ، أخرج له الترمذي ، ولم أجده له ترجمة ، قال عنه ابن حجر : مجهول . انظر تهذيب الكمال ٤٨٩/١٤ ، وتقريب التهذيب ٥٠٥ .

إِيَّاكُمْ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ^(١)، وهو : قول عبدالله ، وسلمان ، ومجاهد ، ومقاتل ، قال : يقول : إذا صليت لله فقد ذكرته ، فيذكرك الله بخير ، وذكر الله إِيَّاكَ أَفْضَلُ مِنْ ذِكْرِكَ إِيَّاهُ فِي الصَّلَاةِ^(٢) .

ونحو هذا قال السدِّي وسعيد بن جبير^(٣) ، وعلى هذا الوجه معنى قوله : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ بعد قوله : ﴿ إِنِ الْصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ هو أن الله لما أمر بإقام الصلاة ، والصلاة لا تخلو من ذكر الله فكأنه أمر بذكره ، فلما أمر بذكره أخبر أن ذكر الله العبد ما كان في صلاته أكبر من ذكر العبد ؛ لأن العبد إذا ذكر الله ذكره الله بالثواب ، كقوله : ﴿ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ إِذْ كُنْتُمْ ﴾ ، وهذا معنى قول الفراء والزجاج وابن قتيبة ، في هذا الوجه الأول^(٤) .

الوجه الثاني في تفسير الآية : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ مما سواه ، وهو أفضل من كل شيء ، وهذا قول أبي الدرداء وقتادة^(٥) .

-
- (١) أخرجه ابن جرير ١٥٦/٢٠ ، وأخرجه الثعلبي ٨/ ١٦٠ أمرفوعاً من طريق نافع عن ابن عمر .
 (٢) أخرجه ابن جرير ١٥٧/٢٠ عن عبدالله بن مسعود ، وسلمان ، ومجاهد . وتفسير مقاتل ١٧٤ . وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٠ عن عبدالله ، وسلمان ، ومجاهد ، وعطية ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير .
 (٣) أخرجه ابن جرير ١٥٦/٢٠ عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وأخرجه ١٥٨/٢٠ عن السدِّي ، وأخرجه الثعلبي ٨/ ١٦١ ب عن السدِّي .
 (٤) معاني القرآن للفراء ٣١٧/٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ١٧٠ .
 (٥) أخرجه عبد الرزاق ٩٧/٢ عن قتادة ، وأخرجه عنهما ابن جرير ١٥٧/٢٠ ، وذكره عنها الثعلبي ٨/ ١٦٠ .

وروي معنى هذا الوجه عن النبي ﷺ ، وهو ما روى ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله : ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ، قال : «ذكر الله على كل حال أحسن وأفضل»^(١).

والذكر : أن يذكره عندما حَرَّمَ ، ويذكره عندما أَحَلَّ ، فيأخذ ما أَحَلَّ^(٢) ، والمعنى على هذا الوجه أن الله تعالى أخبر أن ذكره على كل الأحوال أكبر وأفضل ؛ وذلك أن العبد إذا كان ذاكراً لله في كل حال ، لم يجر عليه القلم بمعصية ؛ لأنه إذا ذكر ارتدع عما يهيم به من السوء . فأمّا من يذكره بلسانه وهو مع ذلك يرتكب محظوراً ، وما لا يحل ، فليس هو ذاكراً لله على الحقيقة ، وعلى هذا لا تعلق لقوله : ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ﴾ بما قبله .

وقال الفراء وابن قتيبة في هذا الوجه : ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ﴾ هو : التسييح والتهليل ، يقول : هو أكبر وأحرى وأحق بأن ينهى عن الفحشاء والمنكر^(٣) . فعلى الوجه الأول : المصدر الذي هو الذكر مضاف إلى الفاعل ، وفي الوجه الثاني : مضاف إلى المفعول ، وإن قال قائل في معنى الآية على الوجه الثاني : إن الله تعالى أمر نبيه - عليه السلام - بتلاوة القرآن وإقام الصلاة ، ثم قال : ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يعني : تلاوة القرآن ، أخبر أنه أكبر وأفضل من كل شيء ، فالمراد بذكر الله في الآية : تلاوة القرآن^(٤) . ويجوز أن يكون المعنى : وذكر الله الذي هو تلاوة القرآن أكبر من الصلاة ، فهو أحرى أن ينهى عن الفحشاء والمنكر .

(١) أخرجه الثعلبي ٨ / ١٦٠ من طريق جوير ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود يرفعه . وهذا إسناد لا يصح ، فيه ضعف وانقطاع ؛ فجوير ضعيف جداً . تقريب التهذيب ٢٠٥ ، رقم ٩٩٤ ، والضحاك لم يلق ابن مسعود . تهذيب التهذيب ٤ / ٣٩٧ .

(٢) تفسير الثعلبي ٨ / ١٦٠ ب .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣١٧ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ .

(٤) ذكر هذا القول ابن جرير ٢٠ / ١٥٤ ، فقال : قال بعضهم : عنى بها القرآن الذي يقرأ في موضع الصلاة ، أو في الصلاة . ثم أخرج بسنده عن ابن عمر ، قال : القرآن الذي يقرأ في المساجد . ولم يحكه عن غيره . وذكره عن ابن عمر ، الثعلبي ٨ / ١٦٠ أ ، ولفظه : (القرآن ينهى عن الفحشاء والمنكر) .

قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد لا يخفى عليه شيء .

٤٦ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ؛ أي بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته ، والتنبيه على حُججه ^(١) . ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ : إلا من أبى أن يقرَّ بالجزية ، ونَصَبَ الحرب ، فأولئك فجادلوهم حتى يسلموا ، أو يعطوا الجزية . ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] ، وهذا معنى قول ^(٢) وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد ، قالوا في قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أهل الحرب ، ومن لا عهد له فجادلوا هؤلاء بالسيف ^(٣) .

قال ابن زيد : ظلموا بالإقامة على كفرهم بعد قيام الحجة عليهم ^(٤) .

وقال آخرون : كان هذا قبل أن أمر النبي ﷺ بالقتال ، قيل له : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا﴾ من أتاكم من أهل الكتاب ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ، يعني : تعظونهم بالقرآن ، وتدعونهم إلى الإسلام ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ وهم الذين قالوا : مع الله إله ، أو له ولد ، أو شريك ، أو يد الله مغلولة ، وأن الله فقير ، أو آذوا محمداً فهؤلاء انتصروا منهم ^(٥) .

(١) تفسير ابن جرير ١/٢١ بنصه ، وتفسير الثعلبي ٨/١٦١ .

(٢) هنا بياض ، ولعله : (مجاهد) لإخراج ابن جرير ذلك عنه ، والله أعلم .

(٣) تفسير الثعلبي ٨/١٦١ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٢/٢١ عن ابن زيد ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير . وتفسير الثعلبي ٨/١٦١ عن ابن زيد .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢/٢١ عن قتادة بنحوه ، وآخره من قوله : قالوا : مع الله إله . وأخرجه ابن جرير ١/٢١ ، وابن أبي حاتم ٩/٣٠٧٠ عن مجاهد .

قوله تعالى : ﴿وَقُولُوا آمَنَّا﴾ : يعني لأهل الكتاب سوى هؤلاء الظلمة .
ثم نُسخ هذا بالقتال ، وهذا معنى قول الكلبي وقتادة ومجاهد في رواية ابن أبي
نجيح^(١) .

وقال آخرون : المراد بأهل الكتاب هاهنا : عبدالله بن سلام ، ومن آمن منهم
يقول : لا تجادلوهم وأخبروهم عما في القرآن ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ يعني :
مشركيهم ، يقول : جادلوا الذين كفروا حتى تردوهم عن كفرهم ، وهذا معنى
قول مقاتل وابن عباس في رواية عطاء^(٢) .

(١) أخرجه عبدالرزاق ٩٨/٢ ، وابن أبي حاتم ٣٠٦٨/٩ ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٥٧٧/٢ عن
قتادة . ورواية ابن أبي نجيح عن مجاهد أخرجه ابن جرير ١/٢١ ، وليس فيها ذكر النسخ ، بل يدل
كلامه على أنها محكمة يراد بها ذوو العهد لا يجادلوا ، وإنما يجادل من لا عهد له ويقال حتى يعطي
الجزية . الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي ابن أبي طالب ٣٨٧ ، لكن ذكر النسخ عن مجاهد
الثعلبي ١٦١/٨ ب . ومن ذهب إلى أن الآية منسوخة بآية السيف مقاتل . تفسير مقاتل ١٧٤ . وهذا
يقال فيه مثل ما قيل في ما سبق عند قوله تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا
خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان : ٦٣] . وقد رجح ابن جرير ٢/٢١ أن أولى الأقوال :
إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية ، ونصبوا دونها الحرب . وردّ ردّاً حسناً على من ذهب إلى أن الآية
منسوخة .

وحاصل الأقوال في هذه الآية ثلاثة :

١ - الآية منسوخة .

٢ - الآية محكمة يراد بها من آمن منهم .

٣ - الآية محكمة يراد بها ذوو العهد منهم . قال النحاس بعد ذكره هذه الأقوال : وقول مجاهد حسن ؛
لأن أحكام الله - عز وجل - لا ينبغي أن يقال فيها : إنها منسوخة إلا بخبر يقطع العذر . الناسخ
والمنسوخ ٥٧٧/٢ .

(٢) تفسير مقاتل ١٧٤ . وذكره النحاس عن ابن زيد ، ولفظه : (لا يجادل المؤمنون منهم إذا أسلموا ، لعلمهم
بجدثون بالشيء ، فيكون كما قالوا : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ من أقام على الكفر يجادل ، ويقال له
الشر) . الناسخ والمنسوخ ٥٧٧/٢ ، وعلى هذا تكون الآية محكمة .

٤٧. وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ ؛ أي وكما أنزلنا الكتاب عليهم أنزلنا عليك الكتاب . ﴿فَالَّذِينَ ءَايَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ : يعني مؤمني أهل الكتاب^(١)

﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ : يعني مسلمي أهل مكة^(٢) . وقال ابن جرير : ﴿فَالَّذِينَ ءَايَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ : يعني كانوا قبل عصر النبي ﷺ من اليهود والنصارى كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ . ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ : يعني الذين محمد بين أظهرهم ، من أهل الكتاب ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ وهم مؤمنو أهل الكتاب^(٣) ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء^(٤) .

ثم قال : ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ ؛ أي بعد المعرفة^(٥) ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ من اليهود ؛ وذلك أنهم عرفوا أن محمداً نبي ، والقرآن حق^(٦) ، فجحدوا وأنكروا ولم يقرؤا ، وكفروا بذلك الجحود .

٤٨. قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ ؛ أي ما كنت تقرأ قبل القرآن كتاباً ؛ أي ما كنت قارئاً قبل الوحي ولا كتاباً ، وهو قوله : ﴿وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ﴾ ؛ أي ولا تخط الآن يمينك كتاباً ، وكذلك صفة النبي -عليه السلام- في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب^(٧) .

(١) تفسير الثعلبي ٨ / ١٦١ ب ، وزاد : عبدالله بن سلام ، وأصحابه .

(٢) معاني القرآن للقرّاء ٢ / ٣١٧ ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٦١ ب .

(٣) تفسير ابن جرير ٢١ / ٤ بمعناه .

(٤) وهو قول مقاتل . تفسير مقاتل ١٧٤ أ .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١ / ٤ ، وابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٧٠ عن قتادة ، وذكره عنه الثعلبي ٨ / ١٦١ ب .

(٦) تفسير مقاتل ١٧٤ أ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٧١ بمعناه .

قال مجاهد : كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ لا يخط بيمينه ، ولا يقرأ كتاباً ، فنزلت هذه الآية ^(١) .

وقوله : ﴿ إِذَا ﴾ . قال الفرّاء : ولو كنت تتلو ﴿ لَا زَنَابَ الْمُبِطُوتِ ﴾ ^(٢) . قال ابن عباس : لشك الكافرون ^(٣) . قال مجاهد يعني : قريشاً ^(٤) ، وهو قول قتادة ^(٥) . ومعنى الآية : لو كنت تكتب وتقرأ الكتب قبل الوحي إذا لشكوا ، وقالوا هذا شيء تعلمه محمد وكتبه ^(٦) .

وقال مقاتل : يعني : كفار اليهود يقول : إذا لشكوا فيك ، وقالوا : إن الذي نجد في التوراة نعتّه هو : أُمي لا يقرأ الكتاب ، ولا يكتب ، ولا يخطه بيمينه ^(٧) .

وهذا هو القول ؛ لأن أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ بنعته وصفته حقاً يقيناً ، وإنما يجدون نبوته بعد اليقين ، ويكفرون بالجدد ، فلو كان النبي ﷺ كاتباً قارئاً لكان بغير النعت الذي يعرفونه ، وكانوا يشكون . وأما الكفار فإنهم ما عرفوه بالنبوة ، وكانوا شاكين مع كونه أُمياً ، وإذا كان كذلك فلا معنى لقوله : ﴿ إِذَا لَا زَنَابَ ﴾ مع كونهم مرتابين ، ووجهه ما قال الفرّاء : أي لكان أشدّ لريبة

(١) أخرجه ابن جرير ٥ / ٢١ ، وابن أبي حاتم ٣٠٧١ / ٩ ، كلاهما بالإثبات : كان أهل الكتاب يجدون ، وفي النسختين بالنفي : كان أهل الكتاب لا يجدون . والأقرب الإثبات ؛ لما فيه من إقامة الحجة عليهم بما في كتبهم ، والله أعلم .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٣١٧ / ٢ .

(٣) تنوير المقياس ٣٣٦ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٥ / ٢١ ، وابن أبي حاتم ٣٠٧١ / ٩ ، واقتصر على هذا القول الزجاج ١٧١ / ٤ ، ولم ينسبه .

(٥) ذكره عنه الماوردي بلفظ : (مشركو العرب) . النكت والعيون ٢٨٧ / ٤ .

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ ، وتفسير الثعلبي ١٦١ / ٨ ب .

(٧) تفسير مقاتل ١٧٤ .

من كَذَّبَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ^(١) . فُحْمَلُ قَوْلِهِ : ﴿لَا تَرْتَابَ﴾ على زيادة الريبة ، على قول مجاهد ، والمعنى أن المشركين كانوا شاكين في نبوته ، مع أنه يخبرهم بقصص الماضين ، من غير أن يقدر على كتابة وقراءة ، فلو كان قارئاً كاتباً لاشتد ارتياهم ، وقالوا : إنما تعلمه وقرأه من كتاب .

وتفسير الآية : أي الذي يأتي بالباطل ، يقال : أبطل فلان إذا كذب وأدعى غير الحق^(٢) . وكلُّ من ادَّعى ديناً غير الإسلام فهو مبطل .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنَتُ﴾ . قال الحسن : القرآن آيات بيِّنات . ﴿فِي صُذُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ : يعني المؤمنين^(٣) .

وهو قول عبدالله بن عباس في رواية عطاء ، يريد : الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، وحملوه من بعد النبي عليه السلام . وعلى هذا الكناية عن القرآن والكتاب بقوله : ﴿هُوَ﴾ .

وقال قتادة : ﴿بَلْ هُوَ﴾ يعني النبي ﷺ ، و﴿آيَاتٌ يَبْنَتُ فِي صُذُورِ﴾ أهل العلم من أهل الكتاب ؛ لأنهم يجدون في كتابهم نعتة وصفته^(٤) . وعلى هذا التقدير : بل هو ذو آيات بيِّنات ، فحذف المضاف ؛ وذلك أن كونه بالنعت الذي ذكر في كتابهم آيات واضحات له في صدور أهل الكتاب ، والعلم به ، وهم مؤمنو أهل الكتاب ، بل هو وأموره آيات .

(١) معاني القرآن للفراء ٣١٧/٢ .

(٢) كتاب العين (بطل) ٤٣٠/٧ . ونقله الأزهري في تهذيب اللغة ٣٥٥/١٣ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٩٩/٢ ، وابن جرير ٦/٢١ ، وهو قول الفراء في معاني القرآن ٣١٧/٢ ، وذكره الثعلبي ٨/١٦٢ ، ولم ينسبه .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٩٩/٢ ، وابن جرير ٥/٢١ ، وأخرجه ابن جرير ٥/٢١ عن ابن جريج ، وذكره الثعلبي ٨/١٦٢ عن ابن عباس .

وفي الآية قول ثالث ذكره الرَّجَّاج ، فقال : بل كونه غير قارئ ولا كاتب ﴿ءَايَتٌ يَبَيِّنُ﴾ لأنه إذا لم يقرأ ولم يكتب ، وأخبر بأقاصيص الأولين والأنبياء فهو ﴿ءَايَتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(١) ، وهو معنى قول الكلبي^(٢) .

والظاهر من هذه الأقوال قول قتادة ومقاتل^(٣) لقوله : ﴿وَمَا يَحْكُدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ : يعني كفار اليهود^(٤) ؛ لأنهم جحدوا نبوته وكتموا أمره بعد المعرفة .

٥٠ . قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ ، كما كانت الأنبياء تحييها بها إلى قومهم^(٥) . وقُري : ﴿ءَايَتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ على الجمع^(٦) . وحجة الأفراد قوله : ﴿فَلْيَأْزِنَا بَيَاتٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء : ٥٠] ، وقوله : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ [الأنعام : ٣٧] ، وقد تقع آية على لفظ الواحد ويراد به كثرة ، كما جاء : ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون : ٥٠] . واختار أبو عبيد الجمع ؛ لقوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٧) . قال أبو علي : وهذا لا يكون دلالة على ترجيح القراءة بالجمع ؛ لأنهم إنما اقترحوا آية فقليل : الآيات

(١) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٧١ ، ولم ينسبه .

(٢) تنوير المقباس : ٣٣٦ .

(٣) لم يسبق ذكر قول مقاتل ، وهو قريب من قول قتادة . تفسير مقاتل ٧٤ ب .

(٤) تفسير مقاتل ٧٤ ب .

(٥) تفسير مقاتل ٧٤ ب ، وتفسير الثعلبي ٨ / ١٦٢ أ .

(٦) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم : ﴿ءَايَتٍ﴾ جمعاً ، وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر ، وأبي عمرو في رواية علي بن نصر : ﴿ءَايَةً﴾ على الأفراد . انظر السبعة في القراءات ٥٠١ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٣٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ١٨٨ ، والنشر في القراءات العشر ٢ / ٣٤٣ .

(٧) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٣٥ ، ولم يصرح باسم أبي عبيد ، بل قال : وحجة الأفراد أن في حرف أبي زعموا ، وصرح الثعلبي ٨ / ١٦٢ بذكر أبي عبيد .

عند الله ؛ أي الآية التي اقترحتموها وآيات أخر لم تقترحوها عند الله ، وهو القادر على إرسالها ، إذا شاء أرسلها ، مع ما ذكرنا أن لفظ الواحد قد يراد به كثرة^(١) .

﴿وإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يريد : أنذر أهل المعصية بالنار ، وليست إنزال الآية بيدي . قال مقاتل : فلما سألوا الآية قال الله تعالى :

٥١ . ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ ؛ أي أو لم يكفهم من الآيات القرآن ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فيه خبر ما قبلهم وما بعدهم ، ﴿إِنكَ فِي ذَلِكَ﴾ ؛ أي في إنزال الكتاب عليك ﴿لَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به وعمل به^(٢) ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ وتذكيراً وموعظة ، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ . قال مقاتل : وكذبوا بالقرآن فنزل :

٥٢ . ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾^(٣) ؛ أي الله شاهداً بيننا أي رسوله^(٤) ، وكفى هو شاهداً ، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . وشهادة الله له إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه . ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ . قال ابن عباس : بغير الله ، وقال مقاتل : بعبادة الشيطان^(٥) .

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٥ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٤ ب .

(٣) تفسير مقاتل ٧٤ ب .

(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ١١٦٢ أ .

(٥) تفسير مقاتل ٧٤ ب . وأخرجه ابن جرير ٧/ ٢١ ، وابن أبي حاتم ٣٠٧٣/ ٩ عن قتادة بلفظ : (الشرك) .

٥٣. قوله تعالى : ﴿وَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ ؛ أي استهزاءً وتكديباً^(١) منهم^(٢) بذلك يستعجلونك به . نزلت في الذين قالوا : ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]^(٣) ، وقد مرَّ^(٤) .

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ لَا أَجَلٌ﴾ يعني : إن لعذابهم أجلاً ، وهو يوم القيامة^(٥) . قال الله تعالى : ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦] : هذا قول ابن عباس ومقاتل^(٦) . وقال الضحاك : الأجل المسمى لعذابهم : مدة أعمارهم ، فإذا ماتوا صاروا في العذاب^(٧) .

وقيل : الأجل المسمى : بدر^(٨) ، وهو قوله : ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ يعني : العذاب ببدر على هذا القول ، وهو قول عطاء عن ابن عباس . ودليل القول الأول قوله :

٥٤. ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ : أخبر أن ميعاد عذابهم جهنم ، وأنها تحيط بجماعتهم ، فلا تبقي منهم أحداً إلا دخلها^(٩) .

(١) تفسير مقاتل ٧٤ ب .

(٢) (منهم) في نسخة (ب) .

(٣) أخرجه ابن جرير ٨/٢١ ، وابن أبي حاتم ٩/٣٠٧٤ عن قتادة . ومعاني القرآن للزجاج ٤/١٧١ من دون نسبة . وقال الثعلبي ٨/١٦٢ : نزلت في النضر بن الحارث حين قال : ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْكَ حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ﴾

(٤) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : قال المفسرون : قال النضر بن الحارث : اللهم إن كان هذا الذي يقوله محمد حقاً من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط ﴿أَوْ أَتَيْنَا بِعَذَابٍ آسِرٍ﴾ ؛ أي ببعض ما عذبت به الأمم .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/٣٠٧٤ عن سعيد بن جبير . ومعاني القرآن للفرأ ٢/٣١٨ .

(٦) تفسير مقاتل ٧٤ ب ، وليس فيه ذكر الآية ، وذكر الآية الزجاج ٤/١٧٢ ، ولم ينسب القول .

(٧) ذكره الثعلبي ٨/١٦٢ .

(٨) تفسير الثعلبي ٨/١٦٢ ، ولم ينسبه .

(٩) تفسير الثعلبي ٨/١٦٢ ، وتفسير ابن جرير ٨/٢١ بمعناه .

ثم أخبر أن تلك الإحاطة متى تكون ، فقال :

٥٥ . ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ . قال ابن عباس :
هذا مثل قوله : ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] ،
وقوله : ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾ [الزمر: ١٦] ^(١) .

وقوله : ﴿وَيَقُولُ﴾ الموكل بعذابهم ، يقول لهم ^(٢) : ﴿ذُوقُوا﴾ ، ومن قرأ
بالتون ^(٣) ؛ فلأن ذلك لما كان بأمره سبحانه جاز أن يُنسب إليه . وجوازه على هذا
المعنى ؛ لأن القديم سبحانه لا يكلمهما ^(٤) .

(١) تفسير مقاتل ٧٤ ب ، حيث ذكر الآية الثانية .

(٢) (يقول لهم) مكررة في نسخة (ب) . وفي تفسير مقاتل ٧٤ ب : (يقول الخزنة لهم) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر : ﴿وَنَقُولُ﴾ بالتون ، وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي :
﴿وَيَقُولُ﴾ بالياء . انظر السبعة في القراءات ٥٠١ ، والحجة للقراء السبعة ٤٣٦/٥ ، والنشر في
القراءات العشر: ٣٤٣/٢ .

(٤) في إطلاق لفظ القديم على الله - عز وجل - خلاف ؛ لكون لفظ القديم لم يرد في الكتاب ولا في السنة ،
ولم يتكلم به السلف من الصحابة والتابعين ، وإنما سمي الله نفسه بالأول والآخر ، وهو أبلغ لدلالته
على القدم ، وأنه لم يسبقه شيء ، بل ولم يئأله شيء ، وعلى ذلك فلا يصح إطلاق القديم على الله تعالى
بعده من أسائه ، وإن كان يصح الإخبار عنه بذلك ؛ لأن باب الإخبار أوسع من باب الإنشاء . مجموع
الفتاوى ١/٢٤٥ ، وحاشية لوامع الأنوار البهية ٣٨/١ من كلام الشيخ عبد الله بابطين .

تنبيه : تكليم الله تعالى لعباده في الآخرة ثابت بنصوص كثيرة في الكتاب والسنة ، يكلمهم الله تعالى
لالحساب والجزاء ، ويستوي في هذا الخلق كلهم إلا أقواماً شاء الله تعالى أن يجرمهم ذلك ، تنكيلاً
وزيادة في العذاب ، فمن الأدلة على عموم التكليم وشموله قول الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا
أَجَبْتُمْ أَلْمُسْلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] ، وقوله : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ
شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٤٧] ، ومن السنة قول النبي ﷺ : «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ، ليس بينه
وبينه ترجمان» . الحديث أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، رقم ٧٤٤٣ ، فتح الباري ١٣/٤٢٣ ،
ومسلم ٧٠٣/٢ ، رقم ١٠١٦ .

ومن الأدلة على حرمان أقوام من تكليم الله لهم ، قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ
الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤] ، ومن السنة قول النبي ﷺ : «ثلاثة لا

وقيل : ﴿ذُوقُوا﴾ لوصول الألم إلى المعذب ، كوصول الذوق إلى الذائق .
ومعنى : ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ؛ أي جزاء ، كما قال :

دونك ما جنيته فاحس وذُق^(١)

قال ابن عباس ومقاتل : ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب والافتراء على الله^(٢) .

٥٦ . قوله تعالى : ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾ ؛ وذلك أن الله تعالى أمر المؤمنين بالهجرة فاشتد ذلك عليهم ، وقالوا : كيف نخرج من ديارنا وأموالنا ، ونذهب إلى بلاد لا دار لنا فيها ، ولا مال ؟ فأنزل الله فيهم : ﴿إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ﴾ في معاشكم^(٣) .

وقال الكلبي : نزلت في أهل مكة ؛ أي لا تجاوروا الظلمة في أرضهم^(٤) ، وقال مقاتل : نزلت في ضعفاء مسلمي مكة ، يقول : إن كنتم في ضيق بمكة من

يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، ومليك كذاب ، وعاتل مستكبر» . أخرجه مسلم ١/ ١٠٢ ، كتاب : الإيمان ، رقم ١٠٧ ، والنسائي ٨٦/ ٥ ، كتاب : الزكاة ، رقم ٢٥٦٢ .

وتكليم الله تعالى لأهل النار في هذه الآية : ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ توبيخ وتقريع لأهل النار ، كقوله تعالى : ﴿قَالَ أَخْسِرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ [المؤمنون : ١٠٨-١١١] ، والله أعلم . ملخص من : مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ١٣١ وما بعدها ، ودرء تعارض العقل والنقل ٢/ ١٤١ وما بعدها ، والعقيدة السلفية في كلام رب البرية ليوסף الجديع : ٩٠ وما بعدها .

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٣٦ بنصه . ولم ينسب البيت . وفي الحاشية : لم نثر عليه .

(٢) تفسير مقاتل ١٧٥ .

(٣) معاني القرآن للقراء ٢/ ٣١٨ ، لكنه قال : فأنزل الله ﴿وَكَيْفَ يَكُنِ مِنَ دَابَّةٍ﴾ . وكذا عند الثعلبي ١٦٢/ ٨ ب .

(٤) تفسير الثعلبي ١٦٢/ ٨ ب بمعناه .

إظهار الإيثار بها ، فإن أرض المدينة واسعة من الضيق ﴿فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾ يعني :
توحدوني في المدينة علانية^(١) .

وقال أبو إسحاق : تفسيرها أنهم أمروا بالهجرة من الموضع الذي لا تمكنهم فيه عبادة الله وأداء فرائضه ، وكذلك يجب على من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ، ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر وينتقل إلى حيث يتهيأ له أن يعبد الله حق عبادته^(٢) ، وهذا معنى قول مجاهد : ﴿إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ﴾ فهاجروا وجاهدوا^(٣) .

وقال سعيد بن جبير : من أمر بمعصية فليهرب ، وتلا هذه الآية^(٤) . وروى إسماعيل بن أبي خالد عنه في هذه الآية ، قال : إذا عمل في أرض بالمعاصي ، فاخرجوا منها^(٥) .

وقوله : ﴿فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾ . قال الزجاج : (إيائي) منصوب بفعل مضمر ، الذي ظهر يفسره . المعنى : فاعبدوا إيائي فاعبدون ، فاستغنى بأحد الفعلين عن الثاني ، ولو قلت : إيائي فاعبدوا ، كان إيائي منصوباً بما بعد الفاء ، ولا يحتاج إلى

(١) تفسير مقاتل ١٧٥ ، وهو قول الفراء في معاني القرآن ٣١٨ / ٢ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٧٢ / ٤ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٩ / ٢١ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٩ / ٢١ ، وابن أبي حاتم ٣٠٧٥ / ٩ ، وفيه : (ثم قرأ : ﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء : ٩٧]) . وذكره الثعلبي ١٦٢ / ٨ ب .

(٥) أخرجه ابن جرير ٩ / ٢١ من طريق إسماعيل بن أبي خالد ، وأخرجه عبدالرزاق ٩٩ / ٢ عن مالك بن مغول ، عن الربيع بن أبي راشد ، عن سعيد بن جبير بلفظ : (هو الرجل يكون بين ظهري قوم يعملون بالمعاصي) .

إسماعيل بن أبي خالد ، الأحسي مولاهم ، البجلي ، اسم أبيه : هرمز ، وقيل : سعد ، وقيل : كثير ، محدث الكوفة في زمانه مع الأعمش . روى عن عبدالله بن أوفى ، وأبي جحيفة ، وغيرهما ، وروى عنه شعبة ، وسفيان ، وشريك ، وغيرهم ثقة ثبت . انظر سير أعلام النبلاء ١٧٦ / ٦ ، وتقريب التهذيب ١٣٨ .

إضمار فعل ، ودخول الفاء لمعنى الشرط ، بتقدير : إن ضاق بكم موضع فإيائي فاعبدوا ، فإن أرضي واسعة^(١) .

قال مقاتل : ثم خوَّفهم بالموت ليهاجروا ، فقال :

٥٧ . ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٢) : والمعنى لا بدَّ من الموت ، وكل أحد ميت أينما كان ، فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت^(٣) .

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت فنجزيكم بأعمالكم^(٤) ، وهذا حث على الطاعة في ما أمر به من الهجرة . ثم ذكر ثواب من هاجر ، فقال :

٥٨ . ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ . قال ابن عباس : لنسكننهم غرف الدر والياقوت والزبرجد^(٥) .

قال مقاتل : يعني لننزلنهم^(٦) ، وهذا يدل على صحة قراءة العامة : ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ ، يقال : بوأت فلاناً منزلاً تبويئاً وتبوءة^(٧) ، وذكرنا ذلك قديماً^(٨) .

(١) معاني القرآن للزجاج ١٧٢/٤ بتصرف .

(٢) تفسير مقاتل ١٧٥ .

(٣) تفسير الثعلبي ١٦٢/٨ ب .

(٤) تفسير مقاتل ١٧٥ .

(٥) ذكره عنه الطبرسي في مجمع البيان ٤٥٥/٧ .

(٦) تفسير مقاتل ١٧٥ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١١٧/٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٨ .

(٧) تهذيب اللغة (باء) ١٥/٥٩٥ .

(٨) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿أَن تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [يونس : ٨٧] : قال أبو علي : التبوء : فعل يتعدى إلى مفعولين ، فعل ما ذكر أبو علي يجوز أن تقول : تبوأ زيداً مكاناً ؛ أي اتخذ له ، ولم أر هذا غيره ؛ لأنه يقال : تبوأ المكان داراً ، فيعدونه إلى مفعولين كما ذكر ، ويقال : تبوأ لزيد منزلاً ؛ أي اتخذ له ، فلا يعدون لزيد إلا باللام .

وقرأ حمزة والكسائي : (لَتُؤَيِّتَهُمْ) ، وهي قراءة عبدالله والأعمش ^(١) ، يقال :
ثوى بالمكان إذا أقام به ^(٢) ، ومنه قوله : ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾
[القصص : ٤٥] ؛ أي مقيماً نازلاً فيهم . والثوي : الضيف لإقامته عند المضيف ^(٣) .

قال الزّجاج : يقال : ثوى الرجل إذا أقام ، وأثويته إذا أنزلته منزلاً يقيم
فيه ^(٤) ، وقال حسان :

ثوى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجَّةً ^(٥)

أي أقام ونزل فيهم . وإذا تعدى ثوى ، فزيدت عليه الهمزة ، وجب أن يتعدى
إلى المفعول الثاني ^(٦) .

قال الأخفش : قرأ الأعمش : (لَتُؤَيِّتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا) ، قال : ولا يعجبني
ذلك ؛ لأنك لا تقول : أثويته الدار ^(٧) .

(١) قرأ حمزة والكسائي : (لَتُؤَيِّتَهُمْ) بالثاء ، وقرأ الباقون : ﴿لَتُؤَيِّتَهُمْ﴾ بالباء . انظر السبعة في القراءات
٥٠٢ ، والحجة للقراء السبعة ٤٣٨ / ٥ ، وفيه ذكر قراءة الأعمش نقلها عن أبي الحسن ، والنشر في
القراءات العشر : ٣٤٤ / ٢ ، وأخرج الفراء في معاني القرآن ٣١٨ / ٢ قراءة ابن مسعود .

(٢) قال ابن قتيبة : هو من : ثويت بالمكان ؛ أي أقمت به . غريب القرآن ٣٣٨ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٤٣٨ / ٥ .

(٤) معاني القرآن للزّجاج ١٧٣ / ٤ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٤٣٩ / ٥ منسوباً إلى حسان ، وهو في ديوانه ٢٦١ . أخرج الحاكم عن يحيى بن سعيد
قال : سمعت عجزاً من الأنصار تقول : رأيت ابن عباس يختلف إلى صرمة بن قيس يتعلم منه هذه
الآيات :

ثوى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حِجَّةً يُدَكِّرُ لَوْ أَلْفِي صديقاً مواتياً

وساق بعده ستة أبيات ، ثم قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٤٣٩ / ٥ .

(٧) لم أجده عند الأخفش في المعاني ، لكن ذكر أبو علي أن أبا الحسن قال : قرأ الأعمش . الحجة للقراء
السبعة ٤٤٠ / ٥ .

قال أبو علي : ووجه هذه القراءة كان في الأصل : لنثوينهم من الجنة في غرف ، وحذف الجار ، كما حذف من نحو قوله :

أمرْتُكَ الخَيْرَ^(١)

ويقوِّي ذلك أن الغرف وإن كانت مختصة ، فقد أجريت المختصة من هذه الظروف مجرى غير المختص ، نحو قوله :

كما عسلَ الطريقَ الثعلبُ^(٢)

ونحو : ذهبْتُ الشامَ ، عند سيبويه . ويدل على صحة قول سيبويه ما روي في الحديث : «إنما أنا لكم كالوالد ، فإذا ذهب أحدكم الغائط» من غير حرف جر ،

(١) جزء من بيت لعمر بن معد يكرب ، والبيت بتمامه :

أمرْتُكَ الخَيْرَ فافعلْ ما أمرْتُ بِهِ فَقَدْ تركْتُكَ ذا مالٍ وذا نَسَبٍ

وقد أورده أبو علي في الحجة ٥ / ٤٤٠ مقتصرأ على : أمرتك الخير ، ولم ينسبه . وقد استشهد به سيبويه على حذف حرف الجر ، ونصب الخير . الكتاب ١ / ٣٧ ، ونسبه إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، واستشهد به كذلك المبرِّد في المقتضب ٢ / ٣٦ ، والبغدادى في خزنة الأدب ١ / ٣٣٩ ، ولم ينسبه .

(٢) أنشده كاملاً سيبويه في الكتاب ١ / ٣٦ ، ونسبه إلى ساعدة بن جُوَيْه ، والبيت بتمامه :

لَدُنْ بِهِزْ الكَفِّ يَعْسَلُ مَتْنُهُ فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ

وأنشده كاملاً المبرِّد في الكامل ١ / ٤٧٤ من دون نسبة ، وأنشد عجزه أبو علي في الحجة ٥ / ٤٤٠ ، ولم ينسبه ، وعنه أخذ الواحدي ، وأنشده ابن جني في الخصائص ٣ / ٣١٩ ، ولم ينسبه . وفي الحاشية : هذا البيت في وصف الرمح ، واللدن : اللين الناعم ، وقوله : يعسل متنه : يشتد اهتزازة ، ويقال : عسل الثعلب والذئب في سيره : اشتد اضطرابه .

وروي : «إلى الغائط»^(١) . ويدل على صحة القراءة الأولى قوله : ﴿نَبْتُوا مِنْ
الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر : ٧٤]^(٢) .

وقوله : ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ . قال ابن عباس : يريد تحت الغرف الأنهار ،
كما وصف تبارك وتعالى : ﴿مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد : ١٥]^(٣) .

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ : مقيمين فيها لا يموتون ، ولا يهرمون ، ولا يسقمون .

(١) أخرج هذا الحديث بحرف الجر : «إلى الغائط» الإمام أحمد ١٢ / ٣٧٢ ، ط . دارالرسالة ، وابن ماجه ١١٤ / ١ ، كتاب : الطهارة ، رقم الحديث ٣١٣ ، وابن حبان في صحيحه ، كتاب : الطهارة ، رقم ١٤٣١ ، الإحسان ٤ / ٢٧٩ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١ / ١٠٢ ، كتاب : الطهارة ، كلهم من طريق يحيى بن سعيد القطان ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . والحديث في صحيح سنن ابن ماجه ١ / ٥٧ ، رقم ٢٥٢ ، وقال محققو المسند : إسناده قوي . ولم أجده بهذا اللفظ من دون حرف الجر إلا عند النسائي في السنن الكبرى من طريق عبدالعزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن مسلم بن قُرط ، عن عروة ، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : «إذا ذهب أحدكم الغائط فليذهب معه بثلاثة أحجار» . السنن الكبرى ١ / ٧٢ ، كتاب : الطهارة ، رقم الحديث ٤٢ ، والحديث في السنن الصغرى بهذا الإسناد بإثبات حرف الجر . سنن النسائي ١ / ٤٤ ، كتاب : الطهارة ، رقم الحديث ٤٤ ، وهو في صحيح سنن النسائي ١ / ١١ ، رقم الحديث ٤٣ ، وأخرجه الطبراني من طريق سلامة بن روح ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن أبي أيوب ، قال : قال رسول الله ﷺ : «من ذهب منكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره ، شرقوا أو غربوا» . المعجم الكبير ٤ / ١٤٣ ، رقم الحديث ٣٩٤٢ .

وسلامة بن روح مختلف فيه . انظر الكامل في ضعفاء الرجال ٣ / ١١٦٢ ، وتهذيب التهذيب ٤ / ٢٥٣ ، وميزان الاعتدال ٢ / ١٨٣ . قال عنه ابن حجر : صدوق له أوهام . تقريب التهذيب ٤٢٦ ، وعُقيل هو ابن خالد بن عقيل ، قال عنه الذهبي : الحافظ الإمام ، حدث عن ابن شهاب فأكثر وجود ، وحدث عنه ابن أخيه : سلامة بن روح . انظر سير أعلام النبلاء ٦ / ٣٠١ ، قال عنه ابن حجر : ثقة ثبت . تقريب التهذيب ٦٨٧ ، وقال عنه عطاء بن يزيد الليثي : ثقة . تقريب التهذيب ٦٧٩ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٤٠ ، وليس فيه ذكر للحديث ، وقول سيويه في الكتاب ١ / ٣٥ .

(٣) لعل الشاهد من إيراد هذه الآية بيان أن الأنهار التي تجري من تحت الغرف متنوعة ، كما ذكر في سورة محمد ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ ، والله أعلم .

وقوله : ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ . قال : يريد المهاجرين والأنصار . قال مقاتل : ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ لله ^(١) . وفي الآية حذف يتم به الكلام ، كأنه قيل : نعم أجر العاملين الغرف أو الجنة ^(٢) .

٥٩ . ثم نعت هؤلاء فقال : ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ . قال ابن عباس : على دينهم ، وعلى المخصصة ، وعلى الجزع ، وترك الأموال والأولاد والدور ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ . قال : وبالله يثقون في هجرتهم ^(٤) . قال ابن عباس : ذلك أن المهاجرين توكلوا على الله ، وتركوا دورهم وأموالهم .

قال مقاتل : إن أحدهم كان يقول بمكة : كيف أهاجر إلى المدينة وليس لي بها دار ولا معيشة ؟ فوعظهم الله ليعتبروا ، فقال :

٦٠ . ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ﴾ وكم من دابة ^(٥) ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ . قال أبو إسحاق : كل حيوان على وجه الأرض مما يعقل ولا يعقل فهو دابة ، وإنما هو : مَنْ دبت على الأرض ، والمعنى : من نفس دابة ^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ١٧٥ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٧٨ / ٩ عن مقاتل .

(٣) وقال مقاتل ١٧٥ : على الهجرة . وكل ذلك داخل مراد .

(٤) تفسير مقاتل ١٧٥ .

(٥) تفسير مقاتل ١٧٥ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١١٧ / ٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٣٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٧٣ / ٤ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ١٧٣ / ٤ ، قال أبو عبيدة : ومجاز الدابة : أن كل شيء يحتاج إلى الأكل والشرب فهو دابة من إنس أو غيرهم .

وقوله : ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ . قال ابن عباس : لا تقدر على رزقها . قال مقاتل : لا ترفع رزقها معها^(١) .

وقال سفيان وعلي بن الأقرم : لا تدخر شيئاً لغد^(٢) .

وقال أبو إسحاق : أي لا تدخر رزقها ، إنما تصبح في رزقها الله ، وعلى هذا أكثر الحيوان^(٣) . قال سفيان : وليس شيء مما خلق الله يُحِبُّ إلا الإنسان والفأرة والنملة^(٤) .

قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ : يرزقكم إن هاجرتم إلى المدينة ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم : إِنَّا لَا نَجِدُ مَا نَنْفِقُ بِالْمَدِينَةِ^(٥) ﴿أَلَعَلِّمُ﴾ بما في قلوبكم^(٦) .

٦١ . قال ابن عباس : ثم رجع إلى المشركين ، فقال : ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقٍ﴾ إلى قوله : ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ : يقولون بأن الله خالق هذه الأشياء . قال الله تعالى : ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : فكيف يكذبون بتوحيدي^(٧) ؟ أي إذا كان الله هو الخالق وحده ، وجب أن يكون هو

(١) تفسير مقاتل ١٧٥ . وقال ابن قتبية : لا ترفع شيئاً لغد . غريب القرآن ٣٣٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير ١١ / ٢١ ، والثعلبي ١٦٢ / ٨ ب ، كلاهما عن علي بن الأقرم من طريق سفيان . علي بن الأقرم بن عمرو الهمداني ، الوادعي ، أبو الوازع ، كوفي ثقة ، حدث عن أسامة بن شريك ، وأبي الأحوص ، وغيرهما ، روى عنه الأعمش ، وشعبة ، وسفيان الثوري ، وغيرهم . انظر سير أعلام النبلاء ٣١٣ / ٥ ، وتقريب التهذيب ٦٩٠ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٧٣ / ٤ .

(٤) تفسير الثعلبي ١٦٢ / ٨ ب ، وغريب القرآن لابن قتبية ٣٣٩ ، ونسبه إلى ابن عيينة . وعند الفراء : إلا النملة فإنها تدخر رزقها لستها . معاني القرآن ٣١٨ / ٢ ، ولم ينسبه .

(٥) تفسير مقاتل ١٧٥ .

(٦) تفسير الثعلبي ١٦٢ / ٨ ب .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٧٩ / ٩ عن ابن عباس . وتفسير مقاتل ١٧٥ .

المعبود وحده من غير شريك ، والمعنى : فكيف يُصرفون عن التوحيد
بعد قيام الدليل ؟

قال مقاتل : ثم رجع إلى الذين رَغِبَهم في الهجرة ، الذين قالوا : لا نجد ما ننفق ،
فقال :

٦٢ . ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(١) . قال ابن عباس : يريد البر
والفاجر ، فكيف لا أبسط عليكم .

وقوله : ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ . قال مقاتل : ويقتر على من يشاء^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ﴾ مما أنتم فيه من الشدة ، وما أريد من إدخال الرفق عليكم ﴿عَلِيمٌ﴾ .

٦٣ . وقوله : ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ : يعني كفار مكة إلى قوله : ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ ؛
أي الله الذي فعل هذه الأشياء^(٣) .

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بإقرارهم بذلك ، قاله مقاتل وابن عباس^(٤) .

(١) تفسير مقاتل ١٧٥ .

(٢) تفسير مقاتل ١٧٥ .

(٣) تفسير مقاتل ١٧٥ .

(٤) تفسير مقاتل ١٧٥ .

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ : توحيد ربهم مع إقرارهم بأن الله خلق الأشياء كلها وحده^(١)، وأنزل المطر. والمراد بالأكثر: الجميع، وقد مر^(٢).

٦٤. قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ : يعني الحياة في هذه الدار. ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾. قال ابن عباس ومقاتل: يريد باطل وغرور وعبث تنقضي عن قريب^(٣).

﴿وَابْتَكَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لِهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ : هي دار الحياة لا موت فيها^(٤). وقال الكلبي: هي حياة لا يموت فيها أهلها^(٥)، وقال قتادة والسدي: هي الحياة^(٦)،

وقال الفرّاء: هي الحياة حياة لا موت فيها^(٧)، وقال الزّجاج: معناه: هي دار الحياة الدائمة^(٨)، وقال أبو عبيدة وابن قتيبة: ﴿الْحَيَوَانُ﴾ الحياة^(٩). فالمفسرون وأصحاب المعاني على أن الحيوان هاهنا بمعنى الحياة.

(١) تفسير مقاتل ١٧٥أ.

(٢) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]: إنما دخلت بل هاهنا؛ لأنه لما قال: ﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ دلّ على أنه كفر ذلك الفريق بالنقض، فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ كفار بالنقض، وحسن هذا التفصيل؛ لأن منهم من نقض عناداً، ومنهم من نقض جهلاً. وقيل: معناه: كفر فريق بالنقض، وكفر أكثرهم بالجدد للحق؛ وهو أمر النبي ﷺ.

(٣) تفسير مقاتل ١٧٥ بلفظ: (باطلاً) فقط.

(٤) تفسير مقاتل ٧٥ب، وتفسير ابن جرير ١٢/٢١، وتفسير الثعلبي ١١٦٣/٨. وأخرجه ابن جرير ١٢/٢١ عن مجاهد، وأخرجه عن ابن عباس بلفظ: (باقية). قال الأزهرى: معناه: أن من صار إلى الآخرة لم يمت، ودام حياً فيها لا يموت، فمن أدخل الجنة حيي فيها حياة طيبة، ومن دخل النار فإنه لا يموت فيها ولا يحيا. تهذيب اللغة (حي) ٢٨٧/٥.

(٥) تنوير المقباس: ٣٣٨.

(٦) أخرجه عبد الرزاق ٩٩/٢ عن قتادة.

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٣١٨/٢.

(٨) معاني القرآن للزّجاج ١٧٣/٤.

(٩) مجاز القرآن ١١٧/٢، وغريب القرآن ٣٣٩.

قال أبو علي : قال أبو عبيدة : الحياة والحيوان والحَي واحد ، فهذه على ما حكاه أبو عبيدة مصادر^(١) . والحياة كالحَلْيَة والحَدَمَة ، وهي شدة التهاب النار^(٢) .

والحيوان : كالفوران^(٣) والغليان . والحَيُّ كالعِي^(٤) ، قالوا : حَيَّ يحيا حياءً^(٥) ، كما قالوا : عَيَّ يَعياءُ^(٦) ، ومن ذلك قول العجاج :

كُنَّا بِهَا إِذِ الْحَيَاءُ حَيٌّ^(٧)

فهذا^(٨) إذا الحياة حياءً .

وقال أبو زيد : الحيوان ما فيه روح^(٩) . والمَوْتَان : ما لا روح فيه^(١٠) . والحيوان في روايتي أبي زيد وأبي عبيدة على ضربين ؛ أحدهما : أن يكون مصدراً

- (١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١١٧/٢ بمعناه ، وهو في كتاب الشعر لأبي علي ٣٢١/١ غير منسوب .
- (٢) تهذيب اللغة (حدم) ٤٣٣/٤ ، يعني أن أصلها : حَيَوَة على وزن : حَلْيَة ، أو : حَيَوَة على وزن : حَدَمَة ، والله أعلم .
- (٣) هكذا في النسختين ، يقال : فارت القدر تفور فوراً ، وفوراناً ، إذا غَلَت . تهذيب اللغة (فار) ٢٤٧/١٥ .
- (٤) العِي : مصدر العَي ، يقال : عَي فلان بالأمر إذا عجز عنه . تهذيب اللغة (عَي) ٢٥٨/٣ .
- (٥) تهذيب اللغة (حَي) ٢٨٣/٥ .
- (٦) تهذيب اللغة (عَي) ٢٥٧/٣ .
- (٧) هكذا أنشده أبو علي في كتاب الشعر ٣٢١/١ ، وصدره بقوله : قال رؤية أو العجاج ، وأنشده أبو عبيدة ١١٧/٢ بلفظ :

وقد نَرَى إِذِ الْحَيَاءُ حَيٌّ

- ونسبه إلى العجاج . وهو أيضاً في ديوانه ٢٤٩ ، وأنشده الأزهري في تهذيب اللغة (حي) ٢٨٥/٥ غير منسوب ، واستشهد به على أن الحَي (بكسر الحاء) جمع الحياة .
- (٨) في كتاب أبي علي : كأنه قال : إِذِ الْحَيَاءُ حَيّاً ؛ أي الحياة غير متكدرة ولا منغصة . كتاب الشعر ٣٢١/١ .
- (٩) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٢٨٧/٥ ، ولم ينسبه .
- (١٠) لم أجده في النواذر . وفي تهذيب اللغة (موت) ٣٤٣/١٤ : الموتان : كل شيء غير ذي روح ، وما كان ذا روح فهو الحيوان . ولم ينسبه إلى أبي زيد .

كما حكاه أبو عبيدة ، والآخر : أن يكون وصفاً كما حكاه أبو زيد . والحيوان على قول أبي زيد مثل الحي الذي يراد به خلاف الميت ، وقد جاء الصفة على هذا المثال نحو قولهم : رجلٌ صَمَيَانٌ للسريع الخفيف ^(١) ، والزَفَيَان ^(٢) ، قال :

وتحت رَحلي زَفَيَانٌ مَيْلَعٌ ^(٣)

فهذا أظهر من أن يقال له وصف بالمصدر ، فأما قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ﴾ فيحتمل أن يكون المعنى : وإن حياة الدار الآخرة هي الحياة ؛ لأنه لا نقص فيها ولا نفاد لها ؛ أي فتلك الحياة هي الحياة لا التي يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار ، فيكون الحيوان مصدر على هذا . ويجوز أن يكون الحيوان الذي هو خلاف المَوْتَان ، وقيل للدار الآخرة : الحيوان ؛ لأنها لا تزول ولا تبعد كما تبعد هذه الدار وتزول ، فتكون الدار وصفت بالحياة لهذا المعنى ، والمراد أهلها .

ويجوز أن يكون التقدير في قوله : ﴿لَهِىَ الْحَيَوَانُ﴾ هي ذات الحيوان ؛ أي دار الآخرة هي دار الحياة ، كأنه لم يعتد بحياة هذه الدار حياة . فأما القول في حروف الحيوان أن العين واللام مثلاً في أصل الكلمة ، وأبدلت من الثانية الواو لما لم يسع الإدغام في هذا المثال ، ألا ترى أن مثل : شَلَّ وَطَلَّ ^(٤) يصح ولا يدغم ، فكذلك الحيوان لما لم يحز الإدغام تُوصل فيه إلى إزالة المثليين بالبدل ، ووجب ذلك في الثاني منهما ، وهو الكثير العام في كلامهم ؛ لأن التكرير وقع بها ، هذا

(١) تهذيب اللغة (صمى) ١٢ / ٢٦٠ .

(٢) الزَفَيَان : الخفة . لسان العرب (زف) ١٤ / ٣٥٧ .

(٣) أنشد الأزهري في تهذيب اللغة (زف) ١٣ / ٢٦٥ ، ولم ينسبه . الملع : سرعة سير الناقة ، وناقعة مَيْلَع : سريعة . تهذيب اللغة (ملع) ٢ / ٤٢٦ ، وهو في لسان العرب ١٤ / ٣٥٧ مع بيتين قبله غير منسوب ، وفيه : ناقعة زَفَيَان : سريعة) .

(٤) الشلل : ذهاب اليد ، يقال : شَلَّتْ يده تشلُّ ، فهو أشلُّ . تهذيب اللغة (شلل) ١١ / ٢٧٦ ، الطَّلَل : ما شخص من الديار ، يقال : حياً الله طَلَّلَكَ وأطلاك ؛ أي ما شخص من جسدك . تهذيب اللغة (طلل) ١٣ / ٢٩٥ .

مذهب الخليل وسيبويه وأصحابهما^(١)، إلا أبا عثمان فإنه ذهب في أن الحيوان غير مُبْدَل الواو، وأن الواو فيه أصل وإن لم يكن منه فِعْلٌ، وشَبَّهَ هذا بقولهم: فَآظَ المَيْتُ يَفِيظُ فَيُظًا وفَوْظًا^(٢)، ولا يستعملون من فَوْظٍ فِعْلاً، فكذلك الحيوان عنده مصدر لم يُشْتَقَّ منه فِعْلٌ، بمنزلة فَوْظٍ؛ ألا ترى أنهم لا يقولون: فآظ يفوظ كما قالوا: فآظ يفيظ.

قال أبو علي: الذي أجازه أبو عثمان فاسد من قَبْلِ أنه لا يمتنع أن يكون في الكلام مصدر عينه واو، وفاؤه لام صحيحان، مثل: فَوْظٌ، وصَوغٌ^(٣)، وقَوْلٌ، ومَوْتٌ، وأشبه ذلك، فأما أن يوجد في الكلام كلمة عينها ياء، ولأَمِها واو فلا، فحملة الحيوان على فَوْظٍ خطأ؛ لأنه شَبَّهَ ما لا يوجد في الكلام بما هو موجود مطرد؛ وبهذا علمنا أن حَيَوَةً في مثل: رَجَاءُ بن حَيَوَةٍ؛ أصله حَيَّةٌ، وأن اللام إنما قلبت واواً لضرب من التَّوَشُّعِ، وكرهاته لتضعيف الياء، ولأن الكلمة أيضاً عَلِمَ، والأعلام يَعْْرِضُ فيها ما لا يعرض في غيرها، نحو: مَوْهَبٌ ومَوْرَقٌ، ومَوْظَبٌ^(٤).

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: يعني لو علموا الرغبوا في الباقي الدائم عن الفاني الزائل، ولكنهم لا يعلمون.

- (١) أصل الحيوان: حَيَّانٌ، فقلبت الياء التي هي لام الفعل واواً استكراهاً لتوالي الحركات، هذا مذهب الخليل وسيبويه. لسان العرب (حيا) ١٤/٢١٤، وقول سيبويه في الكتاب ٤/٣٩٩.
- (٢) فآظ الميت، وفاظت نفسه: إذا خرجت. تهذيب اللغة (فاظ) ١٤/٣٩٦.
- (٣) الصَّوْغُ: مصدر صاغ يصوغ، والصَّيَاغَةُ: الحرفة. تهذيب اللغة (صاغ) ٨/١٥٨.
- (٤) سر صناعة الإعراب ١/١٥٣ بتصرُّف، وهو في لسان العرب (حيا) ١٤/٢١٤، وضبطت كلمة: مَوْرَقٌ، هكذا في سر صناعة الإعراب، وهو اسم علم، منه: مَوْرَقٌ بتشديد الراء. انظر ابن مُشَمَّرَج، وضم أوله. انظر ابن عبد الله العجلي. وقد ترجم له الحافظ بن حجر في تقريب التهذيب ٩٧٧، رقم ٦٩٨٩.

ومَوْرَقٌ (بفتح الميم وضمها) اسم موضع بفارس. معجم البلدان ٥/٢٥٦. قال ياقوت الحموي: ومَوْهَبٌ ومَوْظَبٌ اسمان لرجلين.

٦٥. قوله : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد المشركين كفار مكة . وذكرنا معنى ﴿فِي﴾ عند قوله : ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾ [هود: ٤١] ^(١) .

و﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ : أفردوا الله بالطاعة ، وتركوا شركاءهم فلا يدعونهم لإنجائهم ، ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ﴾ الله من أهوال البحر ، وأفضوا إلى البر ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ به في البر فلا يوحّدونه كما وحدوه في البحر ^(٢) . وهذا إخبار عن عنادهم ، وأنهم عند الشدائد يعلمون أن القادر على كشفها الله وحده ، فإذا زالت عادوا إلى كفرهم ^(٣) .

٦٦. قوله تعالى : ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ : في هذه اللام وجهان ؛ أحدهما : أنها لام كي ، وهي متعلقة بالإشراك ، كأن المعنى : يشركون ليكفروا ؛ أي ليحجدوا نعمة الله في إنجائه إيّاهم ؛ أي لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر ، فليس يردّ عليهم الشرك نفعاً إلا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة . ومن جعل هذه لام كي كسر لام قوله : ﴿وَلِيَتَمَنَّوْا﴾ ، ومن جزم اللام أراد الأمر ^(٤) ، وهو على معنى التهديد والوعيد كقوله : ﴿وَأَسْتَغْفِرُ مَنْ أَسْطَغَفَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] ،

(١) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : وقوله تعالى : ﴿فِيهَا﴾ لا يجوز أن تكون من صلة الركوب ؛ لأنه يقال : ركبت السفينة ، ولا يقال : ركبت في السفينة ، والوجه هاهنا أن يقال : مفعول ﴿ارْكَبُوا﴾ محذوف على تقدير : اركبوا الماء في السفينة ، فيكون قوله : ﴿فِيهَا﴾ حالاً من الضمير في : ﴿ارْكَبُوا﴾ ، ويجوز أن يقال : المعنى : اركبوها ؛ أي الفلك ، وزاد : في للتأكيد كقوله : ﴿لِلرُّؤْيَا تَعْرِوْنَ﴾ [يوسف: ٤٣] ، وفائدة هذه الزيادة أنه أمرهم أن يكونوا في جوف الفلك لا على ظهرها ، فلو قال : (اركبوها) لتوهموا أنه أمرهم أن يكونوا على ظهر السفينة .

(٢) تفسير مقاتل ٧٥ ب .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٣١٨ بمعناه .

(٤) قرأ ابن كثير وحمة والكسائي : ﴿وَلِيَتَمَنَّوْا﴾ بجزم اللام ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم : ﴿وَلِيَتَمَنَّوْا﴾ بكسر اللام . انظر السبعة في القراءات ٥٠٢ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٤٠ .

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، ونحو ذلك من الأوامر التي معناها الوعيد^(١). ويدل على جواز الأمر هاهنا قوله في الأخرى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

٦٧. وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾: ذكرنا تفسيره ونزوله في سورة القصص^(٣). قال ابن عباس: يعني مكة يأمن أهلها، ومن يلجأ إليهم^(٤).

﴿وَيَخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: يريد العرب يسبي بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون^(٥). قال مقاتل: أدفع عنهم، وهم يأكلون رزقي، ويعبدون غيري^(٦).

﴿أَفَيَا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يعني الشيطان^(٧). وقال الكلبي: يعني الآلهة^(٨). ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾. قال مقاتل: ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤] ﴿يَكْفُرُونَ﴾^(٩)، وقال الكلبي: بمحمد والإسلام^(١٠).

(١) معاني القرآن للقرءاء ٣١٩/٢، وابن جرير ١٣/٢١ بمعناه. قال الزجاج ١٧٤/٤: فُرئ بكسر اللام

وتسكينها، والكسر أجود على معنى: لكي يكفروا وكي يتمتعوا.

(٢) الحجة للقراء السبعة ٤٤١/٥، من قوله: في هذه اللام وجهان.

(٣) أشار إلى هذه الإحالة مقاتل في تفسيره: ٧٥ ب. سورة القصص الآية رقم: ٥٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٨٢/٩ عن الضحاك.

(٥) أخرجه ابن جرير ١٤/٢١ عن قتادة بنحوه.

(٦) تفسير مقاتل ٧٥ ب.

(٧) تفسير مقاتل ٧٥ ب.

(٨) تنوير المقياس: ٣٣٨.

(٩) تفسير مقاتل ٧٥ ب.

(١٠) تنوير المقياس: ٣٣٨ بنحوه.

٦٨. ثم ذكر أنهم أظلم الخلق ، فقال : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ؛ أي لا أحد أظلم ممن زعم أن الله شريكاً ، وأنه أمر بالفواحش ^(١) .

﴿ أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ﴾ : بمحمد والقرآن ^(٢) . ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ : أمّا هذا المكذب مأوى في جهنم ^(٣) ، وهو استفهام معناه التقرير ^(٤) .

٦٩. قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ . قال ابن زيد : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا ﴾ هؤلاء المشركين وقتلوه في نصره ديننا ، ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ لنعصمهم ولنرشدنهم إلى ديننا ^(٥) . والأولى أن يكون معنى الهداية هاهنا : الزيادة منها والتثبيت عليها .

قال أبو إسحاق : أعلم الله - عز وجل - أنه يزيد المجاهدين هداية ، كما أنه يزيد الكافرين بكفرهم ضلالة ، كذلك يزيد المجاهدين هداية كما قال : ﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد : ١٧] ^(٦) .

(١) تفسير الثعلبي ٨ / ١٦٣ أ .

(٢) تفسير الثعلبي ٨ / ١٦٣ أ وتنوير المقباس : ٣٣٨ .

(٣) تفسير مقاتل ٧٥ ب .

(٤) تفسير ابن جرير ٢١ / ١٤ .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١ / ١٥ عن ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾ ، فقلت له : قاتلوا فينا ، قال : نعم . وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٨٤ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٧٤ ، ومن أدلة ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هُدًى إِيْمَانًا قُلْ أَمَّا الَّذِينَ فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٣٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥] .

وقال أبو سَوْرَة : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ في الغزو لنهدينهم سبل الشهادة والمغفرة^(١).

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ . قال مقاتل : في العون لهم^(٢).

وقال الزَّجَّاج : تأويله : إن الله ناصرهم^(٣).

وقال ابن عباس : يريد بالمحسنين الموحدين .

(١) تفسير الثعلبي ٨ / ١٦٣ ب .

أبو سَوْرَة الأنصاري ، ابن أخي أبي أيوب . قال الذهبي : أبو سورة ، عن ابن عمر ، وعنه مطعم بن المقدم ، مجهول . المغني في الضعفاء ٢ / ٤٧٣ ، وقال ابن حجر : ضعيف . تقريب التهذيب ١١٥٨ .

(٢) لم أجده عند مقاتل في تفسيره . قال الثعلبي ٨ / ١٦٣ ب : بالنصر والمعونة في دنياهم ، وبالثواب والمغفرة في عقباهم .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٧٤ .